404
الكتاب غير موجود...



في منزل جدتي

رف 404
الكتاب غير موجود..

في منزل جدتي
تأليف: بترا سوكوبوفا
ترجمة عن التشيكية: د. عمرو شطوري

تحرير ومراجعة: تقى مجدي
مراجعة لغوية: خالد رجب

الطبعة الأولى: يناير 2025
رقم الإيداع: 22870/2024
الترقيم الدولي: 9789778910254

©جميع الحقوق محفوظة للناشر

60شارع القصر العيني – 11451– القاهرة – مصر
ت: 20227921943 +20227954529 +
www.alarabipublishing.com.eg
alarabipublishing@gmail.com

تصميم الغلاف: سيد كامل

2017 ©Petra Soukupová
©Host – vydavatelství, s.r.o., 2017
First published by HOST, Czech Republic
Originally published as *Nejlepší pro všechny*

رف 404
الكتاب غير موجود...

بترا سوكوبوفا

في منزل جدتي

رواية من التشيك

ترجمة عن التشيكية: د. عمرو شطوري

العربي للنشر والتوزيع

روعيت المعايير البيئية في أثناء إعداد هذا الكتاب
We took into consideration the environment while doing this book

This publication has been supported by the Ministry of Culture of the Czech Republic



بطاقة فهرسة
سوكوبوفا، بترا
في منزل جدتي: رواية /تأليف: بترا سوكوبوفا، ترجمة: د. عمرو شطوري.
- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع 2024
ص، سم.
تدمك 9789778910254
1- القصص التشيكية
أ- شطوري، د. عمرو (مترجم)
ب- العنوان 891.863

نحن الاثنان معًا

عدتُ من المدرسة إلى المنزل، فوجدتُ أمي وهي تُزيلُ الأشياء التي التصقت بقميصي.

قلتُ لها:

– مرحبًا يا أمي.

نظرت إليَّ نظرة مخيفة، وقالت بغضب شديد:

– ألا تعلم أن عليك أن تُخرِجَ المنديل من جيوب ملابسك قبل أن تضعها في الغسيل؟ اُنْظُرْ!

نظرتُ، فوجدت أن كل الغسيل الأسود ممتلئ بقطع صغيرة من المناديل الورقية.

– لكنى فعلتُ ذلك.

– لم تفعل.

– ولكن هذا دورِكِ كونك أمًّا، أن تتحققي مما أفعله.

أخذت أمي تنظر إليَّ، فرأيتُ الضحكة في عينيها، ولهذا السبب هي الفُضلى في العالم؛ لأنها بدأت تسخر مني، وتقول:

– هذا صحيح، أنت عبقري تمامًا، أليس كذلك؟

لكني أعلم أنها تعني ذلك، وأنها أُعجبت بهذه الإجابة، فهي تحب أن تراني ذكيًّا، حتى لو لم أتعلم إخراج المناديل من جيبيَّ.

وأضافت:

– حتى لو كان الأمر يتعلق بالمناديل المنسية، فأنت طفل غبي.

قلتُ لها:

– حسنًا، هذا صحيح.

استمرت في دحرجة الأسطوانة المنظِّفة لإزالة المناديل، لكني -من الطريقة التي تتعامل بها مع الأسطوانة- عرفتُ أنها لا تزال غاضبةً.

ذهبتُ لرمي شيء ما، كانت هناك ملابس سوداء في سلة الغسيل، ملطخة ببقايا المناديل البيضاء، سحبتُ واحدة منها، وهناك واحدة أخرى أسفلها، وواحدة أخرى، والقطعة الأولى هي قميصي، مرسوم عليه جمجمة، نظرتُ إليه لحظاتٍ، ولكن بعد ذلك رميتُه مرة أخرى في السلة، ورميتُ فوقه كوب الزبادي الذي انتهيت للتو من أكله. نؤدِّي واجباتنا المنزلية، كنتُ أُكمِل في دفتري، إن الأخ هو الشخص الذي لديه الأم والأب أنفسهما، وإن زوج الأخت هو الشخص الذي... وهكذا، وفجأة تغرز الأم إصبعها في الصفحة المجاورة، والمكتوب بها "أسرتي"، ثم "أمي هي..."، كتبتُ في المساحة الفارغة "هانا"، و"تعمل..." كتبتُ "ممثلة"، وأسفلها "أبي هو..."، كتبتُ "يان"، و"يعمل..." كتبت "لا أعرف"، فوضعت المعلمةُ دائرةً حول الإجابة، كأنه من المستحيل أنني لا أعرف ماذا يعمل والدي.

قالت أمي:

- ما هذا؟ ما هذا العبث؟

رفعتُ كتفيَّ.

- هل قلتَ لها شيئًا؟

هززتُ رأسي بالنفي، فماذا يُمكنني أن أقول، إذا كنتُ لا أعرف حقًّا ما هو عمل أبي. لم يسألني أحدٌ كيف كان الأمر بالضبط، لذلك لم أتمكَّن من شرحه.

مَحتْ أمي السطر بأكمله، لقد محتهُ بحيث يصبح غير قابلٍ للقراءة تقريبًا. انتهى الأمر.

- إذا قالت لك شيئًا، فاطلب منها أن تتصل بي. إنه ليس من عائلتك، أم وأب؟ هل هذا لا يزال من البديهيات اليوم؟

قالت أمي هاتين الكلمتين بطريقةٍ عدوانية سيئة للغاية ومتعمَّدة.

– ماذا لو كان لديك أُمَّانِ؟ لماذا يطبعون هذه الأشياء، كأننا لا نزال نعيش في القرن الماضي، يدرسون...

نظرتُ إلى أمي مرتبكًا، كيف يكون لي أُمَّانِ؟ لا أفهم ما تعنيه، لكني الآن قد عرفت، فزميلي "كوبا" مثلًا له أُمَّانِ، لأنهما مثليتان.

ابتسمت أمي قائلة:

– هل تحب أن نتناول السباجتي على العشاء؟

التقت "هانا" "يان" مصادفةً تمامًا، كما يلتقي الصديق صديقَه، كانت له عينان عميقتان، وجسم رياضي، لم يرتدِ قميصًا في ذلك الصيف، وكان مرحًا، ويتمتع بسحر كبير، عامَلَها كأنها ملكة، وبعد ذلك تجاهلها تمامًا، لقد كانت صغيرة، وشدَّها هذا الأمر، فتى غامض، مفلس دائمًا، وهما في حالة سكر، وعدا بعضهما بعضًا بالحب إلى الأبد، وعندما يكون في حالة إفاقة، لا يتصل بها أبدًا، الجميع جرَّب ذلك. كان الكل يعلم أن هذا الحب لن يستمر حتى إلى نهاية الصيف، لكنها ظلت تقول لنفسها باستمرار إنه سيستمر. كانا حذرين في العلاقة الجنسية، لكنهما كان يشربان كثيرًا. تأخرت دورتها الشهرية، وعندما أخبرتْهُ أنها حامل، أومأ برأسه بتفُّهم، بالطبع سيبقيان معًا، ولكنه بعد ذلك سافر إلى منزله في "مورافيا"، ولم يتصل بها لمدة شهر، ثم ظهر مرة أخرى، لم تكن قادرة على الشُّرب. لقد كان لقاءً غريبًا، كان عليها أن تقضي ثمانية أشهر للتأقلم مع كلام الناس بأن هذا الأمر لن يستمر، وبأنها بمفردها، مع كل ما يقوله والداها وما يقوله الجميع، مع كل نظرات الأسى، ومع كل كلام صديقاتها، وما يُجرِّبْنه من ألعاب جنسية، ونظراتهن المتعاطفة معها، وكن يقلن لها: "حسنًا، عليكِ أن تستريحي الآن". كانت وحيدة في مستشفى الولادة، لم يأتِ لحضور ولادة ابنهما "فيكتور"، ولم يأتِ إلا بعدها بعدة أيام، وكانت تفوح منه رائحة الخمر. كان لطيفًا مع الطفل، وأعطاها القليل جدًّا من المال، إلى درجة تُثير السخرية، ولكنها لا تزال تحبه على أي حال، وحتى الآن تعتقد عندما تراه أن الأمر به

بصيص من الأمل، ولكن بعد ثلاثة أيام رحلَ مرة أخرى. في السنة الأولى من عمر "فيكتور"، رأته مراتٍ قليلة، وكان يضاجعها باستمرار، كانت الرغبة موجودة، وكذلك كل ما كان يدور بينهما من أحاديث حول ما سيحدث لهما، وما كان يقوله لها: إنه "لا يريد العيش معها، وأنها ليست امرأة بالنسبة له". كما أن هناك حالة من عدم الفهم الكامل، وهذا التباعد المطلق الذي يُمكن أن يحدث بين الناس بعد انتهاء العلاقة الجنسية. كل هذا لم تظنه شيئًا مهمًّا إلى أن أخبرها بأنه ينتظر طفلًا من امرأة أخرى، وأنه سيتزوجها، عندها أخبرته بأنها لن تسمح له بأن ينام في شقتها بعد الآن، وأخذت تبكي.

قالت لها أمها بعد ذلك:

- لقد قُلتُ لكِ هذا.

وقالت أيضًا:

- المهم أن لديكِ "فيكتور".

كان "فيكتور" يعرف اسمه، فقد رآه في حياته ثلاثًا وثلاثين مرة، آخرها قبل ستة أشهر، في براج المغطاة بالثلوج في شهر مارس، عندما كانا في نزهةٍ بمحاذاة النهر، كان "يان" بصحبة ابنتيه الصغيرتين، اللتين تبلغان من العمر ثماني وخمس سنوات، كانتا تلقيان قِطعًا من الخبز إلى البجع. كان "فيكتور" يُمسك بيدها، لأنه لم يكن يشعر كثيرًا بالأمان من سيره بجوار النهر، وإلا ما أمسك يدها قط. عندما كانت تُمسك بيده، كانت تشعر بسعادة كبيرة، لأن كلًّا منهما هو الأقرب إلى الآخر. وفي أثناء ذلك، تحدثت مع "يان"، كأنها تتحدث مع أحد معارفها القدامى عندما تلتقيهم مصادفة، وهم في الواقع كذلك. ذهبوا إلى المقهى، شربا قهوة، وشرب الأطفال الكاكاو الساخن.

عمل "يان" باحثًا في الآثار. كانت "هانا" تبكي في المنزل بعد كل لقاء به.

أو: في الصف الثاني، كان علينا أن نكتب شيئًا عن عائلتنا.

عائلتي هي أمي "هانا"، هي ممثلة، تُمثِّل في المسرح، وأحيانًا في التليفزيون، وكذلك جدتي وجدي، إنهما يعيشان في القرية، جدي يحب النوم، وجدتي تخبز الفطائر، لديَّ أيضًا خال وخالة واثنتان من بنات الخال، لكنهما رضيعتان، أحب أن يكون لديَّ حيوان، لكن مات لديَّ من قبل اثنان من "الهامستر"، لذا فإن أمي لم تعد تريد أن يكون لدينا حيوان بعد الآن.

لديَّ أب، لكنه ليس معنا، لديه زوجةٌ أخرى وأطفال صغار، ولا يُهمني هذا؛ فهي ليست عائلتي.

قالت الأم:

- جميل.

لكن تعبيرات وجهها لم تكن توحي بذلك.

- هل يُزعجك أني لا أزالُ أريد حيوانًا؟

- ذلك أيضًا. لقد مات الأخير لأنك نسيتَه.

- أنتِ أيضًا!

- لم يكن "الهامستر" يَخصُّني، أيها الأحمق.

- لا تناديني بالأحمق.

- حسنًا.

بقينا صامتين.

- من الأفضل ألَّا تكتب أي شيء عن أبيك في المرة القادمة.



هذا لن يحدث

نادتني أمي قائلةً:

- "فيكتور".

كانت تناديني باسمي دون تدليل عندما يتعلق الأمر بشيء جاد.

- لا يُمكن أن تسير الأمور معك بهذه الطريقة.

هذا ما تقوله أمي في كثير من الأحيان، وتقول أيضًا لماذا أفعل هذا بها، على الرغم من أنني لم أفعل "هذا" بالطبع بها. وتقول أيضًا إنه إذا استمرت الأمور معي على هذا النحو، فستضطر إلى تغيير شيء ما. سألتها ذات مرة:

- ما الذي تريدين تغييره؟

معتقدًا أن أمي تفكر في نقلي إلى مدرسة أخرى، لا أكترث لهذا، ففي كل الأحوال يمكنني اللعب عبر الإنترنت مع "أوندرا" و"كارلوس"، ماذا إذًا؟ كما أنه يمكننا الخروج معًا بعد الظهر على نحوٍ طبيعي، حتى لو كنا في مدارس مختلفة.

ثم لم تقل أمي أيَّ شيء لأنها لم تكن جادة في ذلك، لكنها تقول هذه الأشياء؛ لأن هذا ما يُفترض أن يقوله الآباء، على الرغم من أنها ليست من هذا النوع، فيقولون -على سبيل المثال- إنه لا ينبغي للأطفال الاستلقاء على الأريكة، ومشاهدة الأفلام طوال يوم الأحد، وكذلك أكل البيتزا فقط، وتناول الآيس كريم مع الكريمة المخفوقة على العشاء، لأنني وأمي كنا نفعل ذلك أحيانًا، وهذه كانت أكثر اللحظات روعة تلك التي نقضيها معًا، حيث نصنع عُشًّا باستخدام الوسائد والبطانيات على الأريكة، وبعد ذلك نُشاهِدُ الأفلام، واحدًا تلو الآخر، فيلمًا أختاره أنا، وفيلمًا تختاره هي، لكن إذا اختارت هي شيئًا مملًّا لي، فبالطبع يمكننا تغييره، أو أذهب للعب على الكمبيوتر لبعض الوقت ثم أعود إليها.

أيضًا، في بعض الأحيان لا أستطيع النوم ليلًا، أعتقد أن السبب هو أني أسترجِعُ أحداث كل ما شاهدتُه من أفلام في ذهني، ويبدو أن عقلي لا يستطيع النوم، لكن أمي كانت تقول إن السبب هو أنني لم أخرج من المنزل على الإطلاق، وأن لديَّ طاقة زائدة، وأنه لاحقًا عندما يكون لديها وقت، سنذهب معًا إلى حمام السباحة، في بعض الأحيان كنا نذهب بالفعل إلى حمام السباحة، وهو أمر رائع أيضًا.

في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم كنتُ جالسًا في غرفتي ألعبُ على الكمبيوتر، وعندما ذهبتُ إلى المرحاض، رأيتُ أمي تجلس على طاولة المطبخ وهي تدخن، تَركتِ النافذة مفتوحة، وكان الجو باردًا في المطبخ. لم تكن أمي تُدخن قط في الشقة، فقط عندما يحدث شيء ما، أو في الليل عندما أكون نائمًا.

المشكلة هي أن أمي لا تكون في الشقة كثيرًا في أثناء النهار، في بعض الأحيان لا أراها طوال اليوم، فقط في الصباح عندما أذهب إلى المدرسة. حسنًا، إنها هنا اليوم؛ لأنها تلقت مكالمة من المدرسة واضطرت إلى إلغاء بروفتها بسببي، وهي مستاءة بسبب البروفة وبسببي.

لذلك أردتُ فقط أن أمرَّ بسرعة بجوار المطبخ وأذهب بعيدًا، لكن أمي أطفأت السيجارة، وقالت لي:

- انتظر، تعالَ إلى هنا.

ثم نهضتْ ووضعت مطفأة السجائر خلف النافذة، وأغلقت النافذة.

قلتُ لها حتى لا أذهب إليها:

- الجو عندك معبأ بالدخان.

رغم أن رائحة السجائر لا تزعجني على الإطلاق؛ فقد حاولت التدخين أكثر من مرة، ولم يعجبني مذاقها، ولكن في بعض الأحيان عندما تأتي أمي لتطمئنَّ عليَّ في الليل، تكون رائحة عطرها مختلطة برائحة السجائر، وهذا شيء أحبُّه.

قالت أمي:

– حسنًا، سآتي أنا إليك.

وجاءت إليَّ.

جَلستْ على المقعد الثاني على الطاولة، الذي لا أستخدمه أبدًا، إنه فقط يعوق حركتي، ولكنه من ناحية أخرى يُستخدم لجلوس أي زائرٍ يريد أن يشاهدني وأنا ألعب على الكمبيوتر. فأحيانًا يأتي "أوندرا" أو "نِك" لزيارتي.

قالت أمي بلطف قدر استطاعتها:

– إذًا ما قولك في هذا؟

– آسف.

– هذا لا يكفي يا "فيكتور". ولن يكون كافيًا حتى إذا كنتَ تعني ذلك حقًّا، وليس لجعلي أتركك وشأنك.

نظرتُ إلى أمي لأعرف ماذا تقصد. لا أعرف، عيناها لا تبتسمان، فابتسمتُ أنا لأتأكد، أعلم أن ابتسامتي جميلة، أعلم أنني عندما أتظاهر بالبلاهة التامة، فإن الكبار يشعرون عندها بأني لطيف جدًّا.

قالت أمي التي تعرف كل شيء:

– لا تبتسم كثيرًا. هل تفهم أنه حتى دون هذه الأشياء التي فعلتَها، فإنك كنت ستحصل على درجةٍ سيئة في السلوك على نحو شبه مؤكد؟

كنتُ أعرف ذلك، لذا فضلتُ عدم قول أي شيء.

– إذًا لقد حصلت على هذه الدرجة، وأنت في الصف الخامس الابتدائي.

أصدر الكمبيوتر صوتًا معلنًا وصولَ رسالة، التفتُّ قليلًا لأرى من يكتب إليَّ، في تلك اللحظة نهضت أمي، وأغلقت جهاز الكمبيوتر من زِرِّ التشغيل، وهو ما أغضبني بشدة، فقلتُ:

– ما هذا الهراء يا أمي!

وذلك قبل أن أدرك أنني تجاوزت حدودي مرة أخرى، نعم، صفعتني أمي على وجهي. أعتقد أنه لا يمكن أن نسميها صفعة، لأن أمي لا تعرف كيف تصفع صفعة حقيقية، لكن هذا ليس مهمًّا، فرغم أن الصفعة لم تؤلمني، فإنني لستُ صغيرًا لتصفعني أمي.

نظرتُ إليها لترى أني متأثر حقًّا، لكنني لا أستطيع تحمُّل ذلك، فأحيانًا تنظر أمي بلطفٍ ونعومة كبيرة، تجعلني لا أستطيع فِعل أي شيء. أخذنا ننظر إلى بعضنا بعضًا لحظات. إن أمي هي أجمل سيدة في العالم، وأنا لا أقول ذلك فقط مثل كل الأطفال الذين يعتقد كلٌّ منهم أن أمه هي الأكثر جمالًا، فمن المضحك أيضًا أن حتى "فويتا" يعتقد ذلك، في حين أن والدته كبيرة السن وسمينة وقبيحة، لكني أقول ذلك لأن أمي حقًّا جميلة جدًّا؛ فهي صغيرة السن، وهي ممثلة في المقام الأول.

قالت:

– أنا آسفة، لكن هذا لا يصح أبدًا.

فقلتُ لها إنني أيضًا آسف، حتى تعلم أني أفهم أنه لا ينبغي لي أن أتحدث معها بهذه الطريقة، على الرغم من اعتقادي أني أنا الذي على حق، وليست هي. لكنني قُلت لها بلهجةٍ صادقة تمامًا:

– لن أفعل ذلك مرة أخرى.

– من فضلك، لا تَقُلْ هذا إذا كنتَ لا تقصده حقًّا.

– لا، حقًّا.

لا أعرف ماذا أقول، بالطبع لن أفعل ذلك مرة أخرى أبدًا، فقد ألقيتُ أنا و"يوناش" و"أوندرا" "مارتين" من فوق السور، وهو الشيء الذي أُستُدعيت أمي بسببه أمي إلى المدرسة اليوم. لقد سقط "مارتين" إلى الخلف، وعضَّ لسانه، فنزف بغزارة، وربما سقط على رأسه، لكن ذلك لم يكن متعمدًا، هو من بدأ الأمر، وليست مشكلتي أنه ضعيف كفتاةٍ، بل أضعف مني، ولا يستطيع تحمُّل أي

شيء، لذا يجب أن يُبقي فمه مغلقًا، لكنه تطاول علينا، ومن الواضح أيضًا أنني سأظلُّ أفعل الكثير من الأشياء التي ستثير غضب والدتي وغضب المعلمين أيضًا.

- "فيكتور"، لقد تحدثتَ مع جدتك، وقد توصلتُ تقريبًا إلى حلٍّ ما.

- مثل ماذا؟

عندما تقول أمي "جَدتك"، فستكون هناك مشكلة، لأن هناك دائمًا مشكلات مع جدتي.

- ستذهب إلى المدرسة هناك.

- هناك أين؟

- هناك، في "رِيبنا".

- في أي "رِيبنا؟"

- في أي واحدة تظن؟ في بلدتنا "رِيبنا"، عند جدتك.

بقيتُ لحظاتٍ لا أعرف ماذا أقول، هذا نوع من الغباء! مستحيل! كيف يمكنني الذهاب إلى المدرسة هناك؟ إنها بعيدة جدًّا عن براج، كيف سأذهب إلى هناك؟ رأت أمي تعبيرات وجهي، فقالت:

- سوف تعيش مع جدتك.

هناك فرق بين أن أذهب إلى مدرسة أخرى هنا في براج، وأن أعيش في مكان آخر بعيد تمامًا، يبعد عن براج مائة وخمسين كيلومترًا تقريبًا، حيث لا يوجد "ماكدونالدز"، ولا يوجد شيء، يوجد فقط سوبر ماركت، ولا أعرف أحدًا هناك، كما أنه لا يوجد لدى الجدة إنترنت جيد، وهي صارمة للغاية، ولا تحبني على الإطلاق، والأهم من ذلك كله، أنه ليس لديَّ أي أصدقاء هناك؛ لذلك سأقول لأمي إن هذا لن يحدث أبدًا.

قالت أمي:

- لقد جرى ترتيب الأمر بالفعل.

- لا لا، لن أذهب إلى هناك أبدًا، أبدًا.

- "فيكي"[1]، أنا لست قادرة على تربيتك بمفردي.

- لكني لم أفعل أي شيء!

- منذ شهر سرقتَ سماعات من المتجر، واليوم فعلتَ هذا.

موضوع السماعات أيضًا ظلمٌ كبير؛ لأنني اشتريتها، دفعتُ فيها ألف كرونة، وهذا مبلغ كبير، لكنها تعطلت، ورفضت البائعة استبدالها، فماذا كان عليَّ أن أفعل؟ كان بإمكاني أن أطلب من أمي المزيد من المال، لكن البائعة نظرت إليَّ بطريقة جعلتني مضطرًّا إلى ذلك في تلك اللحظة، فقد رأيتُ في عينيها أنها تعتقد أنني فقط طفل ساذج صغير لا يستحق مثل هذه السماعات، وتذكرت أن "أوندرا" كان قد قال إن الأمر سهل، وأنه على المرء فقط أن يكون حذرًا حتى لا يراه أمنُ المتجر، وأنه ذات مرة سرق لعبة عندما كان في سنٍّ أصغر. ولذلك أخرجتُ السماعات من عُلبتها، لكن ألقى القبضَ عليَّ رجلٌ كان يتفقَّد المكانس الكهربائية هناك، وكان يبدو عاديًّا تمامًا، ولم أشكَّ -على الإطلاق- أنه حارس أمن.

حاولت أن أشرح لأمي لماذا اضطررتُ إلى فِعل هذا، لكنها لم تتقبل السبب، وقالت لي أيضًا إنه إذا كنتُ أُلقي باستمرار هذه السماعات بغضب، فلا ينبغي أن أُفاجَأ بحدوث عطل بها، ثم منعت أيضًا المصروف عني لمدة أسبوعين.

- وخلال هذه الفترة، حدث موضوع البومة أيضًا، اللعنة يا "فيكي"، إنك مجنون!

ابتسمتُ لنفسي؛ لأن تلك البومة كانت رائعة، كانت في مدرستنا بومة عملاقة محنطة، موضوعة في تجويف بالحائط، بالطبع كان هذا التجويف موجودًا على ارتفاع كبير؛ لذا لا يمكن لأحد الوصول إلى تلك البومة، وهي تقف هناك مفرودة الجناحين، رمزًا للحكمة، وأخيرًا كان شيء ما يُجدَّد في مدرستنا، وذات مرةٍ عندما كنتُ ذاهبًا إلى المرحاض في أثناء الحصة الدراسية، كنت أفعل ذلك كثيرًا،

(1) تدليل "فيكتور".

وكانت المعلمات يعتقدن أنني ربما أكونُ خجولًا أو غريب الأطوار، ويعتقد زملاء الفصل أنني أيضًا كذلك، لكنني كنتُ أحبُّ -حقًّا- السير في الطرقات الهادئة للمدرسة، وعندما كنتُ في طريقي إلى المرحاض، رأيتُ أنه في الطابق نفسه الذي توجد به البومة، يوجد سلم مرتفع؛ لذلك كتبتُ إلى "أوندرا"، وطلبتُ منه أن يأتي أيضًا، وجاء بعد قليل، لم تكن المعلمة ترغب في السماح له بمغادرة الفصل، لأنني لا أزالُ في الخارج، لذلك كان عليه أن يتظاهر بأنه في حاجةٍ ماسة إلى الذهاب إلى الحمام. وأضاف "أوندرا" أن أسوأ ما في الأمر هو أنني كنتُ في حاجة ماسة للذهاب حقًّا، لذلك ذهبت معه، وخلال ذلك أخبرتُه بالطريقة التي سنتبعها، أخرجنا البومة من تجويف الحائط، وقفت أنا أعلى السلم، و"أوندرا" وقف أسفل مني ببضع درجات، سلمتها له، ثم تركناها لتطير من الطابق الرابع في تلك المساحة بين الدرج. لقد فكرنا في هذا؛ لأنه كانت هناك شبكة في مستوى الطابق الأول كنوع من الديكور، عليها رسومات وبعض الأشياء الورقية، وكنا نظن أن هذه الشبكة ستلتقف البومة، لكن المفاجأة أنها لم تفعل، لقد مزقت البومة الشبكة، وسقطت على الأرض، وتحطَّمت.

وبعد ذلك علموا من الذي فعل ذلك، رغم أننا لم نضع مقطع الفيديو الخاص بالبومة وهي تطير على الإنترنت مطلقًا.

قالت أمي:

- لا تضحك، فتلك البومة الغبية كانت موجودة هناك منذ ما يقرب من مائة عام.

في تلك اللحظة علمتُ أن كلينا يفهم أن هذا الأمر كان مضحكًا، ولكن لأنها شخص بالغ، فعليها أن تتظاهر بأنني شخص بَشِع. من الأفضل أن أظل أنظر إليها بحزن.

- أمي، لن أذهب إلى هناك. هذه مزحة فقط، أليس كذلك؟

ظلت صامتة لبعض الوقت، ربما قالت ذلك فقط لتخيفني. وقد نجحت في ذلك، رغم أنها أخبرتني عدة مرات من قبل أنني سأنتقل إلى مدرسة أخرى، أو

أنها ستجد لي جليسة أطفال حقيقية لتعتني بي، أو أنها ستترك عملها في المسرح لتتفرغ لي أنا فقط، أو أنها سترسلني إلى مدرسة داخلية، لكن تلك كانت مزحة فقط، فلا أعتقد أن هناك شيئًا من هذا القبيل موجودًا الآن.

- أليس كذلك يا أمي؟

- لا بد من ذهابك يا "فيكتور".

- أمي... سأحاول، حقًّا، أنا... أو ربما لن ألعب على الكمبيوتر مطلقًا.

أخذت تنظر إليَّ، فأنا أَعِدُ بذلك في كل مرة. ما الشيء الآخر الذي يُمكن أن أعد به، إذا كان ما تبقَّى من أشياء لا أفعله كثيرًا.

- سأعود إلى الذهاب إلى فريق الغناء، سأحاول.

توقفت عن المشاركة في فريق الغناء في العام الماضي؛ لأنه ممل للغاية، لكنني أعرف أن أمي تريدني أن أشارك به لأنني -كما تقول- أُغنِّي جيدًا، ومن الخسارة عدم استغلال ذلك، ووافقها الجميع على هذا الرأي. ففي كل حدث مدرسي تكون لي أغنية منفردة، في كل مرة أرى تلك النظرات، في كل مرة أبحث فيها بعينيَّ عن أمي، أحيانًا أجدها وأحيانًا لا.

أعلم أنه يزعج والدتي حقًّا أنني أجلس هنا بمفردي طوال فترة بعد الظهر من كل يوم، باستثناء يوم الخميس، إذ أذهب أنا و"نيكو" للتسلق، لكن في المرة الأخيرة لم نذهب إلى هناك، ذهبنا إلى متنزه "ستروموفكا". فكرنا في ترك القطار يمر على العملات المعدنية، ولكن قلنا بعد ذلك إن هذا يليق بالأطفال الصغار، فجلسنا على مسند المقعد، وأخذنا نبصق على الأرض وندخن سيجارة، أو بالأحرى جربنا ذلك فقط، كان الأمر مقززًا؛ لذلك فضلنا شراء مصاصتين لكل منا وأكلناهما.

هزَّت أمي رأسها وقالت:

- لا جدوى من ذلك، دع عنك هذا، فأنت تقول هذا باستمرار طوال الوقت، ولا تفي بما تعد به أبدًا. لقد اتُّخذ القرار بالفعل، ولا أريد التحدث عن ذلك بعد الآن.

- أنا أريد التحدث عن ذلك.

- ولكن لا يوجد لدينا هنا ما نتحدث عنه، لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو، فأنا لا أقدر عليك، وأنا حتى هكذا ليس لديَّ وقت.

- ماذا تعنين بـ"حتى هكذا"؟

- حسنًا. أعني أنه ليس لديَّ وقت كافٍ لك، بقدر ما أريد.

- لكن لماذا تقولين "حتى هكذا"؟

ترددت أمي، وظلت صامتة.

فسألتها:

- هل أنتِ على علاقة بأحد؟ هل هذا هو السبب أنه سيكون لديك وقت أقل لي؟

هزَّت رأسها، ونظرت نظرة تصف ما أقوله بأنه هراء تام، أنا أصدق هذه النظرة، فإذا كانت أمي على علاقة بشخص ما، لكانت أخبرتني بكل تأكيد، لقد أخبرتني من قبل عندما كانت على علاقة بـ"ميريك" وبـ"توماش"، وأخبرتني بعد ذلك عندما أنهت علاقتها بهما.

أخذنا ننظر إلى بعضنا بعضًا، وأنا لا أفهم -على الإطلاق- أنها يمكن أن تفعل ذلك بي، وأنها ستُرسلني إلى هذه القرية المتخلفة، حيث كل الناس هناك غرباء عني، وإلى جدتي التي تبدو هي أيضًا غريبة عني.

- أمي، لكني أكره هذا المكان.

هزت رأسها قائلة:

- هذا لأننا لم نسافر كثيرًا إلى هناك.

- فعلًا؟!

- "فيكي"، أعلم أنك تشعر بالغضب الآن. لكنني حقًّا لا أعرف ما الذي يُمكن أن أفعله غير ذلك. سيكون كل شيء على ما يرام، سترى أننا سننجح في ذلك.

قلتُ لها:

- لكني لن أذهب إلى هناك.

وابتعدت عنها، ثم وضعت سماعاتي القديمة، وشغَّلت الكمبيوتر حتى تعرف أنني لن أتحدث معها عن هذا الأمر بعد الآن. لكن كان هناك شيء غريب بعض الشيء، فهي اليوم مختلفة، وغريبة، كأن شيئًا قد تغير، كما لو أن أمي أصبحت فجأة بعيدة عني.

لكنها استمرت في الجلوس هناك، تحمَّلت لفترة طويلة عدم النظر إلى ما تفعله، ولكن عندما لم تنصرف، التفتُّ إليها، كانت تجلس هناك وتحاول جاهدة أن تمنع نفسها من البكاء. بكيتُ أنا أيضًا.

وفجأة شعرتُ بأنني لا أستطيع التنفس، وهذا يحدث فقط عندما أكون تحت ضغط كبير، أعلم أن هذا سينتهي، لكني الآن لا أستطيع التفكير في الأمر، أخذتُ أنهجُ من أجل أن أتنفس وأنا أشعر بالذعر، وصرختُ:

- أمي، أمي.

فأمسكت بي وقالت:

- تنفَّس، تنفَّس بهدوء.

وبعد قليل شعرتُ بأنني أستطيع التنفس مرة أخرى، وأنني على ما يُرام.

- أمي، أنا لن أذهب إلى أي مكان، أليس كذلك؟

ظلت لحظاتٍ تُمسك بي، ثم نهضت.

- يجب أن أذهب إلى المسرح، فهكذا قد جعلتُ بالفعل الأمر صعبًا على الجميع.

لم يبدُ لي غريبًا ما قالته الآن، بالعكس، بدا طبيعيًّا تمامًا؛ فلا بد أن تذهب وحسب. ومع ذلك ذهبتُ وراءها، اتَّبعتُها، وأخذتُ أشاهدها وهي تضع تفاحة وبعض الأوراق في حقيبتها، وتضع أحمر الشفاه على فمها، وترتدي معطفها ووشاحها وحذاءها.

- ولكن أشعر أني مريض.

- بماذا تشعر؟

- لا أعلم، أشعر بألمٍ في معدتي.

- هل أكلتَ؟

رفعتُ كتفيَّ، لا أعتقد أني جائع، ولكني لست على ما يرام؛ لأن أمي قالت لي هذا الشيء.

- إذًا كُل.

صرختُ في أمي:

- ليس بسبب الجوع.

- اِهدأ يا حبيبي.

ضمتني إليها مرة أخرى وقالت:

- كُلْ شيئًا، ولا تَخَفْ من أي شيء.

- كيف لا أخاف؟

- لا أعلم، لكن على سبيل المثال، فَكِّرْ في كيفية عدم شعورك بالخوف عندما ترتكب الحماقات.

ابتعدتُ عنها. لكني هذه المرة كنتُ أشعر بالغضب وليس بالحزن.

- أتشعر بتحسن؟

- لا.

قُلتُ هذا عن قصد. وقلتُ لها أيضًا:

- عندما تذهبين إلى المسرح، سأعاني الاختناقَ مرة أخرى.

نظرت إليَّ بتسامح وقالت:

- أيها الشقي، دع عنك هذا.

واصلتِ استعدادها للمغادرة. وبينما هي تنصرف في هدوء، شعرتُ في تلك اللحظة أنني أكرهها.

نظرت إليَّ، كانت تريد المغادرة وقد فعلت شيئًا طيبًا، وربما أرادت أن تطبع قبلةً على جبهتي، لكنني تراجعتُ خطوةً إلى الوراء. آمل أن تجعلها نظرتي إليها تفهم أنه مهما تَقُل، فهذا لا يهمُّني، لا يهمُّني على الإطلاق، لأنني لن أذهب إلى هناك.

- سأتأخر. اُطلبْ بيتزا على العشاء إنْ أردتَ.

أريد ذلك، لكني أعلم أنها فعلت هذا اليوم بدافع الشفقة.

لن أدعها تُقبلني، فأنا لست طفلًا، سمعتُ وَقْعَ قدميها في الردهة، ودخولها إلى المصعد. ثم صوت تحرُّك المصعد. في بعض الأحيان كنتُ أنظر من النافذة لأرى أمي وهي تسير في الشارع. أحيانًا كانت تلتفت وتلوح لي. لكني اليوم لم أفعل ذلك عن قصدٍ، وذهبتُ مباشرة إلى الكمبيوتر.

فجأة، لا أعرف لماذا، نهضتُ ونظرتُ من النافذة لأرى أمي، على الأقل من بعيد، فجأة بدت لي كأنها أهمُّ شيء في هذا العالم. أسرعتُ إلى النافذة، لكنها كانت قد ذهبت بالفعل.

ركضتُ إلى الممر، وارتديتُ حذاء الخروج، وركضتُ إلى الترام دون سترتي، لكنني لم أرَ أمي هناك، لم أستطع التنفس مرة أخرى، ولكن هذه المرة بسبب أني ركضت بسرعة كبيرة.

عُدتُ إلى المنزل، وشغَّلتُ أول شيء صادفني على اليوتيوب على جهاز الكمبيوتر الخاص بي، فقط لكي أكسر حالة الصمت، ثم أخذتُ ألعب حتى الساعة التاسعة.

ثم أكلتُ علبة من البسكويت، وشربتُ معها الحليب، شعرتُ بعض الشيء - مرة أخرى- أني لستُ على ما يرام، ولكن هذا لأنني وحدي في الشقة، ورغم أنني أُبقي الأضواء مضاءة في كل مكان، وأترك التليفزيون يعمل أيضًا، ويعرض أي شيء فقط لكيلا يسود الصمت. ولم أضطر كذلك إلى تنظيف أسناني، ويمكنني البقاء مستيقظًا إلى أي وقت أريده، فإنني لا أزال أُفضِّل الأمسيات التي تكون فيها أمي موجودة بالمنزل.

لكني الآن سألعب، سجَّلتُ في الدردشة. سألني "أوندرا":

- ما الأمر؟ وأين كنت طوال هذا الوقت؟

لم أخبره بأي شيء. لأنني لا أصدق أن ذلك سيحدث.

في تلك اللحظة التي كان سيغلق بها الباب، أرادت "هانا" أن تستدير وتخبره أنه لن يذهب إلى أي مكان، وأنها لن تفعل ذلك، وأنها لا تستطيع أن تتحمل نظراته إليها، لأنه الشخص الوحيد المهم لديها، وأنها تحبه. شعرت بالدموع تترقرق في عينيها، لكنها لم تستطع البكاء بسبب "الماسكارا"، رمشت بسرعة، ولم تَعُدْ، وذهبت آليًّا إلى المصعد، كان المصعد يقف في طابقهم، وهذا جيد، لأنه يمكنها المغادرة بسرعة، لا بد أن تغادر بسرعة حتى لا تتراجَعَ وتعود إليه. لقد جرى الاتفاق على كل شيء، وهذا هو عين الصواب، هذا هو المخرج للجميع، لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو، لقد فعلت كل ما في وسعها، ولم تنجح في ذلك، لم تعد تستطيع أن تتحمل ذلك، وكلما مَرَّ الوقت تَقِلُّ قُدرتها على التحمل، تحمل إخفاق الأم، ونظرات المعلمات لها، إنها لا تزال صغيرة جدًّا، وربما رأين صورها في الحفلة بجريدة "بليسك"، "لكنني أحب ابني أكثر من أي شيء، لقد ضحيتُ من أجله بالعديد من الفرص، والآن، الآن، يمكننا أن نفوز جميعًا".

قالت لها والدتها:

- عليك أن تكوني صارمة، وإلا فلن تقدري على تربيته.

إنها ممثلة جيدة؛ ولذلك كانت صارمة، مسكين "فيكي"، إنها لم تتحدث معه بهذه الطريقة من قبل.

في المصعد، تتحقق من مكياجها، وتقول جملتها المفضلة، الجملة الأخيرة لـ"جابرييلا" قبل أن تترك زوجها:

- إن كل شيء سيصبح أفضل.

كانت "هانا" تعرف أنها جملة مبتذلة فحسب، جملة فارغة ليس لها معنى، لكنها تُجيد قولها بطريقة تصيب الجميع بالقشعريرة، ثم قالت بصوت عالٍ:

- تذكروا ذلك.

شعرت لحظةً أنها جيدة، خرجت من المصعد هادئة، ولم تعد تُفكر في "فيكتور"، ولا يعني ذلك أنها لا تضعه دائمًا في مكان ما في عقلها؛ ففي كل مرة تنظر فيها إلى كل فتى في مثل عمره تقابله في طريقها، أو في الحقيقة إلى كل فتى في أي عمر، سواء عندما كان صغيرًا جدًّا، أو عندما يكبر، فتقول:

- يا إلهي! هل سيكبر ويكون حقًّا مثل هذا بعد بضع سنوات؟

لكنها لم تعد تفكر في الحديث الذي دار بينهما بعد الآن، فهي بحاجة إلى التركيز الآن، فلا يجب أن يؤثر ذلك في البروفة، "أنا الآن "جابرييلا"، وزوجي لا يحبني، وأنا أستجمع شجاعتي لمغادرته. أنا لست "هانا"، وليس لديَّ ابن يدعى "فيكي"، ليس لديَّ سوى نفسي، ويجب أن أحمي نفسي من هذه العلاقة السيئة، من الرجل الذي يصفعني في أحيان كثيرة، عليَّ أن أهتم بنفسي".

في الترام كانت تُتابع النساء اللاتي في منتصف أعمارهنَّ، وتخمن أي واحدة منهنَّ تخاف من زوجها، وأي واحدة راضية بحياتها، وتُراقِبُ حركاتهن، ونظراتهن. كانت هذه لعبة "هانا" المفضلة، فدائمًا هناك عدد كبير من الناس، حتى لو كان الكثيرون منهم لا يفعلون شيئًا ولا يقولون شيئًا، فهم يجلسون ويُحدِّقون، ولكنَّ هناك آخرين كُثرًا يمكنها مراقبتهم. هناك صبيٌّ يبلغ من العمر عامين، طفل قبيح، كان "فيكي" دائمًا جميلًا، أخذتْ تُتابِع الطفل وأمه لحظاتٍ، لا، إنها لا تبدو سعيدة، وهي الآن تُهسهس في الصبي بشدة، على الرغم من أنها تعود إلى الابتسام على الفور.

صدرت صافرة تفيد بورود رسالة على الهاتف الجوال لـ"هانا"، كانت صورة "فيكي" المبتسم ذي الأسنان المفقودة موجودةً على شاشة الهاتف المغلق، إنه معها باستمرار، "رجلي الصغير"، مسحت على الشاشة بإصبعها، اختفت صورة "فيكي"، كتب إليها "دانيل": "المساء الأزرق؟" أجابت "هانا" على الفور: "عندما أُنهي التمثيلَ، سأتصل بك". وأضافت قلبًا.

الريح تشتدُّ

عندما كنتُ صغيرًا، كنتُ أحيانًا أستيقظ في الليل، حتى لو كان هناك مصباح صغير مضاء بجوار سريري، وأذهب إلى غرفة نوم أمي، وأنام بجوارها، فتأخذني تحت بطانيتها الدافئة، وأستمر في النوم، وأحيانًا في الصباح لا أتذكر حتى كيف ذهبتُ إلى هناك. وذات مرةٍ قالت لي أمي إن عليَّ أن أُقلِع عن ذلك، لأني لم أعد طفلًا رضيعًا، وأنني أركلها في أثناء نومي، وهذا لا يجعلها تنام جيدًا، وعلى الرغم من أن سريرها كبير، فإنني أتدحرج عليه، لكنني كنتُ أستيقظ في الليل، ولا أفكر في الأمر، بل أستيقظ، وأذهب إليها فحسب. وقد علَّمتني أمي أن أُرتِّبَ ألعابي الصغيرة في غرفتي في المساء؛ حتى لا أدوس عليها ليلًا، لأنني في إحدى المرات دستُ على شيءٍ ما، وشعرتُ بألم شديد، وبدأتُ بالصراخ فجاءت أمي تجري وصاحت:

– ماذا حدث لك يا "فيكي"؟ ماذا حدث؟

وبعد ذلك وبَّختني لأني أفزعتُها.

أذكر أنني ذات مرة ذهبتُ إلى غرفة نومها، وكان الباب مغلقًا، فأمسكتُ بالمقبض، لكنه كان مغلقًا أيضًا من الداخل، لم أفهم، فأمي لا تغلق الباب قط من الداخل، حركتُ المقبض بقوة، وفجأة سمعت أمي وهي تفتح وتقول:

– تعالَ، سننام عندك.

وبينما تأخذُني بعيدًا، رأيت رجلًا مستلقيًا على السرير، فقلت لها:

– لا، أريد أن أنام في سريرك.

لكنها أمسكت بي قائلة:

– دع عنكَ ذلك، وهيَّا معي.

وهنا بدأتُ بالصراخ:

- فليذهب هو بعيدًا، فليذهب بعيدًا.

حمَّلتني أمي بين ذراعيها قائلةً:

- اهدأ يا "فيكي"، لا تصرخ.

استيقظ الرجل، وأخذ ينظر وهو في حالة نعاس إلى ما يحدث، فصرختُ: - اذهب من هنا.

فبدأ يُلملم أشياءه، فقالت له أمي:

- حسنًا، من الأفضل أن تنصرف.

نهض الرجل، وبدأ بارتداء ملابسه، وتغطية نفسه، لكنني -رغم ذلك- رأيت عضوه، وضعتني أمي على الأرض قائلة:

- أنت ثقيل جدًّا.

فذهبتُ مباشرة إلى السرير، واستلقيت عليه.

غادر الرجل، حتى أنه لم يُقبِّل أمي، سمعتُه يرتدي حذاءه ثم يُغلق الباب خلفه. استلقت أمي بجانبي وقالت:

- سننام، أليس كذلك؟

في الصباح قالت لي:

- إنه "ماريك".

علي الإفطار سألتها:

- هل سيأتي مرة أخرى؟

- لا أعرف، هل تُمانع؟

- نعم.

- لماذا؟

- لأنني أريد أن أنام في سريرك.

- لديك سريرك، وربما أنا أحبه.
- أتحبينه؟
- لا أعرف بعد.
- لكنك تحبينني، أليس كذلك؟
- أنا أحبك أكثر من أي أحد، بغض النظر هل سينام "ماريك" هنا أم لا.
- إذا كنتِ تحبينني أكثر، فلا تجعليه يَنَمْ هنا بعد الآن.

ضحكت أمي، ولكني كنتُ جادًّا في ذلك.

- حسنًا.
- إذًا قولي إنه لن ينام هنا بعد الآن.
- بالطبع لا.

بالطبع سيحدث. لكني في المرة القادمة لن أُثير ضجة، وسأجعلها تأخذني إلى فراشي، لكني لن أترك أمي تعود إليه، وسأجعلها تبقى معي.

بعدها أخذني مع أمي في رحلة، كان يُعاملني بلطف، ويحضر لي أشياء، كما كان يُحاوِلُ اللَّعب معي على الكمبيوتر، إنه ليس سيئًا، ويلعب جيدًا، بل إنه يحتفظ ببعض الألعاب على الموبايل الخاص به، ولديه سيارة جميلة، مكشوفة. كما أن علاقته بأمي كانت تسمح لي بالدخول إلى غرفة نومهما والاستلقاء بينهما.

ثم اختفى.



لم تعد "إيفا" بحاجةٍ إلى منبه، فهي تستيقظ دائمًا قبل دقائق قليلة من رنينه كل صباح، ومع ذلك، فهي لا تزال تضبطه باستمرار، ثم تستلقي لبعض الوقت، إنها لحظات الهدوء التي تخصصها لنفسها، إذا ذهبت للنوم مبكرًا في المساء، تبقى تفكر فيما ستخبزه اليوم بالضبط، على الرغم من أن تناول الكعك مع "الكيش"[2] أصبح شيئًا معتادًا بمرور الأيام ؛ فدائمًا هناك شيء حلو وشيء مالح، وهناك أيضًا شيء ثالث، تختاره "إيفا" وفقًا لمزاجها، وتحاول دائمًا أن تبتكر شيئًا جديدًا، لكن الأمر ليس سهلًا، فليس هناك الكثير مما يمكن أن تفعله خلال تلك الساعات الثلاث، وبعد ذلك، تكون هناك كعكة معينة تنال إعجاب الناس، فتُكرِّرُ "إيفا" صناعتها.

بدأ المنبه بالرنين، فأوقفته "إيفا" في غضون ثانية، كانت هذه الحركة حركةً اعتادتها مع مرور الوقت؛ حتى لا يزعج صوت المنبه "يندرشيخ". على الرغم من أن هذا تصوُّر "إيفالا أكثر؛ فـ"يندرشيخ" لا يستيقظ حتى لو رن المنبه لمدة دقيقة كاملة، كان ينقلب دائمًا على جانبه الآخر، ويلفُّ نفسه بالبطانية بإحكامٍ أكثر، دائمًا ما يفعل ذلك عندما يزعجه شيء في أثناء النوم، مثل نوبة سعال من "إيفا"، التي تعاني التهاب الشعب الهوائية في الشتاء، كان "يندرشيخ" يبدو في الفراش كاليرقةِ العملاقة، وبعد قليل يبدأ بالشخير مرة أخرى.

عندما كان "فيكتور" الصغير في السابق يذهب إليهما، كان على "يندرشيخ" دائمًا ينام على الأريكة بجانبهما حتى لا يوقظه، أما هي، فكانت تنام دائمًا مع "فيكي" في الغرفة نفسها، رغم أنه كان يزعجها؛ فقد كان في أثناء نومه جامحًا، يُلقي نفسه ويصرخ، وأحيانًا يستيقظ مرتبكًا ويبكي، كانت

(2) الكيش: هو طبق فرنسي شهير يتكون من قشرة فطيرة مع حشوة بالبيض والكريمة والجبن واللحم المقدد والخضراوات .

"إيفا" تنام بجانبه تحت البطانية، وتنتظر حتى ينام، بينما تظل تنظر إليه؛ فلا يوجد في العالم شيء أجمل من طفل نائم.

الآن نهضت "إيفا"، وفي طريقها إلى الحمام أشعلت الفرن، في الحمام غيَّرت ملابسها بسرعة، الجو بارد هناك، لكنها سرعان ما ستشعر بالدفء، من الأفضل أن ترتدي سترة، نظرت إلى مقياس الحرارة خارج النافذة. إنها فوق الصفر بقليل، أحيانًا تنخفض الحرارة في المساء إلى ما دون الصفر، وبعدها بقليل يصبح الجو باردًا، وحتى يحين ذلك الوقت، يجب أن تكون الحديقة جاهزة لفصل الشتاء، أصبح النهار أقصر، ولا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعين عليهما أداؤه في الحديقة، لكن لا يجب أن تفكر في ذلك الآن، فعليها التركيز على صُنع الفطائر.

تبدأ بصُنع العجين، ثم تحضير التفاح، وطهو السبانخ، وبَشْرِ الجبن، وخَلْط الجبن بالخلاط، ثم الخَبْز. هذه الساعات الثلاث هي الوقت الذي خصصته لنفسها، لا يُمكن لأحد أن يزعجها، ولا تسمح لأحد بذلك. وخلال السنوات الأربع التي كانت تؤدي فيها ذلك، أصبح الأمر روتينيًّا لها، ولم تعد مضطرة حتى إلى وزن المكونات، لكن من الجيد فعل ذلك من حينٍ إلى آخر، فقط للتأكد أن الأمور يجب أن تجري على نحوٍ صحيح، فهي تخبز وفقًا للوصفة، وليس وفقًا لتقديرها فحسب.

اليوم ستصنع فطيرة التفاح، فهي الآن في الخريف من الأطعمة المفضلة وسهلة التحضير، ثم ستصنع "الكيش" بجبن الماعز والسبانخ، فالناس يحبونها أكثر من غيرها، و"إيفا" لا تفهم سبب هذا، فهي تكره جبن الماعز، فقط مرة واحدة تذوقت هذا "الكيش" لتعرف ما الذي يُعجب الناس فيه، لكن الرائحة الكريهة لجبن الماعز جعلتها تبصق اللقمة التي تمضغها. لكن "يندرشيخ" كان يحب هذه الفطيرة؛ لذا كانت تخبز مرة واحدة في الأسبوع اثنتين في الصباح، يأكل "يندرشيخ" واحدة، والثانية يأكلها أي زوار يأتون في الأيام التالية. كانوا يقولون لها:

- "إيفا"، هذه فطيرة لذيذة، أنت بالفعل خبازة محترفة، علينا أن ندفع ثمنها أيضًا، إنها رائعة.

الفطيرة الثالثة التي ستصنعها "إيفا" هي بالجبن السويدي، دون زبيب، لقد استهلكته في فطيرة التفاح، نسيانها هذا أفسد مزاجها لبعض الوقت، فكيف لم تلحظ أن الزبيب قد نفد لديها، ولم تَشْتَرِهِ مجددًا؟ فدائمًا ما كانت تتفاخر بمدى حرصها على توفير هذه الأشياء. فما الذي سيأتي بعد ذلك؟ هل ستنسى شراء الدقيق؟

وضعتِ الكعك في الفرن، وأخرجته، ثم وضعته على الأرض في الردهة ليبرد في أسرع وقت ممكن، ثم غلَّفته، ارتدت بنطالًا وقميصًا رغم أنها ستذهب فقط إلى المقهى، إذ ستدخل إلى هناك من الباب الخلفي للمطبخ، ستلتقي فقط "ماريا" أو إحدى فتياتها، لكنها رغم ذلك لم تذهب إلى هناك قط وهي مرتدية سروالًا ضيقًا وكنزة صوفية فضفاضة، ليس دائمًا، ولكن إذا لم تسر الأمور وفقًا لما هو مخطط لها تضطر إلى ذلك.

في الخارج، كان الثلج الأبيض يغطي المكان، والعشب قد تجمَّد في أثناء الليل، تصاعد البخار من فم "إيفا" عندما فتحت الباب، وحملت الفطائر إلى السيارة، إنها تقود السيارة عبر الطريق نفسه للمرة الألف، ودائمًا ما تكون حذرةً في المنحنيات حتى لا تسقط الفطائر التي تضعها على المقاعد الخلفية. فقط عندما تسمع أحد الأغلفة يتحرك ويصطدم بالآخر، تدرك أنها تسير بسرعة، الآن تقود السيارة بسرعةٍ؛ لأنها تريد إنجاز هذا الأمر؛ فلأول مرة منذ وفاة "يندرشيخ"، تكون في عجلةٍ من أمرها لتفعل شيئًا آخر، رغم أن تلك الفطائر هي المنقذ لحياتها، فحتى في اليوم التالي لوفاته أخذت تخبز، على الرغم من أن "ماريا" أخبرتها أنها -بالطبع- ليست مضطرة إلى هذا، لكنها كانت تريد ذلك. فهل لديها شيء آخر لتفعله؟ فما الذي يُمكن أن ينقذ الإنسان عندما يتغير شيء كبير في حياته سوى الحفاظ على النظام، ووضع الأشياء الصغيرة في أماكنها؟

لكن منذ الأسبوع الماضي، أصبح ينتابها شعور مختلف، ففي ذلك اليوم عادت من المدينة، وجلست على الطاولة، شربت القهوة، وتناولت الخبز المُملَّح بالزبد على الإفطار، فبعد ذلك الصباح الذي تخبز فيه الكثير من هذه المخبوزات ذات الرائحة الحلوة، لا تكون لديها رغبة في تناول أي شيء حلو على الإطلاق، فبعد كل مرة تنقل فيها الكعك، تعود إلى المنزل، وتعدُّ الشاي بالحليب والخبز المملح، وتُشغِّل في أثناء تناول الإفطار قناة "ČT24" التليفزيونية الإخبارية لتعرف ماذا يحدث، لكنها لا تستمع طويلًا إلى الأخبار؛ لأنها تُثير غضبها. بعد الإفطار مباشرةً، عادة ما تخرج إلى الحديقة، في السابق كانت تعدُّ الغداء، فقد كان "يندرشيخ" يحب الحساء والطعام، أو ربما لم يكن يحبه، لكنها كانت تحب أن تطهوَ له الطعام، إنها لا تستمتع بالطهو لنفسها، فهي عادة ما تتناول الخبز أيضًا على الغداء، إنها تحب الخبز، فهل يزعج هذا أحدًا؟

بعد الغداء تنام لبعض الوقت.

اليوم في أثناء تناولها الإفطار، سمعت فجأة صوت توقف سيارة، فنظرت من النافذة، كانت هناك سيارة "فيات" خضراء متوقفة أمام الحديقة، ولم تتعرف "إيفا" على السيارة، لكنها تعرفت بعد ذلك إلى سائق السيارة، ابنتها "هانكا"[3]. تجهمت "إيفا" مستنكرة، لماذا تقود ابنتها سيارات الآخرين؟ ما هذا؟ أحقًّا لا تستطيع شراء سيارة خاصة بها؟ وعندما قالت لها هذا، ضحكت "هانكا" قائلة:

– أمي، أنا نادرًا ما أستخدِم السيارة، لذلك أستعيرها دائمًا من شخص ما.

ألا تفهم أن هذا غير لائق، وأن الناس لا يعيشون بهذه الطريقة؟

منذ وفاة "يندرشيخ" أخذت "هانكا" تزورها أكثر من ذي قبل، لقد جاءت إليها مرتين في سيارة "موندیو"، ثم مرة واحدة في سيارة "أوكتافيا"، وعدة مرات في سيارة

(3) "هانكا": تدليل "هانا".

"فولفو" فضية اللون، والآن بهذه السيارة. لا تريد "إيفا" حتى أن تفكر في حقيقة أن اختلاف السيارة يعني أن لديها في كل مرة عشيقًا جديدًا، وهو من يُعيرها سيارته.

جاء "فيكتور" معها مرة واحدة فقط في الجنازة، ثم لم يأتِ بعد ذلك. سألتها "إيفا" ذات مرة عن عدم مجيئه، رغم أنها تعرف السبب.

- لماذا لم تُحضريه معك؟

- إنه في المدرسة.

- لماذا لا تأتين به في عطلة نهاية الأسبوع إذًا؟

- لأنني أكون في المسرح يا أمي.

- لا تقولي لي إنه لا يوجد يوم واحد إجازة، ويمكنك أن تأتي إلى هنا مع "فيكي".

- أمي، إنه لا يريد أن يأتي إلى هنا.

- لأنكِ جعلتِه يكره المكان هنا.

ثم تشاجرتا، وغادرت "هانا"، بعد أن قالت لها "سلام" بطريقة سيئة، وأغلقت الباب خلفها بقوة، ولم تتصل بها إلا بعد ساعتين.

رغم أنها اليوم، عندما عرفتها "إيفا" وهي في هذه السيارة "الفيات" الخضراء، نهضت، ووضعت الماء لتصنع لها القهوة، وذهبت إلى حجرة الخزين، حيث لا يزال لديها قطعة من كعكة الكاكاو متبقية من يوم الأربعاء.

قالت "هانكا":

- لا أريد يا أمي، شكرًا.

ثم أكلت ثلاث قطع، وقالت بعد ذلك:

- لن أتناول الغداء اليوم.

ثم ذهبت إلى الحديقة حيث السقيفة، ومعها سيجارة، كما لو أن "إيفا" لم تكن تعلم حقًّا أن ابنتها تدخن.

عادت، ولم تقل أيٌّ منهما شيئًا؛ فـ"إيفا" لا تستطيع أن تسألها: لماذا أتت؟ فهما لا تتحدثان بهذه الطريقة، حتى لو كانت كلتاهما تعرف ذلك. "هانا" لا تأتي إليها فجأةً بلا سبب، لا يحدث هذا كثيرًا.

- هل حدث شيء؟

- إن "فيكي" يثير المشكلات، ولا أستطيع التعامل معه. يا أمي...

ترى "إيفا" أن ابنتها في حاجة إلى المساعدة، ولكنها لا تستطيع طلبها بصراحةٍ.

- ماذا حدث؟

- يجب أن أنقله إلى مدرسة أخرى يا أمي، أنت تعلمين أنه ليس سيئًا، لكن أصدقاءه... أنا خائفة؛ إنهم يسرقون، ويجلسون على الكمبيوتر طوال اليوم، ولا أعرف ماذا يفعلون، وأنا لا أستطيع مراقبته باستمرار، وأظن أن المعلمة لا تحبه.

لكن "إيفا" كانت تستمع إليها بنصف تركيز فقط، لأنها تعرف بالفعل كيفية حل كل هذا الأمور. وهي تعلم أيضًا أن "هانكا" لا تريد لها التدخل، لكنها ستقنعها، يجب أن تفعل ذلك، فإذا كان بإمكانها التفكير في الأمر في هذه اللحظة، فسيتعين عليها أن تعرف أن ذلك من أجل مصلحتها، وليس فقط من أجل "فيكي".

قاطعت "إيفا" "هانكا" قائلة:

- ربما يمكنه الانتقال إلى هنا.

كأن شيئًا لم يحدث. كأن الأمرَ سهلٌ.

- أمي.

استمرتا في النظر إلى بعضهما بعضًا، "إيفا" تراقب ابنتها وتقول لنفسها: "إنها تكذب عليَّ في شيء ما، وتُخفي عني شيئًا". وقفت "هانكا"، ووضعت شعرها خلف أذنها تمامًا كما كانت تفعل وهي في الخامسة من عمرها، وقالت:

- لا، لا يُمكن، عذرًا يا أمي، لم أقصد ذلك، أنا... الأمر ليس بهذا السوء، يمكننا التعامل مع الأمر.

استطاعت "إيفا" أن ترى بالفعل أنها تحاول أن تتماسك أمامها، وكم أنها غريبة عنهاَ وقَدْر الانزعاج الذي شعرت به لأنها قالت شيئًا كهذا، وأنها اشتكت من "فيكي"، وأنها اعترفت بأن هناك شيئًا لا تقدر عليه.

لم تتأخر، وغادرت خلال عشر دقائق:

– أمي، لقد نسيت أن لديَّ دبلجة في الساعة الواحدة.

– من فضلك، لا تقودي السيارة بسرعةٍ كالمجنونة، واكتبي إليَّ عندما تصلين.

طارت، إنها تقود بالفعل بسرعة كبيرة في داخل القرية، وقفت "إيفا" على الطريق، وأخذت تنظر إلى السيارة، وتتخيل "فيكي" وهو يقف بجانبها. وسوف يقف بجانبها قريبًا.

من المؤسف أن "يندرشيخ" لم يعد موجودًا؛ فقد أحب "فيكي"، حفيده الوحيد، ولم يكن يشعر بالراحة مع بنات "أداميك" الصغيرات، لكنه كان يحب "فيكي"، وكان يتحدث معه بطريقةٍ تجعل "إيفا" تبتسم عندما تسمعهما؛ فحينها تشعر بمدى حبها لـ"يندرشيخ" بعد كل هذه السنوات، ورغم أنه لم يُجِد التعامل مع الأطفال، لكنه كان يحاول.

تعود إلى المنزل، وتُواصِل طقوسها اليومية؛ تأكل الخبز، وتُنهي شُرب الشاي، وتُغيِّر ملابسها، وترتدي ملابس العمل، وتذهب لجمع أوراق الشجر. لكنها لا تعرف بالضبط ما الذي ستفعله بقية اليوم، هل ستتصل بـ"هانا"، أم تنتظر؟ أم ترسل إليها رسالة عبر البريد الإلكتروني؟ وهو ما لا تحب أن تفعله، لكنها في كل هذه الأحوال لا تزال تتخيل "فيكي" وهو يقف بجانبها.



إن السفر إلى مسقط رأسها لرؤية أمها فقط هو أمر مزعج لـ"هانا" للغاية. على الرغم من أنه لم يتغيَّر الكثير هناك منذ سنوات، وفي المرة الأخيرة اشترى فيها والدها "ترامبولين" كبيرًا، كان هذا قبل ست سنوات، اشتروه من أجل الأحفاد، من أجل "فيكي"، ولكن ربما أساسًا من أجل أخي، ليحقق ربحًا من وراء ذلك، و"الترامبولين" موجود الآن هناك، صار ممزقًا بالفعل، وعلى سطحه توجد طبقة من أوراق الشجر.

لكن سواء كان "الترامبولين" موجودًا أو غير موجود، فكل شيء هناك صار مختلفًا؛ فعلى الرغم من أن أمها هي التي ترعى المنزل كاملًا الآن، فإنها تفتقد وجود أبيها هناك افتقادًا رهيبًا، فقد أصبح المنزل فارغًا، ليس لدى أمها من تعتني به، ولا من تطبخ له، فجأة أصبحت أمها شخصًا ضائعًا في الحديقة الكبيرة، حيث تؤدي الأعمال التي كان يؤديها الأب في السابق. وصلت "هانا" إلى هناك بعد وقت قصير من الجنازة، ورأت أمها تحاول فرم أغصان الأشجار بماكينة فرم مخلفات الأشجار. أطفأت "هانا" محرك الماكينة، وركضت على طول الطريق من السيارة، وسحبتها بعيدًا لأنها رأتها وهي تضع يدها بالخطأ داخل الماكينة. كانت أمُّها في حالة من الفزع الشديد.

قالت لها بغضب عندما أوقفت "هانا" آلة فرم مخلفات الأشجار:

- من أجل مَن جئتِ لتمثلي هنا؟

- عِديني يا أمي أنكِ لن تفعلي هذا مرة أخرى؛ فالماكينة ستمسك بكِ وستنزفين! لا تستخدميها بهذه الطريقة، من فضلك. أنا فقط قلقةٌ عليكِ.

بينما تعرف "هانا" أن أمها لن تعترف أبدًا بأنها ليست قادرة على فعل شيءٍ، ظلتا صامتتين للحظات، تنظران إلى بعضهما بعضًا.

- حسنًا وماذا سنفعل به؟

- بهذا الخشب؟ احرقيه، أليس هذا أفضل حلٍّ؟

- بماكينة فرم مخلفات الأشجار؟ هل تعتقدين أني حصلت عليها مجانًا؟

- لماذا لا تعطينها "آدم" إياها؟

هزت أمها كتفيها، ربما تكون مفيدة له، أليس كذلك؟ ثم طلبت منها "هانا" أن تعدها بعدم استخدام هذه الماكينة مرة أخرى.

وخُبزُها، تشعر "هانا" كما لو أن والدتها تُعاقِب نفسها به؛ كلما رأتها تأكل شيئًا، لا يكون سوى خبزٍ وزبد، فهي تطبخ فقط عندما تزورها هي أو "آدم". لقد زارت "هانا" "آدم"، الذي رحَّب بها في الشركة بصفته مديرًا كبيرًا وأخاها الأكبر، قالت له إنها لم تأتِ لمهاجمته. أرادت منه أن يعدها بأنه سيذهب لزيارة أمه من وقت إلى آخر. اللعنة، إن المسافة بينهما هي ثلاثون كيلومترًا فقط! بينما "هانا" تُقيم على بعد مائة وستين كيلومترًا، وهي تعمل، وترعى ابنها "فيكي"، زوجته "كاتكا" تجلس في المنزل مع الأطفال لا تفعل شيئًا، تعتني بهم فقط، ولكن لا يزال "آدم" يبتسم لها باستخفاف قائلًا:

- مرحبًا، "هانكا"، إن أمي ببساطة تحب الخبز فقط، ماذا في ذلك؟ لقد تحدثتُ معها، وهي بخير.

أرادت "هانا" أن تقول له: "وهل أمي ستقول لك شيئًا؟"، لكنها لم تفعل، فأخوها لا يفهم شيئًا، يأخذ كل شيء ببساطة شديدة، أكثر من اللازم.

سألت "هانا" أخاها:

- إذًا ألا تستطيع "كاتكا" والبنات المرور عليها من وقت إلى آخر؟

- انظري، يمكنها ذلك، لكنكِ تعلمين من هو الحفيد الذي تريد أمي رؤيته حقًّا، أليس كذلك؟

قالت:

- اذهب إلى الجحيم.

إن ما يعرفه هذا الأحمق فقط هو شعوره بالاستياء، لأن أمي تُفضِّل "فيكي" على أطفاله، هذا هراء، فأمي تحبُّه لأنه الحفيد الأول، ولأنه يُشبه جده، ولأنه كان يزورهما كثيرًا ويبيت عندهما كثيرًا. حسنًا، لماذا كان يبقى عندهما طويلًا؟ كان "آدم" يقول:

- لكي يهيم والداكِ حبًّا بك وبابنك "فيكي".

ولكن في الواقع هذه ليست كلماته بل كلمات زوجته "كاتكا"، لكنها كانت أيضًا تحب بناته المتذمرات، فأمها تحب أي شخص يمكنها الاعتناء به.

- "هانا"، لا تقلقي، فأمي تستطيع التعامل مع الأمر، وكل شيء تحت سيطرتي.

لم تتمالك "هانا" نفسها، وقالت له:

- أنت تسيطر فقط على الهُراء.

وبهذا أفسدت الأمر برمته، وبالتأكيد سيشكو أخوها إلى أمه.

بينما كانت "هانا" تبتعد بالسيارة، كانت تعرف أن أمها تقف على الطريق، وهي تلوح لها. وما دامت والدتها تقف هناك، فإنها تقود السيارة ببطء. فهي أيضًا تقف، وتلوح لتتحقق من وجودها. وفي كل مرة كانت تغادر هي أو "آدم" المنزل، كان كلا الوالدين يقف ويُلوِّح لهما، وآخر مرة رأت فيها والدها وهو على قيد الحياة، كانت في المرآة الخلفية للسيارة، وهو يلوح لها.

كان أبوها في صفِّها، لم يكن يعترف بذلك، ولم يكن أيضًا يفهم ما تريده "هانا"، وكيف كانت وكيف ستكون، لكنه لم يُظهر لها ذلك قط، ولم تر قط في عينيه هذا الازدراء الهادئ، الذي كانت تراه في عينيْ أمها.

كان يحضر العروض الأولى لأعمالها، ويستمع في الراديو إلى المسرحيات التي تشارك فيها، لكنه لم يرسل لها قط رسالة نصية تقول: "عمل جيد" أو "أنت ماهرة حقًّا" أو أيًّا من تلك العبارات الزائفة التي يتعين على الآباء دعم أطفالهم بها،

ولكن عندما يجلسان لتناول القهوة، ويتحدثان عن شيء ما، كان يظهر من كلام أبيها هذه العبارات التي تنتظرها، وكان هذا أجمل شعور عاشته مع والديها.

ثم اتضح -في معظم الأحيان- أن أمها كانت تعرف ذلك أيضًا، ولكن حتى ذلك الحين لم يقل لها أيٌّ منهما كلمة تشجيع بصراحةٍ مثل: "عمل جيد"؛ لهذا لم يتبقَّ لها سوى أن تأمل أن يعتقدا أن "هانا" ممثلة جيدة وموهوبة حقًّا، لكن الحقيقة هي أنهما لم يفهما ذلك على الإطلاق، ولا يعرفان ماذا يعني أن يكون لديك موهبة، فهما لا يعرفان ما تشعر به "هانا" عندما تقف على المسرح، وما تشعر به بعد ذلك، لا يعرفان أن كل ممثلة تريد بتمثيلها تغيير العالم، وربما الكون كله، وأن كلًّا منهن تعتقد -ويجب أن تعتقد- أنها قادرة على فعل ذلك، لأنها دون هذا الاعتقاد لن يمكنها أداء أدوارها.

عندما كانت صغيرة، كان والداها يعتقدان أنها ستلتحق بالجامعة، وأنها ربما تصبح دكتورة في الفلسفة؛ فقد كانت ذكية وواعدة، ولم يكن شقيقها يتمتع بهذه الصفات مثلها، لذا عندما أصبح مديرًا لفرع من فروع إحدى الشركات، التي تبيع أثاث الحدائق و"الترامبولين" وأشياء أخرى، لم يخِب أمل أحد، ولم يُفاجَأ أحد؛ كان هذا بالضبط دوره وما هو مطلوب منه، أما هي فخيَّبت أملهما، لأنه شيء لم يستطع أيٌّ منهما رؤيته أو إحساسه، أو فهمه، لم تقرأ الكثير من الكتب، ولم تتمكن من الحصول دائمًا على الدرجات النهائية بالمدرسة.

خيَّبت أمل والدها أيضًا؛ فقد كان بوسعها أن تكون أول مَن يصل إلى أعلى المناصب في العائلة؛ لذلك كان يدعمها، وعندما ذهبت إلى براج، فَعَلَ كل شيء معها كأنه أفضل أب في هذا العالم، حتى في صباح يوم الإثنين عندما كان يذهب عادةً إلى عمله في مدينة "هراديتس"، كان يستيقظ قبل موعده بساعتين، ويأخذها بالسيارة إلى ضواحي براج، حيث محطة المترو. كانت ترى دائمًا والدتها وهي تُعارِضُه، ولكنه لم يتوقف عن دعمها.

ساءت الأمور مع أبيها عندما حملت، وبالطبع أصبح الأمر أكثر سوءًا مع أمها، فقد اعتادت الذهاب إليهما لتتناول طعام الغداء معهما يوم الأحد، وكان بطنها يكبر، ولم تخبرهما باسم والد الطفل، فما الفائدة من إخبارهما؟ لقد كانت وحيدة على أي حال، ولم يكن لديها الكثير من المال، ولم ترغب في العودة إلى المنزل. الآن فقط وبعد تلك السنوات، عندما أصبح لديها "فيكي"، أدركت كم كان الأمر محبطًا لهما، وكان عليهما أن يُوجِّها إليها الصفعات، لكنهما كانا طيبين، وفَعَلَا كل ما في وسعهما. كانت في العشرين من عمرها، وظنت أنهما سيقتلانها بدلًا من الوقوف بجانبها، لذلك اعتقدت أنها إذا عادت إلى المنزل، فسوف تموت هناك.

كانت في كل مرة تأتي إلى هذا المكان، تشعر بأنها لا تستطيع التنفس إلا بعد رحيلها عنه، وتشعر بهذا في كل مرة.

عندما تنحرف إلى الطريق السريع، تشعر أخيرًا بأنها قد استعادت أنفاسها، تتصبَّب عرقًا، لكنها أفضل. وفقط بعد قطعها بضعةَ كيلومترات، تُدرك أنها لم تتوقف عند المقبرة. لكنها عند المخرج التالي، تنحرف عن الطريق السريع وتعود.

في الواقع، لم تتخيل قط أن أيًّا من والديها يمكن أن يموت، أتاها اتصال هاتفي في الصباح الباكر وهي نائمة، تسمع الهاتف يهتزُّ لفترة طويلة، وهي نصف نائمة، إن أمَّها تتصل، لكنها لا ترد، فهي لا تريد أن يكون حديثها مع أمها أول ما تفعله في الصباح، يصمت الهاتف، ثم يهتز على الفور مرة أخرى، لا بد أن تجيب الآن.

تبكي في الهاتف وهي تتلقى الخبر، لكن أمها لا تبكي أبدًا، تنظر "هانا" إلى ملابسها المتناثرة على أرضية غرفة النوم، بعد أن خلعتها في الليلة الماضية. قِطع الملابس الملقاة تقبع هناك كأنها حيوانات ميتة. كل ما تفكر فيه هو مدى كونها شخصًا سيئًا، لأنها لا تستطيع حتى طي ملابسها أو وضعها على المقعد.



غرفة أطفال لـ"فيكتور"

استيقظتُ وفزعتُ بشدة عندما أطفأت أمي المصباح الصغير. مسحتْ على وجهي، وكانت يدها باردة جدًّا.

قالت لي:

– نَم.

أعتقد أنها كانت في حفلةٍ في مكان ما، لأن رائحة السجائر والنبيذ كانت تفوح منها، وهناك نغمة سعادةٍ غريبة في صوتها، غادرتْ الغرفة. بعد قليل، بعد أن استيقظتُ، تذكرتُ ما قالته لي قبل مغادرتها المنزل، ولا أعرف ماذا أفعل الآن؛ لأنني أريد حقًّا أن أذهب لأنام بجانبها، ولكني لا أستطيع لأنها تُرسلني بعيدًا، بقيتُ مستلقيًا في فراشي، وأنا أفكر إذا كنتُ سأنام أم لا.

في الصباح، كل شيء مختلف؛ فعندما يُطل ضوء النهار في الخارج، لا أخاف شيئًا، في الصباح، أُفضِّل أن أكون وحدي.

معي هاتفي المحمول، وقد ضبطتُ المنبه على السابعة وعشرين دقيقة، ثم السابعة وخمس وعشرين، ثم السابعة وثلاثين، ثم السابعة وخمس وثلاثين، ثم لا شيء، فبعد ذلك لن يكون هناك داعٍ للاستيقاظ؛ لأن الموعد سيكون قد فات على أي حال. أستيقظُ وأذهب إلى الحمام، وأرتدي ملابسي، وأغسلُ أسناني، أحيانًا أنسى ذلك، أو ربما لا أنسى، ولكني لا أريد.

عندما أذهبُ لقضاء حاجتي في الصباح، فإني أقف بباب غرفة نوم أمي، لأتحقق من وجودها هناك. دائمًا ما تكون موجودة، لكني دائمًا ما أُلقي نظرة عليها على أي حال. في بعض الأحيان، تستيقظ على صوت صرير ألواح الباركيه،

وتسألني: أيجب أن تنهض لأنني أحتاج إليها في شيء؟ ما فأقول لها: لا، سأذهب، فتنكمش على نفسها، وتستمر في النوم.

ثم أذهب، وفي طريقي إلى المدرسة أشتري كعكةً أو "دونات" أو أي كعكة أخرى محلاة، وتضع لي أمي كل مساء -إذا لم تنسَ- عشرين كرونة على الطاولة. وإذا نسيت ذلك، كنتُ آخذ النقود من محفظتها، في بعض الأحيان يكون لديها الكثير من القِطع النقدية الصغيرة، بحيث لا يمكن إغلاق جيب محفظتها، لذلك أحيانًا آخذ أكثر، لكن هذا لا يهم؛ لأن أمي -تقريبًا- لا تعرف كم كان لديها في محفظتها، ورغم ذلك بقيتُ لا أشتري أكثر من قطعةٍ واحدة فقط من المعجنات الحلوة، ثم أتناول هذه القطعة في الترام، أو في غرفة تبديل الملابس في المدرسة.

لكن في بعض الأحيان، توقظني أمي، وتُجهِّز لي الإفطار، الكاكاو والخبز مع المربى، وتجلس معي على الطاولة، وتشرب القهوة، وعادةً ما تريد التحدث معي، لكنني لا أحب الكاكاو، ولا أريد التحدث في الصباح.

وهذا هو ما حدث في هذا الصباح بالضبط، تبدو أمي كأنها تريد النوم؛ فهي تستمر في التثاؤب، ومن ثَم، أتثاءب أنا أيضًا، أتذكر أن هذه كانت لعبتنا عندما كنت صغيرًا، من منا يستطيع ألَّا يتثاءب لفترة أطول! لكننا اليوم لا نلعب.

- سأرافقك إلى المدرسة، حسنًا؟

هززتُ رأسي، فأنا لست غبيًّا، وسأقولها مرة أخرى:

- لا أريد الكاكاو، فأنا لا أحبه على الإطلاق، إنه مخصص فقط للأطفال الصغار.

سألتني أمي:

- هل تريد بعض الشاي؟

يعجبني فيها أنها لا تُناقِش أشياء مثل: "لماذا لم أعد أحب الكاكاو، وقد كنت أحبه في السابق؟".

قُلتُ لها بطريقة غير لائقة:

– لا أريد، فأنا لا أشرب شيئًا في الصباح، أشرب الماء فقط في المدرسة. كنتُ أريد بطريقتي غير اللائقة أن أثير غضبها، وهذا دائمًا ما يُثير غضبها، لأنها تعتقد أنها بصفتها أمي، يجب أن تعرف عني مثل هذه الأشياء.

نظرت إليَّ بارتباك.

– حقًّا؟

أرادت التحقق من صحة ما قلتُه.

أجبتُ:

– نعم.

كنتُ أكذب، فأنا لا أحب الكاكاو، لكني أحب الشاي مع ملعقتين من السكر، وأحب أيضًا القهوة دون كافيين، خاصة إذا شربتها مع كعكة الصباح. لا يهم أنني لا أشرب عادة أي شيء دافئ، وأشرب الماء فقط في المدرسة.

تنهدت أمي، فشعرتُ بالسعادة.

كان بوسعي أيضًا أن أقول لها: "إنني أحب الكاكاو"، ولكن ماذا عليَّ أن أفعل إذا كانت هي لا تُعدُّه لي كثيرًا في الصباح؟ سيجعلها هذا تشعر بالأسف أيضًا، وسيكون عليَّ أن أشرب هذا الكاكاو، ولا يُمكنني هذا؛ لأني سأتقيأ. فذات مرة عندما كنتُ في المدرسة في الريف تقيأتُ بعد تناولي الكاكاو، ومنذ ذلك الحين لم أعد أحبه.

بادرتني أمي قائلة:

– "فيكي".

لكنها لم تقل شيئًا أكثر من ذلك.

أستطيع أن أرى مدى انزعاجها، وأعلم أنها ربما ستتراجع الآن. سأقوم إليها وأعانقها. فجأة شعرتُ أنها تبكي، تقلصت معدتي، فأن لا أحب أن أرى أمي وهي تبكي، كانت تبكي في صمتٍ تام، لكيلا أعرف ذلك. وأخذت تمسح دموعها بطريقةٍ غير ملحوظة.

- إذًا لا ترسليني إلى هناك، من فضلك، من فضلك يا أمي.

نهضت وابتعدت عن الطاولة وغادرت المطبخ.

أريد أن أبكي أيضًا، في تلك اللحظة أصدر الهاتف صوتًا مشيرًا إلى وصول رسالة جديدة، وفي اللحظة نفسها، ودون تفكير مني، قلبتُ كوب الكاكاو حتى ينسكب على الهاتف.

ثم غادرتُ الغرفة، لن أنظف أسناني اليوم، وفي الردهة أمسكتُ بحقيبتي، وحذائي، وارتديته بسرعة، وأخذتُ سترتي، وغادرت، لم أرَ أمي ولم أودِّعها. من الجيد أن أحتفظ دائمًا بكل الأشياء التي أحتاج إليها طوال الأسبوع في حقيبة المدرسة، لأن هذا يعني أنني لن أنسى شيئًا أبدًا. الحقيبة ثقيلة، لكن لا يُهم.

في المدرسة يبدو الأمر على عكس ما توقعتُ، فالمعلمة تتصرف بطريقةٍ عاديةٍ، وليس كما يفترض أن يكون تعامُلها مع تلميذ يفترض أن هذا هو يومه الأخير في المدرسة. ولكن عندما عدتُ إلى المنزل بعد الظهر، كانت هناك صناديق من الورق المقوَّى، التي يُحفظ بها الموز، موجودة في الردهة.

أخذت "إيفا" في الصباح مجموعة من الكعك الذي أعدته اليوم، وذهبت إلى المقبرة، إنها لا تذهب إلى هناك كل يوم، لكن تقريبًا كل يومين؛ فهي تريد أن يكون قبر "يندرشيخ" دائمًا أنيقًا ولطيفًا، تأخذ معها دائمًا الزهور إلى هناك، رغم أنه لا يزال هناك الكثير منها. توقفت هناك لبعض الوقت، مع أنها تشعر بالبرد، هي لا تتحدث معه بصوت عالٍ، فهي ليست مجنونة، لكن في سرها تخبره بكل شيء، تتخيله وهو يجلس على مقعده المفضل، قبل أن يواريه الثرى البارد. أجرت معه في سرها محادثة طويلة، حكت له ما حدث عندما وصلت "هانكا" في المرة الأولى، وبدأ الحديث عن هذا بطريقةٍ غير مباشرة، ربما لم تكن هذه محادثة، بل حديثًا من جانب واحد؛ فـ"يندرشيخ" لم يكن يفهم "هانكا" قط، كان يُحبها، ويعشقها، كانا والدين كبيري السِّنِّ، وقد دلَّلاها، لكنه لم يفهم شيئًا، فقد كان التمثيل بالنسبة له غير مفهوم ربما أكثر مما لو تطوعت لأداء عمل ما في إفريقيا،

لكن ابنتهما اختارت ذلك، فدعَّماها فيه. تذكرت "إيفا" كيف كانت توقظ "يندرشيخ"، الذي لم يكن قط يحب الاستيقاظ مبكرًا، ليأخذها بالسيارة إلى براج؛ ليريحها من السفر بالقطار، كان "يندرشيخ" يزمجر في "إيفا"، ويكون عدوانيًّا تجاهها، ولكنه في النهاية يوصِّل "هانكا" بالسيارة. وكانت "إيفا" تجبره دائمًا على الذهاب لحضور عروضها المسرحية؛ لأنها كانت تعلم أن ذلك يسعد "هانكا"، كان يعود ويهز رأسه. وعندما حملت "هانا"، قال "يندرشخ":

- لقد انتهى الأمر.

لم يرغب في رؤيتها على الإطلاق، حتى أنه -وبسبب غضبه الشديد- شعر بأنه ليس على ما يرام، وذهب ليستلقي في الفراش.

إنه الآن بعد وفاته لن يستطيع أن يُقدم لها النصيحة على أي حال، ولا حتى يستطيع أن يعرف لماذا تغيَّر فجأة كل شيء؛ بعد أن ظلت "هانكا" تقريبًا بضع سنوات لا تزورهم، كما أنها في الإجازة الصيفية تظاهرت بأن الأمر سيبقى على هذا النحو، زيارة مجاملة مرة واحدة كل شهر، على الأكثر، أسبوع في الصيف، ويومان في عيد الميلاد المجيد. قالت "إيفا":

- لكنك بالتأكيد ترغب في ذلك أيضًا، في أن يكون "فيكي" معي. أنا حقًّا أتطلع إلى ذلك. فلأول مرة منذ غيابك، أشعر أني على قيد الحياة. لا بد أن أذهب.

عادت إلى المنزل، وكانت السماء قد بدأت تُمطر بالفعل في الخارج، لن تخرج اليوم إلى الحديقة، لكنها بعد الإفطار مباشرة ارتدت ملابسها، كما لو كانت ستذهب إلى خارج المنزل، وصعدت إلى الطابق العلوي، لم تُشغِّل التدفئة هناك، فلا يوجد سبب لذلك، تفقدت الغرف، ففي الليلة الماضية كانت قد قررت بالفعل أنها ستخصص غرفة الضيوف الصغيرة لـ"فيكي"، فعلى الرغم من أنها أصغر غرفة، فقد كانت كافية لـ"فيكي" وحده، من الواضح أن الغرفة الكبرى مُخصصة لـ"آدم" وعائلته، وسيبقى الأمر على هذا النحو، فعددهم

أكبر؛ لذا يجب أن تُخصَّص لهم الغرفة الكبرى، ولا يوجد شيء آخر هناك. ويمكن لـ"هانا" عندما تأتي، أن تنام معها في غرفة نومها، على سرير "يندرشيخ"، أو على الأريكة في غرفة المعيشة.

فتحت الباب، يوجد بالغرفة سريران، وخزانة ملابس، وخزانة ذات أدراج تُخزَّنُ فيها الأشياء لفصل الشتاء، أخلت الخزانة، فسيضع "فيكي" أغراضه فيها، كما أخلت الخزانة ذات الأدراج أيضًا، وستُحضر الطاولة الصغيرة الموجودة في الغرفة المجاورة، فـ"كاتكا" كانت تستخدمها طاولةً لتغيير الحفاظات للفتيات، كم مرة كان يحدث ذلك؟ مرتين في السنة، عندما كانوا يقضون ليلتهم هنا، وقد كبرت الفتيات بالفعل، ولم يعدن في حاجة إليها، أليس كذلك؟

ذهبت لفحص الطاولة، ربما تحتاج إلى إعادة طلاءها. قررت "إيفا" صقلها وإعادة طلائها، ربما باللونين؛ الأزرق والأخضر، فهذا سيوفر لـ"فيكي" جوًّا من المرح. الطاولة بها درج واحد، وفيها لُعبة لوحية، وبعض البطاقات التي عليها صور كائنات بحرية وصناديق الكنوز، هذا ما كانوا يلعبون به عندما كان الأطفال صغارًا، لا تتذكر شيئًا سوى أن الجميع كانوا يضحكون، كانت هذه اللعبة تُسمى كنز القراصنة أو شيء من هذا القبيل.

نزلت إلى الطابق السفلي لتحضر شريطًا مطاطيًّا، وأفرغت البطاقات ووضعتها في الخزانة، حيث توجد لعب الأطفال. ربما سيلعبون بها في وقت ما.

سحبت الطاولة من الغرفة، ولكن سيتعين عليها طلب المساعدة من شخص ما لإنزالها عبر الدَّرج. سيتعين عليها أن تطلب هذا من أحد الجيران في عطلة نهاية الأسبوع، صار يزعجها أنها لا تستطيع فعل أي شيء هنا بنفسها، وعليها دائمًا أن تطلب المساعدة من شخص ما.

عادت إلى الغرفة الصغيرة، وبدأت بتنظيف الخزائن. عثرت على القميص الصيفي لـ"يندرشيخ"، لم يكن مغسولًا، ما الذي أوجده في الخزانة؟ شمَّت به

رائحته؛ "يندرشيخ"، شمته "إيفا" بحزن، ثم رمته عبر الدرج إلى أسفل، ستغسله، سيكون عليها أن تتصرف في أغراضه، تُعطي شخصًا ما إياها، أو تنقلها إلى مكان ما. ولكن لماذا عليها أن تتعجَّل ذلك؟ إن التخلص من فرشاة أسنانه وماكينة الحلاقة الخاصة به وبيجاماته المتسخة فحسب، يتطلب منها الكثيرُ من الجهد، بالإضافة إلى تغيير ملاءة سريره، وإعادة زجاجة البيرة الأخيرة التي لا يزال نصفها ممتلئًا، التي تركها في القبو في المساء؛ ليأخذها في الصباح.

هناك صندوق يحتوي على صور، صورها هي و"يندريشيخ" في شبابهما، وصورها هي و"يندرشيخ" حين كانا والدين شابين، وابنهما الصغير "أداميك" يأكل الآيس كريم، وصورهما في حديقة الحيوان، وعند البحر، ثم "أداميك" وهو يلعب كرة القدم، و"هانيتشكا" وهي جالسة في عربة الأطفال، كانت على يقين أنها لن تنجب طفلًا آخر، وفجأة حدث ذلك، كان "أداميك" في العاشرة من عمره، وكانت هي في الحادية والأربعين، تمنت حينها أن تنجب فتاةً، ولكن كان الأمر صعبًا مع "هانكا" منذ البداية، كان "أداميك" طفلًا هادئًا إلى درجة كبيرة، لكن "هانكا" لم تكن كذلك، لم تكن تنام، وكانت تبكي باستمرار، ولا تُجدي معها الهَدهَدة نفعًا، هناك صورة من رحلة ما، كان "أداميك" يضحك وهو يمسك بيدها، بينما "هانكا" مُتجهمة وتبكي.

وضعت "إيفا" الصور جانبًا، فهي لم تَرَها منذ فترة طويلة، عمدًا، حتى لا تشعر بالأسف على تلاشي كل هذا، فقد كانت الصور تُذكِّرها بسنِّها، وكيف صارت عجوزًا، وكذلك عندما ترى في هذه الصور جسدها الجميل، وشعرها الجميل، فاليوم عندما تخلع ملابسها، فإنها تقريبًا تُصاب بالفزع لرؤية جسدها، يا له من شيء فظيع! لكنها صارت اليوم تنظر إلى الصور على نحوٍ مختلف، تنظر إلى ابتسامات الطفلين، من المؤسف أنها لم تنجب المزيد من

الأطفال، حُلم العائلة الكبيرة، عندما يجتمع الجميع على طاولة كبيرة، لكنها الآن تكون سعيدة لو اجتمعوا معًا مرة واحدة كل ثلاثة أشهر.

ولكن من جديد سيكون لديها ما يُسعدها، من جديد سيكون لديها طفل، "فيكي" الحبيب.

تحلَّت "إيفا" بالصبر لمدة يوم ونصف قبل أن تُرسل رسالة بالبريد الإلكتروني إلى "هانا"، استغرقت كتابتها وقتًا طويلًا جدًّا، وأعادت صياغتها عدة مرات، دون أن يكون بها أي تلميح إلى أي شيء يمكن أن تفسره "هانكا" سلبيًّا، كتبتها بلهجة من يعرض المساعدة:

"هانكا"، أعلم أن لديك الكثير مما يجب عليكِ فِعله، عليكِ أن تعملي أكثر من أي شخص آخر"، تلك لهجة ودود، وعرض المساعدة؛ "أعتقد أنني أستطيع مساعدتك، فإذا فكرتِ في الأمر، ستجدينني رهن إشارتك".

لم تحاول أن تظهر لها أنها تقدر على ذلك بصورة أفضل منها، ومع ذلك، وعندما أرسلت الرسالة في المساء، لم تشعر بالرضا، "لقد كان أسلوبي في كتابة الرسالة رسميًّا جدًّا وباردًا، لكن "هانكا" ستعرف -على الفور- مدى رغبتي واهتمامي بهذا الأمر".

كتبت إليها "هانا" في الساعة 1:32 صباحًا: "سأحضر يوم الإثنين". في السابق كان هذا الأمر يُزعج "إيفا" كثيرًا، فابنتها تجيب عن رسائل البريد الإلكتروني في الساعة الواحدة والنصف صباحًا ومن هاتفها المحمول؛ لذا فهي ليست في المنزل حتى، ولكن الآن ليس لديها أي تخيل عن الطريقة التي تعيش بها "هانكا"، بالتأكيد هي الآن في حفلة ما وتشرب الخمر، كما يمكنها أن تقول -بكل بساطة- إن ابنتها أحيانًا تسكر، إنه وسط الممثلين والفنانين عامةً، أليس كذلك؟ إنها لا تفهم ذلك، وربما لا تريد أن تفهمه، يكفيها ما تعرفه من "هانكا"، وبخلاف ذلك، فإن "هانكا" هي أفضل مثال على كيفية سير الأمور في هذا الوسط، فتاة حامل في العشرين من عمرها، وحتى لم يهتم الفتى الذي فعل

ذلك بالأمر، ثم تذهب "إيفا" إلى كُشك بيع الصحف في الصباح، فتريها امرأةٌ عجوز بغيضة، في الصفحة الثالثة من إحدى الصحف عنوانًا مقيتًا، شيئًا من قبيل "إنها لم تتألق في المسرح بعد، ولكن لدينا ما نتطلع إليه، فلديها بالقطع الجسد المناسب لذلك"، كانت هناك صورة لـ"هانكا"، وهي ترتدي الجينز وحمالة الصدر فقط، وترقص على كَاوْنْتَر أحد البارات. هي بالتأكيد لن تشتري الصحيفة، أو على الأقل ليس هنا في القرية، ستذهب إلى المدينة للحصول عليها، ستتفحصها بدقة، وتقرأ هذا النص المقيت غير العادل؛ فـ"هانكا" ليست ممثلة محلية غير موهبة، تعرض جسدها فقط. لكنها الملومة على ذلك.

لكن "إيفا" لم تتصل بها، فهي تعلم أنها لن ترغب في سماع ذلك، ولن تستمع إليها أيضًا، لكن اللعنة، إن "فيكتور" يُمكن أن يرى ذلك. ألم تُفكر فيه إذا كانت لا تُفكر في أي شخص آخر؟ لذلك عندما تكتب "هانكا" أنها ستأتي، فعلى "إيفا" أن تعدَّ ذلك علامة جيدة، لأنه لماذا ستأتي إليها إذا لم تكن -على الأقل- قد فكرت في الأمر. في يوم الإثنين ستخبز كعكة إضافية من كعكة البرقوق المحشوَّة، تمامًا كما تحبها "هانكا"، وسيكون لديها الوقت لتُعد لها صلصة الفطر على الغداء، فهذه فترة نمو الفطر. في يوم الأحد قضت "إيفا" في الغابة ثلاث ساعات، حتى آلمها ظهرها، وفي المساء عندما تناولت "الريزوتو" مع الفطر، بكت فجأة، لأن هذا الطبق كان الطبق المُفضَّل لها ولـ"يندرشيخ" معًا، كان "يندرشيخ" يعشقه، ويثني عليه في كل مرة، ويُفرِط في تناوله، وكانت "إيفا" تلومه على ذلك؛ فالإفراط في تناول الفطر سوف يسبب له آلامًا بمعدته. كان "يندرشيخ" يضحك ويقول لها:

- دعي عنك ذلك.

ثم يتناول كأسًا من مشروب "البيشيروفكا" الروحي.

قالت "هانا" عندما وصلت:

- لقد تناولتُ وجبة إفطار كبيرة في "ماكدونالز" وأنا في طريقي إلى هنا. اليوم لن أستطيع أن أتناول شيئًا.

وبالفعل لم تتناول شيئًا، لو كانت "إيفا" مكانها لأكلت فقط من باب المجاملة، لأن أحدهم قد أعدَّ الطعام لها، لكن ليست "هانا" مَن تفعل ذلك؛ فهي لا ترى مجهود الآخرين. لو كانت "إيفا" مكانها لما أكلت في الطريق إلى منزل والديها، فهي تعلم أن والدتها دائمًا تعد لها الغداء، لكن ربما ما تريده من "هانا" هو أكثر من اللازم، إنها تُريد منها بعض أساسيات الاحترام لها. شربتِ القهوة، وأكلت قطعة صغيرة من الكعك.

قالت "إيفا":

- سألفها لك ولـ"فيكي" أيضًا.
- إنه لا يأكل الخوخ.
- إذًا هي لك لتتناوليها في إفطار الغد.

قالت "هانكا":

- حسنًا، شكرًا.

شعرت "إيفا" من ذلك أن هذا ليس مهمًّا على الإطلاق لـ"هانكا"، لكنها غلَّفت الكعكة لها على أي حال، فربما ليست لديها رغبة الآن، وربما يكون لديها رغبة في صباح الغد، وربما سيأكل منها "فيكي" أيضًا، من يدري ما هو حاله مع البرقوق، فإن أذواق الأطفال تتغير بسرعة!

- أنا أعرف "هيلينا بوروفيتشكوفا"، إنها مديرة المدرسة الابتدائية.
- لا أعرف يا أمي، ربما سأنقله إلى مدرسة أخرى في براج.
- يمكنني متابعته هنا.
- وهل أنا لا أتابعه؟
- لا، على الإطلاق

صححت "إيفا" كلامها بسرعة:

- أنتِ لديك الكثير من المسؤوليات، أما أنا فلا.

- لكن يا أمي، أنتِ حتى دون ذلك متعبة بما يكفي، هل تريدين فجأة أن تكوني مضطرة إلى رعاية طفل رعاية دائمة؟

قالت "هانا" ذلك، وهي تعني ما تقوله بمنتهى الجدية، فماذا لو لم تعد أمها قادرة على الاعتناء به، فهو جامح، وأمها صارمة للغاية، و"فيكي" لن يستطيع أن يتحمل ذلك، ولن تستطيع ترويضه، فهو لن يسمح لها بذلك، سيكون هناك قتال مستمر بينهما، أمها لم تعد تعرفه، ولن يحدث ذلك بالقوة، ربما كان يُمكن ذلك لو أن أبي لا يزال حيًّا، لو كان أبي لا يزال حيًّا، لما حدث هذا على الإطلاق.

قالت "هانكا":

- إلا إذا انتقلتِ للعيش في براج.

كان هذا بالطبع على سبيل المزاح، فمن الواضح تمامًا أن أمها لا تريد أبدًا أن تنتقل إلى مكان آخر، وأيضًا هل ترغب "هانا" بالفعل في أن تكون قريبة منها إلى هذا الحد؟

- لا، خذي رقم "هيلينا".

أعطتها "إيفا" جزازةً من الورق، وضعتها "هانا" في جيبها الخلفي.

- هل يريدون طرده من مدرسته الحالية؟

قالت "هانكا":

- لا يمكن طرد التلميذ وهو في المرحلة الابتدائية.

"لكن إذا استطاعوا، فمن المحتمل أن يفعلوا". لم تقل ذلك بصوتٍ عالٍ.

- هل ستتصلين بها؟ لقد وعدتها أنك سوف تتصلين بها. ارفضي ذلك.

قالت "إيفا" هذا بعد نصف ساعة، بينما كانت "هانا" في طريقها إلى المغادرة.

- لماذا لا تأتين إلى هنا لفترة أطول؟ فبوسعك أن تساعديني في بعض الأشياء. في الحديقة، في إزالة أوراق الشجر، فيجب زرع جميع الزهور في الشتاء.

قالت "هانا" في نفسها: "نعم إن أمي تتخيل أننا سنأتي جميعًا إلى هنا لمساعدتها في الحديقة، ولا بد أنها تفكر أيضًا كيف سترفع هي و"فيكي" أوراق الشجر المتساقطة هنا، إنها المثالية العائلية، فهذا الأمر برمته عبث فحسب".

- سأتصل بـ"آدم"، ربما يمكنه المجيء، ألا تريدين ذلك؟

أجابت "هانا" ببعض السخرية وبصوت خافت لكيلا تسمعها "إيفا":

- من فضلك، إن "آدم" مشغول جدًّا.

ثم قالت في نفسها: "وربما لا أريد رؤيته". طبعت قبلة على خد أمها ذي البشرة الجافة الناعمة.

ثم أضافت دون تفكير:

- حسنًا، إذا انتقل "فيكي" إلى هنا، فسآتي إلى هنا كثيرًا.

ولكن عندما جلست في السيارة، شعرتْ بالأسف لذلك؛ فهي لا تريد أن تعتقد أمها أن أمر انتقال "فيكي" مؤكد بالفعل، فهي نفسها حتى الآن لا تعرف أكان الأمر مؤكدًا.

في الطريق إلى براج، كان تركيز "هانكا" في أثناء القيادة منصبًّا على الدور الذي تتدرَّب على أدائه، رن الهاتف، رقم غريب، كانوا يتصلون بها من متجر الإلكترونيات، حيث ضبطوا "فيكي" وهو يسرق. عليهم أن يحتجزوه هناك حتى تأتي. ألا يمكن لشخص آخر أن يأتي من أجله؟ فكرت "هانكا" فجأة أن هذا الشخص يُمكن أن يكون "دانيل"، لكنهما لم يتقدما في علاقتهما إلى هذا الحد، وإذا كانوا سيصلون إلى هذا على الإطلاق، فقد أعارها سيارته، لكنه لا يعرف "فيكي" وبالتأكيد لا يبدو أنه يُمانع في معرفته. لا، هذا هراء، عليها أن تتعامل مع الأمر بنفسها، عليها أن تتصل بالمسرح، وتُخبرهم أنها ستأتي قبل العرض مباشرةً، فدورها سيبدأ في الدقيقة السابعة عشرة، ستتمكن من ذلك.

زادت "هانا" من سرعتها على الطريق السريع إلى ما يقرب من مائة وسبعين كيلومترًا في الساعة، فهل ستتحمل هذه السيارة؟ وجدت نفسها فجأة تشعر بالأسف تجاه "فيكي"، وأنه سيضطر إلى انتظارها في مكان ما في غرفة صغيرة، لمدة ساعة أخرى على الأقل.

هناك ازدحام مروري عند مشارف براج، في النهاية سيكون عليه الانتظار ساعتين.

بدا على وجه "فيكي" أنه مذنب، لكنها استطاعت أن ترى كيف يتلاعب بها، وكيف أنه كان في الحقيقة غاضبًا، لا تستطيع "هانا" أن تقول بأثر رجعي إن هذه كانت اللحظة التي اتخذت فيها قرارها. فلقد اتخذت قرارها بالفعل من قبل، ثم غيرته مرة أخرى بعد بضع دقائق أو بضع ساعات.

قادت السيارة في صمت ومعها "فيكي"، الذي جلس في الخلف دون أن ينطق بكلمة واحدة، على الرغم من أنه كان يجلس أحيانًا في الأمام في المسافات القصيرة، فهو طويل القامة، وتحب "هانكا" أن تراه يجلس بجانبها، ركنت السيارة في مكان خطأ عند المسرح، وسيتعين عليها أن تطلب من شخص ما إعادة ركنها.

نزل "فيكي" من السيارة، وقال لها:

- سلام.

وتوجه إلى الترام، طارت "هانا" إلى المسرح، ألقت عليه نظرة واحدة خاطفة، كان طفلها الصغير يسير وحيدًا في الشارع، نحيل الجسد، لكنها لم تقل لنفسها إنهما سيتجاوزان هذا الأمر، فقرارها لن يتغير. لن يحدث هذا.



بصمات الأصابع

لا تزال الصناديق في الردهة، ولن يُفعل أي شيء بها حتى يوم الجمعة. ربما أمي ستستخدمها لشيء آخر، لم نتحدث عن ذلك مرة أخرى. ولا حتى عن هذا الهاتف، أرى أن أمي لديها واحد جديد، وهو أيضًا "أيفون 6"، لكني لم أقل شيئًا ولا هي أيضًا، في المدرسة كنتُ أبذل قصارى جهدي، حتى إنني حصلت على درجة "A" في الرياضيات، لذلك أرسل رسالة نصية إلى أمي؛ لكي ترى أنني أحاول. كتبتْ إليَّ: "عظيم، أنا سعيدة جدًّا".

بعد ظهر كل يوم كنتُ أعود مباشرة من المدرسة إلى المنزل، ولا أخرج مع الأولاد، على الرغم من أن الجو كان جميلًا، ويمكننا الذهاب إلى النهر تحت الجسر، كنتُ أقول لهم إني لا أستطيع، ثم أجلس في المنزل وألعب على الكمبيوتر؛ لأن أمي لم تكن في المنزل على أي حال.

فلا أحد يستطيع أن يجبرني على شيء، وعندما عدتُ من المدرسة إلى المنزل يوم الجمعة، لم تكن الصناديق موجودة في الردهة، ثم اكتشفتُ أن أمي في الشقة، ذهبتُ إلى غرفة النوم ورأيتها تحزم أغراضي، الألعاب التي لم أعد ألعب بها، والكتب، ربما هي ستأخذ أشيائي التي لم أعد أستخدمها، وستعطي إياها شخصًا يلعب بها.

قالت:

- مرحبًا.

- مرحبًا.

- لن أمثل اليوم. بعد أن نُنهي حزم الأمتعة، يمكننا أن نقضي هذا المساء في مشاهدة فيلم، لقد اشتريت أيضًا آيس كريم بالفستق.

تقريبًا في هذه اللحظة فهمتُ ما يحدث، وشعرتُ مرة أخرى كأنني أواجه صعوبة في التنفس، عندما لا أستطيع التنفس، فإن أمي تعرف كيف تساعدني، تعرف كيف تُهدِّئني، لكني لا أستطيع الذهاب إليها الآن؛ فهذا خطؤها، لا أستطيع التنفس بسببها.

قالت أمي كأن شيئًا لم يحدث:

- هل ستساعدني؟

صرخت وأنا أتحرك نحوها:

- لن أساعدك.

أحاول أن آخذ ما في يدها، الآن أستطيع التنفس؛ لأنني لا أفكر في ذلك.

قالت:

- اِهدأ، اِهدأ يا "فيكي"

لم تتركها، إنها طائرتي من المكعبات، التي حصلت عليها هديةً في عيد الميلاد المجيد، وجمعتُها بنفسي دون مساعدة، لكن هذا غير مهم الآن.

- سوف تكسرها.

- لا يهم! طائرة غبية، وحمقاء.

تمكنت أخيرًا من أخذها من أمي، لقد تعرضت لأضرار طفيفة، لكن لم يعد الأمر مهمًّا؛ لأنني ألقيتُها على الأرض بكل قوتي. شعرتُ بالدهشة لحظاتٍ؛ لأنها لم تُكسر إلى ألف شظية، فقط إلى نحو ثلاث شظايا رئيسة وبضع شظايا أخرى.

أخذتُ أركلها، لكن أمي أمسكت بي، زحف جسم الطائرة على الأرض حتى وصل إلى أسفل الطاولة.

- توقف، توقف.

حاولت أن أفلت منها، لكنها كانت تُمسك بي بقوة جعلتني أتألم.

- هذا يؤلمني.

أفلتتني، أشعر أن لديَّ رغبة عارمة في الانقضاض عليها وقتلها. أخذتُ أركل الأشياء الأخرى، ثم أخذتُ الصندوق الذي كانت قد جمعت فيه -بالفعل- الكثير من ألعابي المركبة من المكعبات، وأفرغتُ ما به، فلتُدمر المروحية وسفينة الفضاء، لا، فليُدمَّر كل شيء. انتشرت المكعبات في كل مكان على الأرض.

قالت أمي:

- إذًا أنت لن تأخذ المكعبات؟

انقضضتُ عليها، فلا يُمكنها أن تسخر مني إلى هذا الحد، طرحتُها أرضًا، فقد كانت جالسة، ولو كانت واقفة لما كان لديَّ فرصة، لأنها طويلة جدًّا.

- "فيكتور"، أيها الأحمق، هذا مؤلم.

أخذتُ أضربها بقبضتي، لكن في يدها فقط، فأنا لا أضرب الفتيات على بطونهن أو وجوههن، ما بالك بأمي، لكن بخلاف ذلك أنا جاد فيما أفعل. قاوَمَتْ أمي حتى أمسكت بي وتغلبت عليَّ.

- توقف عن ذلك. هل جُننت أم ماذا؟ أم عليّ أن أضربك أيضًا؟

ضربَتْني، آلمني هذا.

حاولت الهجوم عليها مرة أخرى، ضربتني من جديد، ثم لم نفعل شيئًا، جلست فوقي وعلى ساقي وقبضت على يدي.

ثم قالت بعد قليل:

- هل فهمتَ أني أقوى منك؟

فقلتُ في نفسي: "مؤقتًا"، حتى الآن هي قادرة على التغلب عليَّ، ولكن قريبًا سيأتي الوقت الذي لن تكون هي -أو غيرها- قادرة على أن تُملي عليَّ أي شيء.

- ولهذا السبب يحدث كل هذا، أليس كذلك؟

قالت أمي هذا، كأنها قد سمعتني. هل قلت ذلك عن طريق الخطأ بصوت عالٍ؟ فقلتُ لها:

- أنا لم أقل شيئًا.
- هل تعتقد أنني لا أستطيع قراءة أفكارك؟
- اتركيني.
- عِدني أنك سوف تكون هادئًا.
لم أقل شيئًا، لا أستطيع أن أعد بذلك.
- "فيكي"، ماذا تقترح؟ هل سنبقى هكذا حتى المساء؟ أم عليّ أن أُقيِّدك في الكرسي؟ أم ماذا؟

"ماذا تقترح؟"، هذه أسوأ جملة تقولها أمي على الإطلاق. فلا يتعامل بهذه الطريقة لا الأصدقاء ولا الآباء. حسنًا، يمكن للأصدقاء ذلك، إذا كان الأول يريد حقًّا معرفة ما يقترحه الآخر. لكن أمي لا تريد ذلك، لأنه بغض النظر عما سأقترحه، فستتصرف وفقًا لإرادتها هي على أي حال، لأنه إذا قالت أمي هذا، فهي ليست صديقتي.

بالطبع أقترحُ ألّا أذهب، أعد بأي شيء يأتي ببالي كيلا أذهب، أخذتُ أفكر فيما تريد سماعه، وهو أنني سأنظف غرفتي، وأنظف أسناني، ولن ألعب على الكمبيوتر أو على هاتفي، وأنني سأذهب إلى حلقات الدرس الخاصة، وكل شيء، خاصة إذا كان بإمكاني البقاء هنا في المنزل.

- "فيكوشيك"[4].

هذا جيد، عندما تناديني أمي باسم التدليل هذا، فذلك يعني أنها بدأت تثق بي قليلًا.

- ماما.

(4) من أسماء تدليل "فيكتور".

ثم نبقى مستلقيَيْنِ لبعض الوقت. لا تزال أمي تمسك بي، لكني لم أعد أشعر أنها تُمسك بي بقوة، هناك بعض شظايا المكعبات تحت ظهري، وهي تضغط عليَّ، لكن يمكنني تحمُّلها.

- ستذهب.

- لكني لا أريد. إن هذا الذي فعلته بي، هو أسوأ شيء في هذا العالم.

نظرت إليَّ بتفهّم. أكملتُ:

- لأنكِ أسوأ أمٍّ في العالم.

استمرت في النظر إليَّ، كأنني غبي تمامًا، وأن ما أقوله هو هراء فحسب، الآن أريد أن أقول لها شيئًا سيئًا أكثر من أي شيء آخر في العالم.

- أنتِ سيئة، ولم تعودي تحبينني بعد الآن، وعندما تقولين إنكِ تُحبينني، فأنتِ تكذبين.

قالت بنبرة حزينة:

- "فيكي"، يكفي هذا.

- لا، لا يكفي، أنتِ تريدين التخلص مني، ولهذا السبب تُرسلينني بعيدًا. فأنتِ تريدين أن تعيشي هنا مع بعض الرجال، ولكيلا أعيقك في ذلك، ولا يتعين عليك العودة إلى المنزل على الإطلاق، وتذهبين فقط إلى الحفلات المختلفة وإلى المسرح، ستتخلصين مني.

أشعر أن أمي تُخفِّف قبضتها عليَّ. وقفتْ وقالت:

- كان بإمكاني التخلص منك منذ وقت طويل، أليس كذلك؟ افعل ما تريد، لكن لن يكون لديك أيُّ أشياء هناك. وستذهب.

خرجت من غرفتي، ولكن إذا كانت تعتقد أنني سأحزم أمتعتي بنفسي، فهذا لن يحدث.

بقيتُ هناك وسط الصناديق وشظايا المكعبات، ولا أعرف ماذا أفعل. إن أمي لم تتحدث معي قط بهذه الطريقة، أمي تتحدث معي دائمًا بطريقةٍ طبيعية، ولا تعاملني كطفل صغير، فأمي ليست مثل الأمهات الأخريات، إنها لا تمنعني من شيء أبدًا، ولا تُعاقبني بعقوباتٍ غبية، أو ربما تفعل ذلك، لكنها تلغي ذلك على الفور، وتريد أن تكون العلاقة بيننا جيدة. ولكن منذ اللحظة التي أخبرتني فيها بذلك لأول مرة، كان الأمر كما لو أن شخصًا ما بدَّل أمي، لذلك لا أعتقد أنها ستعود إليَّ الآن، وتحاول تحسين الأمور معي، وأنا أيضًا لن أفعل أي شيء.

جمعتُ شظايا المكعبات، ولكن فقط لكيلا أخطو عليها، لن أحزم أمتعتي، جلستُ أمام الكمبيوتر وأخذت ألعب، لم أذهب حتى للشرب أو إلى المرحاض؛ لأنني لا أريد أن أمرَّ بجوار المطبخ، ولا أريد حتى رؤية أمي.

عندما حلَّ الظلام، أتت وقالت فقط:

- العشاء جاهز.

لم تقل شيئًا عن تركي تلك الأشياء في أماكنها.

جلسنا إلى الطاولة، وأخذنا نتناول العشاء، كان العشاء السباجيتي بصلصة الكريمة، وهذا هو طعامي المفضل، لكننا لم نتحدث، فهي تقرأ شيئًا ما على هاتفها، وأنا أحاول أن أتناول طعامي بسرعة كبيرة؛ لكي أذهب للعب مرة أخرى، فعندما ألعب لا أفكر في أي شيء آخر.

وعلى أي حال، إذا كانت تُريدني أن أختفي من هنا، فدعها هي تحزم أمتعتي، أعلم أنني لا أستطيع الشجار معها، ولن أهرب من المنزل، فأنا لست غبيًّا؛ فإذا هربت، فسوف يُلقى القبض عليَّ، وسيؤدي ذلك إلى المزيد من المشكلات، أعلم أنها ستأخذني إلى هناك غدًا. لكنها لن تستطيع أن تتحمل أن أكون هناك دمية من القماش فحسب، سأتحمل حتى تعيدني مرة أخرى، سأصمد هناك، لكني لن أفعل أي شيء.

وعندما عدتُ إلى غرفتي بعد العشاء، تبادر إلى ذهني شيء آخر، إذا كانت لا تريدني هنا، فلا بأس.

لذلك استحممتُ، وارتديتُ بيجامتي، وغسلتُ أسناني في فترة وجيزة، وفي السرير أخذتُ أقرأ قصة حرب النجوم المصورة، التي حصلت عليها هديةً في العيد، إنها ليست مسلية لي كثيرًا، لكني أنتظر حتى تذهب للنوم، أو ربما تُشغِّل فيلمًا وهي في سريرها، ومن الممكن أيضًا أن تخرج إلى مكان ما. عندما ذهبتُ إلى الحمام، رأيتها تجلس على الطاولة، وتقرأ بعض الأوراق، فعلى الأرجح هي تحفظ دورًا ما، وتشرب النبيذ، أمي تشرب النبيذ الأحمر في كؤوس عملاقة، ذات مرة سكبت في كأسها مياهًا غازية، زجاجة "فانتا" عادية، نصف لتر، فاستوعبت هذه الكأس الزجاجة بأكملها مرة واحدة، فضاعت الصودا منها تمامًا، وفقدت برودتها، ثم سقطت بها ذبابة، لذا فقد كانت هذه -على الأرجح- فكرة سيئة.

لذلك لا أزالُ ألعب على هاتفي المحمول، لقد أوقفتُ -بالفعل- تشغيل الكمبيوتر، وأخرجته من المقبس، وفككتُه إلى قطع منفردة، لأنه بالطبع يجب أن آخذ الكمبيوتر معي، ولا أعرف من الذي سيساعدني على تركيبه بعد أن مات جدي، وأصدقائي هنا وآباؤهم أيضًا. مشكلة أخرى رهيبة. ولكن ماذا لو لم يكن الإنترنت يعمل هناك؟ لقد تعاملتُ مع الأمر بالفعل في المرة الأخيرة عندما كنت هناك في الصيف، لكني لا أعرف كيف سارت الأمور بعد ذلك، لحسن الحظ بقيت هناك لمدة خمسة أيام فقط، وكان الجو شديد الحرارة طوال الوقت، لذلك كنا نذهب دائمًا إلى حمام السباحة، وكانت والدتي تستخدم دراجة جدتي، وأحضرت لي دراجتي من براج. هناك كنت أسبح أو ألعب على هاتفي المحمول، بينما كانت أمي تتشمس. كانت تشتري لي على الغداء البطاطس المقلية ثم النقانق، وبعدها نعود إلى المنزل قبل حلول المساء، عندما كانت طيور الكروان تُطلق صيحاتها، وكان جدي لا يزال على قيد الحياة، لكنه كان غريبًا بالفعل،

لكن أمي لم تعتقد حينها أنه كان غريبًا، كان على سبيل المثال لا يريد الذهاب معي أنا وأمي إلى المسبح، ويذهب أيضًا للنوم مبكرًا، ربما في التاسعة، ولكن بخلاف ذلك بدا المنزل كأن شخصًا عجوزًا يُقيم به، أعلم أن جدتي وجدي كبرا في السن منذ فترة طويلة، لكني لم أشم هذه الرائحة من قبل، لا يعني هذا أنها رائحة كريهة، ربما كانت هذه الرائحة في الهواء فقط، أو شيء ما.

وعدني جدي بتحسين الإنترنت بطريقة ما حتى أتمكن من الذهاب إلى هناك كثيرًا، لكنه مات بعد ذلك، ولا أعرف الآن هل تمكن من حل هذه المشكلة قبل وفاته أم لا.

ثم سمعتُ كيف أغلقت أمي باب المطبخ على نفسها، وهذا يعني أنها سوف تدخن هناك، ويعني أيضًا أنها لن تذهب للنوم الآن، وأنا أريد أن أنام؛ لذا يجب أن أفعل ذلك الآن، نهضتُ من السرير سريعًا، وأخذتُ كرسيًّا، ووضعته بجوار الحائط في غرفة المعيشة حيث يوجد على هذا الحائط الكثير من الصور المؤطرة، توجد هناك رسوماتي القديمة، وصورنا معًا، وصور لي عندما كنت طفلًا رضيعًا، وعندما كانت أمي في ريعان شبابها، وأيضًا بعض الشهادات الخاصة بي، سأُنزل كل ما أستطيع الوصول إليه، سوف آخذها إلى الحمام حيث أستطيع أن أقفل على نفسي؛ فلا يوجد مفتاح في باب غرفتي.

في الحمام، نزعت كل الصور والرسومات من إطاراتها، وفتحتُ نافذة المنور، وألقيتُها هناك. سأحتفظ بواحدة، أصغر صورة منها.

ثم آخذ الإطارات إلى غرفة المعيشة لأعلقها هناك مرة أخرى، لكنها فارغة، لكن في تلك اللحظة سمعتُ بعض الأصوات تأتي من المطبخ؛ لذا فضلتُ تركها في مكانها، فلا شيء يهم. وعندما كنتُ أخلد للنوم تساءلتُ: هل تُريدني أمي حقًّا أن أنظِّف غرفتي، وأُرتِّب سريري، في حين أن هناك فوضى عارمة على مكتبها، وأنها هي نفسها لا تُرتِّب سريرها أبدًا؟



ظلت "هانا" طوال المساء تحاول التركيز في النص، إنها متأخرة أسبوعًا كاملًا عما خططت له، ولم تبدأ التدريب بعد، لقد بدأت، ولكن قليلًا، وهذا غير كافٍ، عليها أن تبدو في حالةٍ بدنية جيدة، فستؤدي دور بطلة رياضية سابقة، لقد ذهبتْ للركض ثلاث مرات، في المرة الأولى شعرت أنها في حالة جيدة جدًّا، استيقظت في السادسة صباحًا، في الظلام، وأشرق ضوء الصباح وهي في الحديقة، حيث كان هناك عدد قليل من العدَّائين الآخرين، لكنها ظلت بعدها ليومين لا تستطيع صعود الدرج إلا بصعوبة، في المرة الثانية لم تستيقظ في الصباح، ولم تذهب إلا بعد الإفطار، وكان الأمر صعبًا عليها، يجب أن تجد مدربًا أو شخصًا يفهم كيف يساعدها على ذلك، بالتأكيد سوف تجده، الآن سيكون لديها الوقت لِفعل ذلك، ستفعل ذلك، وستنجح، فهذه فرصة عمرها، ولن تتكرر مرة أخرى. ستستعد جيدًا، وستقدم أداءً رائعًا، ستتوقف عن التدخين، ولن تشرب حتى النبيذ، ستركض كل صباح، ستبذل كل ما في وسعها، وسيرى الجميع ذلك، لكنها الآن لا تستطيع التركيز، كانت تجبر نفسها على ذلك، لكنها لا تزال تفكر فقط في "فيكي"، لا يمكنها أن تكون بهذه القسوة، فليس من الإنسانية أن تعامل طفلًا بهذه الطريقة، لكن كل شيء متَّفَق عليه بالفعل، عليها أن تتحمل ذلك، ستحزم له أمتعته ليلًا، لن تتركه يذهب من دونها، فكرت في أن تُعد له عشاءً احتفاليًّا اليوم، فهي تعتقد أنهما سيتفقان في النهاية. ربما كان ذلك خطأً، وربما كان ينبغي لها أن تمنحه مزيدًا من الوقت لتقبُّل الأمر، لكن أمها رأت أنه من الأفضل فِعل ذلك بسرعة، فيجب أن تطرق الحديد وهو ساخن، لكن "فيكي" ليس حديدًا ليجري طرقه، وفي الوقت نفسه "هانا" قد اتفقت معها على ذلك، فهذا مناسب لها أيضًا لكي تبدأ الاستعداد لدورها، فلقد كانت الأمور تسير سيرًا سيئًا، فهي تُجري بروفات دور البطولة في المسرح، وسط هذا الذي يحدث، لكنها لا تستطيع رفض ذلك، لا أحد يرفض دور البطولة، عشرة أجزاء، المال، وقبل كل شيء، هذا دور

ممتاز، مكتوب بطريقةٍ جيدة، ومن يشاركها البطولة أسطورة التمثيل "مارتن هروبي"، وهذا سيجعلها مشهورة..

صبَّت "هانا" لنفسها بعض النبيذ، فهي لن تذهب للركض أو ممارسة الرياضة غدًا؛ فغدًا عليها أن تأخذه إلى هناك، عند أمها، ومن المحتمل أن تبقى هناك حتى يوم الأحد. لو كان "فيكي" لا يثير المشكلات، لكان الأمر جيدًا، ولو كان لديها رجل يساعدها على رعاية "فيكي" لكان الأمر جيدًا، ولو كانت أمها تُقيم في براج، لكان الأمر جيدًا، ولو كانت في ذلك الوقت قد قبلت دور الممرضة في المسلسل الذي لا نهاية له، لأصبح لديها المزيد من المال، ولأصبح بوسعها أن تستأجر لـ"فيكي" جليسة أطفال بدوام كامل، لكنه لم يكن ليقبل هذا على أي حال، ولو كانت أكثر صرامة، لربما ما وصل إلى هذا الحال، ولو أدت دورها أمَّا أداء أفضل، لما أصبح هكذا. طوال عشر سنوات وهي تُساورها الشكوك نفسها؛ لو أدت دورها أمَّا أداء أفضل، لما كانت تجلس هنا الآن، لكن لو أدت دورها أمَّا أداء أفضل، لما كانت ستقدر على تمثيل الكثير من الأدوار، ولما وقع الاختيار عليها الآن، لو أدت دورها أمَّا أداء أفضل، لربما لم تكن أقل سعادة، ولكان بوسعها أن تعود إلى مسقط رأسها، وتُربِّي "فيكتور" هناك، وتقود هناك فرقة من الهواة، أو شيء من هذا القبيل، كان بوسعها أن تفعل آلاف الأشياء الأخرى، ولم تكن لتجلس هنا الآن. جاءتها رسالة على هاتفها المحمول، كتب إليها "دانيل": "كيف الحال؟"

إن "دانيل" مهتم بها، شخص لطيف، رجل بمعنى الكلمة، ربما سيحدث بينهما توافق، على الرغم من أنه ممثل و"هانا" لا تريد ممثلًا؛ فكل الممثلين بالنسبة لها خنازير وأنانيون، وكل رجل منهم زير نساء، ولكن هذا لطف منه أن يهتم بها، وهو يعلم أن هذه الليلة هي الليلة الحاسمة لها. إن "دانيل" يعرف كم أن هذا الأمر مزعج لـ"هانا"! في أثناء لقائهما الثالث في البار، انفجرت "هانا" أمامه في البكاء، لأنها لم تكن تعرف ماذا تفعل، وتحدثت معه

عن لقاءاتها مع المعلمة، وذهاب "فيكي" إلى مركز الاستشارات التربوية والنفسية، وعن "فيكي" وتهديده المعلمةَ، وعن فرصة عمرها في هذا المشروع العظيم، ووالدها المتوفى، ووالدتها، وماذا سيحدث لها. كان "دانيل" يواسيها بلطف، لم تعد تتذكر ما قاله لها، لكنه كان لطيفًا، لطيفًا على نحو مثير للريبة بالنسبة لممثل، وقادها إلى منزلها، حتى إنهما وقفا معًا لحظات عند فراش "فيكي" النائم، الذي كان في نومه لا يزال يبدو صبيًّا صغيرًا، ثم شربا النبيذ في المطبخ وفي الصباح انصرف "دانيل"، بعد أن مارسا الجنس في عجالة على طاولة المطبخ المغلق بالمفتاح.

والآن يسأل كيف تسير الأمور؟ "هانا" لم تكتب إليه شيئًا، فالأمور تسير سيرًا سيئًا، إنها بائسة ولا تعرف ماذا تفعل، وكيف لـ"دانيل" أن يشعر بهذا، فليس لديه أطفال، إنه -في الغالب- يجلس في مكان ما في أحد البارات، ومن حوله ملايين الفتيات دون أطفال، لذلك فهو يكتب إليها رسالة، تقريبًا مجانية، بكرونتين.

تجبر "هانا" نفسها على إلقاء نظرة على سيناريو الحلقة الأولى مرة أخرى، أُجريَ اختبار القراءة الأول، جو رائع، عليها أن تعمل بجد، ليست هذه هي المرة الأولى التي تكون فيها بائسةً وعاجزة عن التفكير، على العكس من ذلك، فإن العمل سوف يساعدها، راجعت السيناريو ثلاث مرات، أتمت شرب الزجاجة، أزالت الأطباق بعد العشاء، وأزالت مكياجها، وغيَّرت ملابسها، وارتدت ثوب نومها، استلقت على السرير، وهي تعرف أنها لن تنام.

نهضت وذهبت إلى غرفة نوم "فيكي"، واصلت حزم أغراضه، في هدوء وفي الظلام، كان "فيكي" أحيانًا يتململ في فراشه، ويصدر صوتًا بفمه.

بينما تحمل "هانا" الصندوق الثاني من الأشياء إلى الردهة، لاحظت الجدار الفارغ في غرفة المعيشة، هناك كراسي عند الحائط، لاحظت المستطيلات الباهتة

على الحائط، ثم لاحظت كومة من إطارات الصور، نظر إليها على الرغم من أنها تعلم، نعم تعلم أنها فارغة.

ظلت إحدى الصور معلقة هناك حيث لم يتمكن "فيكي" من الوصول إليها، كان مطبوعًا عليها يدا "فيكي" الصغيرتان، رسمة من رياض الأطفال، عمرها كأنه مليون عام.

نقلت "هانا" كل الصناديق السبعة المعبأة، ثم استلقت في الفراش مرة أخرى، وانفجرت في البكاء.

من سيُركّب الكمبيوتر

استيقظت "إيفا" في الثالثة صباحًا، كانت في حالة من التوتر الشديد، تعلم أنها لن تتمكن من النوم مرة أخرى، في السابق كانت تستلقي في الفراش، وتحاول النوم دون جدوى، لكنها أخيرًا تحدثت إلى أخت زوجها، التي قالت لها إنه عندما لا تستطيع النوم، فهي تستيقظ وتفعل كل ما تراه ضروريًّا، حتى لو كان في الليل. اعتقدت "إيفا" أن الأمر كان جنونيًّا بعض الشيء في البداية، ولكن بعد ذلك، وفي المرة الأولى التي حدث لها فيها أنها لم تستطع النوم مع اقتراب الصباح، نهضت، وذهبت لطهو الطعام. أدت هذا العمل الذي لا يتطلب الكثير من الضوضاء حتى لا تزعج "يندرشيخ".

إن هذا مناسب اليوم بالفعل، فعلى الرغم من أن "إيفا" تعلم أن كل شيء جاهز منذ أمس، فقد خططت لخبز كعكات بسيطة، وأرادت طهو الدجاج على الغداء، لكن أمس خطر ببالها أن تُعد لـ"فيكي" شرائح اللحم، فهو يحبها، لقد أخرجت اللحم في المساء من الثلاجة، والآن في الساعة الثالثة والربع صباحًا، عندما نهضت وارتدت ملابسها، لم يعد اللحم متجمدًا تقريبًا، غسلت "إيفا" يديها، ثم أخذت بتدليك شرائح اللحم، واحدة تلو الأخرى بأصابعها لتدفئتها،

بعد قليل تجمدت أصابعها تمامًا، لكنها لن تتوقف حتى تصبح الشرائح طرية، حضرت الخليط، وغمرت قطع اللحم به. ستعدُّه أيضًا للغد، فقد دعت "آدم" وعائلته، فـ"هانكا" بالتأكيد ستبقى حتى اليوم التالي، فآخر مرة تجمعت فيها العائلة بأكملها كانت في الجنازة. حتى "يندرشيخ" كان يحب شرائح اللحم التي تُعدها بنفسها، ويُفضل لو كانت من لحم الخنزير.

غلفت اللحم بالخليط، وحضرت القهوة، إنها لا تفعل ذلك أبدًا في الصباح الباكر، ولكن اليوم سيتعين عليها الصمود لفترة طويلة، فهي متوترة، من يدري كيف سيكون اليوم؟ وهل ستُعجب الغرفة "فيكي" أم لا؟ وربما سيتعين عليها أن تُغيِّر شيئًا ما بها. فحتى "هانا" لم ترها بعد، لكنها صقلتها جيدًا للغاية، ثم طلت الخزانة ذات الأدراج باللون الأزرق، إذ يمكن أن يضع "فيكي" ملابسه بها. ساعدها جارهم "يرجي سيدل" على إنزال الأثاث إلى أسفل، وعلى الرغم من أنها أرادت فقط طلاء الطاولة -لكن إذا كانت الصنفرة على أي حال ستُسبب انتشار الغبار في المكان- فقد قررت أن تطلي الخزانة ذات الأدراج أيضًا، والطاولة كانت بالفعل زرقاء، وطلت جدارًا واحدًا في غرفة النوم باللون الأخضر، وقد آلمتها يدها من ذلك، لكنها تمكنت من إنجاز المهمة في يوم واحد، مع تنظيف الغرفة.

جلست لبعض الوقت، وأخذت تستمتع بقهوتها، فقد وضعت بها الكريمة عالية الدسم المتبقية من فطيرة الليمون، وشعرت أن النوم يسقط عليها مثل لحاف ثقيل، ولم تُجدِ القهوة نفعًا، رأت أن عليها أن تنهض، وتفعل شيئًا آخر حتى لا تغفو، لكنها ظلت جالسة، ونامت. عندما رن المنبه، استيقظت "إيفا" بسرعة، وجدت أن هناك طبقة بيج على وجه القهوة، سكبت "إيفا" هذا المشروب البارد، وبدأت بإعداد الكعك، حاولت أن تستكمل يومها بطريقةٍ طبيعية، لكنها لا تستطيع حتى تناول وجبة الإفطار، أجبرت نفسها على ذلك. أكلت قطعة من الكعك المتبقي من يوم الأربعاء، وتشرب بعض الشاي مع كل

قضمة منها. أخذت الكعك بعيدًا، ثم عادت، وجلست إلى الطاولة، من المفترض أنهم سيصلون على الغداء، وينبغي أن تبدأ بإعداده، لكنها تعرف "هانا" جيدًا، فالغداء بالنسبة لها ليس في الثانية عشرة ظهرًا، فإذا بدأت بالقلي الآن، فسيتعين عليها أن تُسخِّنه بعد ذلك. والشيء نفسه مع البطاطس.

لا، ستبدأ قبل الظهر، عندما يبدؤون بتناول الحساء، لقد أعدت لهم الحساء بقطع المعجنات، فـ"فيكي" يحب ذلك أيضًا. في الوقت الحالي ستذهب لتشغيل التدفئة في الطابق العلوي.

الآن تصعد الدرج إلى الطابق العلوي، وتشعر بألم بركبتها، ففي الأيام الماضية كانت تصعد إلى الطابق العلوي أكثر من المعتاد أما الآن فلا، وهذا هو السبب. فتحت غرفة "فيكي" الجديدة، كانت النافذة مفتوحة، تدخل منها رائحة الخريف، ومع ذلك تستطيع "إيفا" أن تشم رائحة الطلاء الحديثة هنا، رغم أنها تُهوي الغرفة منذ يوم الإثنين، تجري التهوية والتدفئة في الوقت نفسه، هناك مدفأة كهربائية صغيرة في الغرفة، حتى يتمكن "فيكي" من التدفئة في الصباح، ولا يشعر بالبرد. تجري التدفئة عن طريق الموقد، لكن الأمر يستغرق وقتًا طويلًا حتى يصل الدفء إلى هنا؛ فالموقد موجود في الغرفة الكبيرة المجاورة، ولكن مع فتح الباب يصل الدفء إلى هنا بعد فترة قصيرة. لكن عن طريق التدفئة المباشرة، تُصبح الغرفة دافئة على الفور.

أمس عندما وضعتِ الخشب في الموقد، بدا لها أن رائحة الطلاء قد زالت عن الغرفة، لكن من الواضح أنها لا تزال موجودة اليوم، لا يُمكن لـ"فيكي" أن ينام هنا أو ربما يُمكنه ذلك، لكن حينها سيتعين عليها إبعاد الطاولة والخزانة ذات الأدراج. انفجرت "إيفا" فجأة في البكاء، فلقد بذلت جهدًا كبيرًا ليبدو كل شيء جميلًا هنا، فكل شيء نظيف، والغطاء مغسول، عصرته بيديها في الحمام، والآن يأتي "فيكي" إلى هنا، ولا يمكنه أن يبقى لرائحة الطلاء القوية بها.

حاولت "إيفا" دفع الخزانة إلى خارج الغرفة، لكنها لم تنجح في ذلك، فهي ستخدش الأرض، وعليها أن تضع قِطعًا من الخرق تحت الأرجل، وتدفع الخزانة إلى الخارج، ثم الطاولة بالطريقة نفسها، وتتركها في الممر. تصببت عرقًا، لكن هذه الرائحة الكريهة لا تزال موجودة بالغرفة. لقد أصبحت الغرفة فارغة، لا يوجد بها سوى السرير والخزانة، مثل غرفة الفندق، أحضرت "إيفا" بيأس زهرة جافة في مزهرية، ووضعتها على طاولة بجانب السرير، الطاولة التي كانت في السابق خاصة بـ"يندرشيخ"، أحضرتها بنفسها من الطابق السفلي.

لقد أصابها التعب الآن، فهي مستيقظة منذ سبع ساعات، الآن الساعة الحادية عشرة صباحًا، إن أفضل شيء لها الآن هو الذهاب إلى الفراش، فالآن سيكون بوسعها أن تنام، لكنها بدلًا من ذلك نزلت إلى الطابق السفلي، وبدأت بهدوء بإعداد الغداء.

عندما كانت تُقشر البطاطس، اتصلت بها "كاتكا"، لن يستطيعوا الحضور غدًا، فابنتها "كاميلكا" مصابة بنزلة برد. قالت لها "كاتكا":

- لا تغضبي.

"إيفا" لم تغضب، ولكنها أسفت لذلك.

- فليأتِ "أداميك"، فلدينا هنا الكثير من شرائح اللحم، لذا سأجعله يأخذ لك بعضها، ألا تريدين؟

قالت "كاتكا":

- حسنًا، لكن "أداميك" ربما لا يأتي، فلديه بعض الالتزامات في العمل، لكني سأخبره.

صمتت كلتاهما لحظات، إن "إيفا" تعلم أن "آدم" لن يأتي. وحتى لن يتصل بها بنفسه.

- ربما سأضع اللحم في الثلاجة.

قالت "كاتكا" بسعادة:

– هذا هو الحل الأفضل.

أغلقت "إيفا" الهاتف بخيبة أمل، فقد رأتهم آخر مرة منذ ثلاثة أسابيع، ومنذ ذلك الحين ابنتاهما مريضتان، و"آدم" لديه الكثير من العمل، منذ يوم الجنازة جاء إلى هنا عدة مرات بعد العمل، وفي كل مرة كان يُهرع على الفور إلى المنزل. إنها تتفهم ذلك، فلديه طفلتان صغيرتان ويدير شركة. لكنها كانت تتطلع لرؤيتهم مجتمعين معًا، لأول مرة منذ الجنازة. لا يهم. ربما يكون هذا أفضل، فستكون هناك حالة أكبر من الهدوء.



عندما استيقظت في الصباح، كانت غرفتي فارغة تقريبًا. بدت كأنها ليست غرفتي على الإطلاق. أستطيع أن أسمعها وهي تُخرج الأطباق من الغسالة في المطبخ، لا أريد التحدث معها أو رؤيتها، لكني جائع.

لاحظتُ في غرفة المعيشة أن كل تلك الإطارات الفارغة معلقة في أماكنها على الحائط، وجدتُ وجبة الإفطار معدة بالفعل؛ "بيتي فور" بالقرفة مع كوب من الحليب. لا يوجد كاكاو.

أمي أيضًا لا تتكلم، وجهتُ إليها التحية فقط حتى لا يُقال إني لم أفعل، فأجابت بطريقةٍ طبيعية وسألتني:

– هل ما زلت لا تتحدث معي؟

أومأتُ برأسي رغم أني أعلم أنها لا تراني.

– لا أتحدث ولن أتحدث لفترة طويلة.

لم تقل شيئًا، وواصلت تنظيف الأطباق. تناولتُ طعامي بسرعة، ووجدتُ ملابسي معدة على الأريكة في غرفتي، كما كان يحدث عندما كنت صغيرًا، وكان عليَّ أن أرتدي ملابسي بنفسي للذهاب إلى المدرسة عندما لم تكن أمي موجودة هنا. ارتديت ملابسي. وجلستُ على مكتبي حيث لا يوجد جهاز الكمبيوتر، وأخذتُ ألعب

على هاتفي المحمول. أشعر كأنني في مكان آخر غير المنزل في انتظار أن يأتوا ليأخذوني، كما هو الحال عندما يعود الشخص من المستشفى إلى منزله. ذات مرة كنت في المستشفى لمدة ثلاثة أيام، وكانت أمي تأتي دائمًا إلى هناك ليلًا، لكن خلال النهار كنتُ هناك بمفردي، على الرغم من أن والدي الأطفال الآخرين في الغرفة كانوا معهم هناك. في البداية شعرت بالأسف لذلك، ولكن بعدها أدركتُ أنني على الأقل لست طفلًا مدللًا مثلهم. كنتُ ألعب على التابلت، وعندما أشعر بالحزن، أتصلُ بأمي، وفي كل مرة كانت تأتي إليَّ، وتحضر لي معها طعامًا جيدًا أو لعبة. لكن عندما أعطوني حقنة، ولم تكن أمي موجودة، كان الأمر صعبًا لي للغاية.

وفي صباح اليوم الثالث سمحوا لي بالمغادرة، لكن أمي كانت قد انصرفت عندما قرروا ذلك، لم أتمكن من المغادرة وحدي؛ لذلك اتصلت بها، لكنهم كانوا بحاجة إلى السرير الذي كنت مستلقيًا عليه من قبل؛ لذلك فقد جلستُ في الردهة مع حقيبتي، ورأيتهم وهم يغيرون فراش سريري، من المفترض ألَّا أكون هناك، لكني كنتُ، ولم يلاحظني أحد، رغم أنهم كانوا يسيرون حولي. ثم جاء وقت الغداء، ولم يعطوني طعامًا أيضًا، وأخذتُ أنظر إلى الآخرين وهم يأكلون، ثم جاءت أمي تجري، وأخذتني لتناول البيتزا، لذا أصبح الوضع أفضل.

والآن يبدو لي أن الأمر متشابه إلى حد ما.

جاءت أمي وهي مرتدية ملابسها بالفعل، وجلست بجانبي، أعلم أنها تنتظر أن أتوقف عن اللعب، لكني لن أفعل.

بعد قليل قالت:

– هيا.

نهضت مرة أخرى، بعد لحظة نهضتُ وذهبتُ لارتداء حذائي، بينما كنت أرتدي حذائي، وصل أحد رجال أمي، هذا الشاب جديد تمامًا، اسمه "دانيل"، يبدو لطيفًا، أعرفه من أحد الإعلانات التجارية لمشروب غازي، يؤدي فيه دور شخص معتوه، لكن

في العادي هو شخص طبيعي تمامًا. سوف يساعدنا على وضع الأشياء في السيارة. لم أحمل أنا سوى الأشياء الصغيرة؛ لأنني لا أستطيع حمل الأشياء الثقيلة.

حاول "دانيل" أن يكون متقبلًا الأمر تقبُّلًا كبيرًا، لكنه سرعان ما بدا غير ذلك، وبقينا جميعًا صامتين. توجد أيضًا بعض الأشياء على المقعد المجاور لي، لأن حقيبة السيارة لم تسعها، إن سيارته صغيرة ومتهالكة، ولا أعرف لماذا لا يشتري سيارة أفضل إذا كان يحصل على الكثير من المال من هذه الإعلانات.

جلستُ وربطتُ حزام الأمان، بينما هما يدخنان السجائر، كنتُ أنظر في الاتجاه الآخر، ولكني رأيتهما في انعكاس زجاج النافذة يتحدثان، وعند افتراقهما تبادلا القبلات على خدودهما. إن الممثلين يتبادلون القبلات على الخدود مع الجميع، لذلك لا أعرف حقًّا أكان هذا الرجل هو حبيب أمي الجديد أم لا.

لم أتفوه بكلمة واحدة طوال الطريق. حاولت أمي عدة مرات، لكنها بعد ذلك شغَّلت الموسيقى بصوت عالٍ. أحيانًا كنتُ أغني أنا وأمي في السيارة، حتى إننا كنا في المدينة نفتح نوافذ السيارة ونغني، بينما ينظر إلينا السائقون الآخرون عند إشارات المرور بدهشة، فأعمل حركات لهم بوجهي، ولكن ليست حركات مثيرة للاشمئزاز، بل حركات كوميدية، أما اليوم فلا، حتى لو كانت تشغِّل الأغاني التي أحبها عن قصد.

ونحن على الطريق السريع استغرقت في النوم، واستيقظت عندما انعطفت السيارة في المدينة نحو "ريبنا"، كانت هناك محطة للحافلات ومدرسة، هناك قصاصات من أوراق على نوافذها كما هو الحال مع كل المدارس في فصل الخريف، بينما تُمطر السماء في الخارج. عندما توقفت السيارة، وأطفأت أمي المحرك، كان أكثر ما تمنيته في هذا العالم هو ألا أنزل من السيارة أبدًا.

خرجت جدتي من المنزل، بدت أصغر حجمًا وأكبر سنًّا من المرة السابقة، لكن المرة السابقة كانت في جنازة جدي، وكان ذلك في الصيف، وهذه ليست فترة طويلة.

التفتت أمي نحوي قائلة:

- "فيكي"، هل سنقدر على ذلك معًا؟

هززتُ رأسي.

- سنقدر. أنت أكثر إنسان أحبه، أتعرف ذلك؟ وأنت أفضل ولد في هذا الكون. هيا أرجوك.

بسطت يدها إليَّ، فضربت كفي بكفها، لأنني الآن رأيتُ مدى حزن أمي، وكيف أنها لا تستطيع تحمل هذا الأمر، وكيف أنها لن تتركني هنا، وإذا تركتني هنا، فلن تتركني طويلًا، لأنها لا تستطيع أن تتحمل ذلك، أما أنا فسأتحمل، وسأكون مطيعًا، لتعيدني مرة أخرى إلى المنزل. ولكن لا يعني ذلك أنني سأغفر هذا لأمي. خرجتُ وركضتُ تحت السقف، فجأة أصبح كل شيء أفضل، لن أكون دمية ميتة، بل سأكون أفضل فتى في هذا العالم.

قبلتني جدتي، بدا فمها مثل الورق الناعم. ثم عانقتني، إنه أمر فظيع، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل غير أن أعانقها أيضًا؟ أخيرًا تركتني، وهي تنظر إليَّ، أنا لا أحب ذلك.

- تعالَ لتناول الغداء، هل أنت جائع؟

نظرتُ إلى هاتفي المحمول، لا يوجد هنا سوى شرطتين من الإشارة. أحزنني هذا.

قالت أمي:

- خبِّئه الآن.

عندما خرج من السيارة، بدا لـ"إيفا" أنه كبر مرة أخرى، رغم أن هذا مستحيل. "طفلي الصغير، سوف يكبر سريعًا". فكرت وشعرتْ أنها على وشك البكاء.

أخذت "هانا" تشاهدهما، وهما يُصافحان بعضهما بعضًا. عانقته أمها. ثم عانقها "فيكتور". ربما لو لم يفعل، لسهل عليها هذا عملية المغادرة، على الرغم من أنها تعلم أنها يجب أن تكون سعيدة بذلك.

حاولتُ أيضًا أن أكون لطيفًا في أثناء الغداء، أن أكون لطيفًا جدًّا مع كلتيهما، رأيتُ أن جدتي سعيدة بذلك، لكن أمي ليست كذلك، لأنها لا تفهم ماذا يجري. وهذا جيد إلى حد ما.

كان الغداء جيدًا بصفة عامة، على الرغم من أنني لم أعتد تناول حساء المعجنات، ولا أتناول شرائح اللحم إلا بمفردها، دون البطاطس. قالت الجدة:

– ليس عليك اليوم أن تأكل البطاطس.

فضلتُ ألا أبرر لها ذلك.

ثم أخذتاني إلى الطابق العلوي، كانت جدتي قد أعدت لي غرفة كريهة الرائحة، ولا يوجد بها شيء. اعتذرت إليَّ لأنها مطلية حديثًا ورائحتها كريهة، لذا هي أخرجت الأشياء إلى الردهة، لكن لا شيء يهم.

قالت أمي:

– يُمكنه أن ينام في الغرفة الأخرى مؤقتًا.

لكن أيضًا، لا شيء يهم.

ثم أخذتا تتجادلان هي وجدتي حول هذا الموضوع لفترة طويلة، عددتُ جدتي ما جهزته لي هنا، كما لو كان الأمر مهمًّا، فهذه ليست غرفتي، هذه هي الغرفة مخصصة لي ولأمي عندما نأتي إلى هنا لزيارتها، ولا يهم أن يكون بها جدار لونه أخضر، وغطاء جديد، منقوش عليه سيارات، كأني مثلًا أحب السيارات.

أين سأضع أشيائي، تحدثتا في هذا الأمر لفترة طويلة أخرى، لم أستمع إليهما. أنهت أمي هذا الأمر قائلة:

– نضعها مؤقتًا في الغرفة المجاورة، وهكذا يُحل الموضوع.

– وماذا لو جاء "آدم" مع "كاتكا" وابنتيهما؟

– وماذا في ذلك؟

– أين سينام "فيكي"؟

- حسنًا، ومتى كانت آخر مرة ناموا بها هنا؟

ظلت جدتي صامتة.

هزت أمي رأسها قائلة:

- من فضلك يا أمي، لا تفعلي ذلك.

لا أفهم السبب في أن جدتي تبدو غاضبة وهي تُحضر لي اللحاف.

كان الجو باردًا في الغرفة الثانية، لكن لا يهم، فقد أحضرت لي جدتي مدفأة، وضعتها بجوار الطاولة، وما إن أحضرت لي أمي الصندوق الذي يوجد به جهاز الكمبيوتر من السيارة، بدأتُ بتجميعه، فقد رسمتُ الخطوات عندما فككته من قبل. المشكلة فقط أنني لم أفهم الآن الطريقة التي سأُركِّب بها، ولم أستطع تجميع أجزائه، حاولت أمي أيضًا، لكنها لم تتمكن من ذلك، أردتُ البكاء مرة أخرى، وركلتُ المدفأة، فسقطت على الأرض، وتوقفت عن العمل.

- "فيكي"، ما الذي تفعله؟

- لم أقصد ذلك.

ضربت أمي على رأسها، وأرادت إصلاحها بطريقة ما، ولكن بدلًا من ذلك أخذت تنظر إليها، وتنقر عليها عدة مرات.

- لقد سقطت فقط على جانبها، إنها خردة قديمة.

قالت الجدة التي ظهرت عند الباب:

- علينا أن نلجأ إلى التدفئة عن طريق الموقد، وتشغيل التدفئة طوال الليل، هذه الغرفة كبيرة، وسوف يكون الجو بها شديد البرودة في الصباح، إذا كانت المدفأة الكهربائية لا تعمل. كيف لا تعمل؟

قالت أمي بعد قليل:

- لا أعرف، لقد توقفت فجأة.

أخذت جدتي تنظر إليها وإليَّ أنا أيضًا، لكننا تظاهرنا بأن لا شيء قد حدث.

ثم قالت جدتي موجِّهةً حديثها إلى أمي:

– حسنًا، من الضروري أن يُضاف الخشب إلى الموقد كل ساعة أو ساعة ونصف حتى لا ينطفئ. وأنا لا أستطيع صعود الدرج باستمرار، فركبتايَ تؤلمانني. أنتِ سوف تنامين هنا مع "فيكي"، أليس كذلك؟ إذًا فعليكما التعامل مع الأمر بنفسيكما.

– هل أنتِ غاضبة بسبب هذه المدفأة الكهربائية؟ إنها ببضع مئات من الكرونات فقط. سأشتري واحدة جديدة.

– إنها جديدة، لقد اشتراها والدك في الربيع. يُمكن إصلاحها.

– آها. إذًا لا يجب شراء واحدة جديدة؟

– هذا إهدار للمال. سيجري إصلاحها.

غادرت جدتي الغرفة، فنظرت أمي نظرة تدلُّ على أنها لم تفهم ما الذي تتحدث عنه الجدة، وأنا كذلك لم أفهم.

قالت:

– إذًا سوف نجري بالتدفئة بأنفسنا.

وأضافت:

– في المرة القادمة سأحضر واحدة جديدة.

وانصرفت. ثم قالت وهي في الردهة:

– تعالَ لتساعدني على حمل الخشب.

كنتُ أسمعها وهي ترتدي ملابسها.

أخذتُ أنظر إلى الغرفة المليئة بأشيائي المكدسة في الصناديق والحقائب، وإلى الكمبيوتر المفكك، الذي يبدو كحيوان جريح. يداي باردتان، ولا أريد أن أذهب لحمل هذا الخشب اللعين، والأهم من ذلك كله أنني لا أريد أن تُغادر أمي وتتركني، والأهم من هذا كله أيضًا هو أني لا أريد البقاء هنا ولو ليوم واحد.

ومن سيتولَّى أمر التدفئة ليلًا عندما تغادر الأم؟ ومن سيُركِّب الكمبيوتر؟

كان أول نجاح لـ"هانا" عندما أدت دور البطولة في المسرح البديل على مسرح "نولا يدنا". وقفت على المسرح بمفردها لمدة ساعتين، وفي أثناء الاستراحة لم تستطع التحدث بسبب ما شعرت به من ألم في حلقها، فقد صرخت كثيرًا، ولم يكن هناك بديل عن ذلك. فكرت لبعض الوقت في دعوة والديها لحضور العرض الأول، ولكن بعد ذلك أخبرها شخص أن عليها ألَّا ترتكب هذه الحماقة، فعلى المسرح، سيسيل الدم الاصطناعي، وستستمني هي بين الحيوانات المحنطة. بالطبع كانت "هانا" تعرف كم يبدو هذا الأمر فظيعًا، أو يبدو جنونيًّا للغاية! ولكن فقط من خلال التجربة، فقط كونه مشاهدًا يمكنك فهم ما يمكن كتابته عن هذا ليكون الدور حقيقيًّا ومكثفًا مثل دور "ناكو"، تلك المرأة التي لا تموت آلامها ومعاناتها على مر العصور.

كانت "هانا" حينها تقيم علاقة جنسية مع المخرج "ديفيد"، الذي يرتدي نظارة مصنوعة من البلاستيك المقوى، ويبلغ طوله مترين تقريبًا، ففي هذه المرة عرفت أنه هو الحب الحقيقي؛ فهما متفاهمان تمامًا، ويقضيان الكثير من الوقت في الحديث عن المسرحية، ليس فقط عن المسرحية، بل عن كل شيء. قبل العرض الأول لهذه المسرحية تركت "فيكتور" عند والديها، وكانت تذهب إليه مرة كل أربعة أيام، أو خمسة على الأكثر، تذهب "هانا" إلى هناك عندما تتمكن من التملص بصعوبة من البروفات ومن "ديفيد". وفي كل مرة تذهب فيها إلى هناك يبدو لها "فيكتور" طفلًا مختلفًا، وأنه يكبر خلال تلك الأيام القليلة، ثم لاحظت "هانا" أن أمها تُمشط له شعره بطريقةٍ مختلفة عنها، وكلما كانت "هانا" تُغادر، كانت أمها تُعيد تمشيط شعره؛ ولهذا السبب كان يبدو مختلفًا.

كانت تغادر في المساء عندما يكون "فيكتور" نائمًا، ولا تفكر في رد فعله عندما يتأكد في الصباح أنها ليست موجودة ويبكي، على الرغم من أن أمها كانت تخبرها أنه تباكى قليلًا، إلا أنه لا يزال بخير. حينها زارتهم "هانا" قبل البروفة

الرئيسة بثلاث ساعات فقط، لم تستطع خلالها التركيز مع والديها ولا في الحديث معهما، ولا مع "فيكتور"، كانت بحاجة إلى أن تكون بمفردها أو مع "ديفيد"، فقد كان هذا أول دور كبير لها في هذا المسرح، وهم الآن يتمتعون بسمعة طيبة، فكل مسرحية لهم هي حدث يكتب عنه الجميع، وتنفد كل تذاكر العرض الأول.

في ذلك اليوم استيقظ "فيكتور" عندما حاولت أن تنهض بهدوء في الغرفة المظلمة، وبدأ يبكي بشدة، فاضطرت إلى الاستلقاء بجانبه مرة أخرى، فظل قابضًا على يدها بقوة، حتى خلدت "هانا" للنوم.

استيقظت في الليل فزعة، في الثالثة إلا الربع، غاضبة من أمها بشدة، لأنها تركتها نائمة، نزلت إلى غرفة الطعام في الطابق السفلي فوجدت رسالة على الطاولة مكتوبًا فيها: "لم أستطع إيقاظك"، وكذلك وجبة خفيفة لتأكلها في الطريق، أخرج لها والدها السيارة خارج المنزل، حتى لا تضطر إلى فتح بوابة الحديقة. قادت السيارة، هناك قطيع من الغزلان يرعى على حافة المرج في الجهة المقابلة لحديقتهم، عيونها تتلألأ باللون الأخضر مع انعكاس ضوء مصابيح السيارة عليها.

لم تنم حتى الصباح، عانت قبل العرض الأول صداعًا رهيبًا، بينما ظل "ديفيد" يشرب الخمر من التوتر، وهي أيضًا، الكثير من الناس ينتظرون، كانت تشعر برغبة في التقيؤ.

لكنها نجحت في ذلك، وليس هذا فحسب، بل كانت رائعة، كان عليها أن تدعو والديها، فقد كانا سيتفهمان ذلك، وسيريان قدراتها، أتبعوا العرض الأول بحفلة، شعرت خلالها "هانا" كأنها ملكة. في اليوم التالي استيقظت في السابعة مساءً، وسافرت إلى "ريبنا"، على الرغم من أنه لم يكن ينبغي لها أن تقود السيارة؛ لأنها كانت تحت تأثير الخمر.

صدر تقرير صحفي رائع عن المسرحية، صورتها تشغل أكثر من نصف صفحة، أخذته معها إلى والديها، كلاهما قرأه، وقال أبوها:

- بارعة.

وقالت أمها:

- هل حقًّا لطختِ نفسك بالدم؟ أنا لا أفهم ذلك.

بينما كانت "هانا" تعبث بشعر "فيكتور"، ثم غادرا في اليوم نفسه.



أعدت جدتي العشاء. في أثناء العشاء كانت كل منهما تحاول أن تجعلني أشعر أنني في وضع جيد، بعض شرائح اللحم المتبقية من الغداء، وبعض من كعكة الشوكولاتة، كانتا تتحدثان مع بعضهما بعضًا كما لو أن شيئًا لم يحدث، كما لو أننا جئنا في زيارة، وأن كل شيء طبيعي، رغم أنني لا أملك جهاز كمبيوتر، والإنترنت لا يعمل تقريبًا على الهاتف المحمول، ولا يصل "الواي فاي" إلى الطابق الأعلى، فكيف يُمكنني أن أظل هنا؟

بدأتُ بالحديث عن ذلك، لأن هذا أكثر أهمية من الحديث عن أن السماء ستمطر طوال اليوم غدًا، وهل كان لديَّ حذاء مناسب، وهل كنتُ قد ذاكرت دروسي ليوم الإثنين، وماذا سأفعل في فصلي الجديد، وهل جدتي هي من ستأخذني بالسيارة إلى المدرسة، أم ستُقلُّني حافلة.

- سأخبر "يرجي"، وهو سيُركِّبه لك.

- أي "يرجي" هذا يا أمي؟

- "يرجي سيدل"، إنه يأتي إلى هنا كثيرًا، فزوجته لديها طفل صغير، لذا فهو يأتي إلى هنا حتى في وسط الأسبوع، فالهواء هنا أفضل من براج، وهو يأتي إلى هنا لرؤيتهما كل يوم تقريبًا، وهو يُجيد التعامُل مع أجهزة الكمبيوتر.

- نعم "يرجي".

- هل ستطلبين منه هذا غدًا؟ حتى يكون جاهزًا قبل أن يغادر الجميع؟

قالت جدتي:

- سنحاول ذلك، إذا كان لديه وقت.

ظلت كلتاهما صامتة لبعض الوقت، ثم أومأت أمي برأسها قائلة:

- حسنًا، غدًا سأذهب إليه.

- حسنًا، وأيضًا ليصل "الواي فاي" إلى الطابق العلوي، هل يمكنك حل هذه المشكلة يا جدتي؟

- لكن يا "فيكي"، إنه يعمل هنا في الغرفة الكبيرة، ألا يكفيك هذا؟ يمكنك أن تضع الكمبيوتر هنا، أليس كذلك؟

- نعم.

بالطبع لن أضع جهاز الكمبيوتر هنا، حيث تكون جدتي موجودة طوال الوقت.

- لكن الجو سيكون باردًا في تلك الغرفة، ولن تتمكن من البقاء هناك طوال اليوم، أليس كذلك؟

- لن أستطيع البقاء في غرفتي؟!

- أنت تعلم أنك تستطيع أن تبقى هناك، ولكن لا بد من تدفئتها، على الأقل باستخدام المدفأة الكهربائية، لكنها كذلك لن تكون قادرة على تدفئة الغرفة بحيث يكون جوها مقبولًا في الشتاء. سترى أنك سوف تشعر بالبرد هناك.

- لن أشعر بالبرد. وأريد أن يكون بها "واي فاي".

ثم قالت أمي فقط لكي أتوقف عن هذا الإزعاج:

- حسنًا، إن جدتك ستتصل بشخصٍ يوم الإثنين، اتفقنا؟

وعندما أردتُ الانصراف، وضعتُ الطبق الذي كان به شريحة لحم لم آكلها في الحوض. فقالت جدتي:

- "فيكي"، ضعه في غسالة الأطباق، تستطيع هذا، أليس كذلك؟

- بلى، بالتأكيد.

ألقيتُ قطعة اللحم المتبقية في سلة القمامة.

فقالت جدتي:

- لماذا ألقيتَها في سلة القمامة؟ فيمكنني أنا آكلها لاحقًا.

رأيتُ كيف أن أمي نظرت إليَّ نظرة معينة لكيلا أفعل شيئًا، فابتسمت لها ابتسامة تدل على أني أفهم ذلك، ولكني ابتسمت أيضًا لكي أحاول أن أبدو لطيفًا.

في أثناء الاستحمام كان الحمام باردًا، لديَّ فرشاة أسنان جديدة، ارتدت جدتي ثوب النوم، هل تذهب للنوم في هذا الوقت المبكر؟

استلقيتُ على السرير، كان اللحاف باردًا، ورائحته مختلفة عما اعتدته، والريح تهب في الخارج. جاءت أمي لتقول لي:

- تصبح علي خير.

وضعت الخشب في المدفأة، بدأت تصدر صوت طنين، ثم قالت أمي:

- هل تُحب أن أبقى هنا معك؟

أردتُ أن أقول لها إني لست صغيرًا، ولكن بعد ذلك فكرتُ أنه من الأفضل أن ترى أمي أنني لا أريد أن أبقى هنا من دونها، وستكون أكثر حزنًا إذا تظاهرت بأنني طفل صغير، لذلك قُلتُ:

- نعم، أريدك أن تبقي هنا.

ثم أمسكتُ بيدها، على الرغم من أنني لا أنام بهذه الطريقة أبدًا.

مالت أمي ناحيتي وقبَّلتني، كانت رائحة أمي جميلة كما اعتدتُها. أعتقد أنها تبكي. هذا شيء جيد.

نمتُ رغم أنها تمسك بيدي.

استيقظتُ في الليل، كان الموقد يُصدر ضجيجًا، وظلال ألسنة اللهب تتراقص على الحائط فوق الموقد. ما عدا ذلك فالغرفة مظلمة تمامًا.



قفازات بلا أطراف

استيقظت "هانا" في نحو الساعة السابعة والنصف صباحًا، فقد نامت نومًا سيئًا، واستيقظت خلال الليل مائة مرة مع شعور غامض بالفزع، وكانت تسمع أنفاس "فيكي". أجبرت نفسها على النهوض ثلاث مرات لإضافة الخشب إلى الموقد. الآن الموقد قد أُطفئ منذ وقت طويلة والغرفة باردة، وأنف "هانا" بارد تمامًا، بينما تبرز ساق "فيكتور" العارية من تحت اللحاف. غطته، وأخذت تنظر إليه وهو نائم، إنه ألطف وأجمل طفل في العالم، لكنها لم تنظر إليه طويلًا، لأنها بعد قليل ستشعر بالملل. كانت قد أحضرت معها حقيبة من منزلها بها أغراضها الرياضية، وستذهب للجري، لأنها مضطرة وترغب في ذلك. ولو لم تذهب رغم أنها أحضرت الحقيبة معها، فستكون حالتها أكثر سوءًا، ومن المؤكد أن أمها ستخبز بعض الكعك أو بعض الحلوى الأخرى، والآن عليها أن تأخذ حذرها من تناول الحلوى، لذلك فهي ستذهب للجري، لكي تستحق تناول الكعكة. قالت لنفسها: "إن هذا اليوم سيكون سيئًا على أية حال، فهيا يا "هانا"، افعلي شيئًا صحيحًا".

غيَّرت ملابسها في هذا البرد الشديد بالطابق العلوي، وفي الطابق السفلي التقت أمَّها.

- متى ستغادرين؟

- بعد الغداء، ففي المساء لديَّ بروفة.

- ألم تستطيعي إلغاءها؟ لقد اعتقدتُ أنك ستذهبين معنا غدًا إلى المدرسة.

- لقد قُلتِ بنفسك يا أمي إنكِ لا تريدين ذلك.

- لا، أنا لم أقل ذلك، فلماذا أقول ذلك؟

- لا أعرف لماذا قلتِ ذلك، كنت أرغب في الذهاب إلى هناك، لكن الآن لديَّ بروفة، ولا أستطيع إلغاءها للجميع مرة أخرى.

هزَّت أمُّها رأسها ردًّا عليها، ركضت "هانا" إلى أعلى التل نحو الغابة بينما تسيطر عليها حالة من الاستياء، إنها تعرف لماذا قالت أمها ذلك، لكي يكون "فيكي" لها هي فقط، لتكون هي له الأم الصحيحة، وهو ما لم تفعله "هانا"، إنها تريد أن تظهر في تلك المدرسة كأنها أفضل جدةٍ في هذا العالم وتقول: "هذا الحفيد مشاكس بعض الشيء، لكنه الآن يعيش معي ويمكنني التعامل معه بطريقةٍ أفضل من والدته نفسها"، وتتغامز مع الجدات الأخريات. بينما "هانا" لا تستطيع أن تتفوه بكلمة واحدة، فهي من أرادت ذلك، وهي من سمحت بذلك. مرة أخرى شعرت بالحزن، عليها أن تتوقف، فهي لا تستطيع التنفس، بسبب الركض، وتريد البكاء، بسبب نفسها. لماذا بحق الجحيم لا تستطيع أمها العيش في براج لمساعدتها على تربية "فيكي"؟ لماذا بحق الجحيم لم تقابل في حياتها رجلًا طبيعيًّا؟ لماذا كل شيء معها معقد للغاية؟ لماذا "فيكي" صعب للغاية؟ هل هذا بسببها هي أيضًا؟ بدأت تبكي.

بدأت بالركض ببطء مرة أخرى، ثم نظرت إلى هاتفها المحمول، فقد دفعت في هذا الهاتف الجديد أربعة عشر ألف كرونة. حتى الآن ركضت أقل من كيلومتر واحد، بمتوسط سرعة ثماني دقائق لكل كيلومتر.

بعد ثلاثة كيلومترات استدارت، فهذا يكفي، وركضت في طريق العودة إلى المنزل، لقد بالغت في ذلك. توقفت ثم بدأت بالركض من جديد، وحاولت اختصار المسافات التي يمكنها ركضها. كانت معتادة أن تزيد من سرعتها في أثناء العودة إلى القرية، فهي لا تريد أن يراها أحد بهذه الحالة، حتى لو لم تهتم، الآن سيقول الناس عنها أشياء أسوأ من كونها تتصبب عرقًا ووجهها أحمر، استمرت في الركض. خرجت عائلة من أحد المنازل، رجل يحمل طفلًا بين ذراعيه وزوجته تسير خلفه، يضحكون على شيء ما، إعلان عن السعادة، يفتحون السيارة بالريموت كنترول، وفجأة تدرك "هانا" أن هذا هو منزل

عائلة "سيدل"، فتذكرت جهاز الكمبيوتر الخاص بـ"فيكي"، فخطر ببالها على الفور أن هذا الرجل الموجود هنا لا بد أن يكون "يرجي"، لكن هذا غير ممكن، فكيف تحول في السنوات القليلة التي لم ترَه فيها إلى هذا الرجل؟ ففي ذلك الوقت كان فتًى سمينًا ومترهلًا. أبطأت "هانا" من سرعتها دون أن تدرك ذلك، وحدقت إليهم، مما جعل "يرجي" يرفع يده مُحيِّيًا، وقال:

- مرحبًا يا "هانا".

صاحت بدورها:

- مرحبًا.

وتابعت ركضها مرة أخرى، فهي لن تتجاذب معهم أطراف الحديث وهي في هذه الحالة.

وقبل أن تصل إلى المنزل، مرت بها سيارة عائلة "سيدل"، وخُيل إلى "هانا" أن "يرجي" وزوجته، التي بالقطع لا تعرفها، يلوحان إليها.

"إيفا" لم تخبز شيئًا.

- أنا لا أخبز يوم الأحد، فهو اليوم الوحيد الذي لا أخبز فيه. تناولوا على الإفطار خبز أمس، ومربى البرتقال.

🏠🏠🏠

بعد الإفطار خرجتُ بهاتفي المحمول، رغم أن السماء تُمطر. فسألتني أمي:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- لا أعرف.

وأنا حقًّا لا أعرف.

- هل تريدني أن أذهب معك؟ ربما يمكننا أن نذهب لتفقد المكان.

- لا.

قالت جدتي:

- لا تبقَ بالخارج طويلًا حتى لا تُصاب بالبرد.

ذهبت. كانت السماء تمطر على هاتفي، وكان عليَّ أن أضع يدي فوقه باستمرار.

في كل هذه القرية لا يوجد سوى مكانين لألعاب الفيديو للأطفال وصالة ألعاب رياضية واحدة، التي سأذهب إليها على الفور. صارت الإشارة أفضل فقط عندما صعدتُ فوق التل المطل على "ريبنا". حاولت تشغيل فيديو، لكن الإشارة لم تكن جيدة بدرجة كافية. ركلتُ مجموعة من العشب، وتابعت ركلها حتى ابتلَّ حذائي.

المطر يتساقط، والرياح تهب، ولا يوجد أحد في أي مكان.

أنا أكره هذا المكان، أكره أمي وجدتي.

عندما عدتُ إلى المنزل، لم أستطع أن أجبر نفسي على التحدث معهما على الإطلاق، أو محاولة فِعل أي شيء، على الرغم من أنه من الواضح أنني لو كنت لطيفًا معهما، لكان الأمر أفضل، لكني لا أستطيع التحدث، إن معدتي تؤلمني، ولا أشعر بالجوع.

قالت أمي:

- إذًا لا تأكل، كُلْ في وقت لاحق.

قالت جدتي:

- لن تكون هناك أي حلوى إذا لم تأكل هذا.

وأشارت إلى فخذ دجاجة تسبح في الدهن.

- هذا ليس دهنًا، إنها عصارة ممتازة يا "فيكي"، أنت لست طفلًا في الخامسة، أليس كذلك؟

قلتُ لها:

- سآكلها على العشاء.

أنا أقول هذا دائمًا، على الرغم من أنني ربما لن آكلها أبدًا، لكن من الجيد تأجيل هذا.

- هل ستذهبان إلى هذا الرجل الذي سيُركِّب الكمبيوتر لي؟

قالت أمي:

- لقد رأيتُه يغادر.

- صباح الأحد؟ إنه شيء غريب أن يعودوا إلى براج هكذا في وقت مبكر.

- في هذا الطقس؟ لا يبدو لي الأمر غريبًا.

أعلم أنني لن أستطيع العيش لمدة أسبوع دون كمبيوتر، أسمعهما وهما لا تزالان تتحدثان، لكني لم أعد أنصت إليهما، فجأة وجدتني لا أستطيع التنفس، بدأت بالتنفس بعمق، يجب أن أنهض وأخرج، أشعر أني سأتقيأ.

- انتظر يا "فيكي"، ما الأمر؟

ركضت إلى الخارج أمام الباب، ورغم أن السماء لا تزال تمطر، فإنني وقفتُ تحت المطر، منتظرًا أن أتقيأ وأتنفس.

ركضت كلتاهما ورائي، أرادت أمي أن تضع يدها عليَّ، فابتعدت عنها، لا أريدها أن تلمسني، أريد جهاز الكمبيوتر الخاص بي. صرخت فيها قائلًا:

- اتركيني.

قالت جدتي:

- اهدأ، لا يمكنك التحدث مع أمك بهذه الطريقة.

فصرختُ فيها أيضًا:

- اتركاني وشأني، اذهبا بعيدًا.

فقالت جدتي:

- اهدأ يا "فيكي".

صرختُ فيها أكثر. أمسكتني أمي وقبضت عليَّ، ورغم مقاومتي لها، فقد شعرتُ بالتحسن والهدوء.

قالت أمي:

- هيا، دعنا نذهب إلى الداخل.

لكن بعد ذلك قالت جدتي مرة أخرى:

- "فيكي"، لماذا تتصرف بهذه الطريقة؟

فصرخت فيها قائلًا:

- لأنه لا يوجد إنترنت هنا، ولأنني أكره هذا المكان.

وركضتُ إلى غرفتي، إلى الغرفة البديلة، وأغلقتُ الباب على نفسي هناك، واختبأت تحت اللحاف حتى لا أسمعهما وهما تقفان أمام باب الغرفة، وتطلبان مني أن أفتح الباب، وبعض الأشياء الأخرى، لكني لن أنهض حتى يأتي هذا الرجل ويُركِّب الكمبيوتر.

صاحت جدتي من وراء الباب:

- شغِّل الموقد لتدفئة الغرفة.

- لا يا "فيكي"، لا يمكنك هذا، لا تفعل أي شيء. أمي، اللعنة، إنه لا يعرف ذلك، سيحرق نفسه!

- إن "كايا" من أسرة الصياد يستطيع تشغيل الموقد، وهو في الثامنة من عمره.

قالت أمي ناصحة:

- لا يا "فيكي"، لا تُشعل الموقد.

سأنتظر حتى تغادرا وسأحاول، فإذا كان طفل غبي في الثامنة من عمره يفعل ذلك، فمن المحتمل ألَّا يكون الأمر بهذه الصعوبة.



قالت "إيفا":

- كل هذه المشكلات بسبب الكمبيوتر.

نظرت إليها "هانا" بغضب، كما لو كانت هي المسؤولة عن ذلك، مسؤولة عن سلوكه البشع هذا، لقد قالتا له إنهما ستجدان حلًّا لهذه المشكلة، إن "فيكتور" فقط يُمثل لأن الأمر ليس كما يريد، لقد كان دائمًا كذلك، ولا تزال

"هانا" تفعل له ما يُريده، إنه تقريبًا في العاشرة، وربما يستطيع -ببساطة- أن يفهم أنه لا يوجد أحد هنا يُمكن أن يُشغِّل جهاز الكمبيوتر الخاص به، وربما بإمكانه أن يجد طريقة لقضاء وقت جيد دون جهاز كمبيوتر.

- أمي، أليس لديك رقم "يرجي"؟ إذًا اتصلي به.

- لقد سافر، وأنتِ قلتِ ذلك بنفسك.

- ربما سيعود، لقد قلتِ أنتِ ذلك.

فقالت "إيفا" أخيرًا بصوت عال:

- أرى أنه لا داعي إلى ذلك، فليس في مصلحته أن يجلس أمام الكمبيوتر طوال الوقت، لذا يُمكن لـ"يرجي" أن يفعل ذلك في نهاية الأسبوع المقبل، إن "فيكي" يُمكنه أن يصبر.

نظرت إليها "هانكا" كأنها منفصلة عن هذا العالم، بينما رفعت "إيفا" كتفيها فحسب.

- هل يمكن أن تعطيني الرقم؟

ذهبت "إيفا" وأحضرت هاتفها، وأملتها الرقم.

- لكن لا تزعجيه على الأقل الآن في وقت الغداء، من فضلك.

هزت "هانكا" رأسها، كما لو أن "إيفا"، لا تفهم شيئًا.

قالت "إيفا" في نفسها: "حسنًا، أعتقد أنني لا أفهم ما تقصده "هانكا" بأن هذا سيساعده في ذلك". فهي تتذكر كيف أن "فيكي" كان دائمًا يُمثل عندما لا تسير الأمور كما يريد، وكيف كان يغضب، ويستلقي على الأرض، ويصرخ حتى يتحول لونه إلى اللون الأرجواني تقريبًا، والآن أصبح الأمر أكثر سوءًا مع هذه النوبات التي تُصيبه، إن والدته ممثلة، لذلك من المحتمل أنه التقط الكثير منها عن ذلك أيضًا، و"هانكا" دائمًا ما تستجيب لكل رغباته.

قالت "هانا" وكأنها تقرأ أفكارها:

- أريد أن يكون "فيكي" سعيدًا.

- وأنا أيضًا. وبصرف النظر عن ذلك، فأنا أريده أن يكون شخصًا محترمًا عندما يكبر.

- وما علاقة هذا بكونه وحيدًا في مكان جديد ويريد أن يكون معه جهاز الكمبيوتر الخاص به؟

- كيف يكون وحيدًا؟ وعن أي مكان جديد تتحدثين؟ عليه فقط أن يعتاد الأمر هنا مرة أخرى.

- عندما تكون معه الأشياء التي يحبها، فهذا سيساعده على أن يعتاد المكان هنا. يا أمي، اللعنة، أحقًّا لا تفهمين كيف يبدو هذا الأمر؟

- نعم، لا بد أن العيش معي أمر فظيع.

كان على "هانا" فقط أن تهز رأسها حيال جدال والدتها، فلماذا تفعل هذا بها؟ لماذا يكون عليها أن تغادر منزل والدتها، وهي تشعر أن فكرتها هذه كانت فكرة في غاية السوء؟ هي نفسها تشعر أنها في حالة سيئة، لماذا يتعين عليها أن تظل تُفكر في كيفية تعامل أمها مع "فيكي"، وكيف أنها ستحاصره؟ "اللعنة، لقد كانت تتعامل من قبل عندما كنا نأتي إلى هنا بلطف شديد، وكان "فيكي" يُحبها".

اتصلت بـ"يرجي سيدل"، رد على الهاتف بعد الرنة الثانية. وقبل أن تُفكر "هانا" أن تعامله بلطف وإقناع، وتُمثِّل عليه دور امرأة في محنة، قال "سيدل":

- لا توجد مشكلة، سأركِّبه، أتريدين ذلك الآن؟

ابتسمت "هانا" لوالدتها ابتسامة المنتصر وقالت:

- أترين؟ لا توجد مشكلة.

قالت أمها:

- لقد تزوج "يرجي" بفتاة لطيفة جدًّا، فهي دائمًا تحييني كلما مرت بالقرب مني، وطفلتهما الصغيرة جميلة جدًّا، لقد بدأت الآن بالمشي وهي دائمة الضحك.

لقد استنفدتُ كل أعواد الثقاب والكثير من الورق، لكن النار كانت تنطفئ في كل مرة. اتضح أن الأمر مسلٍّ على أي حال، شعرتُ بأسف لأنه ليس لديَّ المزيد من أعواد الثقاب، لأنه مرة أخرى لم يعد لديَّ ما أفعله هنا، لذلك سألعب لعبة على الهاتف المحمول تحت اللحاف.

- "فيكي"، افتح الباب، إن يرجي" هنا.

فتحتُ الباب، فشمَّت أمي الرائحة.

- إذًا لم تترك الموقد وشأنه؟

نظرتُ إليها لأرى أكانت غاضبة حقًّا، لكني لا أعتقد ذلك. نظرتُ إلى الرجل، الذي قال لي:

- هل كنت تُريد تدفئة الغرفة؟

هززتُ رأسي وأريته الكمبيوتر.

كشرت أمي في وجهي، وأشارت إليَّ بهدوء أن أشكر الرجل.

- شكرًا.

فقال لي:

- لا شكر على واجب.

وابتسم لي كأننا صديقان، ثم خرجت لأن أمي بدأت تتحدث معه عن أحواله وكل هذه الأشياء غير المثيرة للاهتمام.

🏘️

بينما كان "يرجي" يضبط إعدادات الكمبيوتر، رتَّبت "هانا" الأسرَّة، ثم جلست على حافة الطاولة، وأخذت تشاهده وهو يعمل، فربما من الغباء أن تنصرف وتتركه وحده، فقد أتى على الفور. جلست تبتسم له، وأبدت اهتمامها بحياته. فما تعرفه عنه هو أنه كان زميلها في المدرسة من الفصل المجاور، الذي لم تربطها به أي صداقة قط، لأنه كان سمينًا ويرتدي نظارة، ويعاني الربو،

ولا يستطيع الجري، كان دائمًا يعود إلى المنزل بعد المدرسة مباشرة، وجعل هذا الآخرين يصرخون فيه، وينعتونه بالخنزير، وكان هذا يُثير ضحكها.

والآن يتحدث معها كما لو أنهما لم يلتقيا من قبل، بلطف ولكن بطريقة مهذبة، أخبرها كيف ساعد أمها هنا، وما الذي يجب على أمها أن تفعله من أجل زيادة سرعة الإنترنت، وعرض عليها المساعدة في ذلك، وأن بوسعها أن تتصل به في أي وقت، ما داما الآن بمفردهما مع والدتها. ثم تحدث عن أن لديهما طفلة صغيرة، وكيف يستمتع بقضاء وقته معها، وأنهما إذا أنجبا طفلًا ثانيًا، فمن المحتمل أن يبقى معه في المنزل، ويقوم على رعايته بدلًا من زوجته التي تريد أن تبدأ مشروعًا تجاريًّا. بدا كأنه من عالم آخر، فهو يقول كل شيء على هذا النحو باقتناع. تذكرت "هانا" فجأة أنه كان يُحبها، فذات مرة كتب إليها خطابًا، أو شيئًا من هذا القبيل، وأخذ ينظر إليها مستجديًا، لكنها تجاهلته، وهي الآن لا تتذكر ذلك على الإطلاق. ظلت تحدق إليه لبعض الوقت، مستحيل، كيف يمكن أن تنسى ذلك؟

- "هانكا"، ما الأمر؟

انتبهت، وقالت:

- لا شيء، أنا بخير.

شغَّل "يرجي" الكمبيوتر. إنه يعمل.

- ألا تريد بعض القهوة؟

- لا، شكرًا، يجب أن أعود إلى المنزل، إنهما ينتظرانني.

صافحها وهو يغادر، فشمت "هانا" رائحته الجميلة.

- سعيد برؤيتك مرة أخرى بعد كل هذه السنوات.

- وأنا أيضًا.

- حسنًا، ربما الآن سنرى بعضنا بعضًا أكثر من ذي قبل، تعالي لزيارتنا، لأعرفك إلى "ليدا".

رافقته "هانا" إلى الباب، وضع غطاء الرأس المتصل بالسترة على رأسه، وابتعد دون أن يلتفت خلفه، ذهب إلى عائلته المثالية. نادت "فيكي" الذي عانقها قائلًا:

- أنتِ أفضل أمٍّ في العالم.

ثم جلس إلى الكمبيوتر، ولم يعد يشعر بها.

- تقريبًا لا بد أن أُغادِر الآن.

لم يرد.

قالت أمها:

- إن "يرجي" شخص بارع، أليس كذلك؟

- بلى، لقد قال إنه مستعد لمساعدتنا في أي شيء بما أننا نحن الاثنتان بمفردنا هنا.

- نعم، أرأيتِ كم هو شخص طيب؟

فقالت "هانا" لأمها:

- خسارة أنه ليس لديك ابن طيب مثله ليساعدك هنا.

قالت "هانا" ذلك فقط لتستفز أمها، وكإشارة إلى أنها لا بد أن تُغادر في أسرع وقت قبل أن تتشاجرا، وتصبح الأمور أكثر سوءًا.

- "فيكي"، يجب أن أذهب الآن.

مرة أخرى لم يرد.

- تعالَ لتودع أمك، ثم نشعل الموقد، وبعدها يُمكنك أن تلعب حتى موعد العشاء.



كنتُ أسمع أمي جيدًا، أنا فقط لا أريد النهوض من أمام الكمبيوتر؛ لأنني سأبكي بالتأكيد، ولا أريد البكاء أمام الناس، أي لا أريد البكاء أمام جدتي، لكن لا بد أن أبكي أمام أمي لترى أني في حالة سيئة، ولكن حتى لو لم أكن مضطرًّا إلى البكاء، فسأبكي. بكيتُ. وأمي أيضًا.

قالت:

– سأتصل بك في المساء، وسآتي إلى هنا مساء الأربعاء، فليس لديَّ بروفة في المسرح، وغدًا بعد المدرسة يُمكن أن نتحدث عبر "سكايب"، سوف نتحدث معًا باستمرار.

فقلت لها:

– نعم.

لكني أعرف أني لن أفعل هذا متعمدًا لكي تُعاني، فأنا أريدها أن تعاني.

وقفت أنا وجدتي تحت المطر، وأخذنا نلوح خلف السيارة، ورأيتُ أمي وهي تلوح أيضًا من السيارة. عندما اختفت عند المنعطف، نظرتُ إلى جدتي، ونظرت هي إليَّ أيضًا، فقلتُ:

– إني سأذهب إلى الكمبيوتر.

فقالت:

– حسنًا، ولكن علينا أولًا أن نُدفِّئ الغرفة.

وسألتني:

– هل ستساعدني في وضع الخشب؟

سأساعدها على مضض.

أخذتُ ألعبُ على الكمبيوتر، وأرسل رسائل نصية للأولاد، ولكن فقط عن اللعبة، لم يسألوني عن أي شيء، وأنا لم أخبرهم بشيء، لأننا لا نقول قط أيَّ شيء غير مهم.

تناولنا النقانق على العشاء، ولم أُضطرَّ إلى تناول فخذ الدجاجة المتبقي من الغداء، أعتقد أن جدتي ستطبخ لي فقط الطعام الذي أحبه حتى أكون في حالة مزاجية جيدة هنا. لا أستوعب أنها لا تفهم أن الأمر لا علاقة له بالطعام، وأنه حتى أفضل بيتزا في العالم لن تساعدني في ذلك. أشعر كأني في مخيم في مكان ما، حيث أنا هناك وحدي تمامًا، لكنها -جدتي- تطبخ جيدًا.

اتصلتْ أمي، بدت غريبة. لم أعرف ماذا أقول لها. لقد لعبتُ على الكمبيوتر، وتناولت العشاء، والآن سأذهب للاستحمام. لم أفكر في الغد، وحتى لم أتحدث أنا وجدتي عن ذلك.

أعطتني جدتي قفازات بلا أصابع حتى لا تبرد يداي في الغرفة، وأتمكن من اللعب على نحوٍ أفضل. لعبت مرتديًا القفازات حتى جاءت وطلبت مني أن أذهب للنوم. فقلتُ لها:

– إنني لن أستطيع النوم، الوقت مبكر جدًّا، وأنا لست معتادًا ذلك.

فسألتني:

– أتُحبُّ أن تظل معي في الغرفة حتى أنام؟

لكنني لا أريد ذلك أكثر.

– أو يمكنك النوم معي في الطابق السفلي.

هززتُ رأسي رافضًا، على الرغم من أنني سأشعر بالخوف وأنا هنا وحدي. أخذتُ هاتفي حتى أتمكن من اللعب لبعض الوقت، وتركتُ المصباح مضاءً. قالت جدتي:

– لا تخف، سأظل مستيقظة لبعض الوقت.

وضعت الخشب في الموقد وانصرفت. بدأ الموقد بالطنين، أطفأت المصباح، كان ظل ألسنة اللهب يتراقص مرة أخرى على الجدار الخلفي. تركت المصباح مطفأً، وأخذتُ أنظر في الظلام. فأنا لا أخاف من أي شيء.

قادت "هانا" السيارة إلى براج طوال الوقت بسرعة مائة وخمسين كيلومترًا في الساعة، كان كل جزء من السيارة يهتز، وظلت قابضة على عجلة القيادة حتى شعرت في براج بأن يديها تؤلمانها. كانت عند كل مخرج من الطريق تمر به، تود النزول إليه والعودة مرة أخرى، لتأخذ "فيكي" وتعود به، عند كل خروج، وعندما لا تفعل شيئًا فإنها تُهدئ نفسها استعدادًا للبروفة، بعد البروفة

خرجت مباشرة، واتصلت بـ"فيكي"، لكنه رفض التحدث معها، أرادت "هانا" أن تبكي مرة أخرى، لكنها تماسكت، وعادت إلى الداخل. عرفت أنها يجب أن تثمل حتى تتخطى اليوم، لقد عادت من قبل إلى الشقة الفارغة ألف مرة عندما كان "فيكي" عند أمها، لكنها لن تذهب إلى هناك اليوم، اتصلت بـ"دانيل"، قال لها إنه في مدينة "أوسترافا"، وسألها: "هل نسيتِ؟".

– نعم، لقد نسيت أنك تُمثل في "أوسترافا" الغبية هذه. لقد أخذتُ ابني للتو إلى بيت أمي؛ لذلك أنا آسفة إذا كنتُ نسيت شيئًا مهمًّا بالنسبة لك.

عندما أغلقت الهاتف، عرفت أنها تصرفت كحيوان غبي، وأنها بهذا تُفسد علاقتها برجل آخر طيب. كتب لها "دانيل": "عليكِ الذهاب للنوم".

لن تعود إلى المنزل، ستشرب كأسًا أخرى، إنها متأكدة أن الأمور ستسير بطريقة ما، عليها أن تتصل بأمها بعد الثامنة صباحًا، لتعرف ماذا حدث في المدرسة، وضبطت الآن بالفعل المنبه على الثامنة صباحًا.

🏠🏠🏠
اهدأ أيها الطائر الصغير

في الصباح جاءت جدتي لتوقظني، في البداية لم أعرف أين أنا، أو من هي. الغرفة هنا مظلمة، والظلام هنا أكثر شدة بكثير مما هو عليه في براج. قالت:

– لقد أعددتُ لك على الطاولة الكاكاو وكعكة الزنجبيل التي خبزتها بنفسي.

عندما قالت ذلك، أدركت أني أشمُّ رائحتها بالفعل.

– أنا لا أحب الكاكاو.

قلتُ هذا حتى يبدو كل شيء واضحًا من البداية.

– لكنك شربته أمس.

أمس سكبته في الحوض عندما كانت جدتي لا تراني، لكنني لن أقول ذلك.

- أنا أُفضِّل الشاي.

عندما ذهبتُ إلى الطاولة، وجدتُ الشاي بالفعل هناك.

- هل تضع في الشاي ثلاث ملاعق سكر؟ هل تعرف أمك ذلك؟

رفعت كتفي، فكيف لي أن أعرف إذا كانت أمي تعرف كمية السكر التي أتناولها؟

- لا تكن أحمق، إن هذا يسبب تسوس الأسنان حقًّا. من الأفضل أن تتناول العسل.

- هو أيضًا يسبب تسوُّس الأسنان.

- لكنه صحي على الأقل.

أخذت الجدة مني السُّكرية، لكني كنتُ قد حلَّيتُه بالفعل، وعلى كل حال لا يزال الشاي ساخنًا جدًّا، وجدتي تستعجلني بالفعل، ستأخذني إلى المدرسة بالسيارة، فلا بد أن تنقل الكعك، على الأقل لن أضطر إلى ركوب الحافلة والتسكع في مكان ما بمفردي دون داعٍ.

ساعدتها على حمل الكعك، وجلستُ في المقعد الأمامي، كانت السيارة باردة. قالت جدتي:

- هل ستجلس في الأمام؟ لا يمكنك ذلك، إنه مقعد الموت، لا، اجلس في الخلف.

جلستُ على المقعد الخلفي بجوار الكعك، على الرغم من أنني -لبعض الوقت- لم أفهم السبب الذي لا يجعلني أجلس في الأمام.

- إن أمي تسمح لي بذلك في المسافات القصيرة.

قالت جدتي:

- ما كان يجب أن تفعل ذلك.

وانتهى الأمر.

سِرنا بالسيارة، نظرتُ إلى الخارج، كانت السماء تُمطر، وفجأة ضغطت جدتي على مكابح السيارة، هناك صبيان يسيران على الطريق. فتحت جدتي النافذة وقالت:

- مرحبًا يا أيها الولدان، تعاليا معنا، نحن ذاهبون إلى المدرسة، سآخذكما معي.

ركب الصبيان السيارة، أحدهما جلس في الأمام والآخر في الخلف بجانبي، وكان عليَّ أن أفسح له. حيَّيَا جدتي، أما أنا فحدقا إلى وجهي فقط. قالت جدتي:

- إنهما "فاندا" و"كايا"، وهذا "فيكتور"، سيذهب معكما إلى المدرسة.

تعمدتُ عدم النظر إليهما.

في الطريق مررنا بمحطة للحافلات حيث يقف بعض الأطفال الآخرين.

فقال الولد الأكبر:

- ألا نستطيع أن نأخذ معنا "مارتينا"؟

فأجابته جدتي:

- أنا آسفة، ليس لها مكان هنا، فمعي الكعك.

رأيت فتاة تقف على محطة الحافلات تلوح له، ويلوح لها.

- "فيكي"، إن "فرانتيشيك" أيضًا في الصف الخامس، وربما تكونان في الفصل نفسه. والأهم أنه يُمكن أن يُريك كل شيء هنا، أليس كذلك يا "فرانتا"؟

قُلتُ:

- كيف يمكنه أن يجلس في الأمام، وأنا لا، إذا كان هذا المقعد هو مقعد الموت؟

لم يقل أحد شيئًا.

وصلنا إلى المدينة، وهناك ضغطت جدتي على مكابح السيارة مرة أخرى وقالت:

- هيا يا أولاد الآن يمكنكما استكمال الطريق مشيًا، يجب أن أوصل الكعك، حسنًا؟

بدآ بالنزول، أردتُ أنا أيضًا أن أنزل من السيارة، لكن جدتي قالت:

- اِبْقَ أنت يا "فيكي"، فيجب أن أصطحبك إلى هناك.

بدوتُ كأنني طفل صغير، واعتقد أيضًا أنهما كانا يضحكان مني.

بقيتُ جالسًا في السيارة، بينما أخذت جدتي الكعك إلى المقهى، على الرغم من أنها سألتني: هل أودُّ أن ألقي نظرة على المقهى من الداخل؟ وأعتقد أنها كانت تريدني أن أدخل.

ثم أخذتي بالسيارة إلى المدرسة. أشعر مرة أخرى أنني لست على ما يرام، على الرغم من أنني ظننت أنه لا شيء يُهم. دخلتْ معي إلى المدرسة، وكنتُ أبدو في حالةٍ بائسة؛ فجدتي تأخذني إلى المدرسة، لكن كان علينا أن نلتقي مديرة المدرسة والمعلمة المسؤولة عن فصلي، كلتاهما كانت امرأة كبيرة السن، تتصرف بلطف مثل أي معلمة؛ ففي اليوم الأول يتصرف الجميع بلُطف وكأننا أصدقاء. وصلنا إلى هنا في وقت مبكر جدًّا، لذلك انتظرنا في مكتب مديرة المدرسة لفترة بدت كأنها دهر، سألوني: "ما المواد التي تحبها؟".

فقلتُ:

- التربية الرياضية، وربما اللغة الإنجليزية.

ثم سألوني: "ما الذي أحبه أيضًا؟".

قلتُ:

- الكمبيوتر وأيضًا براج.

بدت جدتي مستاءة من هذه الإجابة؛ فربما أرادتني أن أقول: "إنني أحب الطبيعة والحيوانات ومساعدة كبار السن"، ولكن هذا ليس صحيحًا. على الرغم من أنني أحب الحيوانات.

ثم ألقت مدرسة الفصل خطابًا طويلًا حول كيفية تجاوزنا هذا الأمر معًا، وأنه على الرغم من أنني واجهت مشكلة، فإنها تأمل أن أكون قد تعلمت الدرس، وتحدثت كذلك عن تغيير البيئة المحيطة، ومعرفة أشخاص جدد، وأنني لم أعد طفلًا صغيرًا، وعن العواقب، والمستقبل. بعد ذلك لم أعد أسمعها تمامًا.

أحب سماع صوت الجرس.

ودعتني جدتي كأني ذاهب لإجراء عملية في القلب، ربما أرادت تقبيلي أيضًا، لكني لم أسمح بذلك.

لحظة رهيبة أخرى، طلبت مني المعلمة أن أقدم نفسي أمام الفصل.

قلتُ:

- اسمي "فيكتور بتاتشيك"[5].

ضحك شخص ما.

- حسنًا، حدِّثنا قليلًا عن نفسك.

- أنا من براج وأمي ممثلة.

- ممثلة؟ وهل نعرفها؟

- ربما، لا أعرف.

- وأين تُمثل؟

- في مسارح مختلفة.

قالت هذه القبيحة:

- تقول إن اسمها "هانا بتاكوفا"؟ حسنًا، سأبحث في هذا الأمر، ما دام سيكون لدينا هنا شخص مشهور.

- أنا لست مشهورًا وأمي ليست هنا.

- لقد انتقلتَ للعيش مع جدتك، أليس كذلك؟ أين تعيش الآن؟

- في قرية "ريبني".

فنادت قائلة:

- "فرانتا"، "مارتينا".

(5) "بتاتشيك" تعني الطائر الصغير، وهي تصغير لكلمة "بتاك" وتعني طائرًا. ويطلق هذا اللفظ أيضًا علي العضو الذكري للرجل.

كانت تُخاطب الصبي الذي أوصلناه معنا في الصباح في السيارة، والفتاة التي لوحت لنا، إنها تجلس في المقعد الثاني ولديها ضفيرتان، تابعت:

- تقريبًا ستركبان الحافلة نفسها مع "فيكتور"، لذا حاولا أن تقدما له العون، فهو جديد، وذلك لكي يشعر بالرضا هنا.

- حسنًا، أتمنى أن تُحب المكان هنا يا "فيكتور".

وأخيرًا أطلقت سراحي، وأجلستني بجوار فتاة سمينة.

همست الفتاة السمينة:

- اسمي "بترا".

إنها تعرف اسمي بالفعل، لذلك لم أقل شيئًا.

لا أعتقد أنني تطلعت قط إلى درس الرياضيات أكثر من اليوم.

ضرب جرس الفسحة، وغادرت المعلمة، فجاءت إليَّ بعض الفتيات وفي مقدمتهنَّ الفتاة السمينة، وسألنني عن أمي. قال أحد الأولاد:

- ربما تُمثل في الأفلام الإباحية ما دام لا يعرفها أحد هنا.

فضحك الجميع.

قلتُ:

- إن والديك هما من يعملان في ذلك.

فتحت هاتفي المحمول، وبدأت ألعب عليه.

قال شخص ما:

- ما هذا؟ معك iPhone 6. إن سعره نحو عشرة آلاف كرونة!

بل يساوي أكثر بكثير.

فقال شخص ما ناصحًا:

- انتبه، غير مسموح لنا بإحضار مثل هذه الأشياء الثمينة إلى المدرسة. أرني إياه.

– أنا ألعب الآن، علاوة على ذلك، فإن الهاتف المحمول لا يُعار إلى الغرباء، بالإضافة إلى أن الذي طلب هذا، هو من قال منذ قليل إن أمي تُمثل في الأفلام الإباحية. لذا لن أعطيه الهاتف.

قال شخص آخر.

– "بتاتشيك"! أيعني هذا أن قضيبك صغير؟

"نعم، هذه أول مرة أسمع فيها ذلك، أيها الغبي"، قلت هذا في نفسي، ولم أنطق به، وركزت في اللعبة، وشعرتُ أني قد تحولت كلي إلى اللون الأحمر.

– انظر، إنه خجول، يبدو حقًّا أن قضيبه صغير.

قلتُ:

– قضيبك أنت الصغير.

لكن صوتي خرج متقطعًا، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الصبي أكبر مني بكثير في الحجم. أطفأتُ هاتفي، وألقيتُه في حقيبتي. يبدو أننا سنتشاجر، لكني لا أجيد الشجار كثيرًا، ولا أعرف أبدًا كيف أبدأ.

قال "فرانتا" ربما ليساعدني:

– دع عنك ذلك.

لكني تجاهلته، واندفعت مصطدمًا بهذا الولد الضخم، الذي طرحني أرضًا في لحظة. جثا فوقي، وبصق على وجهي.

– اِهدأ أيها القضيب.

لكني كنتُ هادئًا. وبعد أن وقف هو، انتهت حفلة الترحيب، وتوقف الآخرون عن ملاحظتي.

مَدَّ إليَّ "فرانتا" يده ليساعدني على الوقوف، لكني لم أمسك بها.

كانت "مارتينا" ذات الضفيرتين تنظر إليَّ، لكني لم أعرف السبب.

هناك شخص ما يتحدث عن "البوكيمون"، أعلم أن لديَّ بالتأكيد "بوكيمونانت" أقوى منهم، ولكني لا أريد التحدث معهم بعد الآن، جهزت أشيائي للحصة التالية، وأخذت فقط أحدق إلى ما حولي.



اتصلت "إيفا" بـ"هانا" ما إن خرجت من المدرسة، فجأة سادت حالة من الصمت؛ "هانا" لم ترد على الهاتف، لم تُفاجأ "إيفا" بذلك، إنها هكذا، لا بد أنها ثملت أمس، وهي نائمة الآن، رغم أنها وعدت بأنها ستتصل على الفور في الصباح. عادت مع "فيكي" إلى السيارة وذهبا إلى المنزل، شعرت الجدة بالرضا حيال ذلك. ستطبخ شيئًا ما للغداء، فهما حتى لم يناقشا بعد موضوع وجبات الغداء في كافتيريا المدرسة، فهي -على أي حال- تعتقد أنه لا ينبغي لـ"فيكي" الذهاب إلى هناك؛ فيمكنها دائمًا أن تطهو له طعامًا، وطعامًا أفضل. لقد أدركت فجأة أنهما لم يتفقا على كيفية عودة "فيكي" إلى المنزل، لذلك تعين عليها الذهاب لإحضاره. من حسن الحظ أنها كتبت جدول حصصه، وصارت تعرف وقت خروجه من المدرسة.

على أي حال، من الأفضل أن تُحضره بنفسها من المدرسة، حتى لا تظل تعاني نسيانها لذلك، فشيء صغير كهذا يمكن أن يحدث لأي شخص. إنها متوترة، وأمس لم تستطع النوم، فجأة بدأت تشعر بالخوف من كونها ستقدر على فعل ذلك؛ فـ"فيكي" يبدو كأنه طفل غريب عنها. في السابق كان ما إن ينزل من السيارة، يركض إليها، ويعانقها ويقول لها:

- أنت أفضل جدة في العالم.

وعندما ينام، يُمسك بيدها، ويقول لـ"هانا" إنه لا يريد أن يبقى معها، ويريد أن يكون مع "إيفا"، التي كانت تكرس وقتها له، وتفعل أي شيء من أجله. أحبَّ أن يأتي إلى هنا، وأحبَّ المكان هنا، وهم أيضًا أحبوه. وعندما تشاجر في ذلك الوقت مع "هانكا"، قالت إنها لن تسمح له بقضاء الكثير من الوقت هناك،

وتوقفت حقًّا عن اصطحابه إليهم، وبدلًا من ذلك وجدت له مربية أطفال في براج، امرأة أجنبية، بدلًا من أن يكون مع عائلته. جعل ذلك "يندرشيخ" يشعر بالحزن الشديد، وكان قلقًا عليه، ومن المؤكد أن ذلك ساهم لاحقًا في إصابته بالمرض.

لو لم تكن "هانكا" عنيدة للغاية، لكانت قد فعلت ما هو أفضل للجميع، كان بإمكانها السماح لـ"فيكي" بالالتحاق برياض الأطفال هنا، وبذلك يكون لديها الوقت لحياتها، التي لا تصلح لطفل صغير، كان كل شيء سيصبح مختلفًا. ولم يكن "فيكي" سيصبح على ما هو الآن، فليس خطؤه أنه أصبح هكذا، بل خطأ "هانكا".



على الرغم من أنه كان بوسع "هانا" أن تنام في منزل "توماش"، فإنها فضَّلت أن تغادر البار ليلًا، وتعود إلى شقتها الفارغة وهي ثملة، وتنام في سرير "فيكتور". لن تقدر على ذلك أبدًا. لم يكن عليها أن تقبل هذا الدور. كان عليها أن تقبل دور ممرضة في المستشفى؛ فحينها ستحصل على المال. مسلسل غبي، لكن من يهتم بذلك، كان عليها العثور على جليسة أطفال لـ"فيكي"، شخص يحترمه، فهو يمر بفترة سيئة، كان عليها أن تمنحه فرصة أخرى، فهو طفل صغير، وهو هناك وحده. ما إن تستيقظ في الصباح، ستسافر إلى هناك، ستؤجل البروفات، أو تسافر إليه كل يوم، ستكون معه، فلا يمكنها أن تتركه هناك وحده.

استيقظت في العاشرة صباحًا، وجدت مكالمة لم يُردَّ عليها من أمها، لقد نامت طويلًا، ومن عادتها أن تضع هاتفها على الوضع الصامت قبل النوم. "يا إلهي! نعم"، لقد أظهرت مرة أخرى لأمها مدى إهمالها، وأنها لا تهتم بأي شيء. ولا حتى بطفلها. إنها تشعر بصداع شديد، سمعتْ صوت المنبه الذي ضبطته على هذا الموعد المهم، بعد ساعة لديها موعد مع المدرب الشخصي، الذي رجّته الأسبوع الماضي لكي يقدمها إلى الآخرين، لا يمكنها إلغاء هذا الموعد، عليها النهوض وتحضير القهوة، لكن عليها أيضًا الاتصال بأمها. تحدثت أمها

بإيجاز، قالت إنها الآن تطهو طعام الغداء، وأن كل شيء على ما يرام، وأن معلمة الفصل لطيفة، و"فيكي" بخير، قالت:

– آسفة، أنا الآن أُعِدُّ العصيدة، وبعد قليل سأذهب لإحضاره. سنتصل بكِ.

أنهت أمها المكالمة، واستلقت "هانا" على السرير مرة أخرى، وأخذت تشمُّ الملاءات.



عندما كنتُ صغيرًا، كان لديَّ جليسة أطفال، وقد علمتني شيئًا عظيمًا؛ علمتني طريقة للسقوط على الأرض دون أن أشعر بألم. في البداية تدربنا على ذلك على المرتبة، ثم على السجادة، وبعد ذلك تمكنت من فعل ذلك بطريقةٍ طبيعية حتى على الأرض الصلبة، على سبيل المثال "الباركيه". إنه أمر ممتع للغاية.

في أحد الأيام مرضت جليستي، وكان عليَّ أن أذهب مع أمي إلى عملها، إلى التليفزيون، حيث تصور شيئًا ما، وكان عليَّ الانتظار في مكان لا أُسبِّب فيه أي إزعاج، لكن لا يمكنني الانتظار لفترة طويلة دون إزعاج لأنني أشعر بالملل؛ لذا في النهاية أجلسوني في الممر، وكانت هنا سيدة ما تأتي لمراقبتي، كان معي هاتف أمي المحمول، أشاهد به بعض الأشياء الغبية. لم يعجبني الجلوس هكذا على هذا المقعد، لذلك بدأتُ باستكشاف المكان، بدأت بهذا الممر، ثم بالناصية، وكنتُ كلما ابتعدتُ قليلًا، أنظر إلى العلامات المميزة على الطريق، لكي أعرف طريق العودة، وعندما عدتُ، وجدتُ هذه السيدة واقفة هناك، وهي في شدة الغضب، وسألتني:

– أين كنت، عليك ألا تذهب إلى أي مكان، وأن تبقى جالسًا هنا.

فجلست. قالت لي:

– عِدني أنك ستظل جالسًا هنا.

فقلتُ لها:

– بالتأكيد.

لكن كلمة "بالتأكيد" هذه تختلف عن "أعدكِ"، أو "أقسم لكِ"، لذلك فهي غير ملزِمة. لذا عندما غادرتْ، ذهبتُ مرة أخرى على الفور. لكنها نظرت ناحيتي، وبدأت تصيح:

- "فيكتور"، توقف.

لكني ركضتُ عبر الممر، وسمعتُ وَقْعَ نعليها وهما تُطقطقان خلفي. وهنا خطرت ببالي فكرة رائعة، سقطت على الأرض، وأغمضتُ عينيَّ، وانتظرتها حتى تصل إليَّ، كانت حقًّا تجري وتناديني. أخذت تقلبُّني، بينما أبقيت عينيَّ مغلقتين، لكني لم أستطع التحمُّل طويلًا، وبدأت بالضحك. لكنها لم تضحك.

قالت:

- يا لك من وغد!

وتركتني مستلقيًا هناك.

بعدها جعلتني أمي أقسم أنني لن أفعل ذلك مرة أخرى، وأنني لن أسقط وأخيف الناس. خلال ذلك تأكدت أني لا أشبك أصابعي[6]، لذا فالقسم مُلزم.

جلستُ مرة أخرى في الممر، وفي فترة بعد الظهر كانت هناك سيدة أخرى تأتي إليَّ، وتُحضر لي المصاصات باستمرار. كنتُ أنظر إلى المصباح الذي كُتبت عليه كلمة "هدوء"، وعندما يُضاء، يكون لزامًا على الجميع التزام الهدوء، فأبدأ أنا بأكل المصاصات. خلال فترة بعد الظهر أكلتُ سبع مصاصات، وذلك رقم قياسي. تقول أمي إنه مسموح لي بفعل ذلك فقط إذا لم أتقيأ، وبالفعل لا أتقيأ.



(6) تشبيك الأصابع في أثناء القسم يعني عدم الالتزام به، وأنه أقسم تحت ضغط.

رقائق البسكويت المحشوة

بعد ذلك لم يحدث أي شيء مثير للاهتمام في المدرسة، فالناس هنا أغبياء، وشديدو الغباء فيما يتعلق باللغة الإنجليزية. سألتني "مارتينا" هل سأذهب لتناول الغداء، ثم تُقلُّني الحافلة في الساعة الثانية؟ فجميعهم تُقلُّهم هذه الحافلة. لن أذهب لتناول الغداء، قالت لي جدتي إن عليها أن تعرف كيف يبدو الأمر أولًا، أنا لا أفهم ذلك، أعتقد أنها لا ترغب في إعطائي المال، لأنني ذات مرة أنفقت نقود الغداء على شيء آخر، وتقريبًا تعلم جدتي ذلك. لقد كانوا يطهون لنا طعامًا مثيرًا للاشمئزاز في مطعم المدرسة، وأردت أن أذهب لتناول شيء أفضل، لذلك فقد اشتريتُ بهذه النقود وجبات غداء من "ماكدونالدز"، لكن النقود لم تكفني طوال شهر، لذلك أُكتُشف أمري. لكن ربما سأذهب بالحافلة، لأن جدتي لم تخبرني بأي شيء في الصباح.

– انتَظِرنا.

– من الذين سأنتظرهم؟

– أنا، و"فرانتا" و"كايا"، نحن دائمًا نركب الحافلة معًا، وكذلك "بوهوش"، لكنك لا تعرفه، فهو ليس معنا هنا.

رفعتُ كتفيَّ قائلًا:

– لكني لا أريد انتظار هؤلاء.

سأخرج وأقف أمام المدرسة، فما زلتُ لا أعرف أين تقع محطة الحافلات، لكني سأجدها، فربما تكون هناك حافلة تغادر قبل هذا الموعد.

عندما خرجتُ من المدرسة، كانت جدتي تقف في انتظاري أمام السيارة، ولوحت لي على الفور.

انهالت عليَّ طوال الطريق بالكثير من الأسئلة:

- كيف كان الناس هناك؟ كيف كانت المعلمة؟ لقد طبختُ لك حساء البطاطس بالفطر، فأنت تُحبها.

- أنا لا آكل الفطر.

- يُمكنك إزالة الفطر.

- أُفضّل تناول خبز الفينو مع اللانشون.

- هذا ليس غداءً، يجب أن تتناول على الغداء طعامًا ساخنًا.

- لكني لا أحب حساء البطاطس كثيرًا.

- وما الذي تحبه؟

- البيتزا، و"ماكدونالدز"، وعصيدة السميد، وشرائح اللحم، وحساء الطماطم، والزلابية بالفراولة، والنقانق.

صمتتْ للحظات ثم قالت إن عليَّ على الأقل أن أجرب هذا الحساء. لكنني لست طفلًا صغيرًا، أعلم أن تذوق الأطفال للطعام يتغير، وأنا أعرف حساء البطاطس، ولا أحتاج إلى تجربته، لكن جدتي لا تزال تراني طفلًا صغيرًا. عندما كنتُ آتي إلى هنا في السابق، كانت تجبرني دائمًا على تذوق كل أنواع الطعام، حتى طلبت منها أمي أن تتركني وشأني، ولا تُجبرني على أكل أي شيء، إذ كنتُ لا آكل الأشياء المطهوة في المنزل، لكن جدتي لم يُعجبها ذلك، فهذا يعني أنني لن آكل شيئًا. وقالت:

- إنه نحيف جدًّا، ولا بد أن يأكل، وهو ضعيف كطائر صغير.

لكن جدي أعطاني سرًّا بسكويت "تاترانكا" ورقائق البسكويت المحشوة "ميلا"، بعدها اكتشفتُ مكان حفظ هذه الحلوى، وانتهى الأمر.

لكن الآن لم أعد مضطرًّا حتى إلى الحصول على رقائق البسكويت المحشوة، فقد كان معي وجبة خفيفة، ألقيت منها فقط شريحة الجبن، ثم اشتريت كيسًا من حلوى "إم آند إمز" من الماكينة، لذلك فأنا لست جائعًا.

كانت جدتي تراقبُني باستياء وأنا أُحرِّك الحساء بالملعقة، ليبدو الأمر كأنني آكل.

- على الأقل جرِّبه، أنت فقط تُقلِّب الحساء، ولم تشرب حتى ملعقة واحدة!
- لكني لن أجربها.
- لن أطبخ لك شيئًا آخر.
- أنا لستُ جائعًا.

أخذ كل منا ينظر إلى الآخر، ربما كان بإمكاني تذوق الحساء، لكني الآن لن أتذوقه.

- لا يمكنك أن تتناول فقط الحلوى والأشياء المقلية طوال الوقت.
- أنا لا أريد شيئًا.

أخذت جدتي الحساء من أمامي، وقالت إنها ستتناوله على العشاء، وقالت إن علينا الآن أداء واجباتنا المنزلية، فبدأتُ بكتابة واجباتي المنزلية، بينما أخذت جدتي تراقبني، ثم دهنت لي رغيفًا من الفينو بالزبد، ووضعت عليه شريحة من اللانشون، وقالت إنها ستذهب إلى الحديقة لتجريف أوراق الشجر أو جمع التفاح، وإذا كنتُ أريد أن أساعدها قليلًا في ذلك، فسوف يحل الظلام بعد قليل، وبعدها يمكنني الذهاب للعب.

- سأساعدك، لكنك لن تُجبريني على تناول هذا الحساء، أليس كذلك؟

هزَّت جدتي رأسها، ولم تقل شيئًا وابتعدت، أعلم أنني يجب أن ألحق بها لأنها غاضبة، لكني لا أريد أن أذهب لتجريف أوراق الشجر أو قطف هذا التفاح الغبي، وعليها ألَّا تظل غاضبة مني هكذا إلى الأبد. بقيتُ جالسًا في المطبخ، بينما كنتُ أسمع دقات عقارب الساعة، وكذلك أسمع جدتي وهي ترتدي ملابسها وترتدي حذاءها. عندما غادرتْ، نظرت في غرفة الخزين، كانت الحلوى لا تزال في مكانها نفسه، في صندوق، اخترت شيئًا منها، وذهبتُ للعب على الكمبيوتر. لكنها لم تكن اللحظة المناسبة لسؤال: هل أصلحت جدتي الإنترنت بالفعل حتى يصل "الواي فاي" إلى الطابق العلوي؟



قررت "إيفا" أن تذهب إلى الحديقة على الأقل لبعض الوقت لجمع بقية التفاح. لم تظن أن الأمر سيكون سهلًا أو أن الأمور ستكون جيدة مع "فيكتور" منذ البداية، لكنها لن تطبخ له كل يوم فقط الأطعمة التي يحبها، لقد أفسدته "هانكا"، كيف يمكن لطفل أن يأكل بهذه الطريقة؟ وحساء البطاطس مع الفطر هو شيء جيد، فقد حصلت على الخضراوات من الجيران، أما البطاطس فقد زرعتها بنفسها، وبالإضافة إلى ذلك، فهي عندما أعدتها كانت تُفكر في "فيكتور"، أما هي، فقد كان يكفيها الخبز المدهون بالزبد. لقد أخذت في أثناء هذا العمل الرتيب المتمثل في جمع التفاح الفاسد في الصندوق، تُفكر في إمكان إعادة التفكير في الأمر، فهي لن تُدلِّلهُ في موضوع الطعام، لكن يمكنها أن تُعد له على العشاء مثلًا بيض العيون أو المكرونة. فـ"هانكا" معها حق، ففي البداية عليها أن تقنعه بالتدريج، فعليه أيضًا أن يعتاد ذلك؛ ألا يكون كل شيء وفقًا لرغبته. إنها تريده أيضًا أن يشعر بالرضا هنا، وأن يشعرا بالراحة معًا. وعندما أعطته القفازات حتى لا تتجمد يداه في أثناء لعبه هذه الألعاب الغبية، كانت تريد إرضاءه فقط، على الرغم من أنها بالطبع اعتقدت أنه لو شعر بالبرد هناك، ولم يقضِ وقتًا ممتعًا على الكمبيوتر، فربما لن يجعله هذا يلعب كثيرًا، وهذا يروق "إيفا". لكنها أعطته القفازات على أي حال.



تمكنت "هانا" من اجتياز التدريب بصعوبة، ولكن بعد ذلك، تعين عليها العودة إلى المنزل، فهي مرهقة تمامًا، إنها حتى لا تشعر بالجوع، لكنها صحيًّا ليست على ما يرام، لكن ستمثّل في المساء، وغدًا لديها بروفة، وعليها حقًّا أن تبدأ بممارسة رياضة الجري، كما هو مخطط، لكنها عليها الآن قبل أي شيء آخر أن تتصل بـ"فيكي".

- "فيكي"، كيف حالك؟

- بخير.

- أنت تلعب على الكمبيوتر، أليس كذلك؟

يمكنها معرفة ذلك من خلال النبرة التي يتحدث بها معها.

- بلى.
- هل يمكنك التوقف لحظة؟
- حسنًا.
- حدثني إذًا عن مدرستك الجديدة.
- المدرسة، الناس بعضهم غريب، وبعضهم طبيعي. أمَّا المعلمون، فلا أعرف بعد.
- أنت لم تطفئ الكمبيوتر، أليس كذلك؟
- أمي، لا أستطيع إطفاءه الآن.
- هل يمكنك الاتصال بي عندما يكون بوسعك التحدث معي؟
- حسنًا، سلام.

أنهى المكالمة. أسفت "هانا" لذلك، رغم أنها فخور به بالفعل؛ فهو لم يتذمر منها أو يتصرف باستياء، ربما سيكون الأمر أسهل مما كانت تخشى. لقد فكرت في السفر إلى هناك ليلًا بعد العرض، لكن ربما هذه ليست فكرة جيدة، فالجميع سيشعرون بالحزن، كما أن أمها ستتعامل كأن "هانا" تبالغ في تضخيم الأمور، وكذلك عليها الذهاب إلى النوم مبكرًا هذه الليلة، وعليها قراءة النص أيضًا. قررت أن تبدأ بالقراءة، وتنتظر اتصال "فيكي"، فأخذت النص إلى غرفة نومها، ونامت.



كنتُ ألعب على الكمبيوتر مرتديًا القفازات مكشوفة الأصابع، وسترتين من النوع الثقيل عندما جاءت جدتي لتخبرني أن وقت العشاء قد حان. وسألتني: هل بقيتُ جالسًا هنا حقًّا طوال الوقت لألعب في هذا البرد؟ فمن غير الممكن أن أفعل ذلك، إذا كان المكان دون تدفئة، فهذا يعني إصابتي بالبرد. وشيء آخر، وهو أنني لا أستطيع الجلوس أمام الكمبيوتر طوال اليوم، فالإنسان يحتاج إلى الهواء النقي،

وإلى الصحة، وإلى وصول الأكسجين إلى المخ، وسألتني: هل أريد ممارسة بعض الرياضة هنا؟ فهنا يوجد فريق لكرة قدم وربما شيء آخر، فلطالما أحببت الرياضة، وأنني موهوب. ثرثرة فحسب لتغريني بذلك، لكن كرة القدم الغبية هذه لم تغرِني قط، ولم أرغب في ممارسة كرة القدم حتى في براج، فضلًا عن هنا.

أشعلت الموقد للتدفئة ثم لاحظت غلاف رقائق البسكويت المحشوة "ميلا" التي أكلتُها. كنتُ قد تركته هناك لأرميه، لكني نسيت.

– ما هذا؟

– غلاف "ميلا".

– من أين حصلت عليها؟ إذًا لقد كذبت عليَّ عندما قلت إنك لست جائعًا ثم أخذت الحلوى سرًّا.

بقيتُ صامتًا.

قالت:

– حسنًا إذًا، أطفئه وتعالَ لتناول الحساء.

إنها تنتظرني، لذا يجب أن أنهض وأذهب.

كانت تُسخِّن الحساء لتشربه وهي تشاهد مسلسل المساء، أشم رائحة الفطر الكريهة، لن آكله، ويمكنني ألا آكل أي شيء. وضعت طبقًا أمامي، وقالت:

– لقد أزلتُ الفطر بالفعل. وكذلك يا "فيكي"، لو أنك تناولت وجبة غداء طبيعية، فسيكون بوسعك بعد ذلك أن تأخذ قطعة من الحلوى، هذا واضح. فأنا برغم كل شيء كنتُ أحب دائمًا أن أعطيك إياها، وربما أنت تعرف ذلك، وتعلم أيضًا أنه بإمكانك أن تأخذها بنفسك، لكن ليس بهذه الطريقة.

أخذتُ في تقليب الحساء.

– جدتي، أنا لن أستطيع أن أتناوله، سأتقيأ.

– أنت تبالغ، أليس كذلك؟

هززتُ رأسي، فأنا أعلم أني سأتقيأ إذا أجبرتني على ذلك.

- "فيكي"، لا تخدعني.

- أنا لا أخدعكِ.

- أنا لستُ أمك، ولن أنخدع بذلك. على الأقل حاول. ربما تستطيع تناول خمس ملاعق.

- لن أستطيع.

- كان بوسعك أن تكون قد انتهيت منها الآن.

جلستُ أمام الحساء لبضع دقائق أخرى، وجدتي تجلس هناك وتنظر إليَّ، شعرتُ بملل لا يوصف، ولذا سأحاول تذوقه، ولكني أعلم أنني سأتقيأ على أي حال.

ابتلعت ثلاث ملاعق بسرعة كبيرة، وبدا الأمر كأنني سأقدر على ذلك، لكن في الرابعة لم يعد الأمر محتملًا، ولم أستطع حتى وضع الخامسة في فمي، وركضتُ إلى المرحاض لأتقيأ.

تقيأت حتى رقائق البسكويت "ميلا".

وقفت جدتي فوق رأسي، وقد بدا الحزن على وجهها.

- أنا آسفة لذلك. هل تشعر أنك أفضل؟

- نعم.

- هل تريد قطعة من الخبز الجاف؟

- نعم، أريد ذلك، وأريد أن آخذها إلى الطابق العلوي.

هزت جدتي رأسها قائلة:

- الطعام لا يُحمل إلى الطابق العلوي.

حتى تقيُّئي لم يجعلها تلين، لذا ألقيتُ الخبز على لوح المطبخ، وذهبت من دونه.

- "فيكي"، قف.

- لن أقف.

لحقت جدتي بي، وأمسكت بيدي. إن لديها قوةً كبيرة مقارنة بصغر حجمها، كانت يدها تُمسك بي كالمخلب. لكن الغريب أنها لم تبدُ غاضبة، بل حزينة.

– إذا كنت لن تأكل شيئًا، فَضَعِ الخبز في مكانه.

أفلتتني، فذهبتُ ووضعتُ الخبز في صندوق الخبز.

– ثم اذهب للاستحمام، أعتقد أنك لعبت اليوم بما يكفي.

– وماذا يفترض بي أن أفعل هنا طوال المساء؟

– يمكننا مشاهدة فيلم. أو القراءة. أو يمكننا أن نتحدث معًا. أو نذهب للتمشية قبل الاستحمام.

– التمشية؟ ما هذا الهراء.

بدت كأنها ستصفعني، لكنها لم تفعل. فقط أشارت إليَّ بإصبعها قائلة:

– لا تقل لي هذا أبدًا، وإلا فسترَ عواقب فعلتك. أيها الصبي، لا تتحدث معي أبدًا بهذه الطريقة مرة أخرى.

– أريد أن ألعب على الكمبيوتر، هل تفهمين؟

– أفهم، ولكنك لن تلعب.

– لقد تقيأتُ، وعليك أن تعامليني بلطف.

– أنا أعاملك بلطف. تعالَ لتشاهد فيلم "البحث عن نيمو". سوف يبدأ الآن.

– أنا لستُ في الخامسة.

– إذًا شاهد شيئًا آخر.

– لا أريد مشاهدة أي شيء معك.

– ليس عليك ذلك، استحم واذهب إلى السرير. ولا تجلس إلى هذا الكمبيوتر.

– حسنًا.

– عِدني.

– أعدُك. هل يمكنني الذهاب إلى الطابق العلوي إذًا؟

- ضع الخشب في الموقد، هل تستطيع ذلك؟

- بالتأكيد.

ثم سمحت لي بالذهاب. لكني كنتُ أشبك أصابعي. وكذلك فإن الغرفة التي أنام بها يمكن غلقها بالمفتاح من الداخل.

- إذا أغلقت الغرفة على نفسك، فسآخذ منك هذا الكمبيوتر.

لا أعرف ما إذا كانت ستفعل ذلك حقًّا، لذلك اتصلت بأمي، فجدتي لا يُمكنها أن تفعل ذلك. لكن أمي لم ترد. كتبتُ إليها رسالة: "ماما، إن جدتي منعتني من استخدام الكمبيوتر. لقد تقيأت. من فضلك تعالي إلى هنا".

غيَّرتُ كلمة "ماما" إلى "أمي".

استحممتُ.

نظَّفت أسناني.

استلقيتُ في الفراش.

أخذتُ ألعب على الهاتف المحمول.



لم ترد أمي على رسالتي، أنا أكرهها، ربما أكثر من جدتي، أخذتُ أفكر ما الذي يمكن أن أفعله؟ يمكنني الهرب، لكن ليس لديَّ مكان أذهب إليه سوى المنزل، وسوف يعيدونني إلى هنا على أي حال، وإذا كررتُ الهرب، فسوف يضعونني في الإصلاحية. لقد تحدثت مع أمي عن ذلك ذات مرة عندما تشاجرتُ أنا والأولاد في حمام السباحة، لكن لم يُصَب أحد بأذًى كبير، لكن أمي أخذتني إلى الإصلاحية، وسألتني: هل أريد الدخول ورؤية المكان من الداخل؟ فقد رتبت هذا الأمر. قالت:

- تعالَ وانظر، كيف سيكون لديك سرير صغير وقضبان على النوافذ.

بينما كانوا ينظرون إلينا من الفناء، وقالت:

- تذكر كيف لم يكن يعجبك الوضع في المخيم الصيفي، لكن هذا ليس مخيمًا، حيث من المفترض أن يعمل المنظمون على تسلية الأطفال، وهذا ليس لأسبوعين فقط، فهنا قد يعاملونك بمنتهى السوء، وتبقى هنا لفترة أطول، وسيكون بوسعك أن تراني مرة واحدة في الأسبوع. وهل تعتقد أنه يمكنك هنا اللعب على الكمبيوتر وتناول البيتزا على العشاء والذهاب إلى السينما في عطلة نهاية الأسبوع؟ هل تعتقد أن هذا مجاني؟

حسنًا، أعلم أن هذه الأشياء تكلف المال، وعلى أمي الذهاب إلى المسرح من أجل ذلك، لكن هذا أفضل مثلًا من اضطرارها إلى العمل بائعةً في أحد المركز التجارية، وفي فصلي يوجد عددٌ قليل من الأولاد يلبي أهلهم كل طلباتهم على الفور، فهم يحصلون على أي شيء جديد، كالألعاب والهواتف المحمولة والملابس التي يريدونها. أنا لا أهتمُّ بالملابس.

هذا لا علاقة له بحقيقة أنني أخاف حقًّا من الإصلاحية. وقفت هناك أمام تلك البوابة، حيث كان طقس اليوم جميلًا جدًّا، كنا في وقت ما قبل حلول فصل الصيف، في يوم تهبُّ فيه رياح دافئة معبأة برائحة العطلة الصيفية، ومع ذلك لم أفكر وأنا هناك في العطلة الصيفية مطلقًا، وقلت لنفسي في الطريق إلى المنزل: "إنني سأكون مطيعًا، وأنني سأجتهد قدر الإمكان". ثم قالت لي أمي في الحافلة:

- أنت تعلم أنني لن أتخلى عنك أبدًا، ولكن إذا فعلت شيئًا فظيعًا، فربما لا يمكن فعل أي شيء حيال ذلك، واضح؟.

حتى إنني أردتُ أن أخبر "يوناش" و"نيكو" و"أوندرا"، الذين كانوا أكثر الأصدقاء المقربين لي بذلك، ولكني لم أرغب أن أبدو أمامهم كالأحمق، لذلك لم أقل شيئًا، ولكن في المرة التالية عندما قالوا إنهم سيحاولون إغراق شخصٍ في حمام السباحة من أجل المزاح، فقلتُ لهم إن عليَّ العودة إلى المنزل وانصرفت.

في الليل أستيقظ على هدير الموقد، كان هناك شخص ما يقف بجواره، شعرتُ بالخوف حقًّا، وبدأت أصرخ، لكنها كانت أمي. شعرتُ بسعادة لم أشعر بها من قبل، أعلم أنها جاءت من أجلي، وأن كل شيء سيكون على ما يرام.

لم يكن عليها أن تقود السيارة

بعد العرض كانت "هانا" مرهقة تمامًا، فهي أطول مسرحية تمثلها على الإطلاق، ولا تريد شيئًا أكثر من الاستلقاء والنوم على الفور. لكنها فتحت هاتفها المحمول، ووجدت رسالة من "فيكي". لقد خاطبها بـ"أمي"، معنى هذا أنه يفتقدها، لقد تقيأ، وعليها أن تذهب إليه، وستذهب إليه على الفور، لكنها لا تملك سيارة، وقبل العرض شربت كأسين من النبيذ. اتصلت بـ"دانيل"، لكنه -على الأرجح- يُمثّل الآن، فهاتفه مغلق، حاولت "هانا" الاتصال بـ"تيريزا"، التي ربما أيضًا تُعيرها سيارتها، إن هاتفها مفتوح، لكنها لم ترد. بجوارها في البار يجلس "هونزا"، ويطلب قهوة، فهو تقريبًا لا يشرب، وهو بالتأكيد هنا ومعه السيارة.

- "هونزيك"، أرجوك.

لكن "هونزا" هز رأسه رافضًا:

- لقد رأيتُك وأنتِ تشربين، هل تفهمين أنني أفعل ذلك لمصلحتك؟

- "هونزا"، أنا لست ثملةً، لقد شربتُ كأسين فقط من النبيذ، يجب أن أذهب لرؤية "فيكي"، إنها حالة طارئة.

- لكن يا "هانكا"، لقد رأيتُك تشربين أمس، وقد قلتِ أنت بنفسك إنك مرهقة جدًّا، والآن شربتِ كأسين من النبيذ أيضًا! لن تتمكني من قيادة السيارة لمائة وخمسين كيلومترًا، فلا تتصرفي كالمجانين.

هاجمتهُ "هانا" قائلة:

- ومن تظن نفسك أيها الوغد، "ميريك دوشين"؟ أدْخِلْ تلك السيارة في مؤخرتك.

من المؤكد أن "هونزا" رجل مهذب، لكنه ليس والدها. حسنًا، ستستمر في البحث في قائمة أصدقائها عمَّن يُعيرها سيارته.

قال "هونزا":

- قصدتُ أن أوصلكِ أنا إلى هناك.

وصلا ليلًا، في الواحدة إلا ربعًا، سحبت "هانا" "هونزا" من السيارة، على الأقل ليأخذ فنجانًا من القهوة، وقالت له:

- لا يمكنك العودة على الفور، من فضلك، تعالَ لتشرب فنجانًا من القهوة.

أطفأ "هونزا" محرك السيارة، وأخذا يطرقان الباب الأمامي لفترة طويلة حتى استيقظت أمُّها، وفتحت الباب بقميص نومها.

- لقد أوصلني "هونزا" إلى هنا، وسأعدُّ له القهوة، أريد التحدث معك.

- الآن؟ لا بد أنك جُننتِ.

ظلت "هانا" واقفة هناك، بينما قال "هونزا":

- سأذهب، إن كل شيء على ما يرام، سعيد بلقائك.

همَّ بالمغادرة، فقاطعته أمُّها قائلة:

- لن تذهب الآن، سأعد لك فراشًا هنا على الأريكة، لا تكن مجنونًا.

إن هذا لم يخطر حتى ببال "هانا"، التي ظلت تنظر إلى "هونزا".

قالت أمها:

- إذًا ضعي له فراشًا هنا على الأريكة، فلن يعود الليلة إلى براج في هذا الوقت المتأخر.

بعد كل شيء لن تتشاجرا هنا أمامه، فـ"هونزا" ليس صديقًا مقربًا، إنه زميل فحسب، وهو غريب الأطوار، أخذت تنظر إلى "هونزا"، الذي هَزَّ رأسه، وقال إنه سيتعامل مع الأمر، وإنه سيذهب.

قالت له أمها:

- لا تكن مجنونًا، هل تريد أن تتعرض لحادثة على الطريق؟

ظلَّ "هونزا" صامتًا. بدا لـ"هانا" أنه يريد البقاء هنا.

- لا بأس، هيا، من فضلك.

سحبتْه من يده إلى داخل المنزل. قالت أمي:

- أنت تعرفين أين الأغطية، أليس كذلك؟

ثم ذهبت لتنام، وذهبت "هانا" لإحضار البطانيات. وجلس "هونزا" على الطاولة يفرك عينيه:

- أنا آسف.

- لا، أنا آسفة، أنا مدينة لك بالاعتذار على كل هذه الرحلة.

أشاح "هونزا" بيده، وما إن أشاح بيده، وأتى بهذه الإشارة العابرة، شعرت "هانا" بتدفُّق من الرغبة تجاهه. لكنها تلاشت على الفور، "هونزا"! هذا لن يحدث أبدًا، سرواله القصير وجسمه النحيف، وأسنانه البشعة وتمثيله السيئ، هذا لن يحدث.

ذهبت لتنام في الطابق العلوي، ووضعت الخشب في الموقد، فاستيقظ "فيكي"، وبدأ يصرخ من الخوف، ولكن عندما هدَّأته "هانا"، نام مرة أخرى. سمعت صوت أمها وهي تصعد الدرج. فأسرعت "هانا" إلى خارج الغرفة، وصاحت فيها بصوت مكتوم قائلة:

- لا بأس، أنا هنا، لا داعي أن تأتي، لقد فزع فقط.

قالت أمُّها بخيبة أمل:

- ماذا فعلتُ لأستحق منك هذا؟

ثم نزلت الدَّرج مرة أخرى. شعرت "هانا" بالخجل من ذلك، لكنها لم تعتذر، إنه طفلها، وهي تعرف كيف تُهدِّئه، ما الذي تظنه أمها؟ لكن "هانا" تعرف ما الذي تظنه أمها، إنها تظن أنها تركته هنا لأنها لا تقدر على تربيته، وهي لا تستطيع أن تقول لها إنها جاءت به إلى هنا أولًا لأنها وحيدة وليس لديها من تعتني به، وثانيًا لأن تغيير البيئة الحياتية سيفيده، وتغيير الأصدقاء سيفيده، فهي تخشى

أن يقع في مشكلات كبيرة حقًّا، وثالثًا لأنها -ولأول مرة منذ أن أنجبتْه- تريد دورًا بعينه، بعد عشر سنوات، لا تستطيع أن ترفضه، ربما تكون أمًّا سيئة، أسوأ أمٍّ في العالم، لكنها أيضًا شخص له رغبات، ولديها الحق في ذلك. أو ربما ليس لديها الحق في ذلك، لكنها ترغب في ذلك وتحتاج إليه، إذا كانت ستستمر في العيش مع نفسها، ينبغي لأمها أن تكون داعمة لها، ولا تُشكك باستمرار في كل ما تفعله، لا بد أن ترى أنها تحاول، وأنها تحاول أن تفعل الأشياء على نحوٍ جيد، وأنها ليست شخصًا سيئًا. قالت "هانا" في نفسها وهي تشعر بالاستياء: "الآن لن أنام".



"إيفا" لم تستطع النوم بسبب غضبها الشديد مما فعلته ابنتها، فلقد أتت إلى هنا في منتصف الليل، داهمت المنزل كالعاصفة، لقد اشتكى لها "فيكي"، وجاءت لتنقذه من تلك التي منعته من الجلوس على هذا الكمبيوتر الغبي طوال فترة ما بعد الظهر، أو من تلك التي أرادت منه أن يساعدها في الحديقة، ومن يعرف ما الذي قاله لها "فيكتور" أيضًا. جاءت وجرَّت خلفها رجلًا غريبًا إلى هنا، مسكين، ربما يحب "هانا"، كأنها تجره خلفها بحبل، كما تفعل دائمًا مع كل الرجال الطيبين. ما الذي تظنه؟ هل تظن أنها ستأتي إلى هنا، وستتشاجر معها أمام رجل غريب؟ وما السبب الذي سيجعلها تتشاجر؟ على أي شيء، لا يمكنها أن تقول كلمة واحدة ضد الطريقة التي تعاملت بها "إيفا" مع "فيكي"؛ فهذه المرة لم يسرقه منها أحد، ولم يشكك فيها أحد، لقد شككت هي في نفسها عندما تركته هنا، ولن ينجح الأمر أبدًا إذا كانت "هانا" تأتي إلى هنا، وتفعل ما فعلته. إنه سيعيش هنا وفقًا لقواعدها هي، وليس وفقًا لقواعد "هانكا"، إذا كانت لديها أي قواعد. وإذا لم تحترم هذا، فلن يكون لها أي فائدة هنا، وسينتهي الأمر مع "فيكي" نهايةً سيئة. وإذا اعتقد "فيكي" أنه في كل مرة سيشتكي فيها، ستأتي أمه لتسوية الأمر، فلن يكون بوسعها أن تفعل أي شيء حيال ذلك، لكن عليها أن

تصر على بعض الأشياء وهي على حق. وإذا كان هناك من يعتقد أنها ستتصل حقًّا بشخص ما ليحل مشكلة الإنترنت، ويجعله يعمل في الطابق العلوي أيضًا، فهو مخطئ، وإذا لم يحاول "فيكي" أن يُحسِّن من سلوكه، فيمكنها أيضًا إلغاء اشتراك الإنترنت تمامًا، فهي لا تحتاج إليه كثيرًا. نامت "إيفا" أخيرًا.

دق المنبه، استيقظت بصعوبة، أعدت فطيرة التفاح، و"كيش" السبانخ مع جبن الماعز، في هدوء؛ فقد كان الرجل الذي لا تعرف اسمه لا يزال نائمًا في غرفة المعيشة المجاورة، حيث أغلقتْ عليه الباب، هناك الكثير من رجال "هانكا" لا تعرف أسماءهم، ولا تعرف حتى لقب والد "فيكتور"، وإلا كانت منحته لقبه في ذلك الوقت، لكن "هانكا" لم تخبرها بذلك، ولم تُخبر حتى "يندرشيخ"، كانت تعلم أنهما لن يتركا الأمر هكذا. ربما يُمكنها أن تصرح به الآن، وربما "فيكتور" أيضًا يعرف الاسم، لكن لم يعد الأمر مهمًّا، فهو لم يكن شخصًا محترمًا، ولن تسامحه "إيفا" أبدًا على الطريقة التي كان يتصرف بها.

قالت "هانا" بصوت منخفض:

- مرحبًا.

- صباح الخير.

- إذًا ماذا حدث؟

- قلتُ له فقط إنه بعد الآن لن يلعب على الكمبيوتر بعد العشاء. لا أعتقد أن هذا شيء يستحق أن تأتي إلى هنا من أجله.

- أمي، لقد تقيأ.

- حسنًا، وهذا أيضًا عامل نفسي.

- لهذا السبب جئتُ، فأنا أعلم ذلك. هذا يعني أنه ليس على ما يرام.

- لأني أردته أن يأكل شيئًا طبيعيًّا، وألَّا يجلس إلى الكمبيوتر طوال الوقت.

- أمي، اعتقدتُ أننا اتفقنا على شيء ما.

- وهل تعتقدين أني بذلك أعذبه أم ماذا؟

- إنه لم يعد صغيرًا، لم يعد هذا الولد الصغير الذي اعتاد أن يأتي إلى هنا لرؤيتك. إن الأمر معقد له أيضًا.

- وأنا أعلم ذلك.

- لذا لا تُجبريه على تناول أطعمةٍ لا يأكلها.

- لكن الأمر لا يتعلق بالطعام، بل يتعلق بالاحترام، الذي لا تعرفينه لا أنتِ ولا هو. ماذا ستفعلين الآن؟ هل ستأخذينه بعيدًا، أم في كل مرة سيشتكي لكِ، ستأتين إلى هنا ليلًا، وتشرحين لي كيف أني لا أعرفه، وكيف أني أنا المخطئة؟

- أمي، أنا لم أقل ذلك.

- إذًا، فلماذا جئتِ إلى هنا في منتصف الليل مع هذا الشخص، الذي حتى لم تقدميه إليَّ؟

- من فضلك يا أمي، إن "هونزا" فقط زميل.

- حسنًا، كما تحبين.

- ماذا تقصدين؟

- لا شيء.



استيقظتُ وحدي، وتساءلتُ لحظات: هل ما رأيته حلم فقط؟ ولكني بعد ذلك رأيتُ سترة أمي هناك على المقعد.

ارتديت ملابسي، ونزلت إلى الطابق السفلي، وهناك رأيتُ زميلها في المسرح يجلس على الطاولة ويأكل الكعك.

أومأ إليَّ قائلًا:

- مرحبًا.

جاءت جدتي من الخارج، وقالت:

– لقد وضعت الكعك بالفعل في السيارة، لذا أسرع حتى نتمكن من الذهاب إلى المدرسة.

في تلك اللحظة خرجت أمي من الحمام، فركضتُ نحوها، كأني لم أرَها منذ فترة طويلة. لم ألحظ الجدية التي رُسمت على وجهها. عانقتني، فشممتُ رائحة أمي.

قلتُ لها:

– هل ستأخذينني إلى المنزل؟

على الرغم من أنني أعرف بالفعل أنها لن تأخذني.

أبعدتني عنها وقالت:

– تعالَ لنتحدث عن ذلك، حسنًا؟

– لا أستطيع، يجب أن أتناول وجبة الإفطار وأذهب إلى المدرسة. سأذهب لتناول وجبة الإفطار.

تناولنا الإفطار، وقالت أمي إنها ستأخذني إلى المدرسة، لكني لا أريد. فقلت لها لا داعي إلى ذلك، فجدتي لا بد أن تذهب بالكعك على أي حال. قُلتُ هذا كما لو كان الأمر طبيعيًّا، فإذا كانت أمي لا ترغب في أخذي إلى المنزل، فأنا أريدها أن ترى أنني لم أعد أريدها بعد الآن.

– سنسير خلف سيارة الجدة، على الأقل سأودعك أمام المدرسة، فيجب أن أعود إلى براج. أليس كذلك يا "هونزا"، هل يمكننا ذلك؟

أومأ "هونزا" برأسه قائلًا:

– بالطبع.

لا أعرف، هل هو حبيب أمي الجديد أم لا؟ ولكن ماذا يفعل هنا إن لم يكن كذلك؟

سرنا بالسيارة في صمت. مررنا بـ"فرانتا" و"كايا"، أنا سعيد؛ لأننا لن نأخذهما معنا كل صباح.

ثم قالت جدتي فجأةً:

- "فيكي"، هل تعتقد حقًّا أنني بشعة إلى هذا الحد؟

لا بد أن أقول:

- لا.

- هل يمكننا أن نتغلب على هذه المشكلات معًا؟

- أمم.

- لا يمكننا تغيير ذلك الآن، لذا دعنا نفعلْ ذلك بأفضل طريقةٍ ممكنة، أليس كذلك؟ لقد فكرت في أمر الطعام، بالتأكيد سنجد حلًّا بطريقة ما. من المؤكد أنه لا يمكنك تناول الحلوى والنقانق طوال الوقت. لكن يمكننا أن نصنع البيتزا في عطلة نهاية الأسبوع، حسنًا؟

- إن الأمر لا يتعلق بالطعام، ولا يهمني أنني تقيأت.

عندما توقفت جدتي عند الإشارة الحمراء، خطفتُ حقيبتي، وهبطتُ من السيارة، وركضتُ في اتجاه المدرسة وحدي. لم أنظر إلى الوراء، حتى عندما خرجت أمي من سيارة "هونزا" ونادتني.

بعد قليل من ركضي بعيدًا، لحقت بي سيارة "هونزا".

- ماذا تفعل؟ هل تشاجرتما معًا؟ ألن تودِّعني حتى؟

فقلت لها:

- سلام.

وانعطفتُ عبر العشب، حيث لا يمكن للسيارة الوصول إلى هناك. ذهبتُ ولم أنظر خلفي متعمدًا.

عندما نظرتُ إلى الوراء لاحقًا، كانت السيارة التي تُقِلُّ أمي قد اختفت بالفعل.

اتجه "هونزا" بطاعةٍ إلى المقهى، حيث توصل والدتها الكعك إلى هناك. كانت أمها في طريقها إلى الخروج.

هبطت "هانكا" من السيارة وسألتها:

- إذًا ماذا حدث مرة أخرى؟

رفعت "إيفا" كتفيها قائلة:

- لا شيء، لم نقل أي شيء.

- مستحيل.

- لم يكن عليك المجيء إلى هنا، فقد أربكه هذا.

- لقد بدا لي مرتبكًا بما يكفي.

- عزيزتي، أتمنى أن تكوني قد فكرتِ في هذا القرار بوصفك امرأة ناضجة، لذا لا بد أنك أدركتِ أن هذا الأمر سيكون صعبًا عليه، وعليكِ، وعليَّ.

- عليكِ؟

- نعم، عليَّ، فمن الصعب عليَّ أن أعتني بطفل مدلَّل يندفع بهذه الطريقة إلى شيء فظيع، وأشعر بعدم دعمك إيايَ، من الصعب عليَّ أن أرعى طفلًا.

- ماذا؟

- أنا لست صغيرة السن، أنا متعبة، أنا أفعل كل شيء وحدي، وأحتاج إلى المساعدة، لكن هذه المساعدة لن أجدها عندك، لذا فقط اذهبي وعودي إلى منزلك، ولا تقلقي بشأن ذلك، فسنتعامل معًا أنا و"فيكي". تعالي على نحوٍ طبيعي يوم الجمعة لتقضي معنا عطلة نهاية الأسبوع.

- لا أستطيع، عندي دورٌ لأؤديه.

- أترين؟ إلى اللقاء.

استدارت أمها وصعدت إلى السيارة.

قالت "هانا":

- إلى اللقاء.

لكن أمها كانت قد أغلقت الباب بالفعل، وشغَّلت محرك السيارة. ركلت "هانا" إطار سيارة أمها، ثم ركلته مرة أخرى. فأنزلت أمها زجاج نافذة السيارة إلى أسفل وقالت:

- اهدئي من فضلك.

صرخت "هانا":

- بل اهدئي أنتِ!

وركلت الإطار مرة أخرى. هزت الأم رأسها، ورفعت زجاج النافذة، وغادرت.

نظرت "هانا" خلف السيارة، وقالت:

- سأجنُّ حقًّا.

ثم التفتت، إن "هونزا" الآن يعرف كل هذا، شعرت "هانا" أنها تريد أن تختفي، أن تذهب إلى الجحيم. لم يعد هذا الأمر محتملًا، عليها أن تشتري أخيرًا سيارة خاصة بها.

لقد نسيت كراسة الواجب الخاصة بي في المنزل، وفي اليوم التالي نسيتُ كتابة الواجب المنزلي، لم أفهم، لقد تحققت جدتي من ذلك، فحصلت على ملاحظة، أو على الأرجح تنبيه مُوجَّهٍ إلى جدتي. قالت المعلمة:

- واضح يا "فيكتور"؟

في أثناء حصة الرياضيات كنتُ أكتب للتو قائمة بما يجب مناقشتُه مع جدتي، لذا فإن هذه الملاحظة غير مناسبة حقًّا لي.

القائمة:

- "واي فاي" في الغرفة بالطابق العلوي.
- لا أريد وجبات خفيفة.
- أريد شحن رصيد للهاتف.

محوتُ الوجبات الخفيفة، فمن الأفضّل أن أقنعها بتوصيل "الواي فاي" إلى غرفتي في الأعلى، لأنه بعد ذلك يمكنني اللعب "أون لاين"، والدردشة أيضًا مع أولادٍ من براج. بعض الناس يلعبون هنا أيضًا، لكني لا أستمتع بالحديث معهم. فأنا أسمعهم وهم يتحدثون في أثناء فترات الراحة، وأنا ألعب على هاتفي المحمول، لكني لا أنضمُّ إليهم، ولا هم ينضمون إليَّ. ربما يُمكنني الدردشة فقط مع "مارتينا"، لكنها تتحدث مع "فرانتا".

الناس هنا ينادونني بـ"بتاك" أو الطائر. وهذا في الواقع لا يزال جيدًا إلى حد كبير. أود أن يناديني الجميع بـ"فايكنج"، وهذه هي كُنيتي، التي عندما أكبر سأستخدمها بدلًا من "فيكي" الغريب.

أعطاني أحدُهم، لا أعرف اسمه، بطاقة لدخول مطعم المدرسة، قال إنه لا يحب حساء الطماطم، وأنني أحبه. أخذتُ أفكر أبوسعي أن أقيم صداقة مع هذا الصبي، لكني أعتقد أنه غريب الأطوار، ويرتدي نظارة سميكة، ويتطاير الرذاذ من فمه عندما يتحدث، لذلك أعدتُ إليه البطاقة، وقلت: "إنني أيضًا لا أطيق حساء الطماطم".

كانت جدتي في انتظاري بالفعل، الجميع يغادرون، جميع الأطفال ذاهبون أيضًا، وهي تلوح لي من السيارة قائلة:

– مرحبًا يا "فيكي".

شعرتُ كأنني طفل صغير، كيف لأحد هنا أن يأخذني على محمل الجد هنا، إذا كانت جدتي تأتي لتأخذني من المدرسة؟

– لا تأتي لتأخذيني.

– حسنًا، اعتقدت أني سأريحك من ركوب الحافلة.

– أريد الذهاب وحدي.

– هل تستطيع ذلك؟

في براج أذهب إلى أي مكان بمفردي.

ظلت الجدة صامتة ثم قالت:

- وماذا عن المدرسة؟

- لا شيء جديد. هل اتصلتِ بشركة الإنترنت؟

تنهدتْ.

- "فيكي"، لا تبدو لي هذه فكرة جيدة.

- لكنك وعدتني!

- لم أعدك. لكننا سنفعل ذلك مكافأةً لك إذا التزمتَ في دراستك.

بقيتُ صامتًا أمام هذا الظلم.

- سجلتك في كرة القدم.

- أفضل أن أظل بلا إنترنت عن الذهاب إلى كرة القدم الغبية هذه؛ فلاعبو كرة القدم معتوهون وكرة القدم لعبة حمقاء.

- توقف عن التلفظ بهذه الألفاظ.

- كرة القدم قذرة.

ضغطت جدتي على مكابح السيارة، واستدارت نحوي.

- وإلا فلن يكون هناك إنترنت على الإطلاق.

هذا لم يخطر حتى لحظة ببالي. فعندها سيكون الهروب حقًّا هو الحل الأفضل، لأنه ربما يكون هناك إنترنت في الإصلاحية.

قالت جدتي:

- سيكون تدريب كرة القدم يوم الإثنين، والأربعاء، والجمعة. أما المباريات، فستكون في الربيع.

توقفنا في المتجر، ثم عُدنا إلى المنزل، كان بخار الماء يتصاعد من الغابة، ورأيتُ طائرًا جارحًا يقف في الحقل، تناولت الطعام الذي أعدته لي جدتي، وهو العصيدة واللحم، وأخذنا نتحقق من الواجبات المدرسية، لكنني قلتُ لها: "إني

نسيت كراسة المتابعة في المدرسة"، ثم سمحت لي بالذهاب إلى الكمبيوتر بعد أن حملت الخشب لتشغيل التدفئة. أخذتُ ألعب، وتقريبًا خرجت هي إلى الحديقة. اتصلتْ أمي، لكني لم أرد، وكتمتُ صوت هاتفي. ثم سمعت رنين هاتف جدتي في المطبخ، مرارًا وتكرارًا. نظرت من النافذة فرأيتها في الحديقة تقطف الزهور من الأرض. لن أناديها، ولن أحمل إليها الهاتف، فأمي هي من تتصل على أي حال. تناولت العشاء. وحصلت على قطعة شوكولاتة. بعد العشاء شاهدتُ أنا وجدتي كرتون "سيمبسون"، ثم استحممت، ونظفتُ أسناني، وأخذت أحدق إلى انعكاس النيران على الجدار. ونمت.

لا أعرف ماذا أفعل.



افتح النافذة

عندما ودعت "هانا" والدها للمرة الأخيرة، وقبَّلته على خده، كانت رائحة أبيها تُشبه رائحة شخص مُسن، فشعرت بالاشمئزاز، لكنها عادت وأحست بالخجل من هذا الشعور. والآن بعد أن علمت أنه مات، أن والدها قد مات، فقد شعرت بالأسف الشديد لما أحست به. تتذكر هذا اليوم جيدًا.

شعرت بالأسف؛ لأنها لم تتصل به أمس، فآخر مرة تحدثت معه فيها كانت في الأسبوع الماضي، ولم تتصل به إلا لأنها كانت بحاجة إلى نصيحة بشأن السخّان، وأنها لم تعد تذهب لرؤيته، كان من الممكن أن تذهب إلى هناك في نهاية الأسبوع الماضي، لكن في يوم الجمعة كان العرض الأخير لمسرحيتها. ظل "فيكتور" بمفرده في المنزل حتى الصباح تقريبًا، وفي يوم السبت -وهو اليوم الذي تكره فيه نفسها عندما تتذكره- ظلت طوال اليوم في المنزل، تشاهد الأفلام، وطلبت البيتزا، شعور سيئ، بأنها تهتم بـ"فيكتور" أكثر منهما، ويوم

الأحد كانت لديها بروفة أخرى، ثم ذهبت مع "فيكتور" إلى حمام السباحة وتناولا وجبة تجمع بين الغداء والعشاء، بينما كان بوسعها الذهاب لرؤية والديها، فقد كان من الممكن تأجيل البروفة إلى يوم الإثنين. لكنها قالت لنفسها: "ماذا سأفعل هناك؟ كما أن "فيكي" سيكون مستاءً"، لذلك لم تذهب وظلت مسترخية في "الجاكوزي"، والآن لم يعد بوسعها رؤية والدها أبدًا مرة أخرى.

جلست على طاولة المطبخ، وأعدت القهوة، وأشعلت سيجارة، على الرغم من أنها دخنت الكثير منها أمس وهي الآن تحس بألم في حلقها. حاولت استجماع شجاعتها لمعاودة الاتصال بأمها، ربما لمناقشة بعض الأشياء العملية معها، الجنازة على سبيل المثال. لكن ربما ليس من الجيد الاتصال بها، بل عليها أن تذهب إليها. صبت القهوة في التُّرمُس الذي حصلت عليه من والديها هدية في عيد الميلاد الماضي. كان "فيكي" في المدرسة، ستمر عليه في طريقها إلى هناك، الآن يجب أن تعثر على سيارة.

لقد أخرجت "فيكي" من الفصل في أثناء الفُسحة، ولم تخبره أن جده قد مات، بل قالت فقط إنها بحاجة إلى الذهاب لرؤية جدته. هز "فيكي" كتفيه قائلًا:

- حسنًا.

ولم يسأل: لماذا؟ سألها فقط: هل سيعود إلى المنزل الليلة؟ ورغم أن "هانا" كان لديها عرض مسرحي الليلة، فقد أومأت برأسها قائلة:

- حسنًا، لكني اليوم لن أمثل.

ما الذي يمكن أن يجعلها تعتذر عن العرض سوى وفاة أحد والديها. إنها تعانق "فيكتور" وتُقبله بحذر بعد أن خرج من المدرسة. ففي العادة يقول لها:

- ما الذي تفعلينه، فأنا لست طفلًا صغيرًا، أليس كذلك؟

نظرت إليه وهو يذهب إلى الفصل، ولم ينظر إلى الوراء، ونظر فقط في هاتفه المحمول. أمسكت "هانا" أيضًا بهاتفها، واتصلت بالمسرح، جاءتها الموافقة على أنها لن تُمثل اليوم، فهي ستذهب إلى والدتها. وفي الطريق اتصلت بأخيها.

قال لها "آدم":

- أنا هنا بالفعل، وليس من الضروري أن تأتي.

- جيد، لكني في الطريق.

قال "آدم" بنبرة حازمة، وكأنه قد صار ربًّا للأسرة:

- حسنًا، إلى اللقاء.

بكت "هانا" وهي في الطريق، تذكرت والدها، وكيف كان يجعلها تركب الخيل وهي طفلة، وكيف كان يقول لها دائمًا ألا تنسَ ارتداء القبعة، وكيف أنه قال لها ذات مرة إنها تناسبها جيدًا، وكيف ساعدها على حفظ أدوارها، وكيف اشترى لها ساعة بعد ولادة "فيكتور"، وكيف ركَّب المكتبة لها في الشقة، وعندما كان يحدث عطل في شيء ما، كان يأتي ويصلحه، ولم يسمح لها بالدفع عندما كانت تدعوه إلى تناول الغداء، كيف كان يحدثها عن حيوانات الغابة عندما كانت صغيرة، ويرسم لها آثار كل حيوان، وكيف كان في الشتاء ينثر الملح على الطريق المؤدي إلى البوابة حتى يعمل الملح على ذوبان الثلج، وآلاف من الأشياء الصغيرة، لقد كان أبًا جيدًا، لكنها أجبرت نفسه على أن تهدأ؛ فعليها أن تقف بجوار والدتها، ولهذا السبب هي ذاهبة إلى هناك.

عندما دخلت إلى المنزل وجدت أمها تجلس على الطاولة مع "آدم"، ويشربان القهوة. نهضت أمها، فعانقتها "هانا"، في المعتاد لا يتعانقان أبدًا، انفجرت "هانا" على الفور في البكاء، عندما عانقت "هانا" أمَّها، بدت أمها كأنها امرأة عجوز طاعنة في السن، كأن "هانا" تعانق طفلة صغيرة، لم تهدأ حتى بعد أن ابتعدت والدتها عنها.

قالت أمها:

- لقد حدث كل شيء بسرعة. قال الطبيب إنها على الأرجح سكتة دماغية، فقد كان أبوكِ يعاني ارتفاع ضغط الدم.

لم تكن "هانا" حتى تعرف ذلك، فقد كان يتناول بعض الحبوب، لكنها لم تسأله قط لماذا يتناولها.

قالت أمها:

- إن أباك لم يقل لي الكثير عن ذلك.

- أمي، هيا نذهب لتناول الطعام في مكان ما، ألا تريدين؟

هزت رأسها قائلة:

- لا أريد الذهاب إلى أي مكان.

عرضت عليها "هانا":

- إذًا سأطهو شيئًا ما.

- لديَّ هنا حساء الدجاج من أمس.

أخذت تتناول الحساء في صمت، ثم نظر "آدم" في ساعته، وقال:

- أمي، أنا سأذهب، وسآتي غدًا لنذهب إلى الحانوتي.

أومأت أمها برأسها.

قالت "هانا" معترضة:

- لكنني لا أستطيع البقاء هنا حتى الغد.

فقالت أمها:

- سأتولى ذلك أنا و"آدم". يمكنك أيضًا أن تعودي إلى منزلك.

- يُمكننا أن نذهب إلى هناك اليوم، ألا تريدين ذلك؟

- نعم، لا أريد ذلك.

ولم توضح السبب.

غادر "آدم"، وعانقت "هانا" أمها. قالت "إيفا":

- سنتواصل مع بعضنا بعضًا.

مسحت أمها عينيها، لكنها لا تزال تتظاهر بعدم البكاء.

سألتها "هانا":

– ماذا سنفعل؟ هل تريدين المساعدة في شيء ما؟

قالت أمها:

– سأذهب لقطف البرقوق.

– الآن؟

– نعم بالتأكيد، فقد كان ينبغي أن أفعل ذلك أمس. وإلا فإنه سيتعفن.

لم تقل "هانا" شيئًا، أخذتا الأوعية، وذهبتا إلى الحديقة لقطف البرقوق، ظلتا صامتتين، أمها لا تريد التحدث، بينما كانت "هانا" تريد مناقشة ترتيبات الجنازة معها، لكن أمها رفضت، أرادت "هانا" التحدث معها عن أي شيء، فهي تريد أن تعرف ماذا فعلت هي وأبوها مساء أمس، وكيف كان شعورها وهي تجلس بجانب جثته قبل أن يأتوا ويأخذوه بعيدًا، لكنها لم تسأل أمها عن ذلك.

وبدلًا من ذلك تحدثت معها عن "فيكتور"، لكنها كذبت عليها، وقالت لها فقط الأشياء الجيدة. استطاعت للحظات وجيزة أن تنسى ما حدث، كأن أباها لا يزال في الداخل، لا يزال يقرأ الجريدة، أو يؤدي بعض الأعمال، فقد كان يعمل باستمرار حتى لو لم يكن مضطرًّا إلى ذلك.

وعندما حملت أحد الأطباق المليئة بثمار الفاكهة المقطوفة إلى الداخل، نظرت في غرفة نوم والديها. كان سرير أبيها مرتبًا كما لو كان قد نهض منه للتو.

دخلت "هانا" إلى الغرفة، وأغلقت الباب خلفها.

الساعة تدق.

بكت "هانا" من جديد، ثم نادت في الغرفة الفارغة:

– أبي.

نظَّفتا كل الفاكهة.

– الآن سأصنع مربى منها.

- الآن؟

- نعم. فأنا لن أستطيع النوم على أي حال.

- أمي، سأذهب لإحضار "فيكتور" وأعود.

- هذا جنون أن تقودي السيارة لهذه المسافة البعيدة ثم تعودين. بالإضافة إلى أنه لا بد أن يذهب إلى المدرسة.

- لكني أود مساعدتك يا أمي، ربما يمكننا التحدث عن ذلك.

- لا، هذا لا، لكن يمكنك مساعدتي في نزع النوى منها.



غادرت في السابعة مساءً، وبكت مرة أخرى عندما رأت أمها في المرآة الخلفية للسيارة، وهي تلوح لها، وتقف هناك وحدها. اتصلت بـ"آدم" وسألته عن رأيه في سبب أن أمها لا تريد التحدث عن أي شيء. فقال لها:

- "هانا"، اتركيها وشأنها، فأنتِ تعرفينها، إنها ستخبرنا بكل شيء.

مرة أخرى تحدث معها بهذه النبرة المتعالية التي يتحدث بها "آدم" معها ربما طوال حياته. فهاجمته قائلة:

- أنت لا تهتم بأي شيء، أليس كذلك؟ لكن الأسوأ بالنسبة لك عندما تكون مضطرًّا لإيجاد محاسب والدفع إليه.

- أنتِ هستيرية بشعة، هل تعلمين؟

قال لها شقيقها ذلك، وأنهى المكالمة. تعلم "هانا" أنها بالغت في الأمر، فلماذا يتصرف كلاهما كأن شيئًا كبيرًا لم يحدث؟ ولماذا لا يستطيعون جميعًا التحدث عن ذلك بطريقة ما؟ ولماذا لا نتحدث عن أشياء مثل هذه في عائلتنا؟ لماذا مات أبي؟ ولماذا حتى لم يخبرني أنه مريض؟ رغم أنهما كما تعتقد كانا قريبين من بعضهما بعضًا.

ذهبت إلى المتجر لشراء النبيذ، بينما كان "فيكتور" الغاضب ينتظرها في المنزل، وقال لها:

– لماذا قلتِ إنك ستأتين مبكرًا؟ لماذا قلتِ ذلك من الأساس؟

لم تخبره "هانا" أن أباها قد مات، فقد لا يستطيع النوم. انصرف "فيكتور"، لكن "هانا" لم تملك القوة لتطلب منه حتى أن ينظف أسنانه ويذهب إلى فراشه. صبَّت لنفسها النبيذ وشربت، بعد قليل أرادت أن تدخن سيجارة، ففتحت النافذة. فبعد كل شيء عندما يموت شخص ما، فإنه يجب فتح نافذة في تلك الغرفة حتى تتمكن روحه من الطيران بعيدًا، فاتصلت بأمها، لتسألها: هل ذلك؟

– "هانكا"، لا يجب أن تشربي كثيرًا، خاصة عندما تكونين مع "فيكتور".

– فقط أخبريني هل فتحتِ النافذة؟

قالت أمها:

– بالطبع. اذهبي إلى النوم يا "هانيتشكا".

🏠🏠🏠

لم تذهب "إيفا" إلى غرفة النوم في تلك الليلة، وتساءلت لحظات: هل ستتمكن من النوم في ذلك السرير يومًا ما؟ عندما عادت بعد تسليمها الكعك، نظرت إلى "يندرشيخ" الذي لم يستيقظ لفترة طويلة، فعرفت على الفور أنه قد مات، على الرغم من أنه بدا كأنه نائم، لكن كان هناك شيء ما ليس على ما يرام. ذهبت إليه ولمست خده. لم يكن دافئًا ولا باردًا. وبلا فائدة وبغباء حاولت تحريكه برفق.

– "يندرا".

عادت إلى المطبخ واتصلت بطبيبهم.

ثم عادت إلى غرفة النوم وفتحت النافذة.

ثم بدأت تبحث في خزانة ملابسه عن شيء لتغير له ملابسه، وفي لحظةٍ ما عندما كانت تستدير، ظنت أنه يتحرك، فبقيت تنظر إليه لفترة طويلة. كان طائر "الشحرور" يقف هناك خارج النافذة على شُجيرة الورد ثم طار بعيدًا مجددًا،

فاهتزَّ غصن من الشجيرة، ربما كانت هذه هي الحركة التي رأتها "إيفا". في تلك اللحظة انفجرت في البكاء، وظنت أنها لن تتمكن أبدًا من التوقف، ولكن قبل وصول "أداميك"، كانت على ما يرام.



في رحلة

عندما استيقظت كنت لا أزالُ غير مدرك لأي شيء. أردت أن أحاول أن أكون ألطف طفل في العالم حتى ترى أمي ذلك، ولكن يبدو لي الآن أنه من المستحيل أن أتحمل شيئًا كهذا، وعندما لا تكون أمي هنا، فإن الأمر يصبح أكثر صعوبة، ومحاولة أن أكون لطيفًا مع جدتي شيء لا جدوى منه على الإطلاق.

على الإفطار اتفقنا أنها ستأخذني إلى المدرسة في الصباح، ما دامت تذهب إلى هناك بالفعل، إذا أردت، ويمكنني النزول عند المتنزه، ولا تأتي لتأخذني من أمام المدرسة، فأنا لا أريد ذلك، ففي الصباح يكون الأمر مختلفًا، فمن يوصلونه إلى المدرسة في الصباح يعني أنه غني، ولكن من يأخذونه منها بعد الظهر يعني أنه طفل صغير أو أنه "ليس سويًّا".

– ولماذا لم تُرِد التحدث إلى أمك أمس؟

رفعت كتفي وقلتُ:

– ليس لديَّ رصيد.

وأدركت أنها ليست كذبة بل يكاد يكون ذلك صحيحًا.

– سأشحن لك رصيدًا. ولكن كيف تتعامل مع أمك في موضوع مصروف الجيب؟

رفعتُ كتفيَّ مجددًا؛ فأنا لا أريد أن أخبر جدتي أن أمي تعطيني مائتي كرونة في الأسبوع، وعندما أقول لها، فإنها تعطيني المزيد من المال في أي وقت إذا أخبرتها بالسبب الذي أريده من أجله، ولا تقول لي لماذا كل هذه الحلوى مرة واحدة أو أي

شيء من هذا الهراء، لكن جدتي سترى أن مائتي كرونة هو مبلغ كبير. أمس عندما توقفنا في متجر صغير في طريقنا إلى المدرسة، رفضت أن تشتري لي ولاعة لعبة مضحكة، على الرغم من أن سعرها ثلاثون كرونة فقط، وقالت لي:

– دع عنك هذا، فلماذا تحتاج إلى ولاعة؟

يمكنني شراؤها بنقودي، وسأفعل ذلك اليوم، لقد أعطتني أمي خمسمائة كرونة.

– ربما مائة كرونة في الأسبوع، ما رأيك؟



في المدرسة سألتني المعلمة: لماذا لم يتم التوقيع على الملحوظة التي كتبتها في كراسة المتابعة؟ فقلتُ لها إن جدتي نسيت أن توقِّع عليها، فقالت لي إنها لا تعرف ما النظام الذي كنت أتبعه حتى الآن، لكن الأمور هنا تسير سيرًا مختلفًا. وزيادة على ذلك، قالت إحدى البنات إني أحتفظ بهاتفي مفتوحًا معي، وأنني أحيانًا أنظر فيه خلال الحصة، فقلتُ إن هذا ليس حقيقيًّا، لكن المعلمة أصرت أن أُريها الهاتف. إنه مفتوح لكني جعلته على الوضع الصامت، ما المشكلة في هذا؟ لكن المعلمة كتبت لي ملحوظة أخرى، وكان عليَّ أن أغلق الهاتف وأعطيه إياها، وقالت إنها ستعيده إليَّ بعد انتهاء اليوم الدراسي.

في أثناء الفسحة ذهبت إلى تلك الفتاة الغبية، وسألتها: ماذا يعني ذلك؟ فقالت لي: إنني "براجي"[7] مغرور فحسب، فقلت لها: إنها فتاة قروية غبية، وأنها تغار مني فقط لأن لديَّ "آيفون"، فأرتني هاتفها، هو أيضًا "آيفون" ولكن 5، فقلت لها: إن لديَّ "آيفون 6"، فقالت: إنني الآن ليس لديَّ شيء، وأن هاتفي مع المعلمة. وقالت أيضًا: إن تعبيرات وجهي توحي بأن كل شيء هنا سيئ، لذلك قلتُ لها فعلًا أن كل شيء هنا سيئ، فقالت: هذا فقط لأن سحنتك عَكِرة. رأيتُ أنه لا فائدة من التحدث معها، فذهبتُ لأجلس؛ فليس لديَّ ما

(7) نسبة إلى براج.

أفعله. خرجتُ إلى الممر، جاءت "مارتينا"، وجلست بجانبي، وقالت لي ألّا ألقي بالًا إلى "أندولا"، فهي تحب أن تكون هي من تملك أفضل الأشياء، وسألتني: هل أريد أن أخرج معهم بعد الظهر؟ جاء "فرانتا" وانضم إلينا.

وقال كما لو أنه يفتخر بذلك:

– أنا ليس معي هاتف محمول على الإطلاق.

– معك.

– حسنًا، لكن ليس معي رصيد، وأستخدمه فقط في حالات الطوارئ. فمثلًا الهاتف ليس معي اليوم.

قالت "مارتينا":

– حسنًا، ونحن ليس لدينا حتى جهاز كمبيوتر في المنزل، وكذلك الأولاد. لديهم جهاز كمبيوتر واحد فقط وهو جهاز والديهم.

وأضافت:

– وأنا حتى لا أستمتع كثيرًا بالجلوس إلى الكمبيوتر.

كانت تبدو لي لطيفة إلى أن قالت ذلك.

– سنتصل بك بعد الظهر عندما نكون في الخارج، حسنًا؟

لا أعرف أأرغب في ذلك أم لا، ربما أُفضِّل أن أبقى في المنزل، فلا أعرف هل من الممكن التحدث معهما في أشياء عادية، إذا كانا لا يعرفان أي ألعاب أو ما شابه.

قال "فرانتا":

– أنا لم أرَه خارج المدرسة بعد.

ثم وجَّه حديثه إليَّ:

– هل أنت مريض؟

– لا. وماذا في الخارج؟ إن السماء تُمطر باستمرار.

– وماذا في المنزل؟

- ألعبُ على الكمبيوتر.

دقَّ جرس المدرسة. أخيرًا يُمكنني أن آخذ الهاتف من المعلمة.

بعد المدرسة ذهبتُ لشراء هذه الولاعة والبسكويت، ثم مشيتُ إلى محطة الحافلات حيث الحافلة التي تذهب إلينا. لم يكن هناك أحد غيري، لأن كل من أعرفهم قد ذهبوا جميعًا لتناول الغداء، ولا يوجد هنا أي شخص بالغ. على مسافة أبعد قليلًا عبر الطريق تقف هناك قطة برتقالية اللون تلعق يديها. نظرتُ إلى هذا الجدول الزمني للحافلة، ولم أفهمه على الإطلاق؛ فهناك مطرقتان متقاطعتان[8].

أمسكتُ بولاعتي الجديدة، وأشعلتُ النار في هذا الجدول الزمني للحافلة، هو جدول ورقي في غلاف من البلاستيك. في البداية لم يشتعل، ولكنه بعد ذلك احترق. تبقى فقط الغلاف البلاستيكي، الذي تقوس وانصهر. غادرتُ المكان، وذهبتُ إلى موقف الحافلات، كان هناك الكثير من الناس، فسألتهم: هل هناك أيُّ شيءٍ يذهب إلى براج؟

نصحتني سيدة على أنفها نمش أن أركب القطار.

اشتريتُ تذكرة، وأغلقتُ هاتفي حتى لا يتمكنوا من الاتصال بي. عندما انطلق القطار، شعرتُ فجأة بأنني في حالة جيدة تمامًا. أخذتُ أشاهد المناظر الطبيعية وهي تمر أمامي، وأرى وجهي في انعكاس النافذة المتسخة، ولم أهتم حتى بأن هاتفي مُغلق، وشعرتُ كأن شيئًا عظيمًا قد بدأ. في الطريق رأيتُ قطيعًا من الغزلان، نحو خمسين، وأغلبهم مستلقٍ على الأرض، لم أرَ شيئًا كهذا من قبل، فصرختُ بصوتٍ عالٍ، لم أفعل ذلك عمدًا:

- انظروا، الغزلان!

وقفزتُ من مقعدي. لم توجد معي في المقصورة سوى فتاة واحدة، تضع سماعات الرأس، فنظرت إليَّ لترى هل قلتُ شيئًا، لكني فقط هززتُ رأسي بأنه لا

(8) تشير المطرقتان المتقاطعتان في الجداول الزمنية لتقاطُر الحافلات والقطارات، إلى أن هذه المواعيد تسري في أيام العمل، أي من الإثنين إلى الجمعة، ولا تسري في عطلة نهاية الأسبوع، لأن المطرقتين هما رمز للعمل.

شيء، وجلست، لكن لا يزال بإمكاني رؤيتهم، أخذوا يبتعدون ويبتعدون حتى اختفوا. وفجأة أردتُ البكاء؛ لأنني لا أحب أن أكون وحدي، وأفضِّل لو نزلتُ من القطار، ورجعت مرة أخرى، لأن جدتي تنتظرني، لا بد أنها اتصلت بأمي، وستكون أمي غاضبة للغاية، وستقول إن هذه مصيبة أخرى من مصائبي. لكن القطار لم يتوقف، وفجأة أصبح في براج. أُضيء نور القطار، وبدا كأن المساء قد حل في الخارج. نزل الجميع من القطار، وأسرعوا بعيدًا. لم أعد أشعر بأني على ما يرام ولو قليلًا، أعلم أنها كانت فكرة سيئة، أعلم أن أمي الآن تعرف كل شيء بالفعل، وأنني سأواجه مشكلة. الشيء الوحيد الذي تريده أمي هو أن يكون هاتفي متاحًا طوال الوقت، ولهذا السبب اشترت لي هاتفًا محمولًا، "وليس لكي تلعب البوكيمون، يا "فيكي"". إنها تريد معرفة مكاني باستمرار، أي عندما تريد هي أن تعرف أين أنا. إنها لا تُطيقني أن أفعل هذا. أنا لم أركب قطارًا قط إلى أي مكان من قبل، ولكن عندما كنت أغضب، كنت أترك هاتفي في المنزل، وأخرج حتى تقلق عليَّ، ولكن في إحدى المرات انفجرت أمي في البكاء عندما عدتُ إلى المنزل، فقد كانت تجلس في الظلام في المطبخ. جعلتني أعدها بأني لن أفعل ذلك مرة أخرى، ثم عرضت عليَّ فيلمًا سيئًا عن طفل مفقود. وغم أنها كانت تشاهده معي، فقد كان مقززًا، ولم توقفه إلا عندما وعدتها أنني لن أترك هاتفي في المنزل قط عمدًا، أو أني لا أرد عليها عمدًا.

لا أستطيع العودة إلى المنزل، فليس معي مفاتيح على أي حال. بقيت واقفًا في المحطة، فليس معي ما يكفي من النقود لشراء تذكرة العودة، وأشعر بالبرد. اشتريت البطاطس المقلية من "ماكدونالدز"، ثم فتحت هاتفي، ربما سأفكر في شيء ما بعد تناول الطعام، بالإضافة إلى ذلك، كان يوجد في "ماكدونالدز" "بوكيمون دراجون"، وهو ليس عندي، وأريده.

اتصلت جدتي. أجبتُها، فأنا أفضِّل أن تكون هي الغاضبة وليست أمي.

كانت "إيفا" تُعد الغداء، وتنتظر وصول "فيكتور" بالحافلة في الساعة الثانية إلا ربعًا، لكنه لم يأتِ، لذا ارتدت ملابسها في الساعة الثانية والنصف، وسارت في اتجاه محطة الحافلات لعلها تقابله في الطريق، فلا بد أن يلحق بالحافلة التالية التي ستصل في الثالثة إلا ربعًا، رأت الأطفال الآخرين وهم ينزلون من الحافلة، لكن "فيكتور" لم يكن بينهم. فأسرعت إلى "فرانتا" و"كايا"، وسألتهما:

- ألم تريا "فيكتور"؟

قال "فرانتيشك":

- رأيناه فقط في المدرسة.

سأل "كايا":

- من "فيكتور" هذا؟

قال "فرانتا":

- أنت غبي! أليس كذلك؟ إنه هذا الولد الجديد.

- لا، لم أرَه.

- ألم يكن في المحطة؟

- نعم.

شعرت "إيفا" بالانقباض، وعادت بسرعة إلى المنزل، أخذت مفاتيح السيارة، وذهبت للبحث عنه، لكنها ستتصل به أولًا، كان هاتفه مغلقًا. شعرت "إيفا" بالخوف، على الرغم من أنه بالتأكيد يتسكع في مكان ما، ولهذا السبب لم يرِدني أن آخذه من المدرسة، لكن كان عليَّ أن أذهب إليه، وليفعل ما يفعل. الآن عليها أن تجده أولًا.

بينما تقود السيارة عبر المدينة الصغيرة، أخذت تسأل عنه الأطفال المارة مِمَّن هم في مثل سنه، وقد تملَّكها الذعر، فماذا لو حدث له شيء؟ وماذا لو أنه اختُطف؟ هل عليها الاتصال بالمستشفى؟ أم الاتصال بالشرطة؟ أم هل عليها أولًا الاتصال بـ"هانا"؟ الساعة الآن الرابعة عصرًا، بينما هو يخرج من المدرسة

في الثانية عشرة والنصف ظهرًا. حاولت الاتصال به مرة أخرى، رن الهاتف لفترة طويلة جدًّا. "لا فائدة، سأتصل بالشرطة"، لكنها لم تستطع إنهاء المكالمة، فالهاتف يرن على نحو مستمر. فجأة ردَّ شخص ما على الهاتف.

- "فيكي"، "فيكي"، أهذا أنت؟ من فضلك أجب، قل شيئًا.

قال "فيكتور":

- نعم، إنني أنا.

كادت "إيفا" تصاب بالجنون، فقد جاءت في رأسها صورة لبعض الأجانب الذين يملأ الوشم أجسامهم، ويخطفون الأطفال من أجل المال، وهم يقفون حول "فيكتور" المقيد في مرأب مظلم، وكذلك صورة شخص مختل يضحك، وهي تسمع أنفاسه عبر سماعة الهاتف، ولا يريد سوى قتل "فيكتور" وتعذيبها هي.

- أين أنت؟ هل أنت بخير؟ تكلم.

- نعم بخير.

صرخت "إيفا" قائلة:

- إذًا أين أنت؟

قال "فيكتور":

- في براج.

شعرت "إيفا" بالغضب الشديد تجاه "هانا"، هو في براج وهي حتى لم تتصل بها، وتتركها هكذا في هذا الرعب. ثم قُطعت المكالمة، لا بد أن تكون بطارية هاتفه قد نفدت، لأنه يلعب عليه باستمرار هذه الألعاب الغبية.

اتصلت "إيفا" بـ"هانا"، ردت بعد الرنة الثانية، وقبل أن تتمكن من التحدث، قالت "هانكا" بغضب:

- أمي، أنا لا أستطيع التحدث الآن، أنا في اجتماع، هل حدث شيء؟ هل يمكنني الاتصال بك في وقت لاحق؟

أدركت "إيفا" أنها لا تعرف شيئًا، ولا تدرك أي شيء على الإطلاق.

- أمي؟

- لا، لم يحدث شيء، حسنًا، سأتصل بك لاحقًا، إلى اللقاء.

رن صوت رسالة نصية: "هل ستأتين من أجلي؟"

اتصلت به مرة أخرى. هذه المرة رد على الفور.

- لماذا لم تتصل بأمك؟

ظل صامتًا.

- اذهب إلى مكان دافئ وانتظرني. إلى مقهى مثلًا. ولا تلعب على هاتفك المحمول حتى لا تنفد بطاريته. سأكون عندك تقريبًا بعد ساعتين.

- ولكن ماذا سأفعل كل هذا الوقت؟

- لا أعلم، اشترِ مجلة أو شاهد القطارات وهي تغادر. لكن لا تستنفد شحن هاتفك، حسنًا؟ وإلا فلن أتمكن من الوصول إليك. ولا تتحدث مع أي شخص، ولا تجلس في مكان مظلم، أتفهم؟

- نعم.

- سأتحرك الآن، بعد ساعتين تقريبًا سأصل، حسنًا؟ هل ستقدر علي ذلك؟ أم أن عليَّ أن أتصل بشخص ما هناك، برجال الشرطة مثلًا؟

لا، أنا ذاهب إلى "ماكدونالدز".

قالت "إيفا":

- سلام.

ظل "فيكتور" صامتًا:

- "فيكتور"، ما الأمر؟

- هل ستخبرين أمي بذلك؟

كذبت "إيفا" وقالت:

- لا أعلم.

- اذهب إلى "ماكدونالدز" واشترِ شيئًا لتأكله، وإذا حدث أي شيء، فاتصل بي.

أنهت المكالمة، وشغَّلت محرك السيارة، من المفترض أن تتصل بـ"هانا"، فهي ستكون هناك أسرع منها، لكنها لا تريد أن تفعل ذلك، إنها تريد حل المشكلة بنفسها، ستقدر على ذلك. فجأة شعرت بارتياح كبير، على الرغم من أنها لا تحب القيادة ليلًا، فهي لا ترى جيدًا كما كانت من قبل، ولا تستطيع القيادة في وسط براج، فقد كان "يندرشيخ" دائمًا هو من يقود السيارة عندما يذهبان إلى براج، وإذا تصادف وقادت هي السيارة، فإنهما يتبادلان الأماكن في محطة الوقود الموجودة على مشارف براج.

ورغم أنه يوجد جهاز ملاحة في سيارتهما GPS، لكنها لا تعرف كيفية استخدامه، حاول "يندرشيخ" ذات مرة أن يشرح لها ذلك، لكنه أخذ يشرح ذلك لفترة طويلة إلى درجة أنها لم تستطع تحمُّل ذلك، وأخبرته أنها لا تريد أن تعرف، فإلى أين ستذهب بمفردها، وعندما كانت تُضطر إلى الذهاب إلى مكان بمفردها، كان يضبطه هو دائمًا لها قبل المغادرة. يهز "يندرشيخ" رأسه مستسلمًا، ويُعيد وحدة التحكم إلى الصندوق. فكرت "إيفا" لحظات أعليها أن تحاول ضبط اتجاه براج، محطة القطار الرئيسة، أم من الأفضل أن تنطلق، وتعتمد على تخمينها بطريقة ما. فضلت أن تنطلق وألَّا تُعطل نفسها في ضبط جهاز الملاحة، فيمكن هناك أن يُقلَّها المترو.



لم أتمكن من اصطياد هذا "الدراجون" بسبب جدتي، لذا أريد اصطياد شيء آخر. تجولت في مبنى المحطة لبعض الوقت وأمسكت بنحو ثلاثة "بوكيمون" قبل أن أرى رجلًا ثملًا ممددًا على الأرض، ولا يستطيع النهوض، ولا يهتم به أحد، فشعرت بالخوف منه أيضًا، ولكن بعد ذلك قلتُ في نفسي: "ماذا لو كان قد حدث له شيء؟ ماذا لو لم يكن مخمورًا، وكان مصابًا بمرض

السكري على سبيل المثال؟". فقد رأيت ذات مرة على شاشة التلفزيون أن هذا يمكن أن يحدث، لذلك ذهبتُ إلى أقرب متجر وقلت لهم:

- إن هناك رجلًا يرقد، ويمكن أن يكون قد حدث له شيء.

لكن البائع أشاح بيده قائلًا:

- حسنًا، سأخبرك بما حدث له.

لكنه لم يقل أي شيء آخر.

فضلتُ العودة إلى "ماكدونالدز". رن الهاتف وظهر إشعار على الشاشة يفيد بأن النسبة المتبقية في البطارية هي عشرون بالمائة. وضعت الهاتف على الطاولة، وبدأت أشعر بالملل. ربما بوسعي أن أؤدي واجباتي المنزلية، لكن لم تكن لديَّ رغبة في ذلك. لذا جلستُ هناك وأنا أنظر إلى الهاتف المظلم.

اتصلت أمي، فاضطررت في النهاية إلى قبول المكالمة، لأن جدتي لو أخبرتها، فلا يهم، فستكون فقط غاضبة فقط غضبًا مبالغًا فيه، وإذا لم تكن قد فعلت، فلا أريد أن أبدو مثيرًا للريبة. على الأرجح لم تخبرها؛ لأن أمي سألتني فقط عن حال المدرسة، وهل تسير الأمور جيدًا مع جدتي؟ فقلتُ لها:

- نعم.

- إن لديك بعض الضوضاء هناك.

- نعم، أنا ألعب، هذا ضجيج اللُّعبة.

- إذًا فالوضع أفضل؟

- نعم، أفضل.

- سأراكَ يوم السبت، حسنًا؟ سنفعل شيئًا معًا في عطلة نهاية هذا الأسبوع.

- هل يُمكن أن نذهب إلى براج؟ لماذا لا أستطيع العودة إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع ورؤية أصدقائي، فيمكنني الخروج مع "أوندرا" أو "كارلوس".

- حسنًا، ربما. سنتفق لاحقًا على ذلك، فليس معي مفكرتي، حسنًا؟

- حسنًا.

جاء صوت ميكروفون المحطة معلنًا مغادرة بعض القطارات. هرعتُ إلى الحمام.

- "فيكي"، هل أنت في المحطة؟

- لا.

- إذًا ما هذا الصوت؟

- لا شيء، أنا أشاهد بعض مقاطع الفيديو على اليوتيوب.

- ألا يمكنك إيقافها عندما نتحدث؟

دخل رجل ما إلى المرحاض.

- إن بطارية هاتفي توشك على النفاد، لا بد أن أُنهي المكالمة، سأتصل بكِ لاحقًا. سلام.

لم أنتظر رد أمي على تحيتي، وفضَّلتُ إنهاء المكالمة. ما دامت جدتي لم تُخبرها، فلن أخبرها. رنَّ الهاتف معلنًا أن نسبة شحن البطارية هي عشرة بالمائة فقط. أخذ الرجل ينظر إليَّ.



كانت رحلة صعبة، لقد قادت السيارة على الطريق السريع بسرعة مائة وعشرة كيلومترات، فهي لا تستطيع القيادة بسرعة أكبر؛ فـ"إيفا" تشعر بالخوف، إنها لا ترى جيدًا، بالإضافة إلى ما تشعر به من ضغط نفسي، ربما كان عليها حقًّا الاتصال بأمن المحطة أو شخص بالغ يمكنه الاهتمام بـ"فيكتور" حتى لا يحدث له شيء في هذه المحطة البشعة، لقد أخطأت في هذا. حاولت القيادة بسرعة أكبر، لكنها لم تستطع الاستمرار لفترة طويلة، أبطأت مرة أخرى من سرعتها. إن "هانا" تتصل بها، لكن "إيفا" لا تستطيع الرد على الهاتف، فسيشكل هذا خطيرًا حقيقيًّا عليها، بالإضافة إلى أنها لا تريد أن تكذب عليها، ستتصل بها من المنزل. وصلت إلى براج واتجهت إلى وسط المدينة، إنها لا تعرف أي شيء، وتشعر باليأس

أكثر فأكثر، فهي ستضل طريقها بالتأكيد، كما أنها أيضًا جائعة جدًّا، فقد كانت تنتظر "فيكي" على الغداء. فجأة ظهرت أمامها محطة مترو. إنها محطة لا تعرفها، ولم تأتِ إليها من قبل، ولا تعرف حتى أهذا الخط يؤدي إلى محطة القطارات أم لا، لكن لا يهم، فلا بد أن الذهاب بالمترو سيكون أسهل على أي حال.

اتصلت بـ"فيكي"، رد على الفور:

- إذًا سأذهب لأنتظركِ في محطة المترو.

- لا، لا تذهب إلى المترو، فهذا خطر.

- جدتي، أنا أركب المترو باستمرار، لا تقلقي، فلن أسقط على القضبان. من أي اتجاه ستأتين؟ سأنتظرك.

- أنا في محطة "فيسوتشني".

- لا أعرفها.

- أترى، إذًا انتظر في مكانك.

- إنهم ينظرون إليَّ نظرات غريبة.

- حاول أن تتحمل. فالعثور على "ماكدونالدز" قد يكون سهلًا عليَّ.

- نعم، هذا أمر بسيط، فهناك حرف M عملاق مضاء.

- وداعًا مؤقتًا ولا تذهب إلى أي مكان.

وصل المترو، وركبت "إيفا"، وهي تأمل أن تكون قد ختمت التذكرة الصحيحة بماكينة التذاكر. لم تتمكن من العثور على "ماكدونالدز"، لكن أخيرًا، أخيرًا رأت "فيكي"، كان يجلس هناك في الزاوية مع حقيبته، ذهبت إليه، أرادت أن تبكي، جلست بجانبه، قال لها "فيكتور":

- مرحبًا.

رأى في عينيها أنها سعيدة برؤيته، لكنها لا تريد التحدث الآن، فلو تحدثت معه فستقول له شيئًا سيئًا، أو أنها ستنفجر في البكاء، وهي لا تريد أن تبكي أمامه.

فقال "فيكتور":

- هل سنذهب الآن؟

أومأت برأسها، لكن ربما ينبغي لها أن تأكل شيئًا، لكن رائحة الطعام هنا غريبة، فهي لا تأكل مثل هذه الأطعمة.

سألته:

- ألست جائعًا؟

هز رأسه، فرأت أنه متردد، ولم تسأله "إيفا" مرة أخرى، فليس لديها رغبة أن تكافئه وتشتري له طعامه المفضل.

نهضا، وذهبا إلى المترو.

في السيارة ضبط "فيكي" اتجاه قرية "ريبنا" على جهاز الملاحة (الجي بي إس). نظرت إليه "إيفا" وهو يفعل ذلك بمنتهى السهولة. بعدها جلس في الخلف دون أن ينبس ببنت شفة. راح في النوم قبل أن يغادرا براج. في محطة الوقود اشترت "إيفا" قهوة بالحليب في كوب من الورق المقوَّى واتصلت بـ"هانا". "نعم كل شيء على ما يرام، "فيكي" بخير، لا، نعم هو بخير اليوم". بالطبع ستخبرها بما حدث، لكن ليس اليوم.

فقط عندما كانا يمران بالسيارة في المدينة بجوار ملعب كرة القدم، تذكرت "إيفا" أنه كان من المفترض أن يذهب "فيكي" اليوم للتدريب. نظرت في مرآة الرؤية الخلفية، لكن "فيكي" كان نائمًا.

أيقظتني جدتي، فقد وصلنا إلى المنزل.

- هل فعلت ذلك بسبب كرة القدم؟

استغرقت بعض الوقت لأفهم ماذا تقصد بذلك. لا، لقد نسيت تدريب كرة القدم.

لكني قلتُ لها:

- نعم.

فقالت جدتي:

- إذًا فقد جنيت على نفسك، وإذا فعلتَ شيئًا كهذا مرة أخرى، فلن تبقى هنا، وأنا لا أعرف ماذا سيحدث معك بعد ذلك.

تركتني في السيارة، ودخلت إلى المنزل. ذهبتُ وراءها ببطء.

لم تُدفئ جدتي غرفتي، ولم تُعِدَّ لي أيَّ شيء لآكله، لقد دهنت قطعة من الخبز بالزبد لنفسها، ثم ذهبت على الفور إلى غرفة نومها، لكني لم أتبعها إلى هناك، فماذا لو كانت تغير ملابسها؟ لذلك قطعت أيضًا الخبز لنفسي، بدا لي أنه سميك جدًّا من جانب ورقيق جدًّا من الجانب الآخر، وأخذت شريحة من اللانشون من الثلاجة، وصعدت إلى الطابق العلوي، وحاولت أن أُشعل الموقد، لكني فشلتُ مرة أخرى. كانت الغرفة باردة، استلقيت تحت اللحاف، والخبز يتفتت على السرير، شعرت بالبرودة في أنفي. هناك مكالمتان فائتتان من أمي، ورسالة منها تسأل كيف حالي.



عادت "هانا" إلى شقتها الخاوية، حيث يسود الصمت، أشعلت الأضواء، يوجد في المطبخ على الطاولة كوب شربت به شاي الصباح، ويوجد طبق في الحوض، وهناك أوانٍ في غسالة الأطباق، يجب أن تخرجها، ثم تُحضِّر شيئًا للعشاء، كانت الثلاجة مليئة فقط بالأطعمة الصحية التي اشترتها، وجدت شرائح الدجاج، لكن صلاحيتها ستنتهي غدًا، لذا يجب أن تأكلها الآن، لكنها بدلًا من ذلك أغلقت الثلاجة مرة أخرى، وذهبت إلى غرفة "فيكي"، واستلقت على سريره مرتدية ملابسها. لقد رفضت الليلة دعوة من "دانيل" ومن "لينكا"، التي تحتفل بعيد ميلادها مع فتاة أخرى قد نسيت "هانا" اسمها بالفعل، فقد أرادت أن تكون مسؤولة؛ ففي صباح الغد لديها تدريب، ثم بروفة، وفي المساء مسرحية، لكن ماذا اعتقدت أنها ستفعل في هذه الشقة الفارغة؟ نظرت حولها في الغرفة نصف الفارغة، كان عليها أن تُعطي وعدًا لـ"فيكي" بأنهما سيأتيان

إلى هنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، كما أنه كان عليها أيضًا ألَّا ترتبط بأي شيء في عطلة نهاية الأسبوع، لكنها وعدت والدتها بالفعل بأنها ستقضي عطلة نهاية الأسبوع هناك، فـ"آدم" سيأتي مع أسرته أيضًا، وأمها تتطلع إلى ذلك، كما أن أمها تعتقد أنه لن يكون من الجيد أن يأتي "فيكي" إلى هنا في عطلات نهاية الأسبوع، فهذا سيجعل الوضع صعبًا عندما يعود يوم الأحد، "وسترين، إنه سيجد أصدقاء جددًا هنا". هذا ما أرادته "هانا" أيضًا، لذلك فإنها لن تبكي على ذلك، لكنها فجأة انفجرت في البكاء، لقد رحل طفلها الصغير، ولن يعود أبدًا كما كان، ولن يحبها أبدًا بالقدر نفسه. كانت "هانا" تعرف ذلك، وكانت دائمًا تتقبَّل أنه سيتركها في النهاية، ولن يعود أبدًا. بالفعل لقد بدأ يتركها تدريجيًّا منذ اللحظة الأولى التي أدارت له فيها ظهرها، وخرجت من الحضانة وهو يبكي. وما حدث الآن كان ضروريًّا مثل الحضانة، ورغم ذلك ظلت "هانا" تبكي بصوت عالٍ في الغرفة الفارغة، فقد كان ينبغي لها أن تذهب إلى عيد الميلاد هذا، وألَّا تظل هنا وتأسف لحالها، فكل الأطفال سيكبرون وسيستقلون بحياتهم. إنها الآن رغم كل شيء قد ساعدت والدتها، وساعدت نفسها، إن "فيكي" طفل رائع، ولن يُفضل والدتها عليها أبدًا، حتى لو عاش معها لفترة من الوقت، سيكون كل شيء على ما يرام. قالت لنفسها: "الآن عليكِ أن تستجمعي قواكِ يا "هانا""، ثم نهضت وذهبت أخيرًا إلى المطبخ، أخرجت عبوة من شرائح الدجاج من الثلاجة، فسوف تُعد لنفسها سلطة "سيزار"، ثم تُراجع النص المسرحي، وربما ستفتح زجاجة نبيذ، لكنها ستشرب فقط كأسًا مزدوجة، وتذهب إلى النوم مبكرًا. سعدت بهذه الخطة، فيمكنها أن تفعل ذلك، وهكذا ستجعل "فيكي" يفتخر بها يومًا ما. ولكن عندما فتحت عبوة شرائح الدجاج، وجدت أن رائحتها نتنة بالفعل. فألقتها كلها في سلة القمامة، وكتبت إلى "لينكا" لتسألها: أين هم الآن؟ وذهبت لتغيير ملابسها، ووضع المكياج،

وعندما كانت تستعد للمغادرة، تذكرت أن تأخذ كيس القمامة من سلة المهملات لتلقيه في صندوق القمامة في الخارج. من الجيد أنها تذكرت هذا، وإلا كانت ستجد رائحة اللحم الفاسد تفوح من السلة عندما تعود. جعلها هذا تشعر بالسعادة، فهي رغم ذلك لا تزال قادرة على التعامل مع الحياة.

أفرغت سلة المهملات، وأرسلت رسالة إلى "دانيل"، وطلبت منه أن يأتي إلى البار أيضًا.



أمه أيضًا تفتقده

سألتني جدتي ونحن نتناول طعام الإفطار:

- إذًا، تريد أن تركب الحافلة وحدك؟

فأجبتُها:

- نعم.

اعتقدتُ أن الجدة تقصد فقط عند عودتي من المدرسة في فترة ما بعد الظهر، لكنها قالت: "إن الحافلة تغادر في الساعة 7:20" لذا:

- عليك أن تذهب الآن، وتحرك لتضع الأطباق في الغسالة.

نظرتُ في هاتفي، كانت الساعة السابعة إلا ربعًا، لذا تركت الكعكة والشاي، وذهبت لأرتدي ملابسي. لم أنظف أسناني، فلن أتمكن من فعل ذلك، بللتُ فرشاتي، وأكلت قليلًا من معجون الأسنان.

ألقت جدتي نظرة على ملابسي، وأجبرتني على ارتداء معطف واقٍ من المطر فوق سترتي، لقد كان كبيرًا جدًّا بالنسبة لي، فهو يصل إلى الأرض لأنه معطفها، لم أكن أعرف أين معطف المطر الخاص بي، هذا إذا كان عندي معطف بالفعل. وقفت جدتي على عتبة المنزل، وأخذت تنظر إليَّ وأنا أغادر.

عندما غادرتُ المنزل كانت السماء تمطر بغزارة شديدة، فشعرت بالرضا لأني أرتدي معطف المطر هذا.

في الطريق إلى الحافلة مرت بي سيارة مسرعة، ونثرت الماء عليَّ. ثم مر بي "فرانتا" وشقيقه على دراجتيهما، وكذلك "مارتينا"، التي تركب دراجة كبيرة.

وجهوا إليَّ التحية واستمروا في طريقهم.

لحقتُ بالحافلة بعد أن ركضت عبر الطريق. كان الناس جالسين في الحافلة وينظرون إليَّ.

جلس "كاريل" و"فرانتا" و"مارتينا" مع صبي كبير وغريب، بينما جلستُ أنا في مكان آخر وحدي.

وبينما كانت الحافلة تسير، كنتُ أنظر إلى الخارج، فأرى الأبقار وهي ترعى على طول الطريق، والمطر يتساقط عليها. ألا يزعجها ذلك؟

عندما نزلنا في محطتنا، مرت بنا جدتي بالسيارة، ولوحت لي بسعادة.

لا جديد في المدرسة.

لا جديد أيضًا في فترة ما بعد الظهر، كانت السماء تُمطر، ولا يُمكن الخروج من المنزل حتى لو أردت ذلك. عليَّ أن أساعد جدتي في الطبخ حتى آخذ استراحة من الكمبيوتر. يجب أن أُحضر الخشب، وأُقشِّر التفاح، وأقطعه إلى شرائح.

في اليوم التالي أيضًا لم يكن هناك جديد، ومرة أخرى مر بي الجميع على دراجاتهم في أثناء ذهابنا إلى الحافلة، وفي المحطة ابتسم لي الصبي الكبير الغريب، وألقى عليَّ التحية بطريقة تدل أنه من ذوي الاحتياجات الخاصة. ألقيتُ عليه التحية، لكني لم أتحدث معه.

جاء الثلاثة، وربطوا دراجاتهم بالعمود تحت المظلة، لا أعرف لماذا لا يكملون طريقهم إلى المدرسة ما دامت دراجاتهم معهم؟ جلسوا معًا، وجلستُ أنا في مكان آخر.

ثم ذهبتُ بعد الظهر للعب كرة القدم، أخذتني جدتي من أمام المدرسة، وأوصلتني إلى هناك. هناك بعض الأشخاص الذين أعرفهم من المدرسة. كان المدرب من النوع الذي يسخر مني، وينادينى بـ"الطائر المغرد"، كما يوجد هناك بعض الصبية الذين يملكون "آيفون 5"، ويستمتعون بالحديث عن كيفية شغلهم لـ"الجيم" GYM[9] في لعبة "البوكيمون"، وكيف أن لديهم أقوى "بوكيمونات"، لذلك أريتهم ما عندي وهي أقوى. ومن الطبيعي أن يحدث هذا، لأن هناك عددًا أكبر منها في براج. فقالوا لي على الفور: "إن عليَّ أن أذهب إلى براج تلك، ما دام الحال هناك بهذه الروعة"، وتوقفوا عن الحديث معي. إنهم مجموعة من الأغبياء، لأن الجميع يعرف ذلك، وأنا لم أقل إن الحال في براج رائع، رغم أنه كذلك وهو أفضل ألف مرة من هنا، ليس فقط فيما يخص "البوكيمون"، ولكن في كل شيء. وبعد ذلك عندما كنا نلعب، عرقلني أحدهم، على الرغم من أنه لم يكن هناك داعٍ إلى ذلك، وعرقلته أنا أيضًا.

ثم ألقيت لهم "بوكيموناتهم" خارج "الجيم" المجاورة للملعب، وانتظرت حتى يغادروا جميعًا بعد التدريب. لم ألحق بالحافلة، واضطررتُ إلى الاتصال بجدتي لتأتي لتأخذني، كان لا بد أن أفعل ذلك.

في اليوم التالي، أردتُ مثلهم الذهاب بالدراجة، كانت لدى جدتي دراجة لكنها لم تستخدمها منذ فترة طويلة وإطاراتها فارغة. وهي لا تعرف أين المنفاخ. إن جدي هو من كان يعرف ذلك. أخذت جدتي تبحث عنه في الورشة المنزلية لجدي، وقد بدا أنها توشك على البكاء في أي لحظة. لذا فضلتُ أن أقول لها لا داعي إلى ذلك، فأنا -على أي حال- سأطلب من أمي أن تشتري لي دراجة أصغر. رغم أن

(9) (اختصار لـ Pokémon Gym) وهو المكان الذي يذهب إليه مدربو Pokémon في هذه اللعبة لتدريب "البوكيمون" الخاص بهم. تمامًا مثل صالات الألعاب الرياضية الواقعية.

أمي كانت قد قالت إنها لن تشتري لي دراجة أبدًا بعد أن سُرقت مني دراجتان. حينها كان عليَّ أن أعترف لأمي أنني ربما قد أكون نسيتُ تأمينهما بالقفل.

قلت لنفسي إن عليَّ أن أستكشف ورشة جدي هذه.

ذهبت مشيًا مرة أخرى.

اشترت الجدة مدفأة كهربائية جديدة. عندما يجري تشغيلها، تصبح بعد قليل قضبانها الموجودة أسفل الغطاء ساخنة تمامًا، وتتحول إلى اللون البرتقالي.

كان عندي تدريب آخر ظهيرة يوم الجمعة، ولكن داخل صالة الألعاب الرياضية. تلقيت ضربة قوية في ضلوعي من أضخم ولد في الأولاد. اعتذر إليَّ الولد، لكن كان باستطاعتي أن أرى أنه فعل ذلك متعمدًا. ثم ضربة أخرى. إن التدريب مزعج لي للغاية حتى دون حدوث هذه الأشياء، ولا تسير الأمور بالنسبة لي سيرًا جيدًا، وأتمنى أن أُطرد إذا رأى المدرب ذلك.

كانت أمي تنتظرني أمام صالة الألعاب الرياضية بسيارة صديقها "دانيل"، وعندما نزلتْ من السيارة ونادتني، ركضتُ نحوها، وعانقتُها رغم أن الجميع كانوا ينظرون إليَّ، تعانقنا طويلًا، وأخذت أمي تبكي.

قالت:

- أرني نفسك.

أخذت تنظر إليَّ وترمش بسرعة. قلت لها:

- أنتِ لا تبكين، أليس كذلك؟

ثم قالت لي عندما جلسنا في السيارة، وأعطتني الحلوى المفضلة لديَّ، وهي أصابع الشوكولاتة "تويكس":

- احكِ لي.

- أنا أكرهُ كرة القدم.

- وخلاف ذلك؟

- لا شيء آخر. إن السماء تُمطر هنا باستمرار، وجدتي...
- ماذا عن جدتك؟

أردت أن أقول إن جدتي غاضبة مني، لكن لا أستطيع أن أُفصح عن السبب، لأنني لا أريد أن أخبر أمي أنني ذهبت إلى براج.

- لا شيء.
- "فيكي"، أنت تعرف جدتك.
- حسنًا.
- حسنًا، سنعتاد ذلك. كلنا. أنا حزينة أيضًا. ولكننا سنقدر على فعل ذلك، حسنًا؟
- ولكن إذا استطعت أن أتحمل ذلك، فهل ستعيدينني إليكِ مرة أخرى؟
- لا يمكنك تغيير المدرسة باستمرار.

قلتُ في نفسي إن هذا لا يعني "لا"، فشعرت بالسعادة. حتى إنني ابتسمت أخيرًا لأمي.

ابتسمت لي أيضًا. تعانقنا مرة أخرى. فشعرتُ أن ضلوعي تؤلمني قليلًا.

رجوتُ أمي لنمُرَّ بالسيارة على جميع صالات الألعاب الرياضية الخاصة بـ"البوكيمون" في المدينة، نظرت إليَّ أمي نظرة كأنها تقول لي: "ما هذا الجنون؟" لكنها في النهاية فعلت ذلك من أجلي، وحاولت خلال المعارك أن تقدم لي النصائح، لكنها لا تفهم ذلك على الإطلاق وتسأل عن أشياء غير منطقية تمامًا، فقد سألت مثلًا:

- لماذا هذا "البوكيمون" يقذف الطين هكذا؟
- حسنًا، لأن هذه هي الطريقة التي يُقاتل بها.

فماذا يمكنني أن أقول غير ذلك؟

وصلنا إلى المنزل، كان هناك زوجان من القرع العملاق بجانب الباب. بينما تفوح من المنزل رائحة الطعام، إن رائحة الطعام تفوح من المنزل باستمرار، لكننا لم نرَ جدتي على الفور، لأنها كانت في الطابق العلوي تنقل أغراضي إلى

الغرفة الصغيرة الأخرى، على الرغم من أن رائحة طلاء الجدران لا تزال موجودة، ولكن أقل من ذي قبل.

– هل سأُضطر إلى فَكِّ الكمبيوتر مرة أخرى؟

– ليس لدينا خيار آخر.

قالت أمي:

– يا إلهي! ليبقَ في هذه الغرفة، فقد استقر هنا.

– عندما تقولين استقر هنا، فهل تقصدين أنه أفسد هنا؟

ثم أضافت جدتي وهي تُشير إليَّ بإصبعها:

– "فيكي"، إن لم تحمل لي الغسيل المتسخ وتضعه في السلة، فلن أغسله لك.

نظرتُ حولي وقلتُ:

– لكن لا توجد هنا أي أشياء متسخة.

– لقد أخذتُها من هنا بالفعل، لكن لا تظن أنني سأفعل ذلك في كل مرة. والغرفة الثانية هي لــ"آدم" و"كاتكا" وابنتيهما.

– هم لا ينامون هنا.

– لكن إذا أرادوا، فيجب أن يكون لديهم مكان ليناموا فيه. وأيضًا الغرفة الصغيرة يُمكن تدفئتها على نحو أفضل بالمدفأة الكهربائية، ولا نضطر إلى حمل الخشب طوال الوقت.

– وأين أنام أنا إذا كانت هذه الغرفة لــ"آدم"؟

– من فضلك، أنتِ تعلمين أنه يمكنك النوم هنا الليلة.

ردت أمي بتأفف:

– شكرًا جزيلًا لك.

– لا أعرف لماذا أنت هكذا. فهذه كانت غرفته دائمًا!

– هذا عندما كان طفلًا. الآن هي غرفة للضيوف. وأين سأنام غدًا؟

- هذا يتوقف على ما إذا بقي "آدم" والفتاتان هنا.
- ومتى كانت آخر مرة باتوا ليلتهم هنا؟
ظلت الجدة صامتة، وأخذت تضع ملابسي في الخزانة ذات الأدراج.
- حسنًا، متى؟
- أرأيتِ، أنتِ لا تعرفين. لأنهم -ببساطة- لا ينامون هنا، أليس كذلك يا أمي؟
هزت جدتي رأسها، ووضعت الملابس وانصرفت. سمعناها وهي تهبط الدرج.
جلست أمي على السرير، ثم استلقت على ظهرها، وقالت:
- يا إلهي! ما هذا البرد!
- إذًا أين ستنامين عندما يأتون؟
- أنت تعرف أني سأنام في الغرفة المجاورة، فخالك لن يبقى هنا حتى المساء، فضلًا عن الصباح.
ثم جلستْ.
- إذًا سننام في الغرفة المجاورة. ويمكننا أن ننقل الأشياء إلى هنا في الغد، أليس كذلك؟
- أنتِ تعرفين جدتي يا أمي.
كلانا ضحك.
نهضت أمي وقالت:
- سأذهب للجري قبل أن يحل الظلام تمامًا.
نظرتُ إلى النافذة فرأيتُ أن السماء قد أظلمت تمامًا في الخارج.
- يمكنك أن تأتي معي، ألا تريد؟ سنجري فقط لمسافة قصيرة وببطء، وهكذا لن نشعر بالخوف.
لا أعرف لماذا عليَّ أن أفعل ذلك، لماذا أذهب للركض في مكان ما. لكن جدتي نادت من الطابق السفلي، وقالت إنها ستذهب للتسوق، فقد نسيت الكبدة.

- أف، لماذا الكبدة؟ أتمنى ألا تطهوها لنا.

- هيا.

لا أريد ذلك، لكني سأشعر بالخوف لو بقيت في المنزل كله وحدي بعد حلول الظلام، لذا ذهبتُ لأُخرِج حذائي الرياضي من حقيبة الأدوات الرياضية.



كنتُ أجري بجوار أمي، مصابيح الشوارع مضاءة، هناك ضباب، الكلاب تنبح في القرية، رائحة الخريف، كلانا يتنفس بصوت عالٍ. من أحد المنازل ركض كلب أبيض كبير، وأخذ ينبح نباحًا مبالغًا فيه، لحسن الحظ كان خلف السياج.

ولكن عندما رفع قدميه الأماميتين على السياج، مال السياج قليلًا. تساءلتُ: أيمكن أن يقتلني أنا وأمي كلبٌ كهذا؟ وإذا ما كان هناك من يُسجن بسبب ذلك؟ سألتُ أمي عن هذا الأمر، فأجابتني بكلمة واحدة، ثم استنتجت أن هذا الكلب يتبع عائلة "موسيل"، لذا فهو بالتأكيد ليس قاتلًا، ومن يدري إذا كان يأكل اللحم من الأصل؟ وهو ما لم أفهمه، لكن أمي لا تريد التحدث أكثر من ذلك. قالت:

- "فيكي"، لا ينبغي التحدث في أثناء الجري إذا كنا نريد أن نستفيد من ذلك، هل تفهم؟

أغضبني أنها لا تريد التحدث معي رغم ذهابي معها، ورغم أننا نركض الآن كالسلاحف، لذلك أردتُ أن أهرب منها، وزدتُ من سرعتي، وركضتُ إلى الأمام، وهي تجري خلفي، بعد قليل لحقت بي، وقالت وهي وتنهج:

- إن هذا الإيقاع أفضل، أن نركض بقوة لبعض الوقت، ثم نعود لنركض بهدوء.

على أي حال لقد انقطع نفسي ولم أعد أستطيع التحدث.

وصلنا إلى خارج القرية، وصارت المسافة من مصباح إلى مصباح بعيدة جدًّا، والغابة مظلمة تمامًا من حولنا، ولا يوجد شيء نسمعه سوى نباح الكلاب وصوت السيارات البعيدة. كانت شاشة هاتف أمي مضاءة.

لا أتخيل أني أستطيع التحدث الآن، كل ما أريده هو العودة إلى القرية بأسرع ما يُمكن.

عندما ظهرت أضواء قريتنا من جديد أسفل التل، قالت أمي:

- إننا سنعود لنُبطئ من سرعتنا مرة أخرى.

أنا سعيد بذلك، فلم أعد أستطيع. تقريبًا زحفنا مثل حيوان الكسلان حتى آخر مصباح في شارعنا، ومن عنده بدأنا سباقًا بسرعة كبيرة، وفزت أنا.

- هل ستتركينني؟

هزت أمي رأسها وبدت كأن عليَّ أن أصدقها.

- ستقتلينني بذلك.

ضمتني إليها، وقالت لقد كبر طفلي الصغير كثيرًا، وأستطيع سماعه وهو يدغدغ مشاعري وأنا لا أريد ذلك. تملصتُ من حضنها.

- ربما لأنك تدخنين كثيرًا، ولهذا السبب لا تقدرين على الجري.

صفعتي صفعة خفيفة، ونظرت إليَّ بوجه كوميدي، وقالت إنها لن تتأثر بعد الآن ولن تبكي.

- هل يمكنني أخيرًا أنا أذهب للعب على الكمبيوتر؟



جلست "هانا" لتناول العشاء مع والدتها، تناولت الأم الخبز والزبد مرة أخرى، رغم أنها ظلت تطهو طوال اليوم، وقالت لـ"هانا": "إنه ليست لديها رغبة في تناول أي شيء ساخن". بينما كانت "هانا" تُسخِّن الدجاج بالبابريكا وتُعِدُّ الحساء. قطعت أمها أيضًا التفاح وهي تتناول عشاءها، فستصنع فطيرة التفاح، إن "آداميك" يحبها، لم تقل "هانا" شيئًا، فهي أيضًا تحب فطيرة التفاح، لكن المشكلة ليست هنا، كانت أمها قد شغَّلت التليفزيون. أخذت "هانا" تشاهد "جابينا" و"لوكاش" وهما يمثلان في مسلسل "الشارع"، كلاهما يمثل

بطريقة غاية في السوء، كلاهما يريد المزيد من المال، أو كأن عليه أن يُسدِّد قرضًا للرهن العقاري أو شيء من هذا القبيل، إنها تفضل أن تسكن في شقة بالإيجار عن أن تفعل هذا، ألا يفهمان أنهما إذا قبلا أدوارًا كهذه مقابل المال، فستلتصق بهما هكذا إلى الأبد؟ فلن يُمكن التخلص من ظل هذا الدور لاحقًا؛ فإذا كان هناك شخص ما يراكِ ثلاث مرات في الأسبوع لمدة عامين في دور نادلة لعوب، فمن الصعب أن تلعبي بعدها دور "ميديا"[10]، وإذا أديتِ الفعل بدور "ميديا"، فإنه لا يمكنك التخلص من هذا النمط، من هذه القاذورات، وهناك الكثير من الأشخاص يمثلون هذا الهراء التليفزيوني الذي يستمر لفترات طويلة، ويحاولون في الوقت نفسه تمثيل مسرحيات جادة، وهذا ليس تحديًا، بل إنه غباء فحسب، وهو يضر بالمسرح، ويضر بالناس، بل يضر بكل الناس.

- "هانا"، هذه زميلتك، أليس كذلك؟

- نعم.

- لقد قرأت في الصحيفة أنها أقامت حفل زفاف جميلًا في أحد القصور في مكان ما، هل كنتِ هناك؟

- نعم.

- ولمَ لم تقولي شيئًا عن هذا؟

- لم أعرف أنك تهتمين بهذه الأمور.

- ولمَ لا، إن زوجها هو هذا المُذيع، أليس كذلك؟

- نعم، "يرجي".

- إذًا فهل كان هذا الزفاف جيدًا؟

رفعت "هانا" كتفيها، وقالت:

---

(10) الساحرة "ميديا" هي مسرحية يونانية قديمة كتبها "يوريبيدس"، استنادًا إلى أسطورة "جايسون" و"الميديا".

– لقد كان حفلًا مليئًا بالبهرجة والاستعراض، لأن "جابينا" تُحب ذلك، لكن كانت هناك فرقة من "مورافيا"، وقد عزفت عزفًا جميلًا، وأنها التقت هناك الكثير من الناس من مدينة "برنو"، الذين لا يأتون كثيرًا إلى براج.

– حسنًا، هذا شيء جميل.

– كما كتبوا هناك أيضًا أنها ستُمثِّل دور "جوليت" في المسرح القومي.

بقيت "هانا" صامتة، فهذا هو بالضبط ما كانت تتحدث عنه.

وفجأة سألت "هانا" أمها:

– وهل تعرفين ما الذي أمثله أنا الآن؟

إن هناك أيضًا شيئًا عظيمًا أمامها، فلماذا عليها فقط الاستماع هنا إلى الحديث عن "جابينا"؟ ولكن في هذه اللحظة التي قالت فيها ذلك، أدركت أنها لا تستطيع أن تخبر والدتها بأن هذا قد يكون خطأً، وهي ستعرف ذلك على أي حال، ولكن ليس الآن.

– ماذا إذًا؟

– لا شيء.

– هيا قولي.

– لا، فهذا ليس مؤكدًا تمامًا.

– من المفترض أن أنتظر حتى أقرأه في الصحف، أليس كذلك؟

نهضت أمي مستاءة، كأن "هانا" لم تخبرها قط بشيء من قبل. أرادت "هانا" أن تقول لها إنها لو كانت مهتمة بذلك، لأخبرتها بالمزيد، لكنها ابتلعت هذه الجملة ولم تقلها.

– لا، انتظري، سأُمثِّل أيضًا دور البطولة في المسرحية المأخوذة عن رواية "إلى الفنار" لـ"وولف"، وهو أمر مهم حقًّا.

– أين؟

– حسنًا، عندنا.

- في هذا المسرح الصغير (الاستوديو) الخاص بكم؟

قالت أمها كلمة استوديو كأنها كلمة بذيئة.

- نعم.

انتهت "هانا" من طعامها، وأخذت الطبق ووضعته على لوح المطبخ، حيث كانت أمها تحشو العجين بالتفاح.

- أنا لست مندهشة أن هذا الصبي فوضوي إلى هذا الحد، إذا كنتِ أنتِ حتى لا تستطيعين وضع الطبق في غسالة الأطباق.

أزالت "هانا" الطبق، وقالت لأمها إنها ستصعد إلى الطابق العلوي للاطمئنان على "فيكي"، الذي رفض تناول الدجاج، وينتظر الحساء. وفي أثناء صعودها الدرج تساءلت: متى ستراها أمها بالغة بما يكفي حتى لا تأمرها بوضع طبقها في غسالة الأطباق؟ في الطابق العلوي في الغرفة الصغيرة كان "فيكتور" مستلقيًا في فراشه ومرتديًا ملابسه، ويحمل هاتفه المحمول في يده وقد نام.

"شعرت لحظة بتأثر عظيم، إنه طفلي الذي سيتركني بعد وقت قصير". نزعت بنطاله وشدت الغطاء عليه، ثم رقدت بجانبه لبعض الوقت، ولكنها بعد ذلك ذهبت لتعد له الطعام إذا ما استيقظ في الليل وهو جائع. انتظرتْ فقط أن تذهب أمها إلى الفراش.

استيقظتُ في الليل، فوجدت نفسي مرتديًا نصف ملابسي وأمي تنام بجانبي. كنتُ جائعًا جدًّا، لذا نزلتُ إلى الطابق السفلي لأحضر شيئًا ما. عندما كنتُ أبحث في الثلاجة عن شيء لآكلَهُ، جاءت جدتي. كانت ترتدي قميص نوم مضحكًا. لقد سمحت لي أن آخذ فطيرة، ولكن دون أن أذهب بها إلى غرفتي، لذلك أكلتها على الطاولة، بينما جدتي تجلس معي هناك، وتبدو في قميص النوم هذا كالعفريت، وظلت تتثاءب باستمرار.

"سبيرو"

كان يوم السبت فظيعًا في بدايته، لكنه صار جيدًا بعد ذلك. هذه الأشياء الفظيعة كانت:

1. الخال "آدم" وزوجته "كاتكا" وابنتاهما الصغيرتان لم يكونوا مثيرين للاهتمام أو مسلين على الإطلاق، استمرت "كاتكا" تردد فقط الجمل نفسها من نوع: "ألا تفتقد والدتك هنا؟" أو: "وهل تحب مدرستك الجديدة؟" و"أن الحال هنا أفضل من براج، أليس كذلك؟"

حتى اضطرتني أن أقول: "إن الوضع هنا فظيع"، وأنني أكره هذا المكان، وأن المدرسة مليئة بالبله، وأنا أكره أمي لأنها أحضرتني إلى هنا". كان الشخص الوحيد الذي يضحك هو خالي "آدم"، لذا ربما يكون الحديث معه ممتعًا في بعض الأحيان. قالت أمي لزوجة خالي:

- شكرًا لكِ.

ولكن بتهكم، فانصرفت جدتي إلى غرفة أخرى. وفي أثناء تناول الغداء، الذي أعقب ذلك بفترة وجيزة، لم يتحدث معي أحد. وقد أسعدني هذا.

2. كان هناك من يتحدث باستمرار، بينما استمرت "دينيسا" و"كاميلا"، اللتان يناديهما الجميع تدليلًا بـ"دينيسكا" و"كاميلكا"، في الصراخ، وأنا لا أستطيع الذهاب إلى غرفتي لأننا في يوم عائلي. لكني شعرت بالسعادة حقًّا عندما قال خالي في فترة ما بعد الظهر، بعد أن تناول الكبار القهوة وفطائر التفاح، إنهم سيغادرون. لكن لا يمكنهم ذلك، لأنه يتعين علينا جميعًا الذهاب معًا إلى المقبرة لزيارة قبر جدي، فقد اشترت جدتي إكليلًا كبيرًا من الزهور ووردة واحدة، وحملنا جميعًا الشموع التي سنشعلها هناك. ورغم أن الأمر بدا لي مزعجًا للوهلة الأولى، فقد كان أيضًا جيدًا في النهاية، لأنه يوجد في المقبرة الكثير جدًّا من الشموع

المضاءة، بينما المكان مظلم بالفعل، فبدا المنظر جميلًا جدًّا هناك. وددتُ أن أكون هناك بمفردي، وربما كانت جدتي تشعر بذلك أيضًا، لأنها طلبت منا أن نذهب ونتركها، وأنها ستأتي سيرًا بعد قليل، لكننا انتظرناها في السيارة.

3. بعد ذلك أخذتُ أنحتُ القرع مع جدتي، أردتُ أن أحفر شخصية الوحش "كريبر" من لعبة "ماينكرافت"، لذلك رسمتُه عليها، لكني لم أتمكن من ذلك، أرادت أمي مساعدتي، لكني لا أريد مساعدتها، تشقَّقت ثمرة القرع مني، فغضبتُ وركلتها، فانفلقت تمامًا. فقالت جدتي:

– حسنًا. ولكن ليس لديَّ واحدة أخرى.

لأنها كانت قد أنهت بالفعل الحفر على الثانية، ورسمت عليها وجهًا عاديًّا ضاحكًا.

4. نشب جدال بين أمي وجدتي، لكنْ كلتاهما اتفقت على أننا بحاجة إلى الذهاب إلى الخارج، بالنسبة لي فأنا أرحب بالخروج من المنزل، ولكن فلنذهب إلى مكان ما في المدينة، لأنه يوجد هناك "بوكيمون" خاص بـ"الهالوين"، لكنهما بالطبع كانتا تقصدان فقط الخروج للعمل في الحديقة. لا أريد أن أفعل ذلك أبدًا في حياتي، فهناك لن أستطيع العثور على أي "بوكيمون"، كما أن كنس أوراق الشجر المتساقطة، أو جمع الفاكهة المتعفنة من الأرض هو أمر ممل للغاية، كما أن الفاكهة المتعفنة مثيرة للاشمئزاز، ولكنهما اثنتان وأنا واحد، كما أن جدتي لا تقبل أي أعذار، حتى لو كنتُ لطيفًا، أو كنت غاضبًا حقًّا، فهي تقف فوقي رأسي، ثم تقول: – خذ قبعتك وتعالَ.

كما لو كنتُ طفلًا صغيرًا، وتذهب.

بالطبع ذهبتُ إلى الطابق العلوي إلى الكمبيوتر، وبعد قليل جاءت جدتي، تسللتْ في صمت كالشبح، وأغلقتْ جهاز الكمبيوتر الخاص بي من زر الإغلاق الرئيس، ولم تقل شيئًا، وأزاحتني جانبًا بالكرسي الذي أجلس عليه، ثم نزعت الفأرة من الكمبيوتر، وأخذتها بعيدًا.

لقد أصبح الآن واضحًا أنني لن أذهب. خرجتْ من المنزل، فأصبح المنزل هادئًا. نظرتُ من النافذة، كانت أمي قد أشعلت النار، وهي الآن تقف بجانبها وتُدخن. كان باستطاعتي أن أحرق الأغصان، لماذا لم تُخبراني بذلك؟

أعتقد أنني يجب أن أذهب إلى هناك، وعندما ترى جدتي أنني أحاول المساعدة، ستعيد إليَّ الفأرة. لكنني لم أنهض على الفور، وبقيتُ أشاهد النار المشتعلة، وفجأة سمعت بعض الطيور وهي تصرخ في الخارج. عندما بدأتُ أستمع إلى ذلك، أدركتُ أن هذا شيء مزعج جدًّا، ولا بد أن هناك شيئًا ما قد حدث لهذا الطائر، حتى إنني فتحت النافذة، وصحتُ ناحية أمي، إذا كانت قد سمعت ذلك:

– ما هذا؟

ردت أمي:

– بعض الطيور، هل ستأتي لمساعدتنا؟

أغلقتُ النافذة، وذهبتُ لارتداء ملابسي، فلا بد لي من التحقق من الأمر، وهذا شيء جيد.

أخذتُ هاتفي المحمول لأستخدم ضوء المصباح فيه، ولكن عندما خرجتُ من المنزل، وانطفأ ضوء الخلية الكهروضوئية، وسمعتُ صوت هذا الطائر، صار من الواضح لي أن هذا الصوت يأتي من الغابة، وأنني لن أستطيع الذهاب إلى هناك وحدي بسبب الخوف.

قالت أمي:

– لا تكن مجنونًا. إن عليّ أن أُتِمَّ ما أفعله هنا، ولا أستطيع أن أترك النار وأذهب معك، ما المشكلة في أن هناك طائرًا يصرخ في مكان ما.

– لكني أعلم أنها لا تريد الذهاب إلى هناك.

– جدتي؟

فاجأتني جدتي مفاجأة كبيرة عندما قالت إنها ستذهب معي.

أحضرتْ مصباحًا يدويًّا حقيقيًّا، ثم خرجنا من الحديقة في اتجاه الغابة، ولا يزال هذا الطائر مستمرًّا في الصراخ، فقالت جدتي:

- إنهما طائران وليس واحدًا.

كانت محقة في ذلك. سِرنا في اتجاه هذا الصوت، ثم سمعنا حفيفًا غريبًا جدًّا، ثم هديرًا. أردت العودة، لكن جدتي مضت قُدمًا، وهي تُضيء بالمصباح أمامها، وفجأة ظهر أمامنا كلبٌ أبيض، إنه هذا الكلب الرهيب الذي أخذ ينبح علينا أمس، وقد كان ملطخًا بالدماء. قلتُ لجدتي:

- إنني أريد العودة إلى المنزل.

لكنها أمسكت بعصا، وصرخت في الكلب:

- ابتعد أيها الوغد.

واتجهت نحوه، وكأنها ستضربه حقًّا. ركض الكلب بعيدًا بعض الشيء، ثم صرخ الطائر مرة أخرى، فأضأتُ أنا المصباح اليدوي. كان يوجد على سطح ما يشبه المأوى، الذي يوضع به الطعام للحيوانات، لكنه ليس مكانًا لإطعام الحيوانات، بل إنه كوخ صغير فحسب، طائر له جناح غريب.

- يا جدتي هذا عُقابٌ صغير.

سلطت جدتي الضوء عليه، وقالت:

- من المحتمل أن يكون صغير صقر الجراد. وقد حدث شيء لجناحه.

صرخ الفرخ من جديد، وصرخ طائر آخر في مكان ما في الظلام.

- ربما تكون هذه أمه.

صرخ الفرخ مرة أخرى. هجم الكلب من جديد، استدارت جدتي، ولوَّحت بالعصا. وصرخت في الكلب:

- اِذهب من هنا.

فهرب الكلب مرة أخرى.

رفعت جدتي يدها ناحية الطائر، لكنه قفز إلى الخلف ولم يطِر. المشكلة الآن أننا لم نعد نستطيع الوصول إليه. لبعض الوقت لم نعرف ماذا نفعل الآن، ولكني بعد ذلك تسلقت على سطح هذه السقيفة، وحملته بين يديَّ بعناية، لم يُقاوِمْ على الإطلاق. سلَّمته إلى جدتي، ونزلت، فقالت:

– أنِر لي الطريق.

لقد أصبح فرخ صقر الجراد هادئًا تمامًا، لكن الطائر الآخر لا يزال يصرخ، ولا يزال الكلب موجودًا هنا في مكان ما. أنرتُ لجدتي الطريق، وشعرت حقًّا بالسعادة عندما خرجنا من الغابة. وفقط في حديقة المنزل أدركت كم هو رائع، أن يكون لديَّ هذا الصقر! طائر بري حقيقي، والآن سأُدرِّبُه وسيكون لي.

وقفنا نحن الثلاثة فوق رأسه، وأخذتُ أُداعِبُه، فلم يجفل أو يعضني بمنقاره.

قالت جدتي:

– لا بد أن هذا الكلب البشع هو من فعل به ذلك.

قالت أمي:

– لا أعلم، لو كان هو لكان قد عضَّه مباشرة

ذهبتُ لأبحث على جوجل عمَّا يجب أن نفعله معه.

يجب أن أصنع له عشًّا أو فِراشًا، وربما يجب أن أُطعمه، سأسميه "سبيرو"[11] وأعتني به، وربما يمكنه أن يكون معي في الغرفة، وأتخيله جالسًا على يدي بطريقة الطائر تلك. إنه أجمل طائر رأيته على الإطلاق، وعلى الرغم من أنه ليس بهذا الجمال حقًّا، فإنه مُغطّى بخصلات من الريش الناعم وبينها ريش عادي، لكنه يبدو أصلع، كما يبدو قليلًا كأنه لعبة محشوة.

– أعتقد أننا يجب أن نأخذه إلى الداخل، هل يمكنك أن تفعل ذلك؟

(11) "سبيرو" هو شخصية من الخوارق في لعبة "البوكيمون" ويطلق عليه "البوكيمون" الطائر.

استطعتُ ذلك، فقد جلس على يدي، وبسط جناحيه، ثم طوى أحدهما مرة أخرى، وترك الآخر مفرودًا، لذلك فضلتُ أن أسنده بيدي الأخرى.

الآن بعد أن أصبح لديَّ "سبيرو"، ستكون الأمور أفضل هنا.

لا تزال أم فرخ صقر الجراد تصرخ في الغابة.

صحتُ في وجهها قائلًا:

– لا تقلقي، إنه هنا وسأعتني به.

وجدتْ لي جدتي صندوقًا لنضعه به، وقطعت له أيضًا شرائح رفيعة من اللحم النيئ، وقدمته له؛ فأكله.

– فلنتركه في الصندوق في الردهة، فلا أحد يعرف هل يجب أن يكون في مكان دافئ أم بارد.

عرضت أمي الاتصال بمركز الإنقاذ، لكني لم أسمح لها بذلك، لأنهم بالتأكيد سيطلبون منا أن نذهب به إليهم، ونحن لن نفعل ذلك قط.

ثم قالت أمي:

– ولكن ماذا لو كان قد أصابه شيء في جناحه.

قالت جدتي:

– سنرى، ربما لا يكون الأمر خطيرًا، وسيتعافى من تلقاء نفسه.

في تلك اللحظة شعرتُ أني أحبُّ جدتي.

فقالت أمي لجدتي:

– هل هذا يعني أنه سيحتفظ بهذا الطائر الجارح؟! "فيكي"، لقد تركت "الهامستر" يموت جوعًا!

صرختُ في أمي:

– هذا شيء مختلف تمامًا عن هذا "الهامستر" الغبي، بالإضافة إلى أن ذلك كان منذ وقت طويل، إن امتلاك صقر الجراد أفضل مائة مرة من كل فئران "الهامستر".

- حسنًا، لكنك لا تريده أن يبقى معك في غرفتك طوال الليل، أليس كذلك؟

- بل أريد هذا.

- أنا لن أنام مع طائر في غرفة واحدة!

- إنها ليست مضطرة إلى ذلك؛ لأنها تستطيع النوم في الغرفة الكبيرة، وسوف ننام أنا و"سبيرو" في غرفتي.

لم تريدا السماح لي بذلك، لكني رجوتهما طويلًا حتى سمحتا لي بذلك.

في الليل وضعت البطانية فوق صندوقه، لكن عندما استلقيتُ في الفراش، رفعتها عن الصندوق مرة أخرى، لا يهمني أن يخرج من الصندوق، فهو لا يستطيع الهروب من الغرفة، إذًا فلينَمْ حيث يريد.

فضلت أن أطفئ الموقد حتى لا يشعر بالحرارة، طالما أنه معتاد النوم في البرية.

عندما استيقظتُ في الصباح، كان أنفي متجمدًا تمامًا، وكذلك إحدى يدي التي لم تكن تحت الغطاء. كان "سبيرو" متكورًا في زاوية الصندوق، تمامًا كما كان عندما رفعتُ البطانية عن الصندوق الليلة الماضية. وكزته فقفز.

غادرت أمي إلى براج بعد أن أخذت تشرح لي طويلًا كل ما ينتظرها هناك اليوم من أعمال، لكن لا يهمني ذلك، لا فرق عندي. أخذتُ أُطعم "سبيرو" حتى اكتفى ولم يعد يريد المزيد من اللحم، كما تحدثتُ معه كثيرًا حتى يعرف صوتي. كان يمد جناحيه ويطويهما مرة أخرى. وأصدر صوتًا عدة مرات، لكنه في الغالب ظل صامتًا.

الأحد هو أول يوم يكون فيه الطقس جميلًا هنا، فأخيرًا أشرقت الشمس. عندما تهب الرياح، تتساقط أوراق الشجر، التي تبدو في الشمس مثل قصاصات ورق ملونة.

🏠🏠🏠

في يوم الإثنين أريتُ "بترا" الفيديو الذي صوَّرته مع "سبيرو"، وشاهده معنا بعض الأشخاص، وسألوني: هل يمكنهم أن يأتوا لرؤيته؟ وافقت على ذلك، ولكن

ليس الآن، فعليه أن يعتادني قليلًا، وأيضًا حتى لا ينزعج عندما يرى الكثير من الناس. كنتُ سعيدًا أن لديَّ هذا الصقر، الذي لا يوجد مثله لدى أحد آخر.

كانت الحصة الأخيرة هي حصة التربية الفنية، ويمكننا أن نرسم فيها أي شيء رأيناه في عطلة نهاية الأسبوع تلك. رسمتُ كاريكاتير عن كيفية إنقاذنا "سبيرو". وفي يوم الثلاثاء ثبَّتتْهُ المعلمة على لوحة الحائط. بعدها جاءت إليَّ "مارتينا" و"فرانتا".

قالت "مارتينا":

- أنتَ، هل ضربت جدتك كلبي بهذا الغصن أم ماذا؟

كنتُ أعتقد أنه كلب "فرانتا"، لكن لا يهم، إن جدتي هدَّدت الكلب فقط ولم تضربه. فهذا الكلب الغبي أراد أن يقتل "سبيرو".

- عينه مصابة.

- نحن لم نفعل ذلك.

فقالت "مارتينا":

- بل فعلتم.

وأضاف "فرانتا":

- لقد اضطررنا إلى أخذه إلى الطبيب البيطري.

قالت "مارتينا":

- أخبر أمك أن جدة "فيكتور" هي من فعلت ذلك به، فلا يمكن لأحد أن يفقأ عين كلب فقط هكذا.

- إنها لم تفعل ذلك.

قال "كريشتوف"، الذي يرتدي نظارة ذات زجاج سميك، وتبدو عيناه من خلفها كبيرتين جدًّا:

- وماذا لو كانت أم الطائر هي من نقرت عينه عندما كانت تدافع عن فرخها. فلا ينبغي للكلب أن يقتل الطيور في الغابة، أليس كذلك؟

قالت له "مارتينا":

- لا تتدخل في هذا يا "كريسا"[12].

فقلت لها:

- على الكلب أن يكون ليلًا في حديقة المنزل، وليس في الغابة. وإذا كان فقد عينه فهذا جزاؤه. فـ"سبيرو" يُعاني أيضًا مشكلة في جناحه؛ لذا فهما متعادلان.

قالت "مارتينا":

- فليذهب هذا الطائر الغبي إلى الجحيم"، أيها الـ"بتاك"[13].

على الرغم من أنها كانت منذ قليل تودُّ رؤية "سبيرو".

- تعالَ.

وذهبت مع "فرانتا" ليجلسا معًا على المقعد.

قلتُ هذا لجدتي، فهزت رأسها، وقالت إن هذا الكلب يسبب الرعب لكل القرية، ومن يدري من الذي فعل به ذلك. فسألتها:

- لماذا؟

لكنها لم تقل شيئًا آخر، فقط قالت:

- عليك أن تحترس منه.

الأسوأ هو أن "سبيرو" رفض الطعام.

عندما كنا نتناول العشاء، قالت جدتي:

- إننا يجب أن نسلمه إلى مركز الإنقاذ.

لكني لا أريد ذلك، فيمكننا فقط أن نأخذه إلى الطبيب البيطري، ثم نبقيه معنا في المنزل، لكن جدتي رفضت ذلك، لا يمكننا أن نحتفظ بطائر جارح في المنزل على أنه حيوان أليف، فمراكز الإنقاذ وُجدت هنا بالضبط لمثل هذه الحالات.

---

(12) يبدو هذا الاسم كأنه اسم تدليل لـ"كريشتوف"، ولكنه في التشيكية يعني الجرز أو ابن عرس.

(13) "بتاك": هو لقب "فيكتور" ويعني الطائر، وقد نادته به على سبيل السخرية.

قالت:

- يمكنك أن تبقيه معك طوال الليل، لكننا سنأخذه إلى هناك في الصباح.

توسلتُ إليها أن تبقيه يومًا آخر.

ولكن في الصباح، كان "سبيرو" حزينًا، ولا يريد أن يأكل، ويجلس مكورًا في زاوية الصندوق. قال جدتي:

- كما ترى، إنه ليس على ما يرام. سنذهب به معًا بعد المدرسة. وليس عليك الذهاب إلى تدريب كرة القدم.

- أفضل لي مائة مرة الذهاب إلى تدريب كرة القدم من إرساله إلى مركز إنقاذ.

في المدرسة سألني بعض التلاميذ: هل يمكنهم الحضور اليوم لرؤية "سبيرو"؟ لذلك كان عليَّ أن أخبرهم بالحقيقة.

قال أحدهم:

- هذا سيئ.

نظرتُ إلى "مارتينا" و"فرانتا"، كانا يتحدثان معًا في مقعديهما ويضحكان. أنا أكرههما.

كانت جدتي تنتظرني أمام المدرسة ومعها "سبيرو" في صندوقه، أخذ بعض الناس ينظرون إليه عبر النافذة الخلفية للسيارة، لكن جدتي لم تسمح لهم بفتح الباب. وقالت لي:

- من الأفضل أن نذهب.

ونحن في الطريق أخذتُ أبكي، فأعطتني جدتي منديلًا، وقالت:

- لا تقلق، فلن يموت.

ولكن هذا ليس السبب الذي أبكي من أجله.

وفي مركز الإنقاذ قال الرجل:

- لا تقلق، فسوف يتعافى.

أعلم ذلك. لكني أبكي لأنني سأعود وحيدًا مرة أخرى.

حاولت جدتي تهدئتي ومواساتي، لكن عندما قلتُ لها إن الشيء الوحيد الذي سيساعدني على ذلك هو أن يكون عندي حيوان آخر، توقفتْ عن الكلام. بقينا صامتين طوال الطريق وصولًا إلى المنزل، ثم ذهبتُ إلى سريري. تركت الموقد مشتعلًا، وأطفأت الإضاءة، وشعرتُ أني أفتقد "سبيرو".



الهاتف

عندما اتصلت "هانا" بـ"فيكتور"، رفض التحدث معها. قالت لها أمها:

– إنه حزين، وقد صعد إلى الطابق العلوي لينام.

وأضافت موبخةً:

– هذا الطائر الغبي، لقد كانت فكرة سيئة، كان يجب أن نأخذه على الفور إلى مركز الإنقاذ، لقد كان واضحًا أن الأمر سينتهي بهذه الطريقة. لقد قال إنه يرغب في الحصول على حيوان أليف هديةً في عيد الميلاد.

– لكنه أخبرني أنه يريد دراجة، وقد بدأت أبحث عن واحدة بالفعل.

قالت أمها مرة أخرى بقوة:

– حسنًا، لكني لا أريد أن يكون لديَّ هنا كلب أو قطة على أي حال.

– أمي، لقد قلتُ لك للتو إنه سيحصل على دراجة.

– حسنًا، لكنه من النوع المحب للحيوانات، وربما يساعده ذلك.

– إذًا اشتري له حيوانًا.

قالت أمها:

– لكني لا أعرف ماذا أشتري له.

– حسنًا، أنا أيضًا لا أعرف، خاصة بعدما حدث مع "الهامستر".

- لذا يجب أن يكون واضحًا أنك إذا اشتريتِ حيوانًا لطفل، فستقع رعايته عليكِ أنتِ.

- بالتأكيد.

- ما رأيك في سلحفاة؟

- أنا سأشتري له دراجة، هل تعلمين كم تعيش السلحفاة؟

- هل تقصدين ما الذي سيحدث لها بعد أن أموت؟

- لا، أنا لم أقل ذلك.

- معكِ حق، السلحفاة ليست خيارًا جيدًا. لكن الكلب يُمكنه أن يحرسنا.

- أمي، يجب أن أذهب، لا تشتري أيَّ حيوانات، خاصة الكلاب، سنتحدث عن ذلك لاحقًا.

فضلت "هانا" أن تُغلق الهاتف. إذا اشترت أمي كلبًا لـ"فيكي"، فسيتسبب ذلك بوفاتها، حقًّا سيطير "فيكي" فرحًا، ولكن كيف سينتهي الأمر؟ لا، إن "هانا" لا تريد رعاية أي كلب، لقد كان الأمر واضحًا بالفعل عندما أحضروا هذا الطائر من الغابة. إنها بالتأكيد أول من يريد أن يكون "فيكي" سعيدًا، ولهذا السبب اشترت له ذات مرة أسماكًا صغيرة، لكنه أسقطها واحدة تلو الآخر في المرحاض، ثم اشترت له اثنين من "الهامستر"، مات الأول بين عشية وضحاها بسبب مرض ما، حسنًا، اشترت له واحدًا آخر، فحبسه "فيكي" في المخزن وتركه يتضور جوعًا حتى الموت، لقد نسيت هي أمر هذا "الهامستر"، و"فيكتور" نسي ذلك أيضًا، حتى ذهبت ذات مرة لإحضار المطرقة من المخزن، فشمت رائحة عفنة، ووجدت الدود يخرج من جيفة الحيوان الميت. تظاهر "فيكي" بأنه سيتقيأ، لذا اضطرَّت هي إلى لفِّه بالصحيفة وحملته إلى صندوق القمامة.

إذًا لن يكون هناك حيوان آخر، ما دام قد ثبت أن "فيكي" لن يكون قادرًا على رعايته. "عذرًا يا أمي، فلا يمكنك معرفة ذلك من خلال رعايته لفرخ

الصقر لمدة ثلاثة أيام". ربما لو اعترفت لأمِّها بالتفصيل بما حدث لـ"الهامستر"، وأنه لم يمت هكذا فجأة، فستغير رأيها.

لكنها لن تفعل ذلك أبدًا.

اتصل بها "دانيل" وسألها:

- ألا تريدين الخروج إلى مكان ما؟

قالت إنها لا تريد ذلك، لأن لديها تدريبًا في الصباح. واقترحت عليه أن يأتي هو إلى هنا.

- انظري، نحن نجلس في مكان ما الآن، لذا سآتي إليكِ لاحقًا، حسنًا؟

قال "دانيل" هذا بعد تردد لحظات، فأدركت "هانا" عندها أنه لن يأتي.

أغلقت الهاتف، كانت الشقة فارغة، ذهبت إلى فراشها. بعد نصف ساعة ذهبت إلى سرير "فيكتور". لكنها تقريبًا لم تشم رائحته في الفراش.



أستيقظُ متعرقًا تمامًا، حيث كانت الحرارة شديدة بالغرفة، والمدفأة كلها حمراء ملتهبة، ذهبتُ إلى المدرسة، ولم أتحدث مع أي شخص، ثم ذهبت لتدريب كرة القدم. لم يفعل لي أحد شيئًا، ولكن بعد انتهاء التدريب وخروجنا، شغَّلت لعبة "البوكيمون" على هاتفي، فجاء بعضهم إليَّ، وأخذوا هاتفي، أمسك اثنان بي، وفعل ثالث شيئًا ما على هاتفي المحمول، ثم أعادوه إليَّ، وأفلتوني وهربوا. فألقيت نظرة على "بوكيموناتي"، فوجدت أنهم قد حذفوا كل ما كان لديَّ من "بوكيمونات" قوية! كلها! أكثر من الألف.

في تلك اللحظة لم أصدق على الإطلاق ما حدث، بقيت واقفًا في مكاني، ونظرت إلى شاشة الهاتف حتى انطفأت، فمن المستحيل أن يفعلوا شيئًا كهذا، أردت أن أبكي، أطلقت السيارة بوقها للمرة الثانية، إنها جدتي. ذهبتُ إليها، وجلست في المقعد الخلفي، لا أستطيع التحدث على الإطلاق.

- ألا تزال حزينًا؟

فقلت لها لتتركني وشأني:

- نعم.

أخذتُ أنظر من النافذة متعمدًا، وعندما ممرنا بالساحة، رأيتهم واقفين بجوار صالة الألعاب الرياضية، لم أقل كلمة واحدة، وقد أبطأت جدتي من سرعتها كثيرًا بسبب وجود مطب، ففتحتُ في هذه اللحظة باب السيارة، فصرختْ فيَّ:

- ماذا تفعل؟

توقفت تمامًا، قفزت من السيارة، وركضت نحوهم، ولأنهم لم يتوقعوا حضوري، فقد بدؤوا بالركض متأخرًا، فأمسكت بأحدهم، الذي أظنُّ أن اسمه "فويتا"، الذي يبدو لي الأصغر من بينهم، وبدأنا بالعراك، وفجأة أفلت مني، وبدأ بالركض وأنا أتبعه. وبينما كنا نركض، فقد كان من الواضح أنني لن أتمكن من اللحاق به أبدًا، فجأة سقط هاتفه المحمول من جيبه على الرصيف، فتوقف وأراد أن يعود ليأخذه، لكني كنتُ الأقرب إليه، فالتقطتُ الهاتف من الأرض، وقبل أن يتمكن من فِعل أي شيء، ألقيتُ الهاتف على الأرض بكل ما أوتيت من قوة.

التفتُّ إلى الخلف، فرأيتُ جدتي تقف هناك وتنظر إلينا، التقط "فويتا" هاتفه الخلوي من الأرض، من الواضح أنه قد كُسر، وركض بعيدًا. أردتُ أنا أيضًا أن أركض، لكنها أمسكت بي بيدها التي بدت مرة أخرى كالمخلب.

صحتُ قائلًا:

- هم من بدؤوا.

وصرختُ فيهم:

- أيها الأوساخ.

حاولت جدتي تكميم فمي، وهو أمر غريب، ثم قالت:

- أحبُّ أن أعرف رأي أمك في ذلك.

وعُدنا إلى المنزل. قالت:

- أنا لا أحبُّ هذا على الإطلاق.

رأينا عند الجيران "مارتينا" و"فرانتا" وهما يجمعان أوراق الشجر، ومعهما رجل ما، بدأت تتحدث معه. لم تكن معي مفاتيح المنزل، لذلك بقيتُ واقفًا هناك أُفكِّر.

- إنه والد "فانوشيك"، وهو يعمل بستانيًّا. لذلك طلبتُ منه أن يساعدنا هنا إن كان ذلك بإمكانه، فجدك قد... حسنًا، لأنه ليس لديَّ الوقت الكافي للاعتناء بالحديقة كلها. سيأتي غدًا لتقليم الأشجار، وبعدها سنرى.

قالت لي جدتي هذا، وكأني أهتمُّ بهذه الأمور.

كانت "إيفا" تُعِدُّ العشاء، بينما يؤدي "فيكي" واجباته المدرسية، وخلال ذلك ومن نافذة المطبخ يمكنها رؤية الجيران، حيث يدخل "سلافيك" وأطفاله الأدوات إلى السقيفة، وقد غمرها الحزن، فلقد أرادت بالفعل في الربيع أن تطلب من "سلافيك" أن يساعدهم في الحديقة، أرادت أن تُنشئ جزءًا جديدًا مزينًا بالصخور. لقد حسدت "يتكا مرازكوفا"، على حديقتها الجميلة، التي كان "سلافيك" يقوم على العناية بها، حتى إن لم يكونوا بالمنزل. لكن "يندرشيخ" رفض ذلك، وقال:

- من فضلك، لن ننفق المال على بستاني، فيمكنني التعامل مع ذلك.

لكنه لم يُشيِّد هذه الحديقة الصخرية قط، فقد كان لديه باستمرار أعمال أخرى، وعندما قالت له إنها اكتشفت حجرًا جميلًا في الغابة وتود وضعه في الحديقة، تقريبًا لم يسمعها. لم يكن يهتم كثيرًا بتزيين الحديقة، بالطبع كان يجزُّ العشب ويُقلِّم الشجيرات، ويُقلِّم أشجار التفاح، فقد كان ذلك أمرًا ضروريًّا، ولكن ما فائدة ورود الزينة وزهور "رودودندرون"[14]، التي تتفتح بألوان مختلفة؟

والآن يمكنها تنظيم الحديقة بالطريقة التي تُريدها. لكنها تُفضِّل أن تسترجع صوته وهو يقول لها: "لماذا لا تنسين هذا الأمر، فلديك ما يكفي من العمل؟ يمكننا أن

(14) الزهرة الوطنية لدولة نيبال.

نزرع بعض أشجار التوت، على الأقل سيكون لها فائدة". فقالت لنفسها: "هذا التفكير لا جدوى منه، "إيفا"، لا تفكري في ذلك، خاصة في المساء، فلن تتمكني من النوم".

في تلك اللحظة تمخط "فيكي"، فحذرته "إيفا"، وقالت له:

- خُذْ منديلًا.

إنها سعيدة بكسر حالة الصمت هذه، فسيتعين عليها معرفة ما يجب أن تفعله للتعامل مع هذا الموقف. حاول أن يشرح لها ما فعله الأولاد به، لقد حذفوا شيئًا ما من هاتفه، لكن "إيفا" لم تفهم ما هو بالضبط، بعض الألعاب. لقد انفعل "فيكي" انفعالًا شديدًا عندما كان يصف لها ما حدث، ولكنها لم تتقبل رأيه؛ لأنه لا يمكن مقارنة ما فعلوه بسعر هذا الهاتف، فكاد يصرخ قائلًا: "إن الأمر كلفه الكثير من الوقت والمشي للحصول على مثل هذه "البوكيمونات" الجيدة، وأن هذه "البوكيمونات" لا يمكن الحصول عليها إلا في براج"، لكن "إيفا" لا تعرف ما الأمر، بل كانت تُفكر: هل ينبغي لها الاتصال بـ"هانا"؟ لأنه من الواضح أن الأمر ستجري مناقشته في المدرسة غدًا، وسيتعين عليهم دفع ثمن هذا الهاتف. لكنها في النهاية قررت ألا تخبرها الآن، وستدفع ثمن الهاتف، فهي لا تريد أن تعتقد "هانا" أنها لا تستطيع التعامل مع الأمر هنا، وقد رأت هي أن الهاتف سقط من الصبي على الرصيف، ومن الممكن أن يكون قد كُسِرَ في تلك اللحظة، وهل هؤلاء الأولاد يزعجون "فيكي" بطريقة أو بأخرى؟ وفي المقابل تدفع إلى هذا الصبي تقريبًا ثلاثة آلاف كرونة مقابل الهاتف.

قال "فيكي" عندما سألته:

- لا، لم يفعلوا لي شيئًا.

- هل حذفوا اللعبة هكذا بلا سبب؟

- بالضبط، هكذا.

أكلتُ كل شيء على العشاء، فقالت جدتي: "إنها لن تخبر أمي مؤقتًا، وستدفع هي ثمن الهاتف لـ"فويتا"". لم أخبرها أنه كان "آيفون 6"، وأنه باهظ الثمن. لكن عليَّ أن أعدها بأني سأساعدها. وأني سأعمل مقابل ثمنه. وعدتُها بذلك، رغم أن هذا غير عادل. لا بد أن أُفكِّر في شيء ما؛ لأن هذا الوضع لا يجب أن يستمر.

عندما ذهبتُ إلى المدرسة في الصباح، كان "فويتا" يقف هناك مع والدته، وعندما رآني، أشار إليَّ، فتجنبتهما وسرتُ بعيدًا عنهما بمسافة كبيرة.

بعد المدرسة كانا ينتظران هناك مرة أخرى. أعلم أنه لا جدوى من أن أشرح لأمِّه ما فعلوه بي، فهي لن تفهم، تمامًا كأي شخص بالغ لا يلعب هذه اللعبة. قلتُ لهما:

– إننا سندفع ثمن الهاتف.

فقالت أمه:

– أعطني رقم والدتك.

أعطيتها رقم جدتي، وركبت الحافلة؛ لأن جدتي لن تستطيع أن تأتي اليوم لتأخذني.

كان "فرانتا" و"مارتينا" وشقيق "فرانتا" وذلك الصبي الغريب يقفون هناك، لكني لم أذهب إليهم. الجدول الزمني لتقاطُر الحافلات لا يزال محترقًا، نزلنا في قريتنا عند مفترق الطُّرق، أخذ هذا الولد الغريب يُردِّد:

– سلام.

تقريبًا مائة مرة، ثم ذهب في الاتجاه الآخر، وفي طريق عودتنا إلى المنزل، لم أتحدث معهم، ولم يتحدثوا معي أيضًا.

عندما كنتُ أتناول وجبتي الخفيفة، ارتدت جدتي ملابسها، وقالت:

– هيَّا، البستاني قادم، سنخرج إلى الحديقة.

لم أتفوَّه بكلمة، فقد وعدتُها أمس. لذا ارتديتُ ملابسي، وعندما خرجت، وجدت البستاني هناك، وأيضًا "فرانتا" و"مارتينا"، كانا يجمعان أوراق الشجر، فقالت جدتي:

- اذهب لمساعدتهما.

ثم قالت لهما:

- من الجيد أنكما تساعدان والدكما يا "فرانتيشيك".

فقال "فرانتا":

- أمم.

وقالت جدتي:

- أنتما ماهران.

وذهبت إلى البستاني، وبقيتُ أنا هنا.

بعد قليل قالت "مارتينا":

- نحن بحاجة إلى المال. أتعرف لماذا؟

- لا أعرف.

ولا يهمني أن أعرف.

- من أجل الطبيب البيطري، بسبب عين كلبي. هل تعرف كم يتكلف هذا؟

- لا أعرف.

- خمسة آلاف. وهل تعلم كم من الوقت سيستغرق كسب خمسة آلاف؟

هززتُ رأسي.

قالت:

- نحو عام.

بدا لي هذا كلامًا فارغًا، لكن قبل أن أتمكن من قول أي شيء، أضافت "مارتينا":

- بسبب هذا الصقر الغبي.

أغضبني هذا فقلتُ:

- كان عليه أن ينقر كلتا عينيه.

بدأنا بالعراك، قفزت "مارتينا" عليَّ، وربما أراد "فرانتا" مساعدتها، لكن جاء والد "فرانتا" وجدتي يركضان، وفصلا بيننا، وتساءلا: ماذا يعني هذا؟ فصرختُ أنا قائلًا:

- إن كلبهم البشع أراد قتل "سبيرو".

صرخت "مارتينا" قائلة:

- إن كلبي ليس بشعًا، وقد فقد عينه.

أرسلا كلًّا منا إلى زاوية مختلفة من الحديقة.

جمعتُ أوراق الشجر في كومة، وبعد قليل شعرتُ بالملل، لذلك تسلقتُ السياج، وذهب للتجول في القرية، وهو أمر ممل للغاية أيضًا، لذا سأعود إلى المنزل. عندما كنتُ أسير بالقرب من حديقة المنزل الذي يعيش فيه هذا الكلب الأبيض، بدأ ينبح في وجهي مرة أخرى نباحًا فظيعًا، لكني لم أعد أشعر بالخوف منه، ربما لأننا لسنا في الليل، وربما لأنني أشعر بالأسف على عينه التي فقدها، خاصة بعد أن عرفت أن "سبيرو" سيكون بخير كما أخبرونا في مركز الإنقاذ. وقفتُ بجانب السياج، وأخذتُ أنظر إليه لأرى كيف يبدو بلا عين، لقد بدا غريبًا حقًّا، لكني مددتُ يدي إلى السياج وقلتُ:

- مرحبًا أيها الكلب.

واصل النباح في وجهي، لكني كنتُ أعلم أنه لن يعضني، فهو لا يريد ذلك، أدخلت يدي عبر السياج، فتركني أداعبه.

في هذه المرحلة لا أعرف ما الذي سيعود عليَّ من صداقته، لكني سعيد بذلك. ربما لأنه خطر ببالي أن هذا الأمر سيغضب "مارتينا" و"فرانتا" عندما يكتشفان ذلك.

داعبتُه لبعض الوقت عبر السياج، ثم عدتُ إلى المنزل. كانت جدتي غاضبة، وسألتني:

- أين كنتَ؟

طلبت مني الذهاب لتناول وجبتي الخفيفة.

في أثناء تناول وجبتي الخفيفة التي هي عبارة عن كعكة، جلست جدتي بجواري، وبدت غاضبة بعض الشيء. لقد وضعت هاتفًا قديمًا على الطاولة، لا أعرف سبب ذلك.

- هل تعلم كم ثمن الهاتف الذي كسرته؟

لحسن الحظ كان فمي ممتلئًا بالطعام.

- لماذا تحملون أيها الأطفال مثل هذه الهواتف غالية الثمن؟ كلام فارغ.

تابعتُ تناول الطعام ولم أقل شيئًا.

قالت جدتي وهي تشير إلى الهاتف الموجود على الطاولة:

- كان لدى جدك هاتف جيد.

لا أعتقد ذلك، لكن لا أعرف لماذا تقول ذلك في الأساس.

- لذلك لديَّ اقتراح لك. لن أخبر أمك بذلك شريطة أن تعطي هذا الولد هاتفك وتأخذ هذا.

نظرتُ إليها بذهول، هل تمزح؟

اغتسلت "هانا" بعد ركضها الصباحي، ثم أخذت تنظر إلى نفسها عارية في المرآة لبعض الوقت، شعرت بالسعادة، لقد فقدت بعض وزنها، وتبدو في حالة أفضل عما كانت عليه قبل أن تبدأ التمرن، الآن يمكنها أن ترى عضلات ذراعيها، فلا يزال أمامها شهران على بدء التصوير، وستكون في حالة بدنية جيدة. أصبحت تشعر بالرضا عن نفسها، فقد بدأت أخيرًا تتدرب كل يوم تقريبًا، عندما لا تشرب الخمر في المساء. لكن هذا يحدث مرتين فقط في الأسبوع، بعد أن أصبح لديها الكثير من الوقت، لأن "فيكتور" لم يعد موجودًا هنا. لا تزال تشعر بالذنب، لكن يبدو أنه سيتكيف مع الوضع هناك. قاومت رغبتها في الصراخ، فهو لم يقضِ هناك سوى فترة قصيرة. لحسن الحظ رن

الهاتف، كانت المتصلة هي "كريستينا" من الإنتاج، تحدثت إلى "هانا" كأنهما تعرفان بعضهما بعضًا، لكن "هانا" لا تتذكر أنهما التقتا من قبل، أكدت أن اجتماع اليوم في موعده تمامًا. ذهبت "هانا" لتغسل وجهها، فهي ستلتقي لأول مرة الجميع، وخاصة "مارتين هروبي". بالطبع التقيا من قبل عدة مرات في مكان ما، لكن الآن سوف يصوران معًا، فهو أسطورة في التمثيل، وستكون "هانا" متوترة عندما تقف أمامه. تذكرت عندما كانت تراه في التلفزيون وهي فتاة صغيرة، في تلك الأيام التي لم تكن لديها أي فكرة عن أنها هي أيضًا ستصبح ممثلة، كان تمثيله جيدًا جدًّا في ذلك الوقت.

وصلت إلى مكاتبهم، وعلى بعد خطوات من الباب، اختبأت خلف شجرة، وأخذت تدخن سيجارة، لقد جاءت مبكرًا جدًّا، ولا تريد أن تكون أول من يصل إلى هنا. رأت "يوهانا" قادمة، بدأت تتجه نحوها، لكن "بيتر" سبقها بالفعل إلى "يوهانا"، فاحتضنته "يوهانا"، فرفعها في الهواء كما لو كان لقاء بين عاشقين، وليس اجتماعًا للمخرج مع الممثلين، لكن "هانا" لن تتُفاجأ إذا كان هناك شيء حقًّا بينه وبين "يوهانا". ألقت السيجارة وذهبت إليهما، اندفعت "يوهانا" نحوها، رائحتها جميلة، قبلتها على خديها، بينما صافحها "بيتر"، وطبع قبلة على خدها، وقال لها:

- تبدين رائعة.

وذهب الجميع إلى الداخل. هناك بعض البسكويت على الطاولة، بينما "كريستينا" تُعد لهم القهوة.

- أيًّا كان ما تريدونه، حتى لو لاتيه بالبندق، حقًّا، قولوا.

كانت "كريستينا" ذات أسنان كبيرة، وترتدي وتضع للأسنان، ولم تَرَها "هانا" من قبل.

- آسفة إن كنتُ قد رفعتُ الكلفة بيننا في الهاتف، لقد أدركت بعدها أنك ربما لا تتذكرينني، لكننا رأينا بعضنا بعضًا في المناسبة التي كانت في "أكر".

ثم مدت يدها إلى "هانا" قائلة:

- أنا "كريستينا".

قالت "هانا" كذبًا وهي تبتسم لها:

- يا إلهي! بالطبع أتذكرك.

وصل "مارتين"، فشعرت "هانا" بالتوتر، قالت له:

- أنا "هانا". سأؤدي دور "فرانيكوفا".

فقال:

- بالطبع أعرفك يا فتاة. أتمنى لك كل التوفيق معنا.

ضحكت "هانا"، فهو شخص خفيف الظل.

ضحك هو أيضًا. صافحته، كانت يده متعرقة وباردة. مسحت "هانا" بعد ذلك يدها في بنطالها بطريقةٍ غير ملحوظة.

تحدث "توماش"، مساعد المخرج طويلًا، وقال: "إنهم قبل عيد الميلاد سوف يذهبون إلى مكان خارج العاصمة لمدة ثلاثة أيام ليحصلوا على بعض الراحة، ولإجراء اختبار القراءة، وللتعرف إلى بعضهم بعضًا قليلًا، وفي العاشر من يناير سيبدأ التصوير، جدول التصوير سيكون مكثفًا جدًّا".

- سيكون الأمر مرهقًا خاصة لكِ يا "هانا"، وبالطبع لكَ أنت أيضًا يا "مارتين".

ثم تحدثوا عن بعض الأشياء العملية الأخرى، مثل مواعيد التصوير ومواقعه، لكن "هانا" لم تلقِ بالًا لما قالوه، فقد كانت تتطلع إلى الحديث عن الشخصية، فلديها بعض الأفكار حول كيفية تمثيل الشخصية على نحوٍ أفضل، وسوف يساعد هذا شخصية "فرانيكوفا" ويجعل الناس يفهمونها. وصل ثلاثة من كتاب السيناريو متأخرين، كانت "هانا" تعرف الكاتب الرئيس فقط، لقد رأته من قبل في اختبارات الكاميرا، وهناك صبي آخر يبدو كأنه لا يزال يذهب إلى المدرسة، وفتاة حليقة الشعر تمامًا، ترتدي في هذا البرد تنورة دون جوارب.

ثم بدؤوا أخيرًا الحديث عن السيناريو، قالت "هانا" اقتراحها، وسجَّله كاتب السيناريو، ثم قالت هذه الفتاة:

- حسنًا، لا أعتقد أن المرأة يجب أن تكون قاسية فقط لأنها تعرضت للاغتصاب من زوج أمها عندما كانت صغيرة. أليس كذلك؟ هذه صورة نمطية.

لكن "هانا" لم تتحدث عن أي نوع من الاغتصاب، قالت فقط إن "فرانيكوفا" يجب أن تكون أيضًا إنسانة، وليست آلة فحسب، أو شخصًا يؤدي عملًا ما فحسب، يجب أن يكون لها حياتها الخاصة.

- لها حياتها الخاصة، أم أنكِ لم تقرئي الشخصية؟

قالت "هانا":

- قرأتُها، لكن انسِي هذا الأمر.

ثم قررت أن تتجاهل هؤلاء الأطفال المغرورين، وسوف تشرح ذلك لـ"بيتر" لاحقًا، فالأمر لا يتعلق بما ستقوله الشخصية، ولكن بطريقة أدائها، و"هانا" متأكدة أنها تعرف كيف ستُمثل هذه الشخصية.

وضع "مارتين" يده على يدها، وقال لها:

- لا تقلقي، فأنا أفهمك.

ابتسمت له، إنه يفهمها، "مارتين هروبي" يفهمها. سيكون ذلك عملًا عظيمًا، ومسلسلًا عظيمًا. أخيرًا ستثبت "هانا" نفسها أمام الجميع.

ثم قال "بيتر" وهو يُشير بيده إلى جسدها:

- "هانا"، اعتقد أننا تحدثنا في المرة السابقة عن ضرورة استعادة لياقتك البدنية، أليس كذلك؟ فيجب أن تكوني بدنيًّا في أفضل حالاتِك، أتفهمين؟ فأنت بطلة الجمهورية السابقة في الجري.

"سنيجيك"

لا يمكن لعب "البوكيمون" على هاتف جدي، هذا واضح، كان ذلك واضحًا ما إن رأيته، لكن ما دمتُ قد فقدتُ أقوى "بوكيموناتي"، فالأمر لا يستحق على أي حال، لذا أغلقته، وقلتُ لنفسي: "إنني سأطلب هاتفًا جديدًا هدية عيد الميلاد، ثم أعود إلى اللعب مرة أخرى".

بقيتُ لعدة أيام لا أفعل شيئًا، سوى الذهاب إلى المدرسة، ولعب كرة القدم الغبية، وأيضًا زيارة "سنيجيك"[15]، هذا هو اسم الكلب الأبيض، عادةً ما كنتُ أزوره في الصباح، عندما يكونون قد ذهبا بالفعل إلى المدرسة، على الرغم من أنني كنتُ أضطر بعدها إلى الركض حتى ألحق بالحافلة، أو في أوقات أخرى، ولكن عندما لا يكون "فرانتا" أو أي شخص آخر هناك. كنتُ أداعبه عبر السياج، ولم يعد ينبح في وجهي قط، ودائمًا ما يكون سعيدًا برؤيتي، لذلك أعتقد أنني ربما آخذه في نزهة في وقت ما، ثم خطر ببالي أن "سنيجيك" ينبح بشدة على الغرباء، وعندها يبدو مخيفًا حقًّا.

في اليوم التالي ذهبتُ إلى "مارتينا"، التي كانت تجلس بمفردها على أحد المقاعد.

– ما الأمر؟

كنتُ مستعدًّا لقول شيء لطيف حتى يعرفا أني أريد أن نكون أصدقاء، وأن أعبِّر لهما عن أسفي لما حدث لكلبهما. ولكن بعد ذلك لم أقل سوى:

– إن ما حدث لعين كلبكما هو أمر سيئ، أليس كذلك؟

أخذت "مارتينا" تنظر إليَّ، وأنا أنظر إليها.

– أليس كذلك؟

---

(15) "سنيجيك" أو "سنيج": هي كلمة تعني في اللغة التشيكية "الجليد"، وذلك لبياض لون الكلب.

- بلى.

هزت "مارتينا" كتفيها وقالت:

- يُقال إنها لا تؤلمه.

- وكيف تبدو إذًا؟ هل لديه فتحة هناك؟

- حسنًا. في الحقيقة نعم، قليلًا. إنها تبدو بشعة.

- حقًّا؟ أنا لم أر قط كلبًا بلا عين.

كنتُ أكذب.

- يمكنك أن تلقي نظرة عليه.

عاد "فرانتا"، وقال:

- هل تتحدثان معًا؟

قلتُ:

- أريد أن أرى الكلب الأعور.

نظر "فرانتا" إلى "مارتينا" التي قالت:

- حسنًا، حسنًا، تعالَ معنا بعد المدرسة.

ذهبتُ معهما، وعندما دخلنا الحديقة أظهر "سنيجيك" سعادة كبيرة، وركض نحوي على الفور. فوجئا بأنه أحبني هكذا في الحال، لم أخبرهما أننا نعرف بعضنا بعضًا بالفعل.

ولكن بعد ذلك مر شخص ما بالقرب من السياج، فأخذ "سنيجيك" على الفور ينبح عليه وبدا متوحشًا.

وهكذا أصبحتُ صديقًا لهما؛ لأنني بحاجة إلى استعارة "سنيجيك" لأخيف به الأولاد، الذين يلعبون معي كرة القدم، الذين حذفوا "البوكيمونات" الخاصة بي، وبسببهم خسرت هاتفي الجديد.

حقًّا أصبحت الأمور تسير على ما يرام معهما، خاصة مع "مارتينا"، من المؤسف أن صديقها المفضل هو "فرانتا"، لكن "سنيج" أو "الثلج"، كما يسميه الجميع، هو أيضًا كلب جيد، وأحيانًا أستمتع ببعض المزاح معه. بدأنا نذهب معًا إلى المدرسة، والد "فرانتا" بستاني، لكنه -كما تقول جدتي- يستطيع فعل كل تلك الأشياء، التي كان يفعلها جدي دائمًا هنا، فنفخ لي الدراجة التي أخذتها عن جدي، لذلك أصبحت لديَّ دراجة كبيرة مثل "مارتينا"، وقد أسعدني ذلك. لكني أشك أن جدي كان يُعيد هنا مثلًا غرس شتلات الزهور، أو تغليف الشجيرات حتى لا تتجمَّد.

في الحافلة كنا نجلس أيضًا مع "بوهوش" في المقعد الخلفي الخماسي.

لكن السيئ في الأمر أن "سنيج" لا يذهب أبدًا للتنزه، فهو لا يمشي وهو مربوط بمقود، ولو تُرك دون مقود فسيهرب، إنه يهرب في بعض الأحيان على أي حال. وأنا أيضًا لا أعرف كيف آخذه إلى المدينة وإلى الملعب، لكني وفي كل مرة أرى "فويتا" ومعه هاتفي المحمول يلعب كرة القدم، وكذلك الثلاثة الآخرون وهم ينظرون إليَّ، معتقدين أنهم قد فازوا، أعلم أنه يتعين عليَّ فعل ذلك.

لم نعد نتحدث أنا وجدتي عن كرة القدم، وعلى الرغم من أنني ما زلت أكرهها، لكني عادة ما أذهب إلى هناك.

وبعد ذلك وجِدَ الحل من تلقاء نفسه، لأنه كان على والد "فرانتا" أن يأخذ الكلب إلى الطبيب البيطري لأنه يعاني شيئًا ما في عينه مرة أخرى، ولدى "مارتينا" و"فرانتا" ما يمنعهما من الذهاب معه، لكن أنا أستطيع ذلك، لذلك عرضتُ عليهم الذهاب معه. لكن كان بوسع والد "فرانتا" أن يأخذني فقط إلى هناك بالسيارة، ثم عليه بعد ذلك أن يذهب لأداء بعض الأشياء الخاصة بالحدائق، التي لا أفهمها. عرفتُ أنه لن تكون هناك فرصة أفضل من ذلك أبدًا، لذلك قُلت له:

- لا بأس، إن جدتي ستعيدنا، وأنها بالتأكيد لن تمانع في اصطحاب الكلب في السيارة، حتى لو كان مشعرًا وذا رائحة كريهة.

رفع والد "فرانتا" كتفيه قائلًا:

- ربما يكون هذا ممكنًا.

فقلتُ له:

- بالتأكيد، لا تقلق، إن جدتي حقًّا لن تمانع.

عند الطبيب البيطري أخذ الكلب مرهمًا للعين، وزمجر في وجه الطبيب وفي وجهي. ثم سرتُ به عبر المدينة، أحببت "سنيج" كثيرًا، أحببتُ السير معه، أحببتُ أن يعتقد الناس أن لديَّ كلبًا، على الرغم من أن "سنيج" ليس الكلب المؤهل للتجول في المدينة، فهو لا يستطيع المشي بهدوء، لكنْ لديه طوق وسلسلة جديدة، وعندما يسحبها بقوة؛ فإنه يخنق نفسه، وهذا يجعلني أتمكن من الإمساك به، أو هكذا أعتقد.

وعندما رأيت الأولاد الذين يلعبون معي كرة القدم موجودين في الساحة، جالسين على المقاعد، ذهبتُ إليهم، كان عددهم أكبر، ومعهم بعض الأولاد الأكبر سنًّا، لكن "سنيج" معي، لذلك لا أخشى شيئًا.

بالطبع أريد فقط إخافتهم، ولا أريد حقًّا أن أُفلت الكلب، أريدهم فقط أن يروا أن لديَّ كلبًا ضخمًا، وأنهم لا يستطيعون التعرُّض لي، وربما تخيلت أنه يمكنني أن آخذ هاتف أحدهم المحمول، وأحذف شيئًا مما عليه أيضًا. لكن عندما رأوني، بدؤوا يسخرون مني ويستهزئون بي، وبدؤوا أيضًا باستفزاز "سنيج" عندما رأوا أني تقريبًا لا أستطيع الإمساك به، لذا فقد بدا لهم الأمر مضحكًا، حتى رأيت فجأة أنني لا أستطيع الإمساك به حقًّا؛ لذلك صرخت فيه:

- توقف عن ذلك!

فسخروا مني أكثر وأكثر، وفجأة أفلت "سنيج" مني، وقفز على أكبر صبي منهم، وطرحه أرضًا، وبدأ بعضِّه. فجأة صمت الجميع، وأخذوا ينظرون إلى ما يحدث ولا يفعلون شيئًا، فقط الشخص الممدد على الأرض هو من كان يصرخ، وأنا أيضًا أقف وأحدق إليه، ولا أستطيع فعل أي شيء. فجأة ركض رجل ما، وشدَّ الكلب بعيدًا عن الصبي، وخلال ذلك هرب الجميع إلا إياي.

صرخ الرجل قائلًا:

- هل هذا كلبك؟

وصل المزيد والمزيد من الناس، ونهض الصبي الذي كان كُمَّا سترته ممزقين تمامًا، وينزف ويبكي، بينما الرجل يُمسك الكلب ويصرخ:

- انزع هذا، تحرك.

ولكن عندما أراد أن يقدم المساعدة للصبي، أفلت "سنيج"، فبدأت أنا بالركض بعيدًا، وأنا آمل أن يركض "سنيج" خلفي، ولحسن الحظ فقد تحقق هذا.

ظللنا نركض على طول الطريق المؤدي إلى قريتنا، ولكني فضَّلتُ بعد ذلك أن نذهب عبر الغابة. أمسكتُ بالكلب، أخذتُ أنظر إليه وهو ينظر إليَّ. سآخذه إلى المنزل، الطريق طويل، و"سنيج" مستمر في جذبي من المقود، لكنه لم يفلت مني، عندما عدنا سألتني والدة "فرانتا":

- كيف الحال؟

فقلتُ لها:

- جيد.

خرجتُ من المنزل مرة أخرى، لكنني ذهبتُ عمدًا إلى الغابة حتى لا أقابل أيَّ شخص، ولا حتى "مارتينا" أو "فرانتا"، خاصة الكبار.

لم أعُدْ إلا المنزل حتى وقت العشاء. كان الوضع قد أصبح في غاية السوء.

رأيتُ أربعة أزواج غريبة من الأحذية في الردهة، بالإضافة إلى جدتي كان يجلس إلى الطاولة والد "فرانتا"، وأيضًا رجل غريب، وقفتُ هناك لحظات، وبقينا جميعًا صامتين، ثم أشارت إليَّ جدتي بالجلوس. كانت أمامهم شرائح من الكيك، وقد كنتُ جائعًا، لكن لم يعرض عليَّ أحد شيئًا، لذلك جلست وأنا أشمُّ رائحتها فقط.

بادر الرجل بالكلام قائلًا:

– إذًا لقد حصل ابني "روبرت" على اثنتي عشرة غرزة بعد أن عضه هذا الحقير، والآن أخبروني: ما الذي تعتزمون فعله حيال ذلك؟

– قل لنا ما الذي حدث؟

كنتُ أنوي عدم قول أي شيء؛ لأنه في بعض الأحيان عندما تبدأ بذكر التفاصيل، يصبح الأمر أكثر سوءًا، ولكني لم أستطع أن أمنع نفسي؛ لأن هذا الرجل هاجم والد "فرانتا" قائلًا:

– ماذا حدث؟، إذًا قل لي: ماذا حدث؟ لقد انقض كلبك القاتل هذا على ابني.

ثم أشار إليَّ، وقال:

– وهذا من أطلقه عليه، وصرخ فيه بأن يمزقه.

فصرختُ أنا:

– هذا غير صحيح! لم أطلق "سنيج" عليه، ولم أصرخ بأي شيء.

فقال الرجل:

– اصمت، وإلا فسأصفعك.

فصمتُّ، هل يمكن لشخص غريب أن يصفعني حقًّا؟

قالت جدتي:

– قل ماذا حدث، ولكن اهدأ.

قالت ذلك بطريقة سيئة جدًّا، إلى درجة جعلتني أفضل صراخ الرجل في وجهي عن كلامها.

وبدأت أوضح لهم كيف أن الأولاد في كرة القدم مثيرون للاشمئزاز بالنسبة لي، فقالت جدتي:

– لقد سألتُك وقلت إنه لم يحدث معك شيء هناك.

فقال الرجل الغريب:

– لحظة، إن "روبرت" لا يذهب إلى أي تدريب لكرة القدم، فما هذا الهراء الذي تقوله؟

فقالت جدتي:

– إذًا فقد اعتقدت أن الحل الأفضل هو أن تطلق عليهم الكلب؟

فصرختُ قائلًا:

– لقد أفلتَ مني، أنا لم أطلقه عليهم.

فقال والد "فرانتا":

– إذًا لماذا ذهبت إلى هناك؟ ولماذا كذبت عليَّ؟ ولماذا كذبت على "سلافيك"؟

– لكن هؤلاء الأولاد استفزوا "سنيج".

فقال الرجل:

– بحق الجحيم! ما نوع هذا الكلب الذي ينقض بلا سبب على طفل؟!

أخذتُ أبكي، فصرخت فيَّ جدتي:

– لا تخدعنا بطريقتك هذه، لن تنطلي على أحد هنا.

نهض الرجل وقال:

– فلنذهب إلى الطبيب البيطري، فلا فائدة من الحديث هنا.

لكني كنتُ أبكي حقًّا، فهذا ليس ذنبي، لم أفعل ذلك عن قصد، لا أريدهم أن يقتلوا "سنيج"؛ لأن هذا بالضبط ما سيحدث الآن.

قلتُ:

– أريد أن أذهب معهم أيضًا.

لكن جدتي هزت رأسها، ثم أرسلتني بعيدًا. وقالت:

- إياك أن تجرؤ على تشغيل الكمبيوتر.

أنا حقًّا لن أفعل ذلك، رغم أن ثلاثتهم قد غادروا، وبقيت وحدي في المنزل. جلست في الطابق العلوي، واستمعتُ إلى صوت السيارة وهي تختفي بعيدًا، ثم ساد الهدوء المكان. أريد أمي.

قادت "إيفا" السيارة ويداها ترتجفان، وكان "سلافيك" يجلس بجانبها صامتًا، والكلب يتنفس بصوت عالٍ في المقعد الخلفي، بينما "مارتينا" تجلس بجواره في هدوء وتعانقه، لم يجدوا معها حلًّا سوى أن يتركوها تذهب معهم، فهي تحب ذلك الوحش حقًّا. سيتعين على "إيفا" أن تُنظِّف سيارتها في الصباح قبل أن تذهب بالكعك. كانت أضواء مصابيح سيارة "هلاديك" تنعكس في مرآة الرؤية الخلفية لسيارتها، وقد أزعج ذلك "إيفا" تمامًا. إن "فيكتور" لا يُمكن أن يفعل هذا متعمدًا، فهذا ليس من طبع حفيدها الصغير، فعندما بدأ بالبكاء، عرفت أن بكاءه صادق، فهو لم يطلق الكلب على طفل آخر، ولكن كيف له أن يكون مع الكلب بمفرده في المدينة وهي حتى لا تعلم؟ لكن هذا هو طبع عائلة "موسيل"، فقط يسألون الطفل ويصدقون أنه يقول الحقيقة. لماذا لم يتصل بها أحد ويسألها: "لماذا كان "فيكتور" أصلًا عند الطبيب البيطري مع كلبهم الرهيب هذا؟"، "لماذا لا ترد "هانا" على الهاتف؟" لماذا بحق الجحيم يوشك "هلاديك" أن يصيبها بالعمى بأضواء مصابيح سيارته المبهرة هذه؟".

توقفوا أمام العيادة البيطرية، ونزل "هلاديك" من سيارته غالية الثمن، بينما كانت "إيفا" متأكدة أنه سيطلب منها بعض المال تعويضًا عما حدث. كانت "مارتينا" تُمسك بالكلب، الذي وقف على قدميه. أخذه "سلافيك" منها، كيف يمكن لطفل أن يقتني كلبًا لا يستطيع التحكم فيه؟ هؤلاء هم عائلة "فافر" مرة أخرى، لا يهتمون بأطفالهم، الزوج دائمًا يسكر في مكان ما، ورغم

أن الزوجة في المنزل مع الأطفال، فإن منزلهم غير نظيف باستمرار، و"مارتينا" المسكينة ترتدي ملابس متسخة.

"إيفا" متأكدة أنهم سيقتلون الكلب قتلًا رحيمًا، إذًا لماذا جاؤوا بهذه الطفلة معهم، فسوف يزداد الأمر سوءًا بالنسبة لها.

قالت "مارتينا" فجأة:

– يا سيدي، من فضلك، الكلب ليس له ذنب في شيء، أنا سأدفع إليك أيضًا.

ابتسم "هلاديك" لها ابتسامة سخرية، وهز رأسه، ثم ذهبوا إلى الداخل.

وحتى الآن ليس هناك أي خبر عن "هانا".



لم يطلبوا منهم إغلاق هواتفهم، فمساعد الإنتاج المزعج هذا موجود دائمًا على الهاتف، أين أنتِ يا "كريستينا" الجميلة؟ لكنها قالت لنفسها إنها ستفعل ذلك، وإنها لن تُشغِّل هاتفها إلا في المساء، لتعرف هل حدث شيء مع "فيكتور"، ولكن ماذا سيحدث؟ فهو مع أمها، فمنذ أن كان طفلًا صغيرًا وكانت تتركه مع أمِّها وأبيها، لم تكن تُتابعهم باستمرار. إن أمها لا تحب كتابة الرسائل النصية، وكان "فيكتور" يشعر بالحزن عندما تتصل، لذلك كانت نادرًا ما تتصل بهم، ودائمًا تتصل فقط في المساء. والآن بعد أن أصبح "فيكتور" هناك كانت تتخيل أنهما سيكونان على اتصال دائم، لكن على الرغم من أن لديه هاتفه، وعلى الرغم من أن "هانا" تخيلت أنهما سيتحدثان معًا في المساء عبر Skype (عندما يكون لديها وقت)، تتمنى الآن لو أن "فيكي" فقط قَبِل أن يتحدث معها على الإطلاق. اتصلت به اليوم وهي في طريقها إلى هنا، في محطة الوقود، عندما كانت تدخن سيجارة وتحتسي القهوة مع "يوهانا"، لكنه بالطبع لم يرد، وما إن وصولا إلى هنا، تناولا عشاءً تمهيديًّا، ثم خطَّطا لبعض الأشياء مرة أخرى، لذا أغلقت هاتفها، حتى أنها تركته في غرفتها، في الغرفة المشتركة مع "يوهانا". أخذت "هانا" لحظاتٍ تنظر إليها عندما كانت تُغيِّر ملابسها، كان

لديها أيضًا مؤخرة كهذه عندما كانت في العشرين من عمرها، لكن لا، فقد أنجبت "فيكتور"، وزاد وزنها تسعة كيلوجرامات بعد الولادة.

وأيضًا أمس الأول تشاجرت مع "دانيل"، فهي تعلم أنه على علاقة جنسية بـ"كولارجيكوفا"، وإذا لم يكن كذلك، فهو -على الأقل- يرغب فيها، وبعد ذلك أصبح رأي "دانيل" في هذا العمل المسمى "نوكتورن" Nocturne، وفي الإنتاج بأكمله وفي كل من يعمل به واضحًا؛ فقد شعر بالإهانة لأنه لم تُتح له فرصةٌ كهذه، نعم إنه يحصل على الكثير من المال من الإعلانات التجارية، وفي المسرح يكسب بعض المال أيضًا، فهو يعمل باستقلاليةٍ، لكن لا أحد يريده في الأفلام. إن هذه فرصة عمرها، لذلك ينبغي للشخص الذي تريد أن تكون معه أن يدعمها ولا يفعل هذا. أخبرته أنها ستسافر في عطلة نهاية الأسبوع، وما دام يظنُّ أنها شيء لا قيمة له، فهو لن يتصل بها، وفي الواقع كانت "هانا" تعرف أنه لن يتصل بها.

بعد العشاء شربوا بعض النبيذ، فلن يكون لديهم عمل اليوم، وعلى أي حال لن يأتي "مارتن هروبي" إلا غدًا. بقوا جالسين، وأحست "هانا" أن الجميع هنا سيكونون متفاهمين، وأن هذا العمل سيكون عملًا رائعًا، وشربوا. عندما عادت "هانا" إلى غرفتها، لم تُشغِّل هاتفها المحمول، بالطبع فكرت في ذلك، لكنها لم تفعل بسبب "دانيل".

استيقظت في الليل وهي تشعر بجفافٍ في حلقها، صبَّت الماء في الكوب المخصص لفُرش الأسنان، وشغَّلت هاتفها المحمول، لم تكن هناك إشارة.

فوجئت "إيفا" بأن "هلاديك" أومأ برأسه للطبيب البيطري، وكل ما قال في النهاية أنه يحتاج إلى شهادة تطعيم صالحة ضد داء الكلب، رغم أنها كانت متأكدة أنه سيصرُّ على قتل الكلب، ومن المحتمل أنها كانت ستنضم إليه، فبعد كل شيء هو أمر خطير أن يكون لديهم حيوان كهذا، ففي يوم ما ربما يُهاجم أيضًا

حتى "مارتينا" أو أبناء "موسيل". لكن "هلاديك" قال بعد قليل: "حسنًا، لكن لا تعتقدوا أن الأمر قد انتهى، فصغيركم لن يخرج من هذه المشكلة بكل هذه السهولة، وعليكم أن تربطوا هذا الوحش." وأشار إلى الكلب قائلًا: "إذا رأيتُه مرة أخرى بالقرب من أطفالي، فستصبح أيامه معدودة، حظكم جيد أن الصبي كان يرتدي سُترة سميكة". فقفزت عليه "مارتينا" وعانقته، "شكرًا لك، شكرًا جزيلًا". ومدت "إيفا" يدها إليه، فأيًّا كان ما يقصده، سواء كان يقصد مقاضاتها أو أيَّ شيء آخر، فهي بالطبع ستدفع إليه تعويضًا، "ولكن الأهم من كل شيء أن يكون ابنك بخير". أومأ "هلاديك" برأسه بجدية: "آمل ذلك"، ثم غادر مسرعًا. حاولت "إيفا" الاتصال بـ"هانا" مرة أخرى، لكن لا شيء، الهاتف مغلق، ربما تُمثل. أخذت معها في السيارة "سلافيك"، والكلب و"مارتينا". نزلت "مارتينا" أيضًا عند منزل عائلة "موسيل".

- ألا تريدين أن أوصلك إلى منزلكم يا "مارتينكا"؟

- نعم.

قالت هذا لـ"إيفا" وهي تنظر إليها نظرة شريرة. وأضافت:

- شكرًا.

حتى لا يُقال إنها غير مهذبة، ثم توجهت "إيفا" بالسيارة إلى المنزل، ورأت جسد "مارتينا" الصغير في مرآة الرؤية الخلفية.

ركض "فيكتور" إلى الطابق السُّفلي ما إن سمع صوت السيارة، وبدا كأنه كان يبكي:

- ماذا حدث لـ"سنيج"؟ هل قتله الطبيب البيطري؟

- لا، لقد جرى تطعيمه، ولم يرغب والد الصبي أن يترك الطبيب البيطري يقتله.

ركض إليها "فيكتور" وعانقها، فاحتضنته هي أيضًا.

- "فيكي"، هل يمكنك أن تخبرني بالحقيقة؟

- لقد قلتُ الحقيقة.

- لماذا ذهبتَ إلى هناك بهذا الكلب؟

ظل صامتًا وهو ينظر إليها، وفي تلك اللحظة أدركت "إيفا" أنه ذهب إلى هناك متعمدًا، وأن هذا لم يكن خطأً فحسب، وربما لم يكن "فيكتور" يقصد ذلك، لكنه ذهب إلى هناك بنية سيئة، فهل "فيكي" حقًّا ولد سيئ؟

- كيف حدث هذا؟

- لم أكن أريده أن يعضهم حقًّا.

فجأة أحست "إيفا" أنها متعبة للغاية. لأول مرة تفكر أنها قد لا تقدر على ذلك. لو كان "يندرشيخ" على قيد الحياة، لو لم تكن وحيدة، لقد كانت متعبة، أحيانًا تكون متعبة، حتى عندما تستيقظ، والتعب يجثو عليها أحيانًا كبطانية ثقيلة مُبلَّلة، هي تشعر الآن بأنها حتى لا تستطيع الوصول إلى الأريكة، فانهارت على الكرسي.

في هذه اللحظة فقط أدركت لماذا لا تردُّ "هانكا" على اتصالاتها، لقد أخبرتها أنها في عطلة نهاية الأسبوع هذه ستذهب إلى مكان، وسيُجرون بروفات هناك، ولن تكون متاحة على الهاتف. كيف يمكنها أن تنسى ذلك؟ إنه هذا التوتر.

سألها "فيكتور":

- هل ستأتي أمي خلال عطلة نهاية الأسبوع؟ لقد اتصلتُ بها، وهاتفها مغلق.

- لا، لن تأتي.

ثم سألته "إيفا" على الرغم من أنها لا تزال تشعر أنها غير قادرة على النهوض من الطاولة:

- هل أنت جائع؟

- أكلتُ كعكة.

- جيد. إذًا اذهب واغتسل. وأنا سأذهب لمشاهدة التليفزيون لبعض الوقت.

- هل يمكنني الذهاب للعب على الكمبيوتر؟

لكنه أضاف على الفور:

- حسنًا، لن أذهب، أعلم أنك غاضبة مني.

- هل تفهم أن الأمر لا يتعلق بكوني غاضبة أم لا؟ لقد كان من الممكن أن يسبب الكلب أذًى كبيرًا لهذا الصبي، وعندها كنت ستقع في مشكلة لا يُمكنك تخيلها. هل تدرك أنه ربما كان سينتهي بك الأمر إلى السجن بسبب هذا؟ هل تفهم أنه عندها لن يكون بوسعي لا أنا ولا أمك مساعدتك، وأن حياتك ستُدمَّر؟

أخذ ينظر إليها، إنه لا يفهم هذا، لن يفهم هذا حتى يُجرِّبْه، إنه يقف على شفا حفرة، يكاد أن يهوي إليها، لكن ما دامت هي هنا، فلن تسمح له بالقفز إلى هذه الهاوية، ربما أساءت تقدير الأمر، ربما لم تكن تريد رؤيته بوضوح، لكنها الآن سوف تُمسك بزمام الأمور بقوة.

- إذًا سأشاهد التليفزيون معك، هل تريدين؟

قالت "إيفا":

- لا أريد ذلك، ليس اليوم. اذهب واغتسل ونَمْ.

إنها لا تستطيع أن تكون لطيفة معه.

استدار وصعد إلى أعلى، صعد بضع درجات بطريقةٍ طبيعية، ولكن بعد ذلك بدأ يقفز، ليس من السعادة، ولكن هكذا، كل شيء سهل وبسيط للغاية بالنسبة له، لقد انتهت هذه المشكلة على نحو جيد، دائمًا ما تنتهي مشكلاته على نحوٍ جيد.

صاحت جدتي قائلة بينما كنتُ أبحث في غرفتي عن بيجامتي:

- غدًا سنذهب إلى عائلة "هلاديك" وسوف تعتذر إليهم.

- إلى من؟

ثم انتبهتُ، فناديتُ جدتي قائلًا:

- نعم، بالتأكيد.

سأعتذر. أنا سعيد لأنهم لم يقتلوا "سنيج". سيكون الأمر جيدًا.

عندما استيقظتُ في الليل، كان هناك ضوء غريب، لذا نهضتُ ونظرتُ إلى الخارج، كان الجليد يتساقط، وتحول كل شيء إلى اللون الأبيض. أخذتُ أشاهد ذلك حتى بدأتُ أشعر بالبرد في غرفتي. وعلى الرغم من أن أسلاك المدفأة قد تحولت إلى اللون البرتقالي، فإن هناك فتحة أسفل باب الغرفة تسمح بتسرب البرد من الردهة. لكنني لا أستطيع أن أبتعد عن هذا الجمال على الإطلاق. وإن كان لي أن أقول شيئًا، فعليَّ أن أقول إنني في تلك اللحظة أشعر بالسعادة.



عطلة نهاية الأسبوع

في الصباح، شعرت "هانا" بأنها ليست على ما يرام. كانت تُفضِّل ألَّا تذهب لتناول وجبة الإفطار، لكنها لا تريد أن يظن الآخرون أنها ليست محترفة، وأنها لا تستطيع الاستيقاظ في الصباح بعد أن تشرب قليلًا من النبيذ في المساء.

غاب "توماش"، ومساعدة الإنتاج و"يوهانا" عن تناول وجبة الإفطار.

بعد الإفطار، أرادت "هانا" الذهاب إلى الخارج لحظات، لعلها تجد إشارة، فعليها أن تتصل بأمِّها، لكن "بيتر" أمسك بها، وقال لها:

- "هانا"، هل يمكن أن تأتي لحظة؟"

وأخذها إلى صالة الألعاب الرياضية.

بقيت "هانا" معلقة على العارضة، ولا تستطيع الصمود لفترة طويلة، لكنها ما زالت تحاول رفع نفسها، اللعنة! لا يمكن لأي فتاة عادية أن تفعل ذلك. كان "بيتر" يراقبها بعدم رضا:

- اللعنة يا "هانا"! لا بد أن تكوني متحمسة، أريد أن أراكِ تؤدين -على الأقل- خمسة من تمارين الضغط على العارضة تلك.

قفزت "هانا" إلى الأسفل، ويداها تحرقانها. من المؤكد أنها لم تعتقد أن المخرج سيختبرها هنا في عدد تمارين الضغط التي يمكنها أداؤها. كان من المفترض أن يكون اختبار قراءة، دون تدريبات رياضية.

- لقد اعتقدت أننا متفقان.

- نعم، نحن كذلك. لكنك لم تقل لي إنني سأؤدي تمارين الضغط مباشرة. لقد تحدثوا عن مدى حاجتي إلى أن أكون في حالةٍ بدنية جيدة. ولقد أصبحتُ كذلك. فيمكنني أن أؤدي ثلاثين تمرين ضغط على الأرض.

- لكن الضغط برفع الجسم باستخدام العارضة موجود في السيناريو.

صمتت "هانا" لحظة، لقد تخطت ذلك في السيناريو.

- لم أقرأ ذلك.

هز "بيتر" رأسه، قائلًا:

- كلكم متشابهون، تقرؤون الحوار فقط. اللعنة، كيف يُمكنني أن أعمل بهذه الطريقة.

عندما التفتت "هانا"، رأت أن "مارتين هروبي" كان يراقبهم طوال الوقت. من المؤكد أنه لن يغفل أي شيء في السيناريو.

ابتسم لها بهدوء.

وقال:

- إن تمارين الضغط على العارضة صعبة، في شبابي كنتُ أؤدي هذا التمرين عشر مرات على الأكثر.

استدار "بيتر" عند الباب وقال:

- سنبدأ القراءة بعد خمس دقائق، إذا أراد أحدكم أن يدخن، فليدخن الآن.

خرجت "هانا" أمام الفندق، كان العشب مغطًّى بالجليد المتجمد، والبخار يتصاعد من فمها. أشعلت سيجارة، ومشت بضع خطوات عبر مرفأ السيارات حاملة هاتفها، لكن لا توجد إشارة، ثم توجَّهت إلى الملعب.

هنا قال لها الصبي الذي نسيت "هانا" اسمه، وربما هو من مجموعة الملابس:

- هل لديك فودافون؟ للأسف لن تجدي ولا شرطة واحدة هنا. عليكِ أن تصعدي إلى التل.

وأشار إليها إلى تل بعيد. كانت تيجان الأشجار الموجودة على التل مكسوَّة بكاملها باللون الأبيض بسبب الصقيع.



- خارجي، مكتب، نهار.

أخذ "بيتر" يقرأ برتابة.

(دخلت "فرانيكوفا" الغرفة بتجهم، "لوكيش" يجلس على الطاولة، وينتظرها بالفعل.

"فرانيكوفا": "لماذا فعلت ذلك؟! لقد كذبت عليَّ".

"لوكيش": "تُعجبيني هكذا. بعض الحيوية".

"فرانيكوفا" "تريد أن تنقض عليه".

"لوكيش": "هيا يا صغيرتي. اصفعيني".

"فرانيكوفا": "أنت لا تستحق ذلك بالنسبة لي".

"لوكيش": "أنت نفسك لا تستحقين ذلك".

"فرانيكوفا" تندفع نحو "لوكيش"، يضطر إلى الوقوف، لا يُمكن النيل من جسده العملاق، يتغلب عليها في لحظة. يتنفس بقرب جسدها. ثم يداعب ثديها بيده من فوق قميصها.

"لوكيش": أعجبكِ هذا، أليس كذلك؟

تريد "فرانيكوفا" التملص منه، لكن ليس لديها أي فرصة. يُقبِّل "لوكيش" رقبتها، وبعدها فقط يسمح لها بالذهاب. "فرانيكوفا" تتنهد وتحبس دموعها.

"لوكيش" يغادر عبر الممر.

"هانا" من خلفه تحول يديها إلى مسدس، وتطلق النار عليه في صمت).

مشهد آخر، خارجي، مرج، نهار، يواصل "بيتر" القراءة.

(تصل سيارة شرطة، ويقودها "لوكيش"، وتجلس "فرانيكوفا" بجانبه. "لوكيش" يُدخن، مما أزعجها، لكنها لا تقول شيئًا.

سعل "لوكيش" حتى اهتز جسده السمين).

شخص ما يضحك.

قالت هذه الفتاة الساخطة من فريق كتابة السيناريو:

- آسفة، لم أكتبها لك، وهذا ليس شيئًا شخصيًّا.

قال "مارتين هروبي" مستاءً:

- حسنًا.

أرادت "هانا" أن تبتسم له، فهذه الفتاة تثير أعصابها، لكن "مارتين هروبي" تظاهر بقراءة مشهد آخر. بينما رأته "هانا" وهو يتصبب عرقًا.

بدأ هاتف "بيتر" يرن. نظر إليه وقال:

- استراحة، لقد وصل الصحفيون.

- سأذهب لإجراء مقابلة صحفية، وبعد ذلك معكِ.

وأشار بإصبعه إلى "هانا"، وأضاف موجِّهًا كلامه إلى "مارتين هروبي":

- ومعكَ أيضًا. ثم سنلتقط بعض الصور.

ثم غادر قبل أن تتمكن "هانا" من قول أي شيء. تفقدت الآخرين ببصرها، هل كانوا يعرفون أن هناك من سيأتي لإجراء مقابلة صحفية معهم؟

التفت الرجل ثقيل الظل من الإنتاج إلى مساعد المخرج وقال:

- إن هذا مثالي تمامًا، ربما يأخذونك إلى ذلك المصنع المهجور لالتقاط الصورة، حيث ستجدون الجثة الأولى، ما رأيك؟

- نعم، هذا سيكون عظيمًا.

- ولماذا لم يخبرني أحدٌ بذلك؟

أخذوا ينظرون إليها.

قالت لها "يوهانا":

- ما المشكلة؟ تبدين في حالة جيدة.

إنها لا تزال تكذب.

ما مشكلة "هانا"؟ ماذا يجب أن تقول لهم؟ المشكلة أنها لم تخبر والدتها أو ابنها بهذا، لكن الآن عليها أن تخبرهما على الفور، وإلا فسيقرآن ذلك غدًا في الجريدة، وستشعر أمها بالاستغلال، وسيشعر "فيكتور" بالإهمال والظلم، وستصل أمها إلى الاستنتاج التالي: إن "هانا" أرادت أن تتفرغ للعمل في هدوء، لذا فقد أحضرت الطفل إلى هنا، ولم تصارحني حتى بهذا، "هذا ما ستفكر فيه أمي، وسيقول "فيكتور": "لقد كنتُ أشكل عقبة في طريق تفرغ أمي لعملها، فتخلصت مني"". هذا ما سيفكر فيه "فيكتور".

وفوق كل ذلك فإن عليها أن تخبرهما عبر الهاتف الآن.

قالت "هانا":

- سأخرج للحظات.

فرفع مشرف الإنتاج كتفيه وقال:

- حسنًا، إن "بيتر" يُجري المقابلة الآن على أي حال، أليس كذلك؟ إذًا ما المشكلة؟

- لكن سيكون هناك تصوير بعد قليل، أليس كذلك؟

أخذت "هانا" سترتها، وحفنة من اللوز الملح الذي قدموه لهم هنا، وذهبت. ولم يكن معها حتى حذاءً مناسبًا، فسوف تصعد ذلك التل، وهي ترتدي حذاءً رياضيًّا حفيفًا في درجة حرارة اثنين تحت الصفر.

هاتفها في جيبها، تصعد التل، الهواء بارد، لأول مرة منذ الصباح تشعر بالارتياح، شعرت بمدى صحتها البدنية، وكانت سعيدة بذلك، تبًّا لتمارين الضغط هذه! فبوسعها أداء ذلك أيضًا، وأكثر من خمس مرات. أصدر الهاتف صوتًا، أرادت "هانا" إخراجه من جيبها، استمر في إصدار أصوات وصول الإشعارات، هناك صوت إشعار مكالمة فائتة سمعته "هانا" قبل أن تُخرج هاتفها، هناك اثنتا عشرة مكالمة لم يُرد عليها، تسع من أمها، وثلاث من "فيكي".

هناك رسالتان من أمها: "هل يمكنك الاتصال بي؟" و"أرجو الاتصال".

شعرت "هانا" بمعدتها تتقلص، بالتأكيد لقد حدث شيء ما، حدث شيء ما لـ"فيكي". تودُّ لو ركضت إلى أسفل التل إلى السيارة، لكن ذلك سيجعلها تفقد الإشارة مرة أخرى، خلعت قفازها واتصلت برقم أمها.

قالت "هانا" في هدوء الغابة الساكنة: "هيَّا، ردِّي". كانت على ارتفاع كبير جدًّا، إلى درجة أن كل شيء حولها كان أبيض. شكّل الصقيع أشواكًا جميلة على أغصان الأشجار. كأنها في حكاية خرافية من حكايات فصل الشتاء.

صرخت "هانا" وسط هذا الصمت: "هيا، ردُّي!".



في الصباح عندما استيقظتُ، بدا لي أن الجو في الخارج أكثر هدوءًا من المعتاد. ثم أدركتُ أن هذا بسبب الثلج. أتطلع إلى الذهاب إلى الخارج. سنذهب للتزلج على التل مع الآخرين. لكن عندما كنتُ أتناول طعام الإفطار، رأيت -من خلال النافذة- أنهم يغادرون بالفعل، ولم يقرعوا الجرس عندي.

ركضتُ إلى الخارج مرتديًا سترتي فوق المنامة.

- إلى أين أنتم ذاهبون؟ سأُنهي الإفطارَ، وأذهب معكم.

استداروا تجاهي. ثم أخذت "مارتينا" بعض الثلج وصنعت منه كرة، وألقتها عليَّ، لم تصِبني.

ألقت عليَّ كرة أخرى، فأصابتني، فقط لأني لم أحاول أن أتجنبها.

- ماذا حدث؟ لقد قالت جدتي إن "سنيج" بخير.

صرخت "مارتينا" قائلة:

- ولكنه ليس كذلك، بسببك أنت أيها الخنزير.

- لكني لم أفعل ذلك عن قصد. فأنا أحبه!

رمتني بكرة أخرى. ثم انضم إليها "بوهوش" و"فرانتا" و"كايا". إنهم لا يمزحون، هم جادون في ذلك، وقد آلمني هذا أيضًا. وعندما أصابتني إحدى تلك الكرات في رقبتي، استدرت وذهبتُ لأستكمل تناول الإفطار. أخذ "بوهوش" يضحك وقال:

– لا تأتِ إلينا بعد الآن، أبدًا، ولا حتى إلى كلبنا.

دخل الثلج تحت بيجاماتي فشعرتُ بالبرد.

قالت جدتي:

– سنذهب إلى "هلاديك"، لن يكون هناك أيُّ تزلج.

– شيء مقرف.

بدأ الهاتف يرن.

قالت جدتي:

– أمك تتَّصِل.

ذهبتُ لارتداء ملابسي، فلا أريد سماع هذه المكالمة.

🏘🏘🏘

جرت "هانا" إلى أسفل التل، كانت الأرض تنزلق تحت قدميها وهي ترتدي هذا الحذاء الرياضي الخفيف. "اهدئي، وإلا فستُكسر ساقك، وسيعطي "بيتر" الدور لغيرك، ولن تستطيعي حتى أن تعترضي". قالت أمها: "إن "فيكي" بخير، المعضوض هو صبي لا نعرفه، "فيكتور" جعل الكلب يهاجمه عمدًا". "اللعنة! ماذا فعلتُ؟ إن أمي لا تقدر عليه، يجب أن أعيده إلى براج. لا، هذا غير ممكن، هو لا يستطيع تغيير المدرسة الآن. اللعنة! هل أخطأت عندما اعتقدتُ أنه يُمكن أن تكون لي حياتي الخاصة، وأنني أستطيع أن أمثل في شيء كبير وجيد، وأنني أستطيع أن أفلت بذلك؟".

انزلقت ساقاها وسقطت، فأُصيبت ركبتُها، لكنها نهضت، وخطت، ثم ركضت بحذر مرة أخرى، ركضت إلى الفندق، ولم تعد تشعر بركبتها. كان "بيتر" و"مارتين هروبي" وطاقم الإنتاج والصحفي والمصور يقفون بجانب السيارة.

- أين كنتِ؟ سنذهب لالتقاط بعض الصور، الكل ينتظرك.

التقطت "هانا" أنفاسها. رسمت على وجهها تعبيرًا جادًّا، وهي تعلم أنها ربما تبدو كالمجنونة.

- أنا آسفة جدًّا. يجب أن أُغادِر.

وأضافت:

- مسألة عائلية.

- ماذا حدث؟

بقيت صامتة.

أخذها "بيتر" جانبًا، وقبض على يدها حتى بدأت تُؤلِمُها.

- ماذا حدث من فضلك؟

- حدثت مشكلة كبيرة لـ"فيكي".

نظر إليها "بيتر" فهو لا يعرف عمن تتحدث، فأضافت:

- مع ابني.

- هل أصيب؟ في المستشفى؟ هل صدمته سيارة؟

- لا، لا قدر الله.

- إذًا ما الذي حدث بحق الجحيم؟

- الكلب الذي كان يعتني به عضَّ شخصًا ما.

- وهل هذا الشخص في المستشفى؟

- لا، ولكن...

- لذا لا داعي للمبالغة، تعالَي لالتقاط الصور، وبحق الجحيم، عليكِ أن تتظاهري بأن هذا أفضل ما فعلتِهِ على الإطلاق، وأنا أقول لكِ إنه أفضل ما فعلتِه على الإطلاق؛ لذا تصرفي من هذا المنطلق، أم أنكِ تظنين أنكِ أنتِ الوحيدة التي لديها مشكلاتٌ أو لديها طفلٌ؟ هيا.

ثم نادى الآخرين قائلًا:

- هيا، لقد حلَلْنا المشكلة.

ثم نظر إلى "هانا" مرة أخرى لتعرف من المسؤول هنا.

- لكنني سأذهب بعد جلسة التصوير هذه.

- لا، لن تذهبي، سنواصل القراءة، إن "هروبي" سيغادر لحضور العرض المسائي؛ ولذا يمكنكِ الذهاب أيضًا.

التفتت "هانا"، فسلمتها الفتاة المختصة بالملابس كومة من الفساتين.

- يمكنك أن تظلي مرتدية البنطال ما دام لونه أسود، لكن لديَّ لكِ كنزة صوفية وسترة شتوية أفضل.

وأضاف مساعد الإنتاج:

- فلنذهب، ستغيرين ملابسك في الطريق، حسنًا؟ ستذهبان معًا.

وسلم مفاتيح السيارة للفتاة المختصة بالملابس.

لم أعرف أي شيء مُحدَّد من المكالمة الهاتفية لأمي سوى أنها ستأتي بعد قليل. لكن جدتي صحَّحت لي ذلك بعد أن تلقت رسالةً نصية منها بأنها ستأتي في المساء. قد أكون نائمًا عندما تصل، وهذا سيكون جيدًا على الأرجح.

ذهبت أنا وجدتي للاعتذار. كانت ذراع الصبي الذي عضه "سنيج" ملفوفة بالضمادات، ويمكن رؤية كدمة فوق الضمادة. كانت أمه تقف هناك، وتمسح يديها بالمنشفة، ورائحة طهو شرائح اللحم تنبعث من داخل الشقة.

كان والده يقف هناك أيضًا.

فقلتُ له:

- آسف.

قال الصبيُّ:

- لا بأس.

قال والده:

– لا، هذا ليس خيرًا، فهو يعزف على البيانو!

في تلك اللحظة نظر الصبي إليه، لكنه على الفور أخفض بصره إلى الأرض مرة أخرى، واستمر الأب قائلًا:

– إنه لا يستطيع التدريب الآن، ماذا لو لم تَعُدْ يدُه إلى طبيعتها؟ سنريد تعويضًا عمَّا ما خسره من ربح.

أراد الصبي أن يختفي من المكان، وابتسمت أمه كأنها تعتذر إلينا.

قالت جدتي:

– سندفع.

فقال الأبُ:

– حسنًا. اتفقنا. خمسة آلاف.

– حسنًا.

ونحن في طريق العودة بالسيارة فجأة لاحظتُ أن جدتي تهزُّ رأسها.

– ما الأمر؟

– لا شيء.

بعد الغداء طلبت مني جدتي أن أذهب إلى الخارج ما دام الجو جميلًا. آخذ الزلاجة، ذهبتُ وحدي إلى التبة الصغيرة خلف المنزل، وليس إلى التبة الكبيرة التي يذهبون إليها كلهم. أحيانًا كنتُ أسمعهم وهم يضحكون بصوت عالٍ، أو يصرخون بشيء ما، لكني لا أبالي بذلك، وأستمتع بهذا وحدي، ولا أريد أحدًا، وبصفة خاصة "مارتينا".

جاءت جدتي لرؤيتي.

– هل تريد التوقف عن الذهاب لتدريب لكرة القدم؟

– نعم.

- إذًا سآخذك إلى المدينة لتختار لعبة أخرى، مثل التنس أو ألعاب القوى مثلًا.

فقلتُ في نفسي: "لكني لا أريد الذهاب إلى أي تدريب، لقد جربتُ آلاف الأشياء، وكرهتُ كل شيء، حتى ما أُجيدُ فِعله".

- ربما أنجح في ممارسة رياضة الجودو، إذ يمكنني أن أتعلَّم قواعد السيطرة على الخصم، ولن يجرؤ أحدٌ على التعرض لي.

- حتى تتمكن من العِراك على نحو أفضل؟

أخذتُ أنفض الثلج عن كمِّي.

- تعالَ إلى المنزل، فأنت مُبلَّلٌ تمامًا.

ذهبتُ معها، فلم يعد يروقني اللعبُ وحدي.



ستبقى معنا

لا تريد أن تتركه هناك دون مراقبة لفترة طويلة. إنها لا تعرف لماذا لم يذهب للعب مع الأطفال، لكنها -في الواقع- سعيدة؛ لأنه بقي بالقرب من المنزل. عادا إلى المنزل، فأعدَّت له وجبةً خفيفة، وأخذت ملابسه المُبلَّلة وعلَّقتها فوق الموقد، وعندما حلَّ الظلام، بدأت بصُنع بسكويت الزنجبيل. إن "إيفا" تحب صنع الحلوى. هذا العمل الصغير يُهدئ أعصابها، سوف تعدُّ هذه المخبوزات أيضًا للمقهى حسب الطلب، وستتفق على الطلبات الأسبوع المقبل، فهناك بالفعل الكثير منها، مثلما يحدث دائمًا في شهر ديسمبر، سوف تخبز كل يوم. في العام الماضي وبَّخها "يندرشيخ" عندما وجدها ذات مرة نائمة بجانب الفرن، كما أن هناك دفعة من الكعك قد احترقت، ووبَّخها؛ لأنها تقبل الكثير من الطلبات، مع أن وضعهم المالي ليس سيئًا، فلماذا تكدُّ هكذا؟ لذا هذا العام لديها المزيد من الطلبات، ولن يلومها أحد. وبعد كل شيء، فإن هذا المال سينفعها.

ستعوِّض ما دفعته إلى الطفل مقابل ما فقده من مكسب من عزفه على البيانو، بالطبع كان بإمكانها أن تسأل: أين يعزف؟ وما الحفلات التي سيغيب عنها؟ وكان سرعان ما سيتضح أن "هلاديك" يكذب عليها، لكنها لم تفعل ذلك، وبالتأكيد لم تكن لتسأل أمام والدته التي بدت بائسة بسبب كذبه.

بالإضافة إلى ذلك فإن "فيكي" سيساعدها على الخَبْز، لقد كان يحب فِعل هذه الأشياء معها عندما كان صغيرًا. حتى إن "إيفا" اعتقدت أنه قد يصبح طاهيًا يومًا ما، لأنه كان يحب مساعدتها في المطبخ.

عندما كانت تُحضِر عجينة بسكويت الزنجبيل من الردهة، فليس من المفترض أن تكون في الثلاجة، ولكن فقط في مكان بارد، وتبدأ بإعداد السطح الذي ستُشكل عليه العجينة، وكذلك الأشكال المعدنية، كان "فيكي يطير فرحًا، وبعد ذلك يقطع بعض الأشكال وفقًا لبعض الشخصيات الخرافية الموجودة في ألعابه، ويخبرها بأسمائها، لكنها لا تتذكَّرها، مع الوقت لم يعد هذا يثير اهتمامه.

حاولت "إيفا" تحفيزه على الاستمرار في مساعدتها، كانت تدعه يدهن القِطع المنتهية بالبيض، على الرغم من أنه يُحدِث فوضى رهيبة في أثناء أدائه ذلك، حتى أنه يُسقِط البيض على الأرض، وعندما تُنبِّهُهُ إلى ذلك، فإنه يترك العمل، ويُعبِّر على الفور عن استيائه، وأنه لا يريد أن يستمر في تقطيع الحلوى بعد الآن، وأن هذا عمل مملٌّ، فلماذا لا يستطيع الذهاب للعب بألعابه؟ فتظلُّ صامتة، نعم، فهذا هو ما يُريده. ثم تقول له:

- على الأقل، أنت هنا تفعل شيئًا مفيدًا.

- على أي حال، أنا لا أحب بسكويت الزنجبيل.

دُهشت "إيفا" من ذلك، فقد كان يحبه دائمًا.

- لا تقلق، سأخبز المزيد من الحلوى، وبالتأكيد ستعجبك إحداها. وغدًا يمكننا تزيين بسكويت الزنجبيل، هل تريد؟

بل إن "إيفا" مستعدة لشراء هذه الأنابيب من كريمة الزينة المُلوَّنة، على الرغم من أنها بالطبع تصنع كريمة الزينة بنفسها من بياض البيض، فهي لا تُحب استخدام هذه الأشياء الصناعية السيئة.

أخذت تقطع بنفسها لفترة من الوقت، هدوء تام، وقالت في نفسها: "ربما كان من المفترض أن أكون حلوانيًّا منذ زمن طويل"، حتى أنها توقفت عن التركيز مع مسلسل الرسوم المتحركة الذي شغَّله "فيكي"، ومع هذه الأصوات الحادة الرهيبة، ومع هذه التفاهات الفظيعة التي يقدمونها، والإعلانات التجارية المليئة بأشياء عديمة الفائدة، وبألعاب لا تُصدَّق في الواقع. صرخ "فيكي" قائلًا:

– أريد ذلك. أريد هذا المسدس، انظري يا جدتي، انظري، هذا المسدس المضيء.

– هل تعتقد أن "سانتا كلوز" سيكون كريمًا معك هذا العام؟

نظر إليها بشفقة، كأنها لا تعلم أنه لم يعد يُصدِّق هذه الحكايات عن "سانتا".

– حسنًا، خاصة عندما أشتري أنا وأمي تلك الهدايا، أليس كذلك؟

بدا كأنه على وشك البكاء. ثم استدار بغضب إلى التليفزيون، وطوى ذراعيه.

عادت "إيفا" إلى بسكويت الزنجبيل، وملأت الصواني الخمس، وشغَّلت الفرن، والآن ستخبز كل شيء في الفرن، وتبدأ بتنظيف المطبخ من الدقيق، على الرغم من أن الأصح أنها ما دامت قد بدأت بهذا الأمر، فيمكنها أن تأخذ العجينة الثانية، التي أعدَّتها منذ أربعة أيام، وسيكون كل شيء على ما يرام، ومن ثم، تُزيِّنها غدًا كلها، وبهذا ستنتهي من بسكويت الزنجبيل، فهي على أي حال تصنعها للزينة فقط، وتضع في كل علبة عشر أو خمس عشرة قطعة بحد أقصى.

– "فيكي"، ألا تريد تناول العشاء؟

لم يُجِبْ، فهو يشاهد فيلمًا. يجب أن يذهب للاستحمام، لكن نحن في عطلة نهاية الأسبوع، لذا لا يتعين عليه أن يذهب إلى الفراش في التاسعة كما هو الحال

في أيام الأسبوع. وهي بحاجةٍ إلى التركيز على الخبز حتى لا تحرقه، لذا من الجيد أن هناك ما يَشْغَلُهُ.

بعد قليلٍ سألته مرة أخرى:

- "فيكي"، ألا تريد تناول العشاء؟

- لا، معدتي ممتلئة ببسكويت الزنجبيل.

- جيد. وبعد ذلك يقول إنه لا يحبه.

كانت قد خبزت بالفعل الدفعة الثانية، وتقطع الثالثة، عندما طرق شخص ما باب المدخل الأمامي. فعندما عادا إلى المنزل، أغلقت "إيفا" الباب من الداخل، ونسيت أن "هانا" ستأتي؛ لذا فقد شعرت الآن بالخوف، فهي لا تعرف من يمكن أن يكون. تنبَّهت على الفور، ذهبت لتفتح لها. اندفعت "هانا" إلى الداخل، وهي تحمل حقيبة سفر عملاقة وحقيبة ظهر وحقيبة يد، تقريبًا جاءت مباشرة من عطلة نهاية الأسبوع التي قضوها، ولكن هل أخذت معها هذه الحقيبة الضخمة التي تأخذها معها فقط عندما تذهب لقضاء إجازة طويلة؟

- لماذا أغلقتِ الباب من الداخل؟

إنها مزعجة من البداية

قفز "فيكي" قائلًا:

- أمي!

وركض نحوهما. لكنه توقف على بعد خطوات قليلة منهما، لا يعرف ماذا سيكون ردُّ فِعلها. فردت "هانا" ذراعيها، وقفز "فيكتور" عليها، كان على "هانا" أن تتكئ على الحائط وإلا فسيطرحها أرضًا.

- قطي.

- أمي.

- لقد كبرتَ كثيرًا.

فقال "فيكي":

- هذا هراء، لقد مرت بضعة أيام فقط.

فقالت "هنا" بتأثر:

- وهل كنتَ تنتظرني؟

نظرت "إيفا" في ساعتها. إنها العاشرة والربع، هذا غير ممكن. في هذه اللحظة، أدركت أن لديها دفعة أخرى في الفرن. ركضت إلى المطبخ، أوف، وصلت في الوقت المناسب، اكتسب البسكويت لونًا أغمق، لكنه لم يحترق، وفقد زينته. حسنًا، لقد نسيتْ مراقبة الوقت.



أزاحت "هانا" فيكي" بعيدًا عنها، ونظرت في عينيه قائلة:

- هيا أخبرني.

بالطبع هو لم يكبر، لكنه تغيَّر مرة أخرى، ففي كل مرة لا تراه فيها لعدة أيام، تشعر أنه تغيَّر، في كل مرة تراه فيها بعد بضعة أيام تشعر أنه صار غريبًا عنها أكثر. على الرغم من أن الأمور تعود إلى طبيعتها في غضون دقائق قليلة، وتبدأ بالشعور بأنه طفلها الصغير قد عاد إليها مرة أخرى، تمامًا كأن هناك من استبدل به هذا الصبي الكبير الغريب عنها.

- يجب أن أذهب للاستحمام؛ فأنا متعب بالفعل.

- ستتحمل هذه الدقائق القليلة.

- لا، أريد حقًّا أن أنام.



سمحت لي جدتي بالذهاب قائلة:

- هيا اذهب.

التقطتُ هاتفي من الطاولة، وتوجهتُ إلى الحمام.

فسألتني أمي:

- ما هذا الهاتف؟ وأين "الآيفون" الخاص بك؟

قالت جدتي:

- اذهب لتنام يا "فيكي"، وليس من الضروري أن تستحم.

أعلم أنها تريدني أن أذهب الآن، وعلى الأقل، لن أضطر إلى تنظيف أسناني، وإخبار أمي بما حدث بشأن الهاتف. فأنا أستطيع أن أرى أنها بالفعل ليست في حالةٍ مزاجية جيدة.

أستطيع أن أسمعهما من غرفتي وهما تتشاجران، فسحبتُ الغطاء فوق رأسي.



- لا تصرخي في وجهي.

- كيف لا أصرخ؟ إن أشياء كهذه تحدث هنا، وأنتِ حتى لم تخبريني؟

- أنتِ تعلمين أني كنتُ سأخبرك.

- لكنكَ لم تفعلي.

- إذًا فهو كسر هاتف شخص ما، ثم أطلق الكلب على شخص آخر، فكيف له أن يصطحب كلبًا غريبًا، وأنت هادئة هكذا؟

- أنا لست هادئة، حقًّا لا، لكن غير مسموح لكِ بالصراخ في وجهي.

- إذًا لقد حصل شخص ما على هاتفه الجديد الذي كلفني خمسة عشر ألفًا، وهل عليَّ الآن أن أدفع، لا أعرف كم، مقابل هذه العضة؟ بحق الجحيم، كيف كان "فيكي" بمفرده مع كلب غريب في المدينة؟ وهل لم تكوني أنتِ تعلمين بذلك؟

– كيف لكِ أن تقولي ذلك لي، وأنتِ من كنتِ تتركينه وحده طوال حياته حتى تتمكني من التمثيل في مسرحك الصغير هذا؟

أخذت "هانا" نفسًا عميقًا وزفرت، في مسرحك الصغير هذا! هذا هو دعم أسرتها لها!

– أولًا، لم أتركه بمفرده، كان هناك شخص ما معه دائمًا.

زفرت أمها بازدراء.

– ثانيًا، لهذا السبب أرسلته إلى هنا، لكي يكون تحت رقابتك، لكي تستقيم أمورُه، حتى لا يتورط في أي مشكلةٍ، ولكن منذ أن جاء إلى هنا، صار الوضع فقط أسوأ.

– هل تريدين أن تقولي إنني لا أستطيع تحمُّل مسؤوليته؟

قالت أمي هذا بانزعاج، بدلًا من أن تقول: "حسنًا، لقد أسأت تقدير الأمر، وأنه كان عليَّ أن أراقبه على نحوٍ أفضل، أو ربما كان يجب أن أتصل بك علي الفور ما إن تحدث مشكلة"، بدلاً من الكذب عليَّ في الهاتف وإخباري بأن كل شيء على ما يرام. وحتى أمس عندما ردت على الهاتف أخيرًا، لم ترغب تقريبًا في إخبار "هانا" بذلك، فقط عندما صرخت "هانا" فيها، وقالت لها:

– إذًا لماذا اتصلتِ بي اثنتي عشرة مرة؟ وما الذي حدث لـ"فيكتور"؟

لذلك اعترفت على مضض:

– لا أريد أن أقول شيئًا.

– سأذهب أيضًا للنوم، فأنا أيضًا منهكة تمامًا. سأنام في غرفة "آدم".

قالت "آدم" عمدًا بطريقة بغيضة.

– إلى متى ستبقين هنا؟

– ما دعت الحاجة إلى ذلك.

– ألا يجب أن تكوني في براج؟

– سأرتِّب الأمر حتى أتمكن من الحضور إلى هنا أكثر، على الأقل، حتى عيد الميلاد. سأسافر إلى هناك ربما ليوم أو يومين فقط. سأُقيم هنا. يمكنني البقاء هنا حتى السابع من يناير. أم أنكِ تمانعين؟

تمسح أمها لَوْحَ المطبخ بقوةٍ، كأن عليه بُقع من الدم يجب أن تختفي.

– أمي، هل تمانعين؟

– أنتِ تعلمين أني لا أمانع.

– إذًا لماذا تبدين هكذا؟

– وكيف يجب أن أبدو؟ أتيتِ إلى هنا، وأخذتِ تصرخين في وجهي بأن كل ما أفعلُه خطأ، وتريدين البقاء هنا ربما لمراقبتي، فإذا كنتِ لا تصدقينني، فلماذا أحضرتِ "فيكي" إلى هنا؟

– يا إلهي! أمي، أنا أريد البقاء هنا لأن "فيكي" هنا، لأكون معه، وليس لأني أريد مراقبتك.

– حسنًا، من الجيد أنك أخيرًا خصصتِ وقتًا له بعد كل هذه السنوات.

تمالكت "هانا" أعصابها للحظات، ولكن ليس طويلًا.

– هل تشعرين بأنه يمكنكِ التعامل مع الأمر؟ بأن كل شيء على ما يُرام؟

– يمكنني التعامل مع الأمر.

– حسنًا، أم أنه في المرة القادمة سيعضُّ الكلب شخصًا آخر مباشرةً، أليس كذلك؟ اللعنة! كيف كان وحده مع ذلك الكلب الفظيع يا أمي؟

– كان من المفترض أن نسمح له باقتناء حيوان أليف.

قالت "هانا" في نفسها: "إذًا لقد أُصيبت أمي بالجنون". لم تقل شيئًا آخر، وصعدت إلى الطابق العلوي تحمل أغراضها. شعرت بالهدوء وهي تجرُّ حقيبتها إلى أعلى عبر الدَّرج، ولم تخبرهما حتى بأي شيء عن مسلسل "نوكتورن"، لكن أمامها أسبوع كامل قبل أن تُنشر تلك المقابلة مع "بيتر"،

وعلى الغلاف صورتها هي و"مارتين هروبي". كانت جلسة تصوير ممتعة، أراها المصور بعض اللقطات، فشعرت "هانا" بالرضا، علاوة على ذلك، قالوا إن المقابلة ستُنشر في ملحق يوم الجمعة، إذًا لديها وقت لتخبرهما بذلك في هدوء، وفي وقت أفضل، أكان هذا ممكنًا اليوم؟

انتهت "إيفا" من تنظيف المطبخ، وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل عندما ذهبت إلى فراشها. فإذا كانت "هانا" هكذا، فإن "إيفا" تأمل أن تدفع أيضًا التعويض إلى "هلاديك" حتى لا تضطر إلى الأخذ من مدخراتها، التي تحتفظ بها في حالة ما إذا احتاج المنزل إلى شيء ما.

إنها لن تتحمل البقاء هنا لفترة طويلة، "إيفا" تعرف ذلك جيدًا، إنها تحاول فعل الأشياء بطريقة صحيح، وستنتقل للإقامة هنا، لكنها ستغادر بعد أسبوع مرة أخرى؛ لأنها لا تتحمل البقاء هنا. لقد فرت من هنا في ذلك الحين، وهي دائمًا ما تفرُّ من هنا عندما تبقى لفترة أطول من بضعة أيام. والآن تعتقد أن وجودها معنا سيحل كل شيء، كما لو أن "فيكي" يتعامل معها بطريقةٍ أفضل، فلو أن الأمر كذلك، لما كانا هنا على الإطلاق. إن "هانا" تعرف جيدًا أنها، أي "إيفا" ستتمكن من التعامل مع "فيكتور" بطريقةٍ أفضل. ربما لم تكن البداية ناجحة تمامًا، لكن "إيفا" ستنتبه إلى ذلك.

أوشكت "إيفا" على النوم بالفعل، لا، بالطبع لن تطلب هذه النقود من "هانكا". وغدًا عليها أن تذهب لزيارة القبر، على الرغم من أنها كانت هناك أول أمس، ولكن الآن سيكون هناك الكثير من العمل، لذا فهي لن تتمكن من الذهاب إلى هناك كثيرًا، كأنها كانت تحتفظ بهذه الزيارات الفردية إلى المقبرة في مخزونها، وبعد كل شيء، يمكن لـ"فيكي" و"هانكا" أن يذهبا معها.



في الليل ذهبتُ إلى أمي، واستلقيت بجوارها على السرير، فعانقتني وأمسك كلٌّ منا بيد الآخر. عادةً لا أستيقظ على الإطلاق، وحتى لو استيقظتُ، فما الفائدة ما دامت أمي ليست هنا؟ لكن لأني أعرف أنها هنا، وأنها تنام في الغرفة المجاورة، فربما لهذا السبب أيقظني عقلي.

ولكن في الصباح لم تكن في فراشها. انتظرتُ في الطابق العلوي لفترة طويلة، فلم أكن أريد النزول؛ لأن أمي سترغب في التحدث معي، وأنا لا أريد أن أشرح ما حدث لأي شخص بعد الآن، فلا أحد يستمع إليَّ، ولا أحد يفهمني على أي حال، فـ"مارتينا" والآخرون لا يتحدثون معي، وأمي ستغادر مرة أخرى في المساء.

استلقيتُ في الفراش لفترة طويلة، بينما كنتُ أنظر إلى الخارج حيث تهب الرياح، وتتمايَل الأشجار معها.

خطوات أمي تقترب.

- "فيكي"، هل استيقظتَ؟ هيا، دعنا نذهب للجري.

وألقت بعض الملابس في وجهي.

- لكني لم أتناول الإفطار بعد.

- تناول شيئًا أصغر من الإفطار؛ فمن الأفضل تناوله بعد الجري على أي حال.

ارتديتُ ملابسي، فربما تريد التحدث معي في الخارج في غياب جدتي.

قالت جدتي:

- إن الحرارة تحت الصفر، سوف يمرض.

وأشارت إليَّ بينما كنتُ أتناول قطعة من الكعك.

قالت أمي:

- خُذْ معك قبعتك وقفازاتك.

أخذنا نركض، وأمي تركض بسرعة عمدًا، عرفتُ من هذا أنها لا تريد التحدث، وبعد أن ركضنا لفترة طويلة، بدأت أشعر بالأسف، فلماذا جاءت إلى هنا إذا كانت لا تريد التحدث معي على الإطلاق؟

قالت أمي:

- لا يجب التحدث في أثناء الجري.

لقد قالت ذلك أيضًا في المرة السابقة، واستمرت في الجري.

نبح علينا "سنيج" من خلف السياج، لكنني توقفتُ لمداعبته، وعندما عرفني، توقف عن النباح. قلتُ له:

- مرحبًا يا "سنيجيك"

وأضفتُ بصوت منخفض:

- أنا آسف.

صاحت أمي فيَّ:

- لا تتوقف، وإلا فَسَتُصَبْ بالبرد. تحرَّك.

ثم قالت لي بعد ذلك:

- دَعْ هذا الكلب وشأنه، لا أريد أن أراك مع ذلك الكلب.

فقلتُ في نفسي: "إن هناك الكثير منهم".

فقط في أثناء الغداء علمتُ أن أمي ستبقى هنا، لكنها لم تخبرني بذلك، كانت تتحدث مع جدتي هل بوسعها -في بعض الأحيان- أن تُعيرها سيارتها حتى تتمكن من الذهاب إلى المسرح.

- حسنًا، ولكن كيف يمكنني أن أوصل الكعك؟

- أمي تقصد أنها ستذهب بها إلى العرض وتعود ليلًا.

قالت جدتي:

- إذًا لا مانع.

سألتُ أمي:

- هل ستقيمين معنا هنا؟

من الطبيعي أن أكون سعيدًا بذلك، لكن الآن وهي غاضبة مني ولا ترغب في التحدث معي، فأنا لست سعيدًا.

ذهبنا إلى قبر جدي، ولكن طوال الطريق تقريبًا لم يتحدث أحد منا، لذا فهناك حالة من الكآبة أكثر من المعتاد.

في فترة ما بعد الظهر سمحتا لي إما بالخروج، ولكن فقط هنا بجوار المنزل حتى يتمكنا من رؤيتي، وإما أن أذهب للتزحلق على التل، ولكن معهما، وإما مساعدتهما في صنع الحلوى. في البداية قلت إنني أفضل الخروج بمفردي، لكنَّ كلتيهما قالت إنني لن أذهب بمفردي، لذا فقد فشل هذا الاختيار، فمن غير الوارد تمامًا أن أذهب إلى التل مع أمي أو جدتي، فأنا لست طفلًا صغيرًا.

وبعد ذلك قررتُ مساعدتهما حتى يريا أني أحاول أن أكون أفضل.

قالت جدتي:

- كما ترى، يمكنك أن تعدَّ هذا عملًا، فهذه الحلوى للبيع.

فقالت أمي:

- فكرة عظيمة.

أخذنا نُشكِّل الحلوى على شكل مخالب الدب، التي ليس لها علاقة بمخالب الدب على الإطلاق، لا أُجيد ذلك ولا أحبه. بقينا صامتين، بينما تُذاع في الراديو مسرحية للأطفال. يا له من ملل رهيب!

ساعدتني أمي في عمل الواجبات المدرسية، وتفقدت جميع دفاتري، وتحققت من درجاتي. وما زالت جدتي تصنع الحلوى. إن رائحة الحلوى هذه جعلتني أرغب بالفعل في تناول النقانق على سبيل المثال. أفصحت عن ذلك، فقالت جدتي إنه ليس لديها نقانق هنا.

فقالت أمي فجأةً إنه يمكننا الذهاب لشرائها.

سنذهب معًا، أعلم أنها ستأخذني معها حتى نتمكن من التحدث، وإلا فلماذا لا تذهب بمفردها؟ لكن الغريب أنها لا تزال صامتة. أعطتني نقودًا، وانتظرتني في السيارة خارج المتجر. اشتريت مرة أخرى أصابع البسكويت بالشوكولاتة.

قالت أمي:

- لقد اعتقدتُ أنك تريد شيئًا مالحًا.

وكانت هذه هي الجملة الوحيدة التي نطقت بها طوال ذلك الوقت.

قبل أن أنام، سألتُ أمي:

- ماذا سنفعل غدًا؟

رفعت كتفيها وقالت:

- بعد المدرسة سنذهب للجري.

وهكذا هو الحال. في الحافلة تعمدت "مارتينا" والآخرون الجلوس في مكان آخر بعيد عني تمامًا. بعد المدرسة أخذتني أمي بالسيارة. ذهبنا للجري. أردتُ أن أداعب "سنيج"، لكن "مارتينا" كانت في الحديقة، وأخذت تنظر إليَّ، وعندما توقفت، صرخت في وجهي بأن أذهب بعيدًا وأترك كلبهم وشأنه.

لم تسمع أمي ذلك؛ لأنها كانت بعيدة عني بمسافة كبيرة.

وفي اليوم التالي حدث الشيء نفسه.

ومرة أخرى حدث الشيء نفسه.

كما أخذتني أيضًا إلى الصبي الذي عضَّه "سنيج". فيجب أن أعتذر إليه مرة أخرى. وأعطت أمي والده بعض المال.

غادرت أمي بعد ظهر الأربعاء. وتقريبًا عادت في وقت متأخر من الليل، لأنها كانت نائمة عندما ذهبتُ في الصباح إلى المدرسة. وفي المدرسة قالت لي المعلمة:

- لقد رأيتُ والدتك في المجلة، لا بد أنكَ فخور بها، أليس كذلك؟

لا أعرف ما الذي كانت تتحدث عنه ونسيت الأمر، بعد ذلك عدتُ من المدرسة إلى المنزل، جاءت جدتي لتأخذني، فلم يعد مسموح لي بعد الآن بالعودة من المدرسة بمفردي، وفي المنزل ألقت جدتي مجلة على الطاولة، على غلافها صورة أمي، إنها جميلة، ومعها ممثل مُسن مشهور. ثم نزلت أمي إلى الطابق السفلي، وهي ترتدي ملابس الجري، وسألتني:

- ما الجديد في المدرسة؟

فقلت لها:

- لا شيء.

لأنه حقًّا لا شيء جديد.

فقالت أمي:

- سنذهب للجري.

وجلست على تلك الطاولة، ورأت المجلة. عندما رأت جدتي أن أمي تتفقد المجلة، قالت بغضب شديد:

- متى كنتِ ستخبرينني بذلك؟

تنهدت أمي، وأرسلتني إلى الطابق العلوي لأُغيِّر ملابسي.

بدأت أفهم.



بالطبع كانت "إيفا" ستتفهم الأمر، وربما كانت أول من سيتفهم ذلك، لو أن "هانا" أخبرتها بذلك صراحة، لكن "هانا" كذبت عليها، وأفهمتها بأن "فيكتور" يأتي عندها في المقام الأول، وأن ما فعلته لمصلحته، ولكنها فعلت ذلك لمصلحتها هي، حتى تستطيع أن تُمثل في هذا المسلسل، ولهذا تركته هنا كالكلب الذي لا يجد صاحبه وقتًا له.

- ولكني أردتُ أن أخبركِ بذلك.

– لكنك لم تخبريني، وعرفتُ ذلك من بائعة الصحف، ويا ليتها أول مرة! فأنتِ تفعلين ذلك دائمًا، لقد مثلتِ عليَّ هنا، وأنتِ مخططة لكل شيء، وأنا كالبلهاء صدقتُك، واعتقدتُ حقًّا أنه يُمكنكِ أن تهتمي بشأن أحد غير نفسك.

– ولهذا السبب بالضبط لم أخبرك. لأنكِ تفهمين الأمور بهذه الطريقة.

– وكيف يمكنني أن أفهمها بطريقة أخرى؟

– لماذا لا تدعمينني؟ فهذا عملي. وهذه أكبر فرصة تتاح لي.

– و"فيكي" هو ابنك، وعليكِ أن تفكري فيه أولًا.

– أنا أفعل ذلك أيضًا.

– حقًّا؟ إذًا هو يعلم أنه لن يراكِ من الآن حتى بداية الصيف تقريبًا؟ هل يعلم أنك أرسلته إلى هنا حتى لا يعوقك بوجوده في المنزل؟ ولقد استخدمتني لهذا الغرض، وأطلقتِ أكاذيبك بأني أستطيع التعامل معه بطريقة أفضل، ومع أول مشكلة، جئتِ إلى هنا لمراقبتي.

أدركت "هانا" أخيرًا ما الذي تعنيه والدتها.

– لماذا لا ترحِّبين بوجودي هنا لبضعة أيام؟

– كنتُ سأرحِّب بوجودكِ هنا لو كان بطريقةٍ طبيعية، ولكن ليس بهذه الطريقة، وليس لتثبتي لي أنني امرأة عجوز، ولا أستطيع التعامل مع الأمر.

– ولكن الأمر ليس كذلك يا أمي، لماذا أنتِ هكذا؟

– لأنكِ تستغلين من هم حولك لمصلحتك، فأنتِ شخص أناني لا يفكر إلا في نفسه.

– هذا شيء مثير للاشمئزاز منكِ يا أمي وغير عادل، لا أستطيع تحمُّله. أنا لا أستحق منكِ ذلك.

نهضت "هانا".

– يا فتاة، لا تلعبي معي هذه اللعبة، فهذا لن ينطلي عليَّ.

- يا أمي، إن ما يعنيكِ هو أنك لا تعرفين شيئًا، لذا لا تتصرفي كأنك تهتمين لأمر "فيكي"، على الأقل.

- يقول المثل: "يكاد المُريب يقول خذوني". أترين؟ أي لأنك لا تعتنين بطفلك، تظنين أن الجميع هكذا.



في الردهة أخذت "هانا" تبحث عن سيجارة في جيب سترتها، يدها ترتجف، كان من المفترض أن تُنشر هذه المقالة غدًا، فهذه المجلة تصدر الجمعة، كانت متيقنة من ذلك، قالوا هم أيضًا الجمعة، أليس كذلك؟ لقد أرادت أن تخبر والدتها و"فيكتور" اليوم، لقد رتبت لذلك.

أطلت أمها من المطبخ وقالت:

- اذهبي وأخبريه أنتِ، فأنا لا أريد أن أخبره.

- أنا أيضًا لا أريدك أن تخبريه بأي شيء.

ظهر "فيكي" وقد غيَّر ملابسه.

- هل تتشاجران؟

- لا.

توقفتْ عن البحث عن السيجارة.

- هيا، لنذهب للجري.



بدأنا الجري. دائمًا ما نبدأ سريعًا للإحماء، لكن أمي اليوم تجري ببطء.

ثم سألتني:

- "فيكي"، هل رأيتَ تلك المجلة؟

- نعم، تبدين جميلةً بها.

قلتُ ذلك لأني أعلم أن هذا يُسعد أمي.

- لكن هل قرأتَ ما بها؟

- لا.

أنا لا أقرأ أبدًا مجلات الكبار لأنها مملة.

- لقد بدأتُ الآن تصوير مسلسل، مسلسل طويل، أتعرف؟

قُلتُ:

- حسنًا.

ولم أفهم لماذا تخبرني بذلك.

- هذا يعني أنني لن أستطيع أن آتي إلى هنا كثيرًا بعد عيد الميلاد. سأكون مشغولة للغاية، وسيكون الأمر شاقًّا.

واصلنا الجري. حسنًا، لن تكون هنا، فهي وجدتي تتشاجران باستمرار، وهي الآن تتحدث لأول مرة بطريقةٍ طبيعية منذ وصولها.

قالت أمي:

- حسنًا؟

فقلتُ:

- نعم تقريبًا.

ثم أسرعنا، ولم يعد بإمكاننا التحدث. لا يمكننا التحدث، ولكن يمكننا التفكير، فسألتُ نفسي: "إلى متى لن تكون موجودة بعد عيد الميلاد؟ فعليها إعادتي إلى براج حتى أتمكن من إنهاء الفصل الدراسي الثاني في مدرستي. إن تصوير الفيلم ربما يستغرق شهرًا، لكني لا أعرف كم يستغرق تصوير المسلسل".

- إلى متى سيستمر هذا التصوير بعد عيد الميلاد؟

- حسنًا، طوال الربيع.

- ماذا يعني طوال الربيع؟

لم تقل أمي شيئًا.

فصرختُ قائلًا:

- إلى متى؟

- حتى نهاية شهر مايو، وبعد ذلك عدة أيام فقط، ثم يكون كل شيء على ما يرام.

توقفت. أخشى أن أسأل، ولكن لا مفر.

- إذًا متى ستأخذينني إلى المنزل؟

توقفت أمي أيضًا.

- كيف إلى المنزل؟

- ببساطة إلى المنزل.

- "فيكي"، أنت تذهب إلى المدرسة هنا.

- لكنكِ قلتِ في المرة السابقة إنك ستأخذينني من هنا.

- كيف يمكنني أن أقول ذلك؟ هذا كلام فارغ، فأنا لن أكون في براج على الإطلاق، لا يُمكن أن أكون قد قلتُ هذا.

- كيف لن تكوني في براج؟

- بسبب المسلسل، سيجري تصويره خارج براج، وسيتعين عليَّ أن أقيم في مكانٍ ما في مدينة "أوسترافا".

في هذه اللحظة فهمت. هي لن تكون في براج، ولهذا السبب جاءت بي إلى هنا، ليس لأنني كسرتُ البومة، وسرقت سماعات الرأس، وليس لأنني كنت مشاكسًا جدًّا. لقد جاءت بي إلى هنا لأنها أرادت التخلص مني، وكانت تعلم طوال الوقت أنها لن تأخذني من هنا، وأنه سيتعين عليَّ البقاء هنا، ولم تخبرني بأي شيء، لقد كذبت عليَّ، وهي الآن تتظاهر بأن شيئًا لم يحدث.

- "فيكي"، ما الأمر؟

ركضتُ بكل ما أوتيتُ من قوة، وهي تركض ورائي.

- انتظر.

- اتركيني وشأني. ولا تتردَّدي في المغادرة الآن.

- ما هذا الهراء؟ سأكون معك هنا طوال شهر ديسمبر.

- أنا لا أريدك هنا، يُمكنكِ أن تسافري اليوم.

ورغم أني ركضتُ بكل ما أوتيتُ من سرعة، فإن أمي لحقت بي تقريبًا. لكني لا أريد التحدث معها. لا أريد التحدث معها أبدًا في حياتي.

- انتظر. سأشرح لك ذلك، لا تهرب مني.

ولذا استدرتُ وتركتها تلحق بي، ثم دفعتُها بأقصى ما أستطيع، لم تكن تتوقع ذلك، فسقطت. صرختُ في وجهها:

- لا أريد التحدث معك أبدًا، لن أعود إليك أبدًا، لقد أردتِ ألا أكون معك بعد الآن، لذا لن أكون معك بعد الآن.

كنتُ أعني ذلك. ركضتُ إلى الغابة، وقفزتُ من فوق فروع الأشجار، وقد سمعتُ هاتفها يرن، ولا أعرف هل ستردُّ أم لا، لكني واصلتُ الركض إلى داخل الغابة. وعندما نظرت إلى الوراء، وجدتُها بعيدة عني، وتناديني بأني سأضيع في الغابة، لكني لم أتوقف ولم ألتفت حتى، توقفتُ فقط عندما لم يعد باستطاعتي التقاط أنفاسي. كنتُ بالفعل قد تجاوزتُ التل بمسافة بعيدة، ولم أعد أسمع سوى أنفاسي ولا شيء آخر.



توجَّهت "هانا" إلى المنزل، كانت ركبتُها تؤلمها بعد أن سقطت، ولم تعد تستطيع الركض، قميصها مبلل بالعرق، الجو بارد، "فيكي" تائه في الغابة، هل يجب أن تعود إلى المنزل على هذا الحال؟ ستأخذ فقط سترتها، وتذهب للبحث عنه، ربما يمكنها تتبُّع آثاره في الغابة.

على مشارف القرية وبالقرب من مكب النفايات تقف سيارة عائلة "سيدل"، ويرمي "يرجي" القمامة. أرادت "هانا" فقط المرور، في الواقع إنها تُفضل لو سلكت طريقًا بعيدًا عنه، لكن ليس هناك بديل. رآها "يرجي" على الفور، فسألها:

- يا "هانكا"، ماذا حدث لك؟

أرادت "هانا" أن تقول له: "لا شيء، كل شيء على ما يُرام، أتمنى لك يومًا سعيدًا، وبلِّغ تحياتي إلى زوجتك"، وتلوّح له بيدها، وتستمر في طريقها. لكن ما أحسته في صوت "يرجي" من اهتمام حقيقي، هذا الاهتمام فاجأها كثيرًا إلى درجة أنها انفجرت في البكاء.

- يا إلهي! هيا تعالي.

ترك "يرجي" المهملات، وأراد إدخالها إلى السيارة.

تنهدت "هانا" قائلة:

- لا، كل شيء بخير، بخير، يجب أن أعود إلى المنزل لآخُذَ سترتي، كما يبدو أنك ذاهب إلى مكان ما.

- من فضلك، سأوصلك إلى هناك، إنها فقط دقائق.

ركبت سيارته، رائحتها جميلة، هناك معطر على شكل شجيرة معلق على المرآة ورائحته جميلة، شغَّل "يرجي" محرك السيارة.

- ماذا حدث؟

- لا شيء. لا، لا، لا شيء، لا أريد أن أزعجك بهذا، سيكون الأمر على ما يرام..

حاولت "هانا" أن تهدأ، لكنها لم تفلح في ذلك. وضع "يرجي" يده على كتفها، وقال:

- هل هناك مشكلات مع أمك؟

- لا. حقيقة هناك مشكلات، لكن هذا ليس السبب.

- حسنًا. فأنتما دائمتا الشجار معًا.

كيف يمكن لـ"يرجي" أن يعرف هذا؟ أم أن الجميع يعلمون ذلك؟ نظرت إليه. فقال:

- آسف.

قالت:

- أنا آسفة لك، إن "فيكي" هرب مني، ولا بد أن أجده.

أوقف "يرجي" السيارة أمام باب حديقتهم، ونزلت "هانا".

- شكرًا لك، إلى اللقاء، تحياتي إلى زوجتك.

وفي طريقها عبرت الحديقة إلى المنزل، تساءلت "هانا": لماذا قالت ذلك؟ لماذا ترسل تحياتها إلى امرأة لا تعرفها، وهما لا تعرفان بعضهما بعضًا؟ أخذت سترتها من فوق الشماعة، لا تريد رؤية أمها مطلقًا، وخرجت من المنزل. كان "يرجي" لا يزال واقفًا بجانب سيارته.

- ماذا تفعل؟

- سآخذك إلى هناك، هيا.

- لا، يكفي هذا، سأذهب وحدي.

- أنا ذاهب إلى المدينة على أي حال، لذا فهذا في طريقي.

صعدت "هانا" إلى السيارة مرة أخرى، وتوجَّها نحو مكب النفايات، ركن "يرجي" السيارة بعناية، لماذا لم يتوقف على جانب الطريق، فهي ستنزل منها بسرعة؟ أطفأ "يرجي" المحرك ونزل من السيارة.

- ماذا تفعل؟

- أنا ذاهب معكِ.

- لماذا؟

إن "هانا" لا تفهم شيئًا على الإطلاق.

- لا أعلم، أظن أنني لا أريد أن أتركك وحدك في الغابة تبحثين عن الطفل. لقد كنتُ ذاهبًا لشراء شيء ما من متجر "أوبي"، لكنه ليس شيئًا مهمًّا؛ لذا يسرُّني أن أساعدك. تعالَ. ماذا تنتظرين؟ إلى أين ركض؟

أشارت إليه "هانا" بيدها، فمشى "يرجي"، وهي تمشي خلفه وتنظر إليه وهو يمشي، كان دائمًا يلوح بيديه في الهواء بهذه الطريقة، وكان هذا يُثير ضحكها، ولكن الآن لا يوجد شيء مضحك في هذا الأمر. جرت "هانا" نحوه، وودت أن تمسك بيده، لا، بل إنها تفضل شيئًا آخر، تُفضل لو احتضنها، اقتربت منه، ولحقت به، لكنهما في النهاية تابعا السير بجوار بعضهما بعضًا.

انعطفا إلى الغابة متتبعين آثار قدمي "فيكي".



توجهتُ عبر التل إلى القرية، لكني لا أريد العودة إلا المنزل، إلا أنه لا يوجد مكان آخر يُمكنني الذهاب إليه، فأنا أشعر بالبرد وحذائي مبلل، والرياح تخترق ملابسي، لذا سأذهب إلى المنزل.

قالت جدتي عندما دخلتُ إلى الردهة:

- يبدو أنكما ركضتما لمسافة طويلة.

كانت تجلس إلى الطاولة، وتُزيِّن بسكويت الزنجبيل، ثم رفعت رأسها وقالت:

- أين والدتُك؟

- لا أعرف.

صعدتُ مباشرة إلى الطابق العلوي، وأردتُ أن أغلق الباب على نفسي في الغرفة، ولكن لا يوجد مفتاح في الباب. سمعت جدتي تصعد الدرج فاتكأتُ على الباب، وأمسكتُ بالمقبض. قرعت الباب. واصلت الإمساك بالباب، لكنها لم تحاول فتحه، بل قالت فقط:

- تعالَ إلى الدفء، سأعد لك الشاي.

- لا أريد.

أريد الدفء وأريد الشاي، لكني لا أريد أن أرى أحدًا، لذا واصلتُ الإمساك بالباب حتى سمعت خطوات جدتي وهي تنزل إلى الطابق السفلي مرة أخرى.

غيرتُ ملابسي، وارتديت بنطالًا رياضيًّا، وفوقه واحدًا آخرًا، وسترتين رياضيتين، والقفاز دون أصابع، وشغَّلتُ الموقد، وكذلك جهاز الكمبيوتر.



في الغابة بين الأشجار اختفت آثار قدميه، صرخت "هانا" منادية "فيكتور"، لا شيء، فقط تُسمع أنفاسهما هما الاثنين، تحولت السماء إلى اللون الرمادي، بعد قليل سيحل الظلام. تعرف "هانا" أن عليها الاتصال بأمها، فربما يكون قد عاد إلى المنزل، ولكن إذا عاد، فسترسل إليها أمها رسالة نصية. نظرت في هاتفها، ولم تجد أي رسالة.

قال "يرجي":

- إلى أين يكون قد ذهب؟ من الأفضل أن أوصلك إلى المنزل، ربما يكون في المنزل بالفعل. بالتأكيد هو الآن في المنزل، فماذا سيفعل هنا؟ لم يكن معه أي شيء، أليس كذلك؟

انفجرت "هانا" في البكاء مرة أخرى، بالتأكيد هو بالفعل في المنزل، فأين يكون قد ذهب؟ لقد كان يرتدي فقط بنطالًا رياضيًّا وسترة خفيفة، وليس معه هاتفه، ولكن أمها لم تخبرها بذلك. احتضنها "يرجي"، رائحته جميلة. أدركت "هانا" أن هذا أمر محرج، ولكنه لطيف للغاية، لماذا لا يحبها أحد بطريقةٍ طبيعية؟ لماذا ليس معها "دانيل" هنا الآن؟ لماذا يجب أن يكون معها شخص غريب هنا؟ لماذا يعاملها هذا الغريب أفضل من كل الناس؟

قال "يرجي":

- لا تبكي، هيا، سنتصل بأمك، فإن "فيكي" بالتأكيد قد عاد إلى المنزل.
فبكت "هانا" أكثر. قالت لنفسها: "أنتِ مصابة بالهستيريا، إنكِ تبكين على نفسك بينما طفلك ضائع." أصدر الهاتف صوتًا، فابتعدت "هانا" عن "يرجي"، رسالة من أمها تقول: "فيكي في المنزل، أين أنتِ؟"

- إنه في المنزل بالفعل، أرأيتِ؟

أومأت "هانا" برأسها، وقالت:

- جيد.

أخرجت منديلًا ومسحت أنفها:

- شكرًا لك، وآسفة جدًّا.

هزَّ "يرجي" رأسه قائلًا:

- دعي عنكِ ذلك.

لكن الاثنين ظلَّا واقفين في مواجهة بعضهما بعضًا، ثم قبَّلتْهُ "هانا". ربما كانت تريد فقط تقبيله، أو ربما معانقته قليلًا، أو فِعل شيء ما، لكنها قبَّلته، وهو لم يدفعها بعيدًا. لكن "هانا" استفاقت لما فعلته، فاستدارت وجرت بعيدًا، ولم تنظر إلى الوراء. ناداها "يرجي"، فظلت "هانا" تجري، لحق بها على حافة الغابة. توقفت "هانا" عندما كاد يصل إليها، فأمسك "يرجي" بيدها. في تلك اللحظة شعرت "هانا" بأنه أجمل رجل في العالم، فالطريقة التي ينظر بها إليها ممتلئة بالكثير من العاطفة والرغبة، رغبة جامحة تمامًا، ولكن عندما حاول أن يشدها إليه، انزلقت قدمها وسقطت على الأرض:

- يا إلهي! أنا آسف.

بدأ بمساعدتها، لكنه ضحك، وضحكت هي أيضًا. وعندما نهضت، بدآ مرة أخرى بتبادل القبلات. بينما تسللت يداه الباردتان تحت سترتها.

جعلهما صوت سيارة مقتربة ينفصلان عن بعضهما بعضًا.

مرت السيارة بجوارهما وأفسدت تلك اللحظة الساحرة. أومأ "يرجي" إلى السائق، لم تكن "هانا" تعرفه، لكنها بادلته التحية أيضًا.

- ألا تريدين أن أوصلكِ إلى المنزل؟

هزت "هانا" رأسها، واستدارت وذهبت.

- شكرًا لك.

قال "يرجي":

- إلى اللقاء.

فتح باب سيارته. لم تنظر "هانا" وراءها، وتوجهت إلى المنزل.



"يرجي"

أخذت "هانا" تستحمُّ لفترة طويلة حتى استنفدت كل الماء الساخن الموجود في الغلاية. تقلصت معدتها عندما تذكرت تلك القبلة، عليها أن تتحدث إلى "فيكي" مرة أخرى، عليها أن تُعالِجَ الأمور هنا، عليها أن تكون هنا من أجل "فيكي"، فهذا لا يعني شيئًا، لن تقع في حب زميل دراستها السابق، الذي هو أب لطفل صغير، فهي ليست مجنونة، ستسوي الأمر هنا مع "فيكي" وأمها، وستبدأ بعد عيد الميلاد بتصوير مسلسل "نوكتورن"، وسيكون كل شيء على ما يرام.

عندما خرجت من الحمام، كان "فيكي" يُزيِّن بسكويت الزنجبيل مع أمها. أسعد ذلك "هانا"، فهو يبدو لطيفًا.

جلست معهما وقالت:

- سأساعدكما أيضًا.

فقالت أمها:

- لقد نفدت الزينة.

– يمكنني أن أفعل شيئًا آخر، يمكنني مثلًا إعداد العشاء، ما دمتِ تُزيِّنين البسكويت، ألا تريدين ذلك؟

– لقد أعددتُ بالفعل حساء العدس.

– إن "فيكي" لا يأكله، أليس كذلك؟ سأعد لك بعض البيض واللانشون، ألا تريد؟

قال "فيكتور" وهو ينظر إليها:

– لا، سوف آكله.

رأت "هانا" أنه لا داعي لوجودها هنا، فأمها طوال هذا الوقت لم ترفع رأسها عن بسكويت الزنجبيل، وتشعر بالاستياء أيضًا، فنهضت "هانا".

قالت:

– سأصعد إلى الطابق العلوي لحفظ السيناريو.

وفي اللحظة التي قالت فيها هذا، شعرت بالارتياح، فعلى الأقل ستفعل شيئًا له معنى، على الأقل ستفعل شيئًا لا يمكنها خلاله التفكير في "فيكي" أو في أمها. أو حتى في "يرجي".



بالطبع لم تأتِ هذه الرسالة في ذلك المساء، ولا في المساء التالي. ظلت "هانا" تحفظ السيناريو، وتجري و"فيكي" يتحدث معها فقط حتى لا تقول له: لماذا لا تتحدث معي؟ إنه لا يكلمها، وهي بائسة جدًّا من ذلك، فقد حاولت مائة مرة أن تكون لطيفة معه قدر استطاعتها، لكن "فيكي" لا يزال مستاءً. وفي النهاية كانت أمها هي التي لم تحتمل ذلك، وفي صباح اليوم التالي أعدت لها فطيرتها المفضلة، وكذلك القهوة حتى قبل أن تستيقظ، وعندما ذهبت للجري سألتها: هل ترتدين ملابس خفيفة؟ وقالت لها: "يا "هانكا" إن الجو شديد البرودة، والحرارة تحت الصفر"، لكن في الوقت نفسه عندما أرادت "هانا" أن يذهب "فيكي" معها للجري، قالت أمامه: "لن يذهب للجري في هذا الصقيع، فهذا

سيجعله يمرض"، وأضاف "فيكي" أنه ما زال يعاني البرد من المرة السابقة. فذهبت "هانا" للجري بمفردها. وفي مساء اليوم الثالث عندما كانت مستلقية على السرير وتحفظ السيناريو، حيث كان هناك صوت خافت لإطلاق النار يصدر من ألعاب "فيكي"، وكذلك صرير الموقد، وصلتها رسالة نصية من "يرجي سيدل"، على الشاشة الافتتاحية أمكنها قراءة السطر الأول منها فقط: "لا أستطيع أن أتوقف عن..."، بدأ قلبها يدق، وفتحت "هانا" الرسالة، في السطر الثاني كان هناك شيء لم تستغربه "التفكير فيكِ".

لا يستطيع التوقف عن التفكير فيها.

كتبت على الفور "وأنا أيضًا،" ثم أمسكت الهاتف لفترة طويلة، ظل مؤشر الكتابة يظهر ويختفي في مكانه بعد الحرف الأخير. لا، لا تستطيع أن ترسل إليه هذا، لن ترسل إليه أي شيء، لن تجيب. حذفت ما كتبته.

قبل الذهاب إلى النوم سمح لها "فيكي" بأن تطبع قبلة على خده، وقد أسعد هذا "هانا"، وسألته: هل يريد النوم معها في الغرفة المجاورة؟ فالجو بها دافئ، لأن التدفئة كانت تعمل هناك طوال اليوم. لكنه رفض ذلك.

– ألا تريد الذهاب إلى براج في عطلة نهاية الأسبوع؟ ألا ترغب في رؤية أصدقائك؟

تتردد "فيكي" قليلًا، ولكن بعد ذلك هز رأسه رافضًا. ذهبت "هانا" إلى غرفتها، ونظرت في هاتفها، وقرأت رسالته مرة أخرى، وكتبت: "أنا أيضًا أفكر فيكَ"، لكنها حذفتها، ووضعت الهاتف جانبًا. لا تستطيع النوم، ذهبت إلى الطابق السفلي لتعدَّ لنفسها الشاي، كانت أمها نائمة بالفعل، وتستطيع "هانا" سماع شخيرها.

في اليوم التالي، ذهبت للركض في الصباح، فبعد الظهر ستذهب إلى براج، لأنها ستمثل في المسرح مساءً. عندما خرجت من الغابة وهي تركض، وفي الأسفل عند الجدول، رأت سيارته، كان المحرك يعمل، وعندما اقتربت، أطفأ

"يرجي" المحرك، ونزل من السيارة، كان يرتدي بنطالًا وسترة، وحذاء كلاسيكيًّا. وجَّه إليها التحية بعصبية، فسألته "هانا" بغباء:

- ماذا تفعل هنا؟

بالتأكيد هو ينتظرها، فهذا الطريق يؤدي فقط إلى الغابة، فكرر "يرجي" ما كان قد كتبه إليها:

- لا أستطيع التوقف عن التفكير فيكِ.

شمت "هانا" رائحته الجميلة.

- أشعر بالبرد عندما أتوقف عن الجري.

ثم قالت "هانا" في نفسها: "ربما أكون ملكة الجُمل الغبية في العالم". أسرع "يرجي" وفتح لها الباب الأمامي بجوار السائق قال:

- اركبي.

كانت هناك لعبة طفل بين المقعدين. جلست "هانا"، وهي لا تعرف لماذا فعلت ذلك. لف "يرجي" حول السيارة، وجلس خلف عجلة القيادة، وشغَّل المحرك، وزاد قوة التدفئة.

- قولي إنه لم يحدث شيء بيننا. قولي إنك لا تشعرين بشيء.

ربما هو أيضًا ملك الجمل المبتذلة.

داعب خدها، و"هانا" لم تتزحزح.

- يا "يرجي"، هذا غير ممكن.

- أعرف ذلك.

تبادلا القبلات لفترة طويلة. لا، لم يمارسوا الجنس في سيارته، فلعبة الطفل هذه لا تزال ممددة بين المقعدين، وعندما يلتصقان ببعضهما بعضًا، تصدر صوتًا، فينفصلان، ولكن بعد وقت طويل قالت "هانا":

- يجب أن أذهب.

خرجت "هانا" من السيارة، وركضت عائدة إلى الغابة، ركضت بأسرع ما يمكن حتى بدأت تشعر بوخز في جانبها. ثم قالت وسط هدوء الغابة: "هذا هراء، "يرجي سيدل"!، أفيقي"، حتى إنها خافت من انعكاس صوتها في الغابة، وبدأت بالركض ببطء مرة أخرى.

بعد أن تحممت في المنزل، وارتدت ملابسها، وشغَّلت محرك سيارة أمها، شعرت على الفور بالثقة. فهي ستذهب إلى عالمها، وفي غضون أيام قليلة سيكون ما حدث ذكرى غريبة فحسب كأنها لم تحدث قط. في المساء ستمثل دور "جابرييلا"، وستعود إلى "فيكي" ليلًا، وستستمر في المحاولة، وستتصرف بطريقة سليمة، سيقضيان عيد ميلاد سعيدًا، ولن تسخر من أخيها "آدم"، وستشتري لـ"فيكي" هاتفًا جديدًا، على الرغم من أنها بالفعل قد اشترت له دراجة، وبعد عيد الميلاد ستختفي من هنا، وتبدأ بتصوير المسلسل، لا بد أن تُركِّز في هذا، ولن تذهب للجري بعد الآن، ستجد في المدينة مكانًا للتدريب، أو تمارس بعض التمارين الرياضة في المنزل. لن تلتقي "يرجي" مرة أخرى، ولن تقع في حبه، لا، إنها لم تقع في الحب بعد، فمن هذا الذي يقع في الحب فقط لأن الآخر كان لطيفًا معه في لحظة ما، وعندما قبَّله لم يشعر بنفسه؟ هل "هانا" فتاة في الخامسة عشرة من عمرها؟

لذا فهي لن تحذف رقمه؛ فهما شخصان بالغان، وحتى لو أرسل إليها رسالة نصية، فلن ترد عليه.

لكن بعد أن مثلت دور "جابرييلا" رأته عند البار، وهو لا يزال يرتدي الملابس نفسها التي كان يرتديها في الصباح، كان يقف هناك بمفرده يشرب القهوة، بعدها مارسا الجنس في سيارته. لم تكن لعبة الطفل موجودة.

قال لها "يرجي" بعد ذلك:

- لطالما أحببتك أنتِ.

فقالت "هانا":

- عليَّ أن أذهب.

نزلت من السيارة، وانطلقت بسيارة أمها، وتدخَّنت فيها، وفي الصباح وبَّختها أمها على ذلك. وقبل أن تصل إلى المنزل مباشرة، ركضت ظبية عبر طريقها، فداست "هانا" على المكابح بقوة. وقفزت الظبية بعيدًا في الظلام.



قبل عيد الميلاد كان هناك الكثير من الأشياء المطلوب إنجازها، لكن "إيفا" كانت سعيدة بذلك، وانتهى بها الأمر بقبول طلبات أكثر مما أرادت، وهي تنام الآن ست ساعات فقط، وعليها أن تتناول قرص دواء كل صباح بسبب آلام الظهر، وأمس نامت في السيارة وهي تنتظر خروج "فيكي" من المدرسة، وفزعت فزعًا شديدًا عندما طرق على نافذة السيارة. لكن الأمر لا يزال يستحق كل هذا العناء، فهذا يجعلها لا تفكر كثيرًا في "يندرشيخ"، أو كيف كان عيد الميلاد الماضي، لو كانت تعلم أنه آخر عيد ميلاد لهما معًا، هل كانت ستصرخ فيه بأنه لا يعرف حتى كيفية شراء شجرة عيد ميلاد مناسبة؟ لم تكن تعرف.

عادت هي و"فيكي" من المدرسة، وكانت "هانا" تتجول في المنزل كالشبح، لا تتكلم، لا تزال غريبة الأطوار منذ اليوم الذي صدرت فيه تلك المجلة، لا تزال تتلقى بعض الرسائل على هاتفها، ولا تزال تمارس رياضة الجري، وأحيانًا حتى في الصباح ثم مرة أخرى في المساء، وأحيانًا تعود بعد نحو ساعة ونصف، وعندما تسألها "إيفا": أين تذهب للجري؟ تقول "هانا" إنها لا تعرف. من المؤكد أن "إيفا" شعرت بالآسف عندما تشاجرا معًا، لكنها في اليوم التالي أعَّدت لها الإفطار لتؤكد لها أنها لا تزال تحبها، على الرغم من أنها خدعتها، وكذبت عليها هي و"فيكي". كما أنه لم يعد لدى "إيفا" الوقت للتعامل مع الأمر بعد الآن، فعليها أن تبدأ بالخبز وتزيين المخبوزات، لقد أحرقت بالفعل دفعتين، وهي لا تفهم كيف حدث هذا، ربما كانت تُفكر في أمر ما، لكنها لا تعرف فيمَ. كما عليها أيضًا أن

تعتني بـ"فيكي"، فعلى الرغم من أن "هانا" أحيانًا تطبخ له، وأحيانًا تُساعده في عمل واجباته المدرسية، لكن "فيكي" لا يزال مستاءً. بالطبع "إيفا" لا تعرف ما قالته له "هانا"، لكنها تستطيع أن ترى بوضوح أنه لا يتحدث معها، مع "هانا"، لكن بالطبع يتحدث معها، مع "إيفا". بالطبع "إيفا" تعلم أن سبب ذلك هو غضبه من أمه، وقد طلبت هي منه بنفسها أن يتعامل مع أمه بطريقةٍ مهذبة على الرغم من تصرُّف "هانا" بهذه الطريقة السيئة، لكن ربما "هانا" لم تلحظ ما قالته "إيفا"، فقد كانت تكتب شيئًا ما على هاتفها المحمول.

واليوم عليها أن تصنع دفعة واحدة من كعكة "لينزر" وتحشو عجينة أمس بالمربى، كان "فيكي" يساعدها في صنع الحلوى، لقد كانت تعلم دائمًا أنه يستمتع بالفعل بهذه الأشياء، كل ما يُريده هو فقط أن يعرف الطريقة الصحيحة لذلك. وعليها أيضًا أن تُزيِّن المنزل، ففي غضون أيام قليلة سيبدأ الاحتفال بأيام عودة المسيح، والحفاظ على التقاليد أمر مهم لـ"إيفا". ثم سألت "هانا":

- هل ستكونين هنا في الأحد الأول من الاحتفال بعودة المسيح؟

فهي ترغب في استضافتهم جميعًا هنا، ويمكنها أيضًا دعوة "أداميك" والفتيات لتناول الغداء، لكن "هانا" قالت:

- ربما سأمثل يوم الأحد. لا أعرف، سأرى.

وانصرفت حتى لا تضطر إلى التحدث معها حول هذا الموضوع.

عندما انتهت "إيفا" من الخبز وغسل الأطباق وتنظيف المطبخ، كانت الساعة الثانية عشرة والنصف، فارتدت روب الحمام فوق قميص النوم، بينما كانت "هانكا" و"فيكتور" قد ناما بالفعل. دخلت "إيفا" أولًا بهدوء إلى غرفة "فيكي"، وغطَّته ونظرت إليه لبعض الوقت، لا يزال يبدو طفلًا صغيرًا وهو نائم، ثم دخلت بهدوء أكثر إلى غرفة "هانكا"، وهناك نظرت إلى "هانكا" من بعيد، فهي لا تريد أن توقظها. حتى هي تبدو في نومها كطفلة صغيرة. ومض هاتف "هانكا"

الموجود بجوار رأسها مباشرة، وأضاء وجهها لمرات متقطعة، أخذته "إيفا" ووضعته على الطاولة بجانب السرير، وأغلقت الباب بهدوء وذهبت إلى العلية[16]، حيث توجد هناك في الصناديق زخارف شجرة عيد الميلاد، والأسلاك المضيئة التي ستُعلَّقُ على النوافذ، وكذلك الشموع، وكل شيء يخصُّ زينة عيد الميلاد.

لقد أزعجها ذلك قليلًا، لكنها لم تُفاجأ حقًّا بأنها لم تجدها للوهلة الأولى. فالمحلات التجارية في كل مكان. لقد أرادت من "يندرشيخ" مليون مرة أن يفعل شيئًا ما بالعلية، لكنه استمر في تأجيل ذلك. لا يهم، سوف تجدها غدًا، فسوف ترتدي ملابس ثقيلة، وتبحث عنها هناك.

في الساعة الواحدة صباحًا كانت في فراشها ونامت.

لكن في اليوم التالي عندما بحثت في العلية، لم تجد الزينة. أزعجها ذلك كثيرًا، حتى تساءلت: أين يمكن أن تكون بحق السماء؟ في الطابق السفلي صبت القليل من مشروب "الروم" في الشاي.

نزلت "هانكا" من الطابق العلوي، وسألتها: هل بإمكانها أن تستعير سيارتها؟ فعليها السفر إلى براج، فقد نسيت شيئًا مهمًّا، وأنها ستعود في الليل أو في الصباح الباكر.

– لا تقلقي يا أمي، في الصباح عندما تريدين توصيل الكعك، ستكون السيارة هنا، حسنًا؟

لقد كانت ترتدي ملابسها بالفعل، وبالطبع أعارتها "إيفا" السيارة، ثم غادرت "هانا" على الفور.

فقط عندما أغلقت باب المنزل خلفها، أدركت "إيفا" أن عليها أن تُحضر "فيكتور" من المدرسة. فأسرعت خلفها.

قالت "هانا":

(16) مخزن صغير أسفل الجزء المنحدر من سقف المنزل.

- بالتأكيد، سأُحضِره ثم أذهب بعد ذلك.

وبدأت على الفور بكتابة رسالة نصية إلى شخص ما. ظلت "إيفا" تراقبها لبعض الوقت، وهي تكتب تلك الرسالة، بدت "هانكا" جادة، كأن الأمر يتعلق بعملية زراعة قلب. ثم ابتسمت لها كأنه لا يوجد أي شيء على الإطلاق. بدا لـ"إيفا" كأن "هانا" من هذا الفيلم، الذي تُصاب فيه الفتاة فجأة بالجنون، وتهرب من عائلتها، وربما تقتل شخصًا ما. ثم سألت "هانا":

- ألا تريدين أن تشربي الشاي وتأكلي شيئًا معي؟

لكن "هانا" لم تسمعها على الإطلاق.



العودة

لا أحد في القرية يتحدث معي، فقط "بوهوش" هو من يُوجِّه إليَّ التحية في كل مرة بكل سعادة كما هو الحال دائمًا. ولو أني طلبتُ منه أن يجلس بجانبي، فسيجلس، لكني لا أهتم بذلك، فليجلس مع الآخرين. وهناك آخرون يتظاهرون بأنهم لا يروني. على سبيل المثال، "فرانتا" يتحدث معي في المدرسة عندما تكون هناك ضرورة لذلك، مثلا في أثناء حصة التربية الرياضية، لكن "مارتينا" لا تتحدث معي أبدًا.

كنتُ أغادر المنزل في السابعة وعشر دقائق صباحًا، وأذهب لمداعبة "سنيج" عبر السياج بالقرب من مبنى حماة الغابات، تمامًا كما كنتُ أفعل في البداية، وأنا سعيد لأن "سنيج" -على الأقل- لا يزال يحبني كما أحبه.

عندما أفكر فيما سيكون عليه الأمر عندما أكبر، فبالتأكيد سأعود إلى براج، وسيكون عندي كلب أيضًا.

أما في عيد الميلاد فأتمنى:

1- هاتفًا محمولًا جديدًا.

2- كلبًا (أعلم أنه لن يمنحني أحد كلبًا، ولكن إذا وضعته في المركز الثاني، فسوف أحصل على جهاز إكس بوكس بدلًا من ذلك).

3- إكس بوكس.

فقالت أمي:

- كنت تريد دراجة.

- نعم كنتُ أريد ذلك، لكن هذا عندما كان معي هاتفي الجيد.

عبست أمي في وجهي، كنتُ أعلم أن السبب هو أنها اشترت لي الدراجة بالفعل.

قلتُ لها:

- إن الهاتف المحمول هو هديتي الرئيسة.

- ربما لم يكن عليك أن تكسر هاتف ذلك الصبي.

أما بالنسبة لعيد الميلاد فلم نجد الزينة، لذا كان علينا أن نذهب لشرائها من مكان ما، كادت جدتي تبكي عندما كنا نبحث معًا في العلية، لكنها تظاهرت بعكس ذلك، فتظاهرتُ أنا أيضًا بأني لا أراها. لكني وجدتُ هناك مجموعة مكعبات "ميركوري"، التي كانت ملكًا لخالي "آدم" عندما كان صغيرًا، وقد حصل عليها من أحد أعمامه، إنها شيء قديم جدًّا، ولكنه مسلٍّ.

سافرت أمي إلى براج مرة أخرى، وجلبت معها الكثير من الزينة من "آيكيا"، فتجهمت جدتي، لأنها لا تحب ذلك وقالت:

- أنا أحب تلك المصنوعة من القش.

فقالت أمي:

- حسنًا، اعتقدت أنه سيكون نوعًا من التغيير.

فقالت جدتي بحزن:

- حسنًا.

علَّقنا الأسلاك المضيئة على النوافذ. ووضعنا واحدة تومض بالألوان في غرفتي. تبدو هذه الألوان رائعة عندما أكون في فراشي ليلًا والأنوار مطفأة.

وعندما كنت مستلقيًا في فراشي، على وشك النوم، تذكرتُ فجأة أنه في الصباح عندما كنت أستقلُّ الحافلة إلى المدرسة، رأيتُ سيارة جدتي على طريق الغابة، بعيدًا عن الطريق الرئيس، تقريبًا داخل الغابة، حيث يوقف الناس سياراتهم عندما يذهبون للبحث عن الفطر، وتساءلت: ماذا تفعل جدتي في الغابة؟

ذات مرة بعد المدرسة أمسك بي "هلاديك" الذي لم تعد يده مربوطة ومعه اثنان من أصدقائه، لكن جدتي التي كانت تنتظرني ظهرت وصرخت فيهم فانصرفوا. لم أكن متأكدًا هل سيحدث هذا باستمرار بعد المدرسة أم لا، لكنهم في اليوم التالي لم يكونوا هناك.



إنه جنون تام، "هانا" لا تقدر على ذلك، لا تستطيع العيش بهذه الطريقة، بالتأكيد هما لا يتحدثان عن المستقبل، فمن المؤكد أن "يرجي" لا يستطيع الانفصال عن زوجته وطفله الصغير، ومن المؤكد أنها لا تريد أن تطلب منه ذلك، وحتى لو أرادت ذلك، فهو غير ممكن، فهذا يجب أن ينتهي بعد عيد الميلاد على أي حال؛ فهي ستغادر إلى "أوسترافا"، ومن الأفضل أن ينتهي هذا الأمر الآن. لقد حاول كلٌّ منهما ذلك نحو ثلاث مرات، ولكن لم يتحمل أيٌّ منهما أكثر من يوم واحد. ذات مرة التقت زوجتَهُ وطفلَهُ في المتجر، فاختبأت خلف رف المشروبات، ووقفت هناك لفترة طويلة تحدق إلى زجاجات مياه "أكويلا"، واحدة تلو الأخرى، حتى تيقنت من رحيلهما، ثم اشترت شيئًا لا تعرفه، وغادرت المتجر. كانت زوجة "يرجي" تقف هناك، بينما طفلهما يلعب على كومة من الثلج، بادرتها زوجته بالتحية، فحيتها "هانا" أيضًا، وهربت، ثم أرسلت على الفور رسالة نصية إلى "يرجي" مفادها أن الأمر قد انتهى.

لكن في اليوم التالي وفي شقتها شبه المهجورة في براج، التي كانت قد خفضت فيها التدفئة إلى الحد الأدنى لأنها لا تعيش بها الآن، كما أن غرفة "فيكتور" نصف فارغة وثلاجتها أيضًا فارغة تمامًا، كان عليهما أن يلتحفا ببطانيتين في غرفة النوم بعد أن شعرا بالبرودة الشديدة.

رن المنبه في الخامسة صباحًا، فأمها تحتاج إلى السيارة، وعليها العودة إلى "ريبني"، كما عليه هو أن يذهب إلى عمله. في المساء رأت أضواء سيارته وهو عائد إلى زوجته، إنها تعرف أضواء سيارته؛ لأنها الوحيدة في القرية ذات مصابيح "زينون". ولكن من الصباح إلى المساء أرسلا لبعضهما بعضًا ألف رسالة. غدًا لن تستطيع الذهاب إلى براج، لذا لن يتقابلا، فعليه أن يذهب إلى مكتبه، وعليها أن تبقى هنا، وربما إذا عاد من براج مبكرًا، فيمكنهما أن يلتقيا في مكان ما في الهواء الطلق، لو ذهبت هي للجري.

ذهبت، كان هو يقف على طرف الغابة مع كلبه الصغير. لم يتمكنا من البقاء هناك لفترة طويلة؛ فقد بدأت "هانا" تشعر بالبرد، وكذلك الكلب.

🏠🏠🏠

لم يتمكن "أداميك" وعائلته من القدوم في الأحد الأول من أيام عودة المسيح في بداية ديسمبر، لكنهم وعدوا بالمجيء في اليوم الثاني. فبعد كل شيء عليهم التخطيط لأيام الأعياد كلها. إن "إيفا" تودُّ أن يجتمعوا مرة أخرى في يوم الخامس والعشرين من ديسمبر، فسوف تشوي لهم بطة، وستكون الأسرة بأكملها معًا، لكن لا يمكنها أن تشرح بعقلانية سبب اهتمامها بأن يكون اللقاء في اليوم الأول من العيد. ربما بسبب البطة التي كانت تطهوها هي و"يندرشيخ" دائمًا في هذا اليوم، ثم في يوم السادس والعشرين، يتناولان ما تبقَّى من هذا الطعام. قالت "هانا":

– هذا واضح يا أمي، فسنكون معكِ يوم الخامس والعشرين، فنحن لن نتركك وحدك في العيد.

ثم أضافت لاحقًا أنه يتعين عليها الذهاب إلى براج بعد ظهر يوم السادس والعشرين.

استمتعت "إيفا" بهذا الغداء العائلي، رغم أن "هانكا" استمرت في أثناء الغذاء في إرسال الرسائل النصية، لكن "فيكتور" ممنوع من ذلك، أهذا هو المثال الذي يجب أن يحتذي به؟

لكن "إيفا" تركتها وشأنها، وأخذت تتحدث مع "كاتكا" والفتاتين الصغيرتين، لقد كبرتا مرة أخرى، قطتاها الجميلتان، إن "كاميلكا" تتحدث بطريقةٍ جميلة، و"دينيسكا" لطيفة جدًّا، وتلوح برقة كبيرة. حكى لها "أداميك" عمَّا فعلوه في المنزل، فلقد بدؤوا ببناء ساونا، ومن المحتمل أن يُسخِّنوا التربة. وقالت لها "كاتكا" يجب أن تأتي لزيارتنا. نعم، لا بد أن تذهب لترى هذا، فهي لم تذهب إلى هناك منذ أن حضر "فيكتور" إلى هنا، فلم يعد لديها وقت لأي شيء.

– أيها أولاد، علينا أن نخطط لعيد الميلاد.

قال "أداميك":

– لا أعرف يا أمي، يجب أن نذهب إلى "باردوبيتسه"، فعلينا أيضًا زيارة والدي "كاتكا".

لكنها وحيدة، وهو أول عيد ميلاد يأتي عليها دون "يندرتشيخ"، وكذلك ماذا ستفعل الفتاتان هناك في "باردوبيتسه" في عمارة سكنية؟ فهنا يمكنهما الخروج في الهواء النقي، وربما سيكون هناك ثلج، فتستطيعان التزلج.

فقالت "هانا" بنبرة صوتها، الذي لا يُمكن لأي شيء أن يخفي فظاظته:

– يمكنكم الذهاب إلى "باردوبيتسه" في يوم السادس والعشرين، أليس كذلك؟

كانت "إيفا" تريد التوصل إلى اتفاق بهدوء، فقالت:

– انتظري يا "هانكا"، فسنرتب للأمر بطريقة ما.

– أليس هذا ما قُلته؟

فقال "أداميك":

- نحن دائمًا نذهب إلى "باردوبيتسه" يوم الخامس والعشرين، ونأتي إلى هنا يوم السادس والعشرين، أليس كذلك؟

قالت "كاتكا":

- حسنًا، يمكنني أن أسأل والديَّ إذا كانا لا يمانعان في ذلك.

فالتفتت "هانا" إليها وقالت:

- سيكون ذلك رائعًا.

فتساءل "آدم":

- حسنًا، لكن لماذا لا يمكننا أن نلتقي في يوم السادس والعشرين؟

فقالت له "إيفا" موضحة:

- إن "هانكا" ستمثل.

فرفع كتفيه قائلًا:

- حسنًا، وعلينا بالتأكيد أن نُغير جميعًا خططنا وفقًا لها.

فصرخت "هانكا" فيه:

- اللعنة! هذا عملي.

فقالت "كاتكا":

- هل يمكنك -على الأقل- ألا تتحدثي بهذه الطريقة أمام طفلتيَّ؟

ثم وقفت وأخذت البنتين بعيدًا عن الطاولة.

- هيا أيتها الفتاتان، لنذهب للعب.

فقالت "إيفا":

- أيها أولاد. لا تتشاجروا، فلا توجد مشكلة في ذلك.

- كيف لا توجد مشكلة؟ إنك تتحدثين عن ذلك منذ بداية ديسمبر، وقلتِ إنكِ ترغبين في أن يكون اللقاء الأسري في الخامس والعشرين من الشهر، والآن فجأة لا توجد مشكلة؟

- لا أريد أن نتشاجر بسبب هذا الموضوع.

قال "آدم" فجأة:

- انظروا، إنها مكعبات "ميركوري" الخاصة بي.

كان "فيكتور"، الذي انتهى من طعامه منذ وقت طويلة، يحضر رافعة ما قيد التركيب، أو شيء من هذا القبيل، فوقف "آدم" وأخذها من يد "فيكتور".

- لقد نسيت تمامًا أني تركتُها هنا. إنها جميلة، أليس كذلك؟

قال "فيكي":

- بلى، إنها جيدة إلى حدٍّ كبير.

- إذًا تعامَلْ معها بحرص، حسنًا؟

- حسنًا.

- لم أكن أعلم أنه لا يزال لدينا هذه اللعبة هنا. فاليوم أصبحت نادرة تمامًا، هذه المجموعة الكبيرة بأكملها وفي مثل هذه الحالة.

صرخت "هانا" فيه فجأة:

- ماذا تريد؟

- لماذا تصرخين في وجهي هكذا؟

- هل يزعجك أن "فيكتور" يلعب بتلك المكعبات الغبية؟

- لا، بالله عليكِ ماذا تفعلين؟

ثم صمتا، تلقت "هانا" رسالة، وبدأت تنشغل بالهاتف. أكل "أداميك" فطيرة التفاح الثانية. أخذت "إيفا" تُفكر هل ستستمر في الحديث عن لقاء عيد الميلاد هذا، لكنها فضلت الصمت، فبعد كل شيء سيكون معها "فيكي"

و"هانا" هنا، ففي الخامس والعشرين يمكنها أن تطهو شيئًا يحبه "فيكتور"، وتطهو البطة في يوم السادس والعشرين. لماذا تتشبث بذلك، فلقد تغير الشيء الأكثر أهمية على أي حال، وهو أن "يندرشيخ" لم يعد موجودًا، لذلك فهم لن يستطيعوا الاجتماع معًا، ولا حتى أبناؤهم. نعم، لقد تمنت ذلك، ولكن إذا لم يكن هذا ممكنًا، فلن يكن كذلك.

– على أي حال، يبدو لي أن هناك قطعًا ناقصة، لأنني كنتُ أشيد منها برجًا عملاقًا، هل تتذكرين يا أمي؟

ثم التفت إلى "فيكتور" وسأله:

– ألم تضيعها؟

وقفت "هانا" وقالت:

– "فيكي"، أعدها إلى خالك، سأشتري لك واحدة جديدة.

– ماذا؟

– ماذا ماذا؟ أعدها إلى خالِك، فهي على الأرجح أغلى لعبة عنده من فترة طفولته، رغم أني لم أرَه يلعب بها من قبل، لكن لا يهم، إنها ملكه، لذا أعدها إليه.

– لقد كان عمرك عامين على الأكثر عندما كنتُ ألعب بها. لذا اهدئي.

– من الأفضل لك أن تعُدَّ قِطع هذه المكعبات.

أعطي "فيكتور" الصندوق لـ"آدم"، وشغَّل لعبة على هاتفه المحمول.

– إن أي شخص طبيعي في مكانك كان سيقول: "لا تكن مجنونًا، استمر في اللعب بها". ولكنك لست كذلك. سلام.

وضعت "هانا" هاتفها في جيبها وغادرت المطبخ.

تنهدت "إيفا"، وبدأت بمسح الطاولة. إن مجموعة المكعبات ملك لـ"آدم"، وهي تتذكر كيف كان يلعب بها، وربما كان عليها أن تستأذنه قبل أن تعطي "فيكتور" إياها. لكن لم يكن على "هانكا" أن تؤدي مثل هذه المسرحية.

ذهبت "هانا" عبر الغابة إلى البحيرة حيث يلتقيان هناك على مقعد نصف مكسور، ربما لن تنجو من عيد الميلاد هذا العام، وبالتأكيد ليس هنا، وبالتأكيد ليس مع أمها ومع "آدم"، وبالتأكيد ليس دون "يرجي". رحَّب بها كلب "يرجي". ورحَّب بها "يرجي" أيضًا. غدًا سيذهب كلاهما إلى براج، تلك هي أيامهما، فسيقضيان الليل بأكمله بعد العرض معًا، على الرغم من أن أمها قد سألتها: لماذا لا تعودين إلى هنا مباشرة بعد المسرح؟ وإذا كان الأمر يستحق أن تستيقظي مبكرًا جدًّا هكذا، فماذا لو علمت أنها تنام قليلا جدًّا في هذه الليالي، وتضطر إلى التوقف مرتين على الطريق في محطة الوقود لشرب القهوة؟

همس "يرجي" في شعرها قائلًا:

- "هانكا" نحن بحاجة إلى الحديث عن عيد الميلاد، يا له من يوم فظيع!

إنها لا تريد التحدث معه عن عيد الميلاد، فما سيقولانه واضحًا، فيجب أن يكون كل منهما مع عائلته، عليهما أن ينفصلا، لكن هذا ليس انفصالًا، عليهما فقط التوقف عن رؤية بعضهما بعضًا، ولا يتعين عليهما حتى أن يقولا ذلك بصوت عالٍ، عليهما فقط أن يفعلا ذلك. وسيفعلان.

قالت "هانا":

- ستأتي غدًا لتأخذني من المسرح، أليس كذلك؟

فقال "يرجي":

- بالطبع.



عادت أمي من الخارج بالضبط في اللحظة التي كان خالي وزوجته يغادران المنزل. لقد أخذ خالي مني مكعبات "ميركوري" بالفعل، وحملها إلى منزله، ولم أفهم لماذا، فهو لديه بنتان وفي الوقت نفسه صغيرتان، ولا يمكنهما اللعب بها. وعندما رأت أمي خالي وهو يحمل صندوق المكعبات، بدأت تصرخ فيه وتسبُّه، وتصفه بالمعتوه.

فغضبت جدتي غضبًا شديدًا، وسدَّت العمة "كاتكا" آذان "كاميلا" و"دينيسا"، وفي النهاية ألقى خالي "آدم" الصندوق على الأرض في الفناء، فطارت جميع أجزاء اللعبة، لذا أتمنى ألا يتهمني في المرة القادمة بأنني قد أضعتُ شيئًا ما منها.

أخذتُ أجمع تلك الأجزاء، بينما استمرت جدتي وأمي في الشجار، لكني لم أستمع إليهما. أعلم أن عيد الميلاد يمثل ضغطًا كبيرًا على الكبار، فدائمًا قبل عيد الميلاد كانت أمي تخبرني أنه ليس لديها الوقت الكافي لفعل كل شيء، وأن لديها الكثير من العمل، لكن هذا العام ليس عليها فِعل شيء طالما نحن نعيش هنا، فجدتي تفعل كل شيء تقريبًا، وربما يكون لدى أمي القليل من العمل ما دامت معنا هنا، وأنا لا أريد الكثير من الهدايا أيضًا، ولا أريد شيئًا يصعب العثور عليه، لذلك لا أفهم لماذا أمي عصبية إلى هذا الحد.

لكني أستطيع أن أتفهم لماذا جدتي متوترة، لأنها تقول لي باستمرار إن لديها الكثير من العمل المتعلق بخبز الحلوى، وأنها لا تستطيع النوم ليلاً، وأن ظهرها يؤلمها، وأنها تريد أن يكون كل شيء جميلًا وجاهزًا ومعدًّا. لكني لم أخبرها بأن هذا الأمر لا يعنيني حقًّا، ولم أقل لها إنها إذا جلست وشاهدت التليفزيون بدلًا من كل هذا التنظيف في المنزل، فإنها ستكون أكثر هدوءًا، لأنني عندما قلت شيئًا كهذا لأمي العام الماضي، غضبت للغاية، رغم أن أمي أكثر هدوءًا من جدتي. فأحيانًا عندما استيقظت للمدرسة، كنتُ أرى جدتي، وقد أخرجت كل الأواني من الخزانة (النيش)، وتغسل الخزانة بأكملها، وذلك في وقت مبكر جدًّا من الصباح، مما يعني أنها ظلت مستيقظة طوال الليل. الشيء الوحيد الذي قلته هو: هل بوسعنا حل مشكلة الإنترنت؟ فقالت جدتي إنها ستحضر شخصًا ما بعد عيد الميلاد عندما تكون الدنيا قد هدأت.

وخلال ذلك مسحت على خدي، وقد سعدتُ بذلك، لأنني أخيرًا سأحصل على إنترنت مناسب، وأيضًا لأنه لأول مرة منذ أن جئتُ إلى هنا، لا أمانع في أن تمسح

جدتي على خدي. إن يدا أمي ناعمتان ولكنهما باردتان، لكن يدي جدتي مثل الجلد القديم، ناعمتان ودافئتان تمامًا.

بخلاف ضغوط جدتي المتعلقة بالخَبز والتحضير لعيد الميلاد، فقد بدأت تسير الأمور معها سيرًا جيدًا، أو ربما لأنه ليس لديها الكثير من الوقت لتنشغل بي، ولكن الأمور تسير هنا بطريقة ما.

أما أنا فلست متوترًا. فقط أشعر بالحزن، ولكن ليس بدرجةٍ كبيرة؛ لأن الثلج يتساقط في الخارج، والشمس تكون مشرقة في أغلب الأحيان، ولا أعرف السبب وراء ذلك، لكن على سبيل المثال عندما أذهب إلى المدرسة، والثلج يُسحق تحت قدمي ويتلألأ تمامًا في ضوء الشمس، يكون المنظر في غاية الجمال. وأيضًا لأنه على الأقل ستكون هناك هدايا، وتكون المدارس معطلة؛ لذا فأنا أتطلع حقًّا إلى عيد الميلاد.

على الفور في اليوم التالي اشترت لي أمي لعبة مكعبات "ميركوري" جديدة، وهي أكبر من تلك القديمة. وعندما بدأت بالبناء بالمكعبات، اتضح لي أن الأمر أسوأ، فأجزاء اللعبة القديمة كانت أفضل، لكني لن أخبرها بذلك، فلماذا أفعل؟

سألت جدتي أمي:

- هل تعتقدين أنه من الجيد أن تعطيه مثل هذه الهدية الكبيرة قبل أسبوعين من الاحتفال بعيد الميلاد؟

قالت أمي وهي تشيح بيدها:

- من فضلك يا أمي، لا علاقة لهذا بذاك.

فقالت جدتي:

- أنا لا أعتقد ذلك.

لكن أمي لم تسمعها؛ لأنها كانت تُراسِل شخصًا ما.



رتِّب حياتَك

بالطبع، جاء ببال "إيفا" أن هناك رجلًا وراء سلوك "هانكا" الغريب، فسألتها عن ذلك. بالطبع قالت "هانا" إن هذا كلام فارغ، وأن ما تفعله هو أشياء خاصة بالعمل، "ثم ما مشكلتك في هذا يا أمي؟ هل هذا لأني لا أساعدك كثيرًا في صنع الحلوى؟ إذًا فلماذا تصنعين الكثير منها؟".

إن "إيفا" لا تهتم بذلك، لكن نعم، ستكون ممتنة لو أن "هانا" ساعدتها ما دامت موجودة هنا، لكن ما يهمها على نحو أساسي هو "هانا" نفسها، التي لا تكاد تأكل، وفقدت وزنها، وتدخن أكثر من ذي قبل وتعاني بسبب ذلك، والأهم من ذلك كله أنها تقيم علاقة مع رجل ما هنا من القرية، لكن بحق السماء من هذا الرجل؟ فلا يوجد هنا أحد غير متزوج وفي عمر "هانا"، لذا بحق السماء هل تقيم علاقة مع الصغير "فاخا"؟ إنه مدمن للخمر.

قالت لــ"هانا":

- أتمنى ألا يكون حقيرًا ويجعلك تعانين.

- من فضلك يا أمي.

- في البداية دائمًا تكون العلاقة جميلة، ولكن انظري إلى نفسك.

صرخت فيها "هانا":

- اتركيني وشأني.

وعلى الأرجح ذهبت إلى غرفتها لتبكي.

لا تعرف "إيفا" هل خطر هذا ببالها في هذه اللحظة، ولكن ربما نعم، لأنه في النهاية لا تريد أن ترى ابنتها تعيسة، ومن المؤكد أنه لم تكن لديها أي خطط لتتبُّع ابنتها، أو ربما قراءة رسائلها على هاتفها المحمول. إن "إيفا" لا تفعل أشياءَ من هذا

القبيل. ولكن عندما نهضت "هانا" في فترة ما بعد الظهر، وقالت إنها ذاهبة للجري، كانت "إيفا" تُشكِّل كرات الجوز، فهي النوع الأخير المتبقي لديها، وقد بقي ما يزيد على أسبوع على عيد الميلاد، لقد أوشكت على الانتهاء من كل شيء، كان "فيكي" بجانبها يكتب واجباته المدرسية بجانبها، لذا نهضت "إيفا" أيضًا، وأطفأت الفرن، الذي كان معدًّا لخبز الحلوى، وأخبرت "فيكي" أن عليها أن تذهب لشراء السكر. فقال "فيكي" فقط: "همم"، فقالت "إيفا": "عندما تنتهي من واجباتك، يمكنك أن تشغِّل التليفزيون"، وذهبت لترتدي ملابسها أيضًا، فسوف تأخذ السيارة وتذهب لشراء السكر الذي تحتاج إليه بالفعل، ربما ليس اليوم لكنها بالتأكيد ستحتاج إليه غدًا، وسترى إلى أين ستذهب "هانا"، ربما لن تراها على الإطلاق، لكن يمكنها على الأقل أن تحاول، فعلى أي حال هي لا تفعل شيئًا ضد أحد.

عندما أُغلق الباب خلف "هانا"، التي كانت ترتدي ملابس الجري، أخذت "إيفا" مفاتيح السيارة، وأعادت على "فيكتور" مرة أخرى إلى أين ستذهب، وأنها ستعود بعد قليل، ثم غادرت.

كان الجو مظلمًا تقريبًا في الخارج. قادت "إيفا" سيارتها ببطء وهي تنظر حولها. في المنحنى مرت بها سيارة "يرجي سيدل"، لوَّحت إليه بسعادة، لكنه على الأرجح لم ينتبه إليها، اشترت السكر من المتجر وعادت إلى المنزل، لم تقابل أحدًا، ولم ترَ شيئًا، فشعرت بالخجل قليلًا مما اعتقدت أنها ستتحقق منه.

فقط عندما استلقت في فراشها في المساء، وبينما هي تحاول النوم، تذكرت شيئًا غريبًا قد حدث، فعندما كانت عائدة من التسوق، كانت سيارة "ليدا" الفولفو متوقفة في حديقة عائلة "سيدل"، أما سيارة "يرجي" الـBMW فلم تكن هناك. لكنها قابلته في المنحنى عندما كان متجهًا إلى القرية، وكانت هي ذاهبة للتسوق، فأين ذهب إذًا؟

فقالت لنفسها: "اهدئي يا "إيفا"، فلا يجب أن يعني ذلك شيئًا، كما أن "يرجي" لا يمكن أن يفعل شيئًا من هذا القبيل، فهو فتى طيب، وهو دائمًا على

استعداد لمساعدتها في كل شيء هنا، وأنه سعيد للغاية مع زوجته "ليدا"، ولديهما "إيمي" الصغيرة، لا، هذا هراء".

لكنها لم تستطع النوم، وعندما سمعت صوت "هانا" في الطابق السفلي في المطبخ، نهضت من الفراش وذهبت إليها.

فقالت "هانا" وقد فزعت:

- أمي! لماذا تتسللين هكذا؟

- قولي إنه ليس "يرجي سيدل". من فضلك.

استمرت "هانكا" في النظر إليها، ومن هذه النظرة فهمت "إيفا" أن هذا صحيح، يا إلهي! إن "هانا" تواعد "يرجي" سرًّا.

ثم استعادت "هانا" رباطة جأشها وقالت بسخرية:

- من فضلك ما هذا الذي تفكرين فيه؟

- حسنًا، لا أظن أنكِ جادة في ذلك.

- تصبحين على خير.

- لا، هذا ليس خيرًا.

وقبضت على يدها بقوة، فلن تسمح لها بذلك، لن تسمح لـ"هانا" أن تدمر علاقاتها بجيرانها. اللعنة، إنها تتردد إلى "ليدا" لتناول القهوة معها، بل إن "ليدا" قد تركت "إيمي" في رعايتها عدة مرات، إنهم يعيشون هنا معًا في القرية نفسها، ولا يصح أن يحدث هذا.

- اتركيني ودعيني وشأني.

- ستفترقين عنه فورًا، وستذهبين من هنا.

- أمي، سأذهب للنوم، لذا اهدئي.

- "هانا"، لن أتركِ حتى تعديني بأنك ستتركين ذلك.

بدأت "هانكا" في الاشتباك معها بالفعل، لكنها لم تقصد ذلك، فالطريقة التي تعاملت بها معها، هي طريقة فظة، وهذا آلم "إيفا" حقًّا، لم تعد قادرة أن تُمسك بها بعد الآن. تنهدت "هانا"، ونظرت إليها نظرة سيئة، وقالت:

- أمي، اتركيني وشأني.

- يجب أن تنفصلي عنه، وعودي إلى بيتك، فلن تبقي هنا.

- لا أعرف عن أي شيء تتحدثين هنا.

كانت تمثّل عليها، فربما هي بالفعل ممثلة جيدة، وفي هذه اللحظة شعرت "إيفا" أنها ربما تكون قد أخطأت، ولكن لا، لم تخطئ.

- أنا لن أبقى هنا، أنتِ على حق.

- هانا، أنا لن أسمح لك بذلك.

قالت هذا وذهبت للنوم، ربما يدها مصابة بكدمات، فقد اشتبكت معها بالفعل، يبدو أنها فقدت عقلها تمامًا، عليهما أن تتحدثا بهدوء غدًا.

🏘🏘🏘

في الصباح، عندما استيقظت وجدتُ حقيبة أمي الكبيرة وبها أغراضها موضوعة تحت الدرج، مما يعني أنها ربما ستغادر إلى براج مرة أخرى أو أنها على وشك أن تبدأ تصوير المسلسل. لا يهمني ذلك، لذا ذهبتُ لتناول الإفطار، كانت جدتي تجلس هناك على الطاولة وتشرب الشاي وتبدو متوترة. وما إن خرجت أمي من الحمام، رأيتُ أنها قد ارتدت ملابسها الجميلة بالفعل، لذلك من الواضح أنها ستغادر على الفور، بينما جدتي تريد التحدث معها، لكن أمي لا تريد التحدث عن أي شيء، ثم جلست معنا على نحو طبيعي، وسلمت عليَّ وقبَّلتني على خدي، كانت تفوح منها رائحة معجون الأسنان. أخرجتْ هاتفها وبدأت تكتب شيئًا.

- سأوصلكِ إلى الحافلة.

- لا أريد.

- هل سيوصِّلك هو إلى هناك؟ ألا تخجلين؟ أنت حقًّا لا تعرفي شيئًا عن أبسط قواعد الأدب؟

نظرت أمي إليها لحظة، ثم نظرت إليَّ، ثم عادت لتنظر إليها وقالت:

- سأسافر بالقطار، وأنتِ تتصرفين كالمجنونة.

ثم نظرت جدتي إليَّ لحظة وقالت:

- اليوم يا "فيكي" ستذهب إلى المدرسة وحدك، حسنًا؟ اذهب لتنظيف أسنانك، وفي أثناء ذلك سأعد لك وجبة خفيفة.

فقلتُ لها:

- لكني لم أُنْهِ إفطاري بعد.

قالت أمي وهي تنهض:

- أكمل إفطارك.

فأخذت جدتي الطبق مني وقالت:

- اذهب يا "فيكي"، سألفُّها لك، حسنًا؟

- أنتِ حتى لا تدعينه يأكل.

فضلتُ أن أنهض، ورغم أنه ليس لديَّ أي فكرة عما يدور هنا، فإني لا أريد أيضًا أن أعرف، فأنا سعيد أن الأمر لا يتعلق بي، ولست مهتمًّا بخلافات الكبار، سأحضر فرشاة الأسنان، وأصعد إلى الطابق العلوي لارتداء ملابسي.

عندما أنظِّف أسناني، وقد تعلمت ذلك هنا؛ لأن جدتي تفعل ذلك، فهي تغسل أسنانها وتتجول عادة في المنزل بهذه الفرشاة، ولا يقطر المعجون من فمها، وقد وجدت أنه إذا لم أبلل الفرشاة كثيرًا، وأضع أيضًا كمية قليلة من معجون الأسنان فإنه أيضًا لا يقطر من فمي، وهذا أفضل بكثير من الوقوف عند الحوض طوال الوقت، لذلك عندما كنتُ أنظِّف أسناني، وفي الوقت نفسه أضع الأشياء في حقيبتي، استطعت سماع أمي وجدتي وهما تصرخان في

بعضهما بعضًا في الطابق السفلي، ربما يكون ذلك بسبب الاحتفال بعيد الميلاد، ولكني لا أعرف لماذا تطلب جدتي من أمي أن تتصرف كشخص مهذب.

تذكرت أنه يجب أن آخذ معي إلى المدرسة بعض الأشياء التافهة التي تُستخدم في زينة عيد الميلاد، مثل الأسلاك وبعض الخرز، ولكن يبدو لي أنه من غير المناسب أن أذهب إليهما الآن، ولكن يجب أن أفعل ذلك، وما إن فتحتُ باب المطبخ، سمعت جدتي وهي تصرخ وتقول:

- هل تفهمين أننا سنظل نعيش هنا؟

صرخت أمي:

- هذا هو الشيء الوحيد الذي يهمك، كلام الناس.

- لأنني أعيش هنا مع هؤلاء الناس.

قلتُ:

- أحتاج إلى سلك وخرز أو شيء من هذا القبيل للمدرسة.

نظرت كلتاهما إليَّ.

فقالت جدتي لأمي:

- لقد وعدتِه أنك ستبقين هنا حتى عيد الميلاد.

- وأنت لا تريديني هنا، فهذا يسعدكِ، أليس كذلك؟

نظرتا إلى بعضهما بعضًا لحظات، ثم زفرت جدتي وقالت:

- حسنًا، سأجد لكَ شيئًا ما.

انصرفت، وقالت أمي:

- هيا لنستقل الحافلة معًا إلى المدينة، ألا تريد؟

فقلت لها:

- لا أريد. أُفضِّل الذهاب وحدي.

شعرتُ بالسعادة لأن هذا لم يُغضب أمي.

فقالت لي بمرح شديد:

- حظك سيئ؛ لأنني يجب أن أذهب، لذا سنذهب معًا على أي حال.

عادت جدتي وهي تحمل صندوقًا.

- سآخذك إلى المدرسة يا "فيكي".

ثم التفتت إلى أمي وقالت:

- يُمكنك استعارة السيارة إذا كنتِ بحاجة إلى الذهاب إلى براج.

قالت ذلك كأنهما لم تتشاجرا منذ لحظات.

قالت أمي:

- شكرًا، ولكن يجب أن أبقى هناك لبضعة أيام.

ثم خرجت من الغرفة. ذهبت جدتي وراءها، وسمعتهما وهما تواصلان الشجار. سمعت جدتي تقول:

- ولا حتى يوم الأحد؟

كان لدى جدتي الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام في هذا الصندوق، مثل الثمار المجففة لمختلف النباتات التي حتى لا أعرفها، وقرون الفاصوليا التي تُصدِر خشخشة، بالإضافة إلى الأشرطة والأسلاك الملونة والأزرار والخرز بأحجام مختلفة.

ظهرت أمي مرة أخرى وأعطتني قبلة برائحة السجائر. عندما تعانقنا، كانت الرائحة تنبعث منها.

- سنلتقي قريبًا يا "فيكي". كن هادئًا.

قلتُ لها:

- سأفعلُ، لكن هذا لا يتوقف عليَّ مطلقًا.

غادرت أمي، وعادت جدتي صامتة، وأخذت فطائرها المخبوزة، وذهب لتضعها في السيارة.

رأيت أمي وهي تقف على محطة الحافلات، رفعتُ يدي لألوح إليها، لكنها لم تَرَنا، فهي تقف هناك بحقيبتها الكبيرة وتنظر في هاتفها المحمول، بينما لا أعرف حقًّا أكنت سعيدًا بسفرها أم حزينًا. أعتقد أنه لا فرق عندي تقريبًا.

إن "مارتينا" و"فرانتا" يقفان أيضًا هناك في انتظار الحافلة، لقد رأونا نمر بالقرب منهما، رأياني ورأيتهما، لكن لا أحد منا يفعل شيئًا. جعلني هذا أشعر قليلًا بالحزن.



في الليل كتب له "هانا": "لقد عرفت أمي بعلاقتنا، سأغادر".

نظرت في الصباح، فوجدت سيارته قد اختفت، لماذا لم يكتب إليها عندما استيقظ؟

"سأذهب إلى براج، وسأظل هناك حتى عيد الميلاد".

"سأمثل الليلة".

"اتصل بي".

"هل حدث شيء؟".

كتب إليها "يرجي" "سنناقش الأمر، أنا في مؤتمر". ثم لم يتصل بها حتى المساء، كتبت إليه "هانا" نحو سبع رسائل أخرى قبل أن تراودها هذه الفكرة، كانت تجلس في البار قبل البروفة، وتذاكر الجزء الأول من مسلسل "نوكتورن"، لقد أتت إلى هنا مبكرًا عن قصد، فماذا لو جاء "يرجي" إلى هنا؟ لكن الآن اتضح لها أنه لن يأتي إلى هنا أو إلى أي مكان آخر، وأن الأمر سينتهي. فقد بدأ يخاف؛ فحياته المستقرة في خطر. وماذا في ذلك؟ لقد اتفقا بالفعل على أن هذا الأمر يجب أن ينتهي، وأنه سينتهي قبل عيد الميلاد. فجأة لم تعد "هانا" قادرة على التقاط أنفاسها، ولا يمكنها أن تظل هكذا، فعليها أن تراه، وعليها على الأقل أن تخبره أنه لا داعي للقلق من أمها. في تلك اللحظة مرَّ عامل المسرح بجانبها متوجهًا إلى البار ليطلب القهوة، جاءتها فكرة مفاجئة:

- "ميلا"، لقد كنتَ تعرض سيارتك للبيع، أليس كذلك؟

- بلى، لكن لا تشتريها. آسف، لن أبيعها لك.
- لماذا؟
لوَّح بيده قائلًا:
- إنها خردة.
- حسنًا، لكني كنت أقصد أنه لو كان بإمكانك أن تعيرني إياها.
- ليس بها تأمين إجباري.

لكن ماذا كانت تقصد بذلك عندما سألته؟ أن "ميلا" سيعطيها المفاتيح، وتغادر بعد العرض؟ يا لها من فكرة لا معنى لها! فربما سيبقى "يرجي" في براج اليوم، وبذلك سيكون من غير المُجدي الذهاب إلى "ريبني"، فهي لن تستطيع أن تذهب لرؤيته هكذا، بل يتعين عليها أن تكتب إليه، ويرد عليها. فربما يكتب إليها: "لا، لا تأتي، فأنا في المنزل". أو لا يكتب إليها شيئًا، فربما يكون نائمًا عندما تصل إلى هناك. بالطبع لن ينتهي الأمر هكذا بينهما، لكن اليوم ليس بوسعها أن تفعل أي شيء حيال ذلك. ثم ذهبت على الفور لتطلب نبيذًا، ولن تطلب من أحد أن يعيرها سيارته مرة أخرى بعد العرض، وإذا كان "يرجي" يعتقد أن الأمر سينتهي هكذا، وأنه سينفصل عنها مثل المراهقين بأنه لا يرد عليها، فهذا لن يحدث، "فنحن كبيران".

لكنها لا تزال تريد شراء سيارة، فهي تتحدث عن ذلك منذ عام على الأقل، منذ أن تحسنت أحوالها المادية، لكنها تتحدث فقط. والآن بعد أن أصبح "فيكتور" هناك، فقد صارت تتحدث عن ذلك أكثر، لكنها لا تفعل شيئًا، فقط تزعج شخصًا ما دائمًا، لقد استغلت كل من تعرفهم من قبل ألف مرة. اللعنة! لماذا أنا عاجزة هكذا؟ لماذا لم أشترِ سيارة حتى الآن؟

- "ميلا"، ألا تعرف أحدًا يعرض سيارة للبيع؟ أريد سيارة.

رفع كتفيه وقال:

- سأرى. أخبريني بالسعر وأي مواصفات أخرى.
- خمسون ألفًا؟
ابتسم "ميلا".
فقالت "هانا":
- سبعون على الأكثر.
ستقترض، ولكن بعد مسلسل "نوكتورن" سيكون لديها ما يكفي من المال.
- أريدها في أسرع وقت ممكن.
- حسنًا، سأُلقي نظرة بعد عيد الميلاد.
قدمت له "شاركا" القهوة، وقالت لــ"هانا":
- إن أمي تبيع سيارة بيجو صغيرة.
- هل يمكنني رؤيتها غدًا؟
- سأرى. هل تريدين صورتها؟
فتشت في هاتفها، وأظهرت الصورة لــ"هانا".
- يا إلهي! إنها حمراء، رائع.
فقال "ميلا" بقرف:
- يا لك من غبية!
وأخذ قهوته إلى طاولة "هانا".
أسعدها ذلك، فهي ستشتري سيارة وتُرتِّب حياتها، ربما تكون السيارة هي الخطوة الأولى، وستنهي علاقتها بــ"يرجي"، ستقابله للمرة الأخيرة وسوف يفترقان بطريقةٍ طبيعية كشخصين بالغين، وستهدأ والدتها أيضًا، وستكون لديها سيارتها الخاصة. أخذت تنظر إلى الصور التي أرسلتها إليها "شاركا"، وتقرأ الإعلان، لكنها

لم تفهم معظم البيانات التي وردت به، لكن هذا لا يهم. أومأ "ميلا برأسه وقال بازدراء: "حسنًا، 1200 سي سي"، لم تسأله "هانا" عما يعنيه ذلك، لا يهم.

شربت كأسًا أخرى من النبيذ، ربما في النهاية سيكون كل شيء على ما يرام، ربما عندما تُنهي تصوير مسلسل "نكتورن" تلتقي "يرجي" مرة أخرى، ربما في وقت ما بعد بضع سنوات، عندما يكبر طفله، وينفصل عن زوجته، ويجتمعان معًا. وإذا ما كان هذا الذي بينهما حبًّا حقيقيًّا، فسيجتمعان معًا مرة أخرى. تأثرت "هانا" تقريبًا حتى البكاء، وأغلقت هاتفها، وخلال ذلك كتبت إليها والدتها بريدًا إلكترونيًّا طويلًا، الذي بالتأكيد لن تقرأه اليوم. ومع الجرعة الثالثة قالت "هانا" لـ"لينكا" التي جاءت تسألها إنْ كانت مستعدة؟ إن هذه هي كأسها الثانية. ومع هذه الجرعة الثالثة المضاعفة عادت "هانا" إلى فكرتها الأصلية أنه ربما يكون من الأفضل أن تترك "يرجي" لعائلته الرائعة هناك، فلديها "فيكي"، وسوف تُعيده إلى المنزل بعد مسلسل "نوكتورن"، سيكون كل شيء رائعًا، سيكون لديها الكثير من المال، وسيرى الجميع كم هي جيدة، عليها فقط أن تتجاوز هذه الفترة العصيبة الآن، فهي ليست سَنة، بل بضعة أشهر وبعد الصيف ستقرر ماذا ستفعل، ربما ستنقل "فيكي" إلى مدرسة أفضل، وربما سيكون بإمكانها تحمُّل تكاليف مدرسة خاصة، وهي الآن ستشتري سيارة، ولن تحتاج إلى أحد.

بعد العرض وجدت "يرجي" جالسًا عند البار. لقد بدأت "هانا" تعاني بالفعل الصداع بسبب النبيذ، والآن تسارَعت دقات قلبها. لا، لا تريد التعامل مع الأمر الآن، لا تريد أن تفكر في كل هذا الهراء عن رؤيتهما لهذا الأمر، وفي طفلته "إيمي"، وفي أن كل ما حدث كان خطأ. فضَّلت لو أنها تستطيع تجنُّبَه، لكن "يرجي" رآها بالفعل، فابتسم لها، ونهض، وعندما وصلت "هانا" إلى الطاولة، عانقها.

– لقد مررتُ بيوم مجنون، ولم أتمكن حتى من الرد عليكِ. اشتقت إليك بشدة.

– هل نذهب إلى منزلي أم نأخذ كأسًا من النبيذ؟

قالت "هانا" ذلك بعد أن ظلت تُعانقه لحظات، وتشم قميصه، وتشعر أن ما بينهما هو حب حقيقي. ولا يمكن فِعل أي شيء حيال ذلك.



في رحلةٍ ومعي جدتي

في المدرسة أخذنا نصنع زينة عيد الميلاد، وأنا لا أجيد ذلك، لذا لم يكن هذا مسلِّيًا لي. ثم جاءت جدتي لتأخذني من المدرسة، وسألتني -كعادتها- كيف كان يومي في المدرسة فقلتُ: "لا جديد". عُدنا إلى المنزل، وأخذنا نخبز الكعك، لكن جدتي بدت لي غاضبة وغريبة، وعندما حرقت دفعة من كرات الجوز، أخذت تسب سبابًا رهيبًا، بل في النهاية ألقت بالصينية، وقالت إنها لم تعد تحتمل، وغادرت. شغَّلت التليفزيون، ولعبتُ على هاتفي المحمول، وعندما غابت لفترة طويلة، ذهبتُ إلى غرفتي للعب على الكمبيوتر.

علي العشاء دهنت لي الخبز بالزبد ووضعت عليه قطعة من اللانشون، وحتى لم تنظر إليَّ لترى هل انتهيت منه أم لا، أو لترى هل نظَّفتُ طبقي، ووضعته في غسالة الأطباق. لكني نظَّفتُه ووضعتُه في غسالة الأطباق، لأنني اعتدتُ ذلك.

وفي اليوم التالي أخذتني من المدرسة، لكننا لم نعُد إلى المنزل، فقد انعطفت على الطريق السريع.

- أين سنذهب؟

- إلى براج.

قالت هذا كأنه أمر طبيعي، فأردتُ أن أسألها: ماذا سنفعل هناك؟ ومتى سنعود؟ وقد جاء ببالي أنها ستعيدني إلى أمي، لكنني أعلم أن هذا ليس صحيحًا، فماذا عن المدرسة؟ لذا ربما سنتسوق بعض الأشياء، فقد قالت جدتي أمس إنه يتعين علينا شراء شجرة عيد الميلاد، لأن ما يبيعه هذا الرجل الموجود في الساحة هو مقشات فقط.

لكن عندما وصلنا إلى براج، توقفت جدتي في محطة الوقود، وطلبت مني أن أُدخِل موقع شقتنا على جهاز الـ"جي بي إس". فعلتُ ذلك وأنا أتساءل لماذا نذهب إلى منزلنا، ولكني لا أزال باستمرار أفكر في أنها ستعيدني إلى أمي، وربما هذا ممكن لأنه لم يتبقَّ على انتهاء المدرسة سوى أسبوع واحد فقط، منه يوم ترفيهي، لذا يمكنها أن تعتذر عن غيابي، وتخيلتُ كيف أنني سأكون في براج طوال أيام الاحتفالات بعيد الميلاد وكيف يمكنني الخروج مع أصدقائي، ولكن بعد ذلك أدركت أن جهاز الكمبيوتر الخاص بي لم يعد في براج، فماذا سأفعل هنا، فهذه ليست مكافأة.

لذلك اعتقدتُ أنني ربما فعلتُ شيئًا ما، لكن لم يأتِ شيء ببالي.

استمرت جدتي في إعطائي ذلك الوجه الذي فضلتُ معه ألا أسأل.

أوقفنا السيارة بعيدًا جدًّا عن المنزل؛ لأن جدتي تُصر على ركن السيارة في المكان المخصص لذلك، ولن تركنها في الأماكن المخصصة للركن لحظات قليلة، وهذا يعني أننا سنتأخر هنا. فعندما كانت أمي تحتاج إلى إيقاف السيارات التي تستعيرها فقط لفترة قصيرة، فكانت تتركها أمام المنزل وتقول: "من فضلك، لحظات فقط"، ولم تُغرَّم قط. حدث هذا مرة واحدة فقط، وعندما بدؤوا بسحب السيارة، كنا نغادر المنزل للتو، فهُرعت أمي إلى رجال الشرطة، وبدأت تُمثل عليهم، وتقول كيف أنها في ظروف صعبة، حتى أنها اختلقت لهم قصة بأنني أعاني التهاب الزائدة الدودية، وأنها فقط جاءت لتأخذني وتذهب بي إلى المستشفى، واضطررت أنا إلى التظاهر بأني أعاني مغصًا في بطني، ولم يكن صعبًا التظاهر بأنني أعاني ألمًا ما، لأنني كنت بالفعل أتألم بشدة بسبب ما كانت أمي تختلقه من أكاذيب، على الرغم من أنه بالتأكيد من الرائع الكذب على رجال الشرطة. ولكن في هذا الموقف شعرت بمعاناة شديدة، فمن المحتمل أن يعرفوا أننا نكذب، ومن ثم، يأخذوننا إلى المخفر؛ لأن الكذب على رجال الشرطة هو جريمة بالتأكيد. حسنًا، لكن رجال الشرطة فكُّوا

سيارتها من ونش الجر، وسمحوا لنا بالذهاب مجانًا دون أن ندفع شيئًا، واحتفالًا بذلك اشترينا الآيس كريم؛ لأننا كنا في فصل الصيف.

سِرنا إلى منزلنا عبر شوارعنا، وقد بدا لي كل شيء غريبًا، لأنني لم أكن هنا منذ فترة طويلة، والمنظر هنا قبيح حقًّا، ففي الشارع توجد بقايا الثلج وقد صارت رمادية، كما أن السماء رمادية بالكامل، بينما جدتي تبحث عن مفتاح شقتنا في حقيبتها.

لكنها دقت الجرس أولًا.

لم أقل لها أن أمي لا تكون في المنزل كثيرًا خلال النهار، ولكن من الممكن أيضًا أنه بعد أن أصبحتُ أنا بعيدًا عن المنزل، فهي تكون هنا كثيرًا، ما دام لم يعد يوجد مَنْ يزعجها.

لكن لم يفتح أحد الباب، ففتحت جدتي بمفتاحها الخاص. دخلتُ إلى شقتنا، التي كانت رائحتها مختلفة قليلًا عما كانت عليه عندما كنت أعيش هنا، أو ربما نسيتُ ذلك بالفعل.

دخلنا إلى المطبخ، كانت هناك منفضة سجائر ممتلئة وكأسان لشرب النبيذ على الطاولة، وهناك أيضًا شمعة مشتعلة، التي قامت أطفأتها جدتي على الفور.

- هل تريدان أن تحرقا أنفسكما؟

وجهت كلامها إليَّ، كأني أنا من أشعلتُ الشمعة، أو كأني أعيش هنا أصلًا.

فسألتها:

- ماذا نفعل هنا؟

- ننتظر أمكَ.

ثم بدأت تُنظِّف المكان، وذهبت أنا لتفقد غرفتي، التي لا تزال تبدو تمامًا كما تركتُها؛ لذلك استلقيت على السرير، وأرسلت رسالة نصية إلى "أوندرا"، وسألته: هل يريد الخروج لبعض الوقت ما دمت أنا هنا؟ رأيتُ أنه متصل بالإنترنت، ولكنه لا يرد، لكن هذا يحدث معه كثيرًا، لأنه على سبيل المثال لا ينظر في هاتفه المحمول.

لذلك أتصلُ به:

- أنا في براج، ألا تريد أن نخرج معًا؟

- لا أستطيع، فأنا مريض، لكن يمكننا اللعب عبر الإنترنت.

- لا أستطيع فجهاز كمبيوتر ليس معي هنا.

فقلنا وداعًا وأغلقنا.

بعد فترة قرأت في البداية بعض القصص المُصوَّرة القديمة التي تركتها هنا، ثم شعرت بالملل، فذهبت لأرى ما تفعله جدتي، وكنتُ جائعًا أيضًا لأننا تناولنا على الغذاء حساء الطماطم، وقد كان مقززًا للغاية. كانت جدتي تغسل الثلاجة، فاستطعت على الأقل أن أرى أنه لا يوجد بها شيء طبيعي يُمكن تناوله، فقط تفاحة، وهي باردة للغاية.

- ماذا يجب أن أفعل هنا؟

قالت جدتي مقترحة:

- الواجبات المدرسية، أم أنه ليس لديك؟

- نعم، لديَّ واجبات اللغة التشيكية والعلوم، لكن حقيبتي في السيارة. يمكنني أن أذهب لإحضارها.

قالت جدتي:

- من الأفضل ألَّا تذهب.

قالت ذلك بنغمة تعني كأن المشي في الشارع موت مُحقَّق.

شربت وعدتُ إلى غرفتي، لكن عندما مررتُ بجوار غرفة النوم، فتحتُ الباب فجأة، فرأيتُ أمي. فزعتُ وصرخت، وفزعت هي أيضًا، فخرجت جدتي من المطبخ، بينما أمي تنظر إلينا ولا تفهم شيئًا على الإطلاق. عانقتني وضمَّتني إليها بقوة ثم تركتني على الفور.

- ماذا تفعلان هنا؟

– هل كنتِ نائمة؟ إنها الرابعة عصرًا، وقد قرعت الجرس. أريد التحدث إليك.

رأيتُ كيف تنظر أمي إلى جدتي، أعرف تلك النظرة، ثم بدأت بالصراخ، بدآ بالشجار مرة أخرى. لكن أمي فاجأتني عندما قالت فقط بنبرة غريبة:

– انتظري، هذا لا يصح.

كأن شيئًا ما قد حدث، لكني لا أفهمه.



يتضح لـ"إيفا" من تعبيرات وجهها، أنه موجود لديها هنا، وأن "يرجي سيدل" في غرفة نومها. يا إلهي! ماذا تفعل هنا؟ ما الذي تظن أنه يُمكنها أن تثبته هنا؟ لقد قادت سيارتها لساعتين، على الرغم من أنه كان من المفترض أن تكون في منزلها لتستعد لعيد الميلاد. أنتِ لستِ جادة في هذا، أليس كذلك؟ زفرت بهدوء، فماذا عن "فيكي" الآن؟ في حال ما إذا كان هناك رجل عارٍ خلف الباب:

– إن ابنكِ هنا، ألا تهتمين بذلك؟

– أنتِ من جئتِ به إلى هنا، أليس كذلك؟ ليس من المفترض أن يكون أحد هنا، فماذا تريدين الآن؟

عندما قالت "هانا" ذلك، تملك "إيفا" الغضب، وتوقفت عن التفكير في "فيكتور"، فـ"هانا" تُضاجِع هنا رجلًا متزوجًا، رجلًا لديه عائلة، ما هذا بحق الجحيم؟ وتوجهت "إيفا" إلى غرفة النوم، ستقول هذا لـ"يرجي" مباشرة، فلا داعي لتضييع الوقت. اعترضت "هانكا" طريقها، لكنها كانت قد أمسكت بالفعل بمقبض الباب، فأخذتا تتجاذبان لحظات، ثم تراجعت "هانا"، فاندفعت "إيفا" إلى غرفة النوم. كانت فارغة. التفت إلى "هانكا"، وقالت:

– ماذا يعني ذلك؟

– قولي لي أنتِ، لماذا تتصرفين هكذا؟ فأنا شخص بالغ وهذه هي حياتي، هل تعتقدين أنه من حقك الدخول إلى شقتي، وفِعل ذلك؟

- أنا أمُّك وأريد لك الخير.

- لكنك تفعلين ذلك بحماقة.

في تلك اللحظة فقط تحرك "فيكتور"، كان على هذا الطفل المسكين أن يرى كل هذا. خجلت "إيفا" من نفسها، لم تستطع التحكم في أعصابها، كان يجب أن تتركه في المنزل، لكنها لا تستطيع أن تتركه في المنزل بمفرده، خاصة الآن وهي تثير المشكلات واحدة تلو الأخرى، إنه خطأ "هانا" على أي حال. وعندما يرى هذا الطفل ذلك، فماذا سيصبح عندما يكبر؟ ذهبت إلى حقيبتها، وأخرجت مفاتيح سيارتها، وأعطتها "فيكتور" إياها:

- اذهب إلى السيارة، وأحضر الحقيبة.



شعرت بالسعادة لأني سأخرج، ولو لهذا الغرض الغبي فقط، لذا أخذت المفاتيح وذهبتُ لارتداء حذائي.

قالت أمي:

- لا يا "فيكي"، انتظر، سأرتدي ملابسي وأذهب معك أيضًا. هل أكلت شيئًا؟ هل نذهب إلى محل بيع الوجبات الخفيفة؟

إنها أجمل جملة سمعتها في هذا اليوم، سأختار هناك البسكويت وعصير التفاح، وربما سندوتش لانشون.

أرادت أمي أن تتسلل بجوار جدتي إلى غرفة نومها حيث توجد ملابسها، لكن جدتي أمسكت بذراعها.

- لن تذهبي إلى أي مكان. لقد جئتُ للتحدث معك على نحو طبيعي. لقد أرسلتُ إليكِ رسالة بالبريد الإلكتروني، ألم تقرئيها؟

- لم أقرأها ولن أقرأها. فإذا كنتِ تريدين التحدث معي على نحو طبيعي، ما كنتِ تسللتِ إلى شقتي وصرختِ في وجهي، وأيضًا في وجود "فيكتور".

فجأة تلوِّح إليَّ.

– ماذا تعتقدين أنكِ ستفعلين؟ إن "يرجي" جارنا، ونحن نعيش هناك.

– أمي، توقفي عن ذلك، توقفي فورًا، اهدئي ويمكننا أن نذهب لشرب القهوة، لكنني لن أتحدث معكِ في شيء من هذا. وإذا قُلت كلمة واحدة عن أني لا أهتم بـ"فيكتور"، فأنا أقول لكِ الآن وهنا إنه إذا قلتِ ذلك، فستكون هذه هي المرة الأخيرة التي سترينه فيها.

ألتفتُ إليهما، وتساءلت في نفسي: "هل يعني هذا أنه يمكنني العودة إلى هنا مرة أخرى؟" لكني بقيتُ صامتًا، فلا فائدة من ذلك الآن، فأنا أرى مدى غضبهما.

– من فضلك، دع عنكِ هذا الكلام الكبير، أودُّ أن أرى كيف ستحلِّين هذه المشكلة. فهل بدلًا من أن تكوني سعيدة، بما فعلتُه من أجلك، وما أفعلُه، تُهدِّدينني؟

– أمي، كلمة أخرى وسينتهي كل شيء، وأنت تعلمين أني سأفعل ذلك.

– أتعتقدين أن "فيكي" لا يرى مدى أنانيتك؟ وكيف تعاملينه؟ ربما هو نفسه لا يريد أن يكون معك بعد الآن، أنت تؤذينه ولا تبالين، لقد وجد أخيرًا عندي المنزل الحقيقي، وربما لا يريد العودة إلى هنا.

– تعتقدين أنه في وضع أفضل معك، هل أنتِ واثقة بذلك؟

– نعم، ربما نعم.

نظرت كلتاهما إليَّ.

لكني لا أستطيع أن أقول أي شيء، فلا أستطع أن أخون أمي، أعلم أنني قلت إنني أريدها أن تذهب بعيدًا وتتركني وشأني، وربما في الواقع لا أمانع في العيش بعيدًا عنها، لكني لن أصرح لها بذلك أبدًا، وخاصة وأنا أراها تنظر إليّ هكذا، كما أني أيضًا أودُّ العودة إلى براج على أي حال. لذلك من المفترض أن أقول إنني أُفضِّل أن أكون معها، ولكن مرة أخرى لا أريد أن أقول ذلك أمام جدتي؛ لأني أعتقد أنني أحبها أيضًا.

قُلت بعد لحظات:

- أنا جائع حقًّا.

فارتدت أمي، التي كانت نائمة فقط بقميص وسروال داخلي، سروالًا طويلًا خفيفًا، ومرت بجوار جدتي، وذهبت لترتدي معطفها.

- هل ستأتين معنا؟

لكن جدتي ظلت صامتة، وتنظر إلينا بشفتين مضمومتين. أما نحن فارتدينا ملابسنا وأحذيتنا في صمت وغادرنا الشقة. نظرتُ إلى جدتي، فبدت عجوزًا وصغيرة الجسم، رغم أنها ليست أصغر جسمًا كثيرًا من أمي.

في تلك الأثناء بدأت السماء تمطر في الخارج، فأمسكت أمي بيدي. تركتها تفعل ذلك.

في متجر بيع الوجبات الخفيفة تناولت سندوتشًا باللانشون، وثلاث قطع من رقائق الشوكولاتة، ومشروب الشوكولاتة الساخن لأنني أحبه عكس الكاكاو، وشربت أمي القهوة فقط، ثم وقفت خارج المتجر تتحدث في الهاتف وتدخن. وبعد أن أكلت، بدأت أشعر برغبة في النوم، لذا جلست على هذا الكرسي المرتفع، ووضعت رأسي على يدي، وفكرت في النوم قليلًا، لكن أمي عادت، كانت مبللة وباردة وقالت:

- هيا، دعنا نذهب.

فسألتها:

- هل سأبقى في براج؟

فقالت:

- يا قطي، أنا أمثل، وجدتك تنتظرك، ولديك مدرسة غدًا.

- بالتأكيد. يوم عادي.

عندما وصلنا إلى المنزل، كانت جدتي تجلس إلى طاولة مطبخنا وترتدي ملابسها وحذاءها، لذا سنذهب مباشرة. لم تنطق هي ولا أمي بكلمة واحدة، ولا حتى وداعًا أو مرحبًا. عانقتني أمي وقبلتني كثيرًا حتى شعرت بالانزعاج، لكن

رائحتها جميلة، وما زلت أحبها. أردتُ أن أقول لها إني أريد العودة إليها، فربما هذا ممكن، ولكني لا أستطيع أن أقول ذلك في وجود جدتي.

في طريقة العودة أرسلتُ رسالة نصية إلى أمي بأني أرغب في العودة على أي حال.

أرسلت إليَّ قلبًا.

وكتبت: "لا تقلق يا قطي، سأراكَ في عطلة نهاية الأسبوع".

نمتُ.



ماذا ستفعل "إيفا"

بدأت الثلوج تتساقط على الطريق، و"إيفا" مرهقة حقًّا، وتشعر بأنها تقود السيارة بطريقةٍ سيئة، ومعها طفل. توقفت في الاستراحة، كان "فيكي" يتململ فقط ومستمر في النوم. خرجت من السيارة، فالبرد سيجعلها تستفيق. شعرت لحظاتٍ بالكراهية تجاه زوجها الراحل "يندرشيخ"، الذي تركها وسط كل هذا، والآن يتعين عليها القيادة حتى في الليل، على الرغم من أنها لا ترى جيدًا، فلماذا لم يخبرها "يندرشيخ" في وقت سابق أنه يعاني المرض، فقد كان بإمكانهما حل هذه المشكلة، لكنه ظل صامتًا كما هو الحال دائمًا، وهي الآن وحيدة في كل شيء. لقد كان "يندرشيخ" دائمًا يدلل "هانا"، وكان صارمًا مع "أداميك"، ومع ذلك فـ"أداميك" يعيش الآن كشخص محترم، لكن الأمور سارت سيرًا سيئًا مع "هانا"، ثم مات وعلى "إيفا" الآن التعامل مع هذا الأمر.

هي تحاول أن يحظى الجميع بعيد ميلاد سعيد، وخاصة "فيكي"، فهو لا يزال صغيرًا، حتى لو كان مشاكسًا، ولكن الطفل يجب أن يحظى بعيد ميلاد سعيد مع جميع أفراد الأسرة، خاصة إذا لم يكن لديه أب، والآن ليس لديه جد أيضًا، لكن عندما تتخيل "إيفا" كيف سيبدو الأمر، فإنها تريد أن تبكي. فهي دائمًا تتبادل

الزيارات مع "ليدا" في يوم الثالث والعشرين من ديسمبر للتهنئة بالعيد، فهما جيران على كل حال، ويتبادلان طبقًا صغيرًا من الحلوى، كهدية رمزية. فهل ستأتي "ليدا" ومعها طفلتها "إيمتشكا" إلى منزلها؟ وهل سيأتي أيضًا "يرجي" معهما، ويتظاهر بأن شيئًا لم يحدث؟ هل ستختبئ "هانا" في غرفتها، أم أنها ستمثل بأن كل شيء على ما يرام؟ أم من الأفضل أن تذهب "إيفا" إليهم، وتدعو نفسها لتناول القهوة عندهم، واللعب مع "إيمي" والتظاهر بأنها لا تعرف شيئًا؟

كيف يمكن لـ"إيفا" أن تنظر في عيني "ليدا" بعد هذا؟ وكيف لا تفهم "هانا" ذلك؟ كيف يمكن أن يكونوا قد ربَّوها على عدم الاهتمام بالآخرين؟ كيف يمكن لأحد أن يدمِّر عائلة شخص ما، وماذا عن "إيمتشكا" الصغيرة المسكينة؟ يا الله! نحن الآن في عيد الميلاد.

ولكن، كما تأمل "إيفا"، ربما تكون "هانا" تستمتع بذلك كثيرًا، وقد فعلت ذلك بحثًا عن الهدوء النفسي، لذا حسنًا، لنفترض أن لديها علاقة مع رجل متزوج، لكن على الأرجح أن هذا الرجل لا يفكر في ترك طفلته الصغيرة، لا، فـ"يرجي" رجل طيب، ربما ارتكب خطأً، زلة واحدة، وانزلقت "هانا" في ذلك، فهي عاطفية بإفراط، ممثلة، تبالغ دائمًا في ردة فعلها، ولا تنظر أبدًا إلى عواقب أفعالها، ولا يمكنها النظر إلى المشكلات بعقلانية وموضوعية، وهذا يتوافق أيضًا مع عدم رغبتها في التحدث معها حول هذا الموضوع بطريقةٍ طبيعية.

لا يمكن فعل أي شيء، ركبت "إيفا" السيارة، وسيتعين عليها التحدث إلى "يرجي". بالطبع هي تدرك أن فِعل ذلك سيجعل "هانا" تستشيط غضبًا، لكن في بعض الأحيان لا يوجد شيء آخر لتفعله، وفي النهاية ستشكرها "هانا" على ذلك. "لا، لن تشكرني، لكن ينبغي لها أن تفعل. لأن هذا غباء بلا حدود".

أدارت المحرك وقد امتلأت بطاقة جديدة. استيقظ "فيكي"، وهو مرتبك قليلًا.

– أكمِل نومك.

لكن "فيكي" لم يعد يرغب في النوم، فجلس وأخذ ينظر من النافذة. حاولت "إيفا" التحدث معه عن الأشياء المعتادة، فلم يكن عليها أن تأخذه معها، كان يجب أن تتركه مع شخص ما، لكن من الواضح أن الجارة الوحيدة التي كان من الممكن أن تتركه عندها هي "ليدا". وهذا أمر سخيف.

وعدت "فيكي" بأنها ستصنع له ما يريده على العشاء، على الرغم من أنها تعلم أنه سيريد البيتزا، لكن نعم، ستصنع له البيتزا أيضًا، وستصنع كعكة عيد الميلاد في وقت متأخر من الليل وتخبزها في الصباح.

قال "فيكي":

– لكني لست جائعًا، وربما لن أتناول العشاء.

– حسنًا، يمكنك الذهاب للعب على الكمبيوتر، وسأحضر لك على الأقل بعض التوست، ويمكنك تناوله عندك في الطابق العلوي.

فاجأني هذا، فالطعام ممنوع في الطابق العلوي، ربما لا يهم لمرة واحدة، ولكن على نحو أساسي لأن "إيفا" تريد الذهاب إلى "يرجي" على الفور، وستقول له إنها تحتاج إلى فعلِ شيءٍ ما في جهاز كمبيوتر أو في الإنترنت، لا يهم، المهم أنها ستفكر في شيء ما يجعله يذهب معها إلى الخارج، وهناك ستتحدث معه.

ولكن عندما مرت بمنزلهم لم ترَ سيارة "يرجي" واقفة هناك. هذا يعني أنه في براج وبالتأكيد مع "هانا".

شعرت مرة أخرى بأنها فقدت كل طاقتها، ركنت السيارة، وصنعت التوست لـ"فيكي"، وحملته إليه إلى الطابق العلوي، وسمحت له باللعب حتى التاسعة. نظر إليها مندهشًا، فهل يمكنه اللعب حتى التاسعة في عشية يوم دراسي؟

– على أي حال، لديك المزيد من وقت الفراغ في المدرسة الآن، قبل العطلة، أليس كذلك؟ أم أن لديكم امتحانات تحريرية؟

هز رأسه نافيًا، وقال:

- شكرًا يا جدتي.

وابتسم لها.

هذه الابتسامة تستحق كل هذا العناء، ابتسمت له أيضًا ثم تذكرت أنه لم يُؤدِّ واجباته المنزلية، لكن هذا خطؤها، فهي من جرته معها إلى براج، لكن وربما بسبب تلك الابتسامة نزلت إلى الطابق السفلي، وبحثت في حقيبته عن دفاتر الواجبات المنزلية الخاصة باللغة التشيكية، وبالعلوم، وقررت أن تؤدي نيابة عنه هذه الواجبات.

في أثناء ملء الحروف الناقصة المرققة والمفخمة i/y في الإملاء، ثم التعرف على الأجزاء المختلفة لأجسام القشريات، يا لها من أشياء غبية! ماذا يدرسون؟ فكرت فيما ستقوله لـ"يرجي"، وكذلك فكرت لحظات في إمكان أن تتحدث مع "ليدا"، ولكنها بعد ذلك استبعدت هذه الفكرة، فـ"ليدا" لا يجب أن تعرف شيئًا أبدًا. وبدلًا من ذلك عليها أن تجد حجة مناسبة لتجعل "يرجي" يأتي إلى منزلهم.

ثم بدأت في صنع كعكة عيد الميلاد. اللعنة! لم تنجح في صنعها على الإطلاق، ربما يكون الدقيق سيئًا أو شيء من هذا القبيل، فأضافت الدقيق، وفقط عندما كادت العجينة تكون جاهزة، ويداها تؤلمانها من عجنها، كان بوسعها استخدام العجانة الكهربائية، لكن لا أحد يفعل ذلك في عيد الميلاد، وبعد أن وضعت العجين بالفعل في وعاء مغطى بمنشفة بالقرب من المدفأة، وبعد أن استحم "فيكي" ونام بالفعل، تذكرت أن السبب هو أنها نسيت أن تضع الزبد.

تملَّكها سُخط شديد على "هانا". ألا تستطيع حتى في هذه الأيام أن تنعم بالقليل من الهدوء؟ اللعنة! لقد فقدت أخيرًا زوجها، وكان على ابنيها ألا يُرهقاها ويعتنيا بها، وبدلًا من ذلك تتصرف "هانا" بهذه الطريقة.

لذا تركتها تصنع كعكة عيد الميلاد الغبية هذه بنفسها.



ما إن استيقظتُ في الصباح شممتُ رائحة جميلة تُعبئ المنزل بأكمله. نهضتُ، فوجدتُ جدتي تخبز كعكة عيد الميلاد. كنتُ أعتقد أن كعكة عيد الميلاد تُخبز في النهاية قبل عيد الميلاد، لكن جدتي أوضحت لي أن هذه الكعكة للاختبار فقط، وسنتناولها على الإفطار هنا الآن، ولكنها بالطبع ستخبز كعكًا آخر، ومن المفترض أيضًا أنها ستصنع بعض الكعك بالطلب، ولكن عشية عيد الميلاد مباشرة.

قالت أيضًا إنها مستيقظة منذ الثالثة صباحًا.

هناك قطعة ضخمة من العجين في سلة المهملات وقد خمرت وارتفعت. صوَّرتها فهي تبدو مضحكة حقًّا، لكن جدتي طلبت مني أن أذهب وأرتدي ملابسي؛ لأننا سنذهب إلى المدرسة، ثم ضغطت على العجينة، وألقت عليها المزيد من القمامة وحزمتها.

فقط في المدرسة عندما جاؤوا للتحقق من كتابة الواجبات المدرسية، وأنا أعلم أنني لم أكتبها أمس، لكني رأيتُ أنها قد كُتبت بالفعل في دفتر الواجب. كانت مكتوبة بطريقة معينة، كأني أنا من كتبتُها، ولكن بطريقةٍ غريبة، وأنا لم أكتبها.

في فترة ما بعد الظهر، أخذتُ أنا وجدتي نجرف الثلج، وصنعت قبوًا، وساعدتني جدتي في ذلك، ولكن بعدها مَرَّ أحد الجيران في سيارته الفارهة، فأرسلتني جدتي إلى الداخل، وذهبت وحدها إلى مكان ما.

لذا عدتُ إلى المنزل، وغيَّرت ملابسي، وشغَّلت التليفزيون، ثم جاءت جدتي مع جارنا، الذي ركَّب جهاز الكمبيوتر الخاص بي في البداية، لم أستطع أن أصدق ذلك، لقد أحضرتْهُ جدتي من أجل الإنترنت، فسوف يوصِّله لي، وسأتمكن أخيرًا من اللعب عبر الإنترنت ومشاهدة اليوتيوب بوضوح. قفزت بحماسةٍ وأغلقت التلفزيون، لكن جدتي طلبت مني أن أصعد إلى الطابق العلوي للعب على الكمبيوتر، حيث يتعين عليهما مناقشة أمر ما هنا.



لو فكرت "هانا" أكثر، لكان قد جاء ببالها أن والدتها لن تترك الأمر هكذا، وأنها ستحاول التحدث إلى "يرجي"، لكنها لم تفكر في الأمر، ولم تحذره. لذلك ما إن ظهر في "ريبني"، انقضت والدتها عليه، وأخذته إلى بيتها على نحو غريب تحت ذريعة غبية، وهناك صبَّت جام غضبها عليه. بعد ذلك كتب إليها "يرجي" أن الأمر كان مرهقًا، وأضاف صورة مبتسمة، "أراكِ غدًا في براج، سأذهب للعب مع إيمي". وفي اليوم التالي كان لديها اجتماع مع "بيتر"، الذي دعاها إلى صالة الألعاب الرياضية لتريه على أرض الواقع كيف أصبحت، ولكن كيف أصبحت؟ لقد استرخت قليلًا في هذه الفترة، لكنها فقدت وزنها، لذا فهي تبدو أفضل، لكنها لم تتمكن من أداء تمرين الضغط على العارضة ولو مرة واحدة. أنزلها "بيتر" من فوق العارضة كأنها فتاة صغيرة، هل هي في حاجة إلى العمل مع شخص كهذا؟ من المؤكد أنها طلبت منه أن يستبدلها، وأن يذهب بهذا إلى الجحيم، لكنه قال لها إنها قد وقَّعت على العقد، وأنها ستدفع شرطًا جزائيًّا، ولكن ربما من الأفضل النظر إلى المشروع بأكمله. لقد قدم لها فرصة عمرها، وهي غير قادرة حتى على الاستعداد لهذا الدور. ماذا يجب أن تقول له، هل تقول له إنني وقعت في الحب بجنون، وإن الأمر صعب بعض الشيء الآن؟ قالت إنه لا يزال هناك ثلاثة أسابيع متبقية على بدء التصوير، وأنها ستكدُّ بلا توقف طوال عطلة عيد الميلاد. ضحك: بيتر" قائلًا:

– بالطبع إن الجميع يكدون كثيرًا خلال الأعياد.

ثم أشار بإصبعه إليها وأضاف:

– أريد أن أراكِ هنا في الثاني من يناير في الثامنة صباحًا بالضبط، وستؤدين تمرين الضغط على العارضة ثلاث مرات، أفيقي لنفسك، حتى لا أعتقد أن اختيارك لهذا الدور كان خطأً.

ثم هز رأسه وانصرف، أرادت أن تصرخ من خلفه بشيء ما، لكنها تراجعت وهدأت، بالطبع هو على حق، لكن هل عليه أن يتصرف هكذا كالمعتوه؟ إنها ستنجح في ذلك، ولكن ليس عليه أن يُظهِر لها باستمرار أنه يقدم لها معروفًا، بل عليه أن يكون سعيدًا بوجودها معه.

وبهذا الشعور بقيت في صالة الألعاب الرياضية تمارس التمارين، ثم استحمت، وذهبت إلى المسرح. كان "يرجي" يجلس هناك بعد العرض، لم تكن تتوقع هذا. لقد كتب إليها أن كل شيء على ما يُرام، ولكن عندما رأت وجهه، عرفت بالفعل ماذا سيقول لها.

شعرت بتقلص شديد في أحشائها.

– هذا بسبب ما قالته لك أمي، أليس كذلك؟

– لا، ليس كذلك. والدتك كانت لطيفة.

– أشك في ذلك.

بقي كلاهما صامتًا لحظات.

– إن هذا... لا أريد أن تكتشف "ليدا" ذلك. هذا كل شيء. إن ما يُهمني هو "ليدا"، وليست هي. لقد كنتِ تعرفين ذلك طوال الوقت يا "هانا"، لكن لا أحد منا صرح بهذا بصوت عالٍ.

رفعت كتفيها، وأومأت برأسها، وربما أرادت أن تبكي، ولكن ليس أمامه.

– لقد كان مؤكدًا على أي حال أننا سوف نُنهي هذا الأمر قبل عيد الميلاد.

بدا كأنها قد سببت له أذًى بطريقة ما.

– اجلسي، هل يمكننا شُرب القهوة على الأقل؟

بقيت واقفة، وهزت رأسها قائلة:

– لا، أعتقد أنه لا جدوى من ذلك. ربما ينبغي لك أن تذهب.

– يا "هانكا"، أنا أحبكِ حقًا، لكني لا أعرف ماذا أفعل.

فقالت له بقوة:

- توقف عن قول مثل هذه الأشياء، واذهب.

قالت لنفسها: "أنا ممثلة جيدة، يجب أن يراني "بيتر" الآن، فلا أثر للبكاء".

لكن "يرجي" لم ينهض، ونظر إليها نظرته غير المفهومة هذه، هذا ما ظنته "هانا" بطريقةٍ سيئة، لكن تلك النظرة لم تكن غير مفهومة، بل كانت تحمل كل ما بداخله من مشاعر. ضمت كتفيها وقالت:

- حسنًا، أنا ذاهبة إلى البار. وداعًا.

عندما قالت وداعًا بدأ صوتها يرتعش، ولكن على نحوٍ غير ملحوظ تقريبًا، فأمسك "يرجي" بيدها، لكنها ابتعدت عنه.

- إن كلينا يعرف ذلك. لذا، من فضلك اذهب.

ربما تكون قد بالغت في انفعالها، ثم أخذت تُفكر لبعض الوقت وهي جالسة عند البار، كيف كان يمكنها أن تقول ذلك بطريقةٍ أفضل، بالتأكيد لم يكن عليها أن تقول له: "من فضلك"، وعندما نظرت إلى الوراء بعد ذلك بفترة، كان "يرجي" قد غادر.

شربت كأسًا مزدوجة من النبيذ، وغدًا ستكون بخير، لقد حجزت تدريبًا، واليوم هو العرض الأخير قبل إجازة عيد الميلاد، والجميع سيبقى هناك، لذا فهي لن تعود إلى المنزل لتبكي.

في الصباح الباكر، وفي أثناء ممارسة الجنس مع "ت" في غرفة خلع الملابس، أحست بأنها ليست على ما يُرام، بعدها عادت إلى المنزل لتقضي بضعة أيام وحيدة في شقتها في براج، قضتها بين شرب النبيذ، والبحث عن آخر هدايا عيد الميلاد، وبين الجري، والتدريب بصالة الألعاب الرياضية. كانت تشرب النبيذ كل مساء. "يرجي" لم يتصل بها مرة أخرى، كما لم تحضر "هانا" احتفال مدرسة "فيكتور" بعيد الميلاد، وقد سافرت بسيارتها الجديدة للقائهم قبل

يومين فقط من ليلة عيد الميلاد، كان "فيكي" قد حصل على الإجازة بالفعل، وأمها تتصل بها نحو مائة مرة في اليوم.



أصبح لدى أمي سيارة جديدة وهي مضحكة بعض الشيء. كنتُ سعيدًا لوجودها هنا لأن الأمر أصبح لا يطاق مع جدتي، فهي تخبز دائمًا، والآن تخبز كعك عيد الميلاد وفطائر التفاح، ولذلك فهي عصبية جدًّا؛ لأنها تُريد إنجاز كل شيء في وقته، وفي كثير من الأحيان تُعاملني معاملةً سيئة جدًّا بسبب بعض الأشياء التافهة، أكثر من المعتاد. وعندما لم تأتِ أمي يوم الأحد ثم اتصل خالي ليخبرنا أنهم لن يستطيعوا الحضور لأن طفلتيه مريضتان أو شيء من هذا القبيل، أخبرتني جدتي أننا سنحتفل بيوم أحد عودة المسيح معًا، وذلك وفقًا لرغبتي أنا، لكني لم أكن أعرف ما هي رغبتي. لكن بعد ذلك تذكرت أن "برت" زميلي في الفصل قال إنه كان في الملاهي المائية، لذا قلتُ لجدتي إنه يمكننا الذهاب إلى الملاهي المائية، لكن جدتي قالت لا، لأنني مصاب بنزلة برد، وهي تكره المياه المعبأة بالكلور، فقلت لها لا يُهمني ذلك، فقالت إنه يمكننا الذهاب للتزلج على الجليد، وهو أمر جيد أيضًا، لكن زلاجاتي في براج.

في الملعب استعارت لي جدتي حذاءً للتزلج، كان ضيقًا على قدمي بعض الشيء، لكن بخلاف ذلك كان الأمر جيدًا، بعدها قالت جدتي إن علينا الانصراف، فلديها الكثير من العمل في المنزل، لذا عُدنا إلى المنزل.

في الطريق إلى القرية التقينا "فرانتا" و"مارتينا"، كانا ذاهبين إلى التل بزلاجاتهما، فقالت لي جدتي إنه يمكنني الذهاب معهما، وأنها ستسمح لي بالذهاب وحدي، لأنني في الآونة الأخيرة كنت أحاول حقًّا أن أتصرف بأدب. كما أنها رأت كيف أننا كنا في حفلة عيد الميلاد بالمدرسة نتحدث مع بعضنا بعضًا، لذا من المحتمل أننا بدأنا نصبح أصدقاء مرة أخرى.

لكن في الحفلة تحدثنا فقط عن بعض البرتقال الغبي الذي كان يرمز إلى شيء ما، لكن شخصًا ما أخفاه، فاعتقدا أنني أنا من فعلت ذلك. وقبل الحفل كان يوجد جميع الآباء والأمهات، ولكن جدتي فقط هي من كانت موجودة، لأن أمي مشغولة، لذلك قبل بداية الحفل أتت إليَّ والدة "فرانتا" و"كايا" وقالت لي إن الزيَّ الذي أرتديه رائع، وقد كان بالفعل كذلك، فهو من الفراء الحقيقي، فقد كنت أؤدي دور راعٍ مهم. حسنًا، كما قالت أمهما إنهم سيذهبون بعد الحفل إلى محل الحلوى، وسألوني: هل سأذهب أيضًا؟ لم أقل نعم أو لا، ربما كنتُ سأذهب، ولكن بعد ما حدث مع البرتقال، وعندما وصفت "فرانتا" بالمعتوه، وطلبتُ من "مارتينا" أن تتركني وشأني، صار واضحًا أنني لن أذهب معهما إلى محل الحلوى، ولن أذهب معهما أيضًا للتزلج.

لذا قلتُ لجدتي إنني لن أذهب للتزلج، وأنني أريد العودة إلى المنزل.

- إذًا بوسعك أن تنظِّف غرفتك قبل العيد، ما رأيك؟

لماذا يقول الكبار للأطفال: "ما رأيك"، إذا كانوا في الحقيقة لا يريدون معرفة رأيهم؟

لكنني أجبت بنعم، لأنه بعد فترة وجيزة سينتهي الاحتفال بعيد الميلاد، وبعدها سأحصل على الإنترنت الموعود، وكلما كنت مُطيعًا، كان أفضل.

عندما نزلنا من السيارة، مرت بجوارنا هذه الجارة مع طفلها الرضيع، ودعتنا إلى تناول الشاي أو القهوة أو الكاكاو، لكن جدتي قالت إنه ليس لدينا وقت، ولكنا بالتأكيد سنمرُّ عليها في وقت ما، لكن هذه السيدة أصرت على ذلك. لذا ذهبنا إليها، فسألتُ جدتي: هل عليَّ أن أذهب أيضًا؟ فقالت جدتي إنني لست مضطرًّا إلى الذهاب، لكن هذه السيدة قالت: نعم، لأن لديها هدية لي، شيء صغير، لذلك ذهبتُ.

كانت هذه الهدية بالطبع شيئًا غبيًّا تمامًا، فقط بعض الملصقات المضيئة، التي تُوضَع على الحائط، لو كانت حتى ملصقات حرب النجوم، لكانت مقبولة، لكنها ليست كذلك، إنها نجوم فحسب، فهل أنا طفل رضيع؟

لكن كان لديهم شيء مثير للاهتمام، قطة تسير خلفي باستمرار وتخرخر. فقالت الجارة يبدو أنها تحبني، ثم سألتنا: هل نريدها؟ وقبل أن أتمكن من قول أي شيء، قالت جدتي: يا إلهي! لن تدخل قطة إلى منزلنا أبدًا.

لم أعترض على ذلك، فعلى الرغم من أن القطة مضحكة جدًّا، فإن امتلاك قطة لا معنى له، الكلب أفضل.

ثم قالت السيدة "سيدلوفا":

- لقد انضمت إلينا في الخارج، أمس الأول، لكنها لا تستطيع البقاء هنا بسبب "لوبينيك".

وأشارت إلى كلبهم الصغير:

- إنه ينبح على القطة باستمرار.



- لكني لم أتمكن من أخذها إلى الملجأ قبل عيد الميلاد. إن "يرجي" غاضب جدًّا، ويودُّ طردها من المنزل، إنه متوتر إلى حد ما هذه الأيام، فلديه الكثير في العمل.

أضافت كما لو أن هذا له علاقة بالقطة. فقالت لها جدتي إن عليهم أن يذهبوا في إجازة معًا، لكني لم أفهم ذلك على الإطلاق، لذا توقفتُ عن الاستماع إليهما.

غادرت القطة الغرفة، ولم نتحدث عنها بعد الآن. على أي حال، فقد نهضت جدتي ما إن شربت الشاي، شربته في نحو خمس دقائق على ما أعتقد، وقالت إنه يتعين علينا حقًّا أن نذهب، ثم تحدثتا لبعض الوقت عن الحلوى وأشياء أخرى، بعدها عُدنا إلى المنزل، ثم ذهبنا إلى المقبرة، لقد حَلَّ الظلام بالفعل، هناك في المقبرة يوجد نحو ألف شمعة مضاءة، فشعرتُ فجأة أن هذا هو عيد الميلاد،

وسط وميض أضواء الشموع. لم أتكلم أنا ولا جدتي، لأن ذلك من شأنه أن يفسد كل شيء، إنه أجمل شيء رأيتُه في حياتي، على ما أعتقد. وبينما كنا نغادر، أمسكت جدتي بيدي، ولم أمانع حقًّا.

وبعد ذلك في وقت لاحق من المساء جاءت أمي في سيارتها الجديدة، لكنها لم تأخذني في جولة بها، قالت:

- غدًا يا "فيكي".

وذهبت لتستلقي في فراشها، ولم تتحدث إلينا على الإطلاق. لكن كان معها حقيبة كبيرة وضعتها على الفور في المخزن، إنها كبيرة حقًّا، لذا أعلم أن بها الهدايا، وقد أسعدني هذا.

"بادمي"[17]

في صباح اليوم السابق لعيد الميلاد، في نحو الساعة العاشرة صباحًا، وهذا بالنسبة لها ليس صباحًا؛ ففي تلك الأثناء كانت قد أعدَّت سمك الشبوط، وقطعت اللحم إلى شرائح، وأكملت طهو الحساء، حتى يتمكنوا من الذهاب معًا للمشي، رغم أن هذه قد تكون مشكلة، فيمكن أن يقابلوا "يرجي" وعائلته، لذا في النهاية قررت "إيفا" أن يذهبوا إلى الكنيسة لرؤية مغارة الميلاد، وفي الطريق يتوقفون عند أحد أماكن إطعام الحيوانات البرية، ويطعمان الحيوانات، ويتركان الجولة السنوية في الحي، على الرغم من أنها كانت تحب ذلك دائمًا.

(17) "بادمي أميدالا" هي شخصية خيالية في عالم حرب النجوم، وهي ملكة كوكب "نابو" وزوجة "أناكين سكاي ووكر".

ومع ذلك في الساعة العاشرة نزلت "هانا" على الدرج مرتدية بنطال الركض وسترة، كأن شيئًا لم يحدث، كما لو كان يومًا عاديًّا. إن "فيكي" هنا يشاهد التليفزيون منذ الصباح، يجب أن يخرجوا جميعًا معًا، كونهم أسرةَ. إنه يوم عشية عيد الميلاد.

– علينا أن نُزيِّن أنا و"فيكي" الشجرة.

– عندما آتي، حسنًا؟

ارتدت حذاءها. جاء صوت رسالة على هاتفها المحمول.

لكن "إيفا" سألت "هانا":

– هل أنتِ حقًّا ذاهبة للجري؟

سألتها رغم أنها تعلم أنهما لم يعودا يلتقيان بعد الآن، وهذا شيء منطقي، فـ"يرجي" رجل طيب، كانت تعلم ذلك، على الرغم من أن حديثها معه لم يكن شيئًا لطيفًا، بالطبع. منذ ذلك اليوم وسيارة "يرجي" هنا، وفي كل ليلة يعود من عمله إلى هنا مباشرة. وقد ظهر هذا على "هانا" أيضًا، فهي تبدو حزينة، ولا تأكل، ولا تهتم بأي شيء، وبدلاً من أن تساعدها في التجهيز لعيد الميلاد وفي التنظيف، فإنها فقط تستلقي في فراشها بالطابق العلوي، وتتظاهَر بأنها تحفظ دورًا ما. كما أن "إيفا" سمعتها أيضًا وهي تبكي، وقد أرادت الذهاب إليها وتهدئتها، لكنها تعلم أنها لن تستطيع، فـ"هانا" لن تسمح لها بذلك.

نظرت إليها "هانا" نظرة شَرٍّ وقالت:

– نعم، تخيلي أني سأذهب للجري. وأن شخصًا ما قد أرسل إليَّ الآن تهنئة بعيد الميلاد؟

– يومًا ما ستفهمين يا صغيرتي أنني فعلت ذلك من أجلك.

هزت رأسها وقالت:

– أنا شخص بالغ، وأستطيع أن أتولى شؤوني الخاصة بنفسي، وأنت قد بالغتِ كثيرًا في هذا الأمر.

- لكن هذا الأمر لم يكن من شأنك فقط، أنت فقط لا تفهمين.

- لذا على الأقل لا تتظاهري بأنك فعلتِ ذلك من أجلي، حسنًا؟

غادرت "هانا"، فأخذت "إيفا" تُراقِبُها من النافذة وهي تجري بعيدًا عن المنزل إلى الجانب الآخر، وليس في اتجاه الغابة، حتى لا تمر بجوار منزل عائلة "سيدل". ثم ذهبت لتعصر عصير البرتقال الطازج لأن به الكثير من الفيتامينات.



استيقظتُ في الصباح وأنا أتطلع إلى ذلك حقًّا، لأن اليوم هو أفضل يوم في السنة، بالطبع إلى جانب عيد ميلادي. عندما كنتُ في براج مع أمي في عيد الميلاد، كنت أذهب دائمًا لإيقاظها ثم نستلقي معًا في السرير، ونتحدث عن أكثر شيء نتمناهُ، وبعد ذلك نتناول على الإفطار فقط الكعك أو أي شيء أريده أنا. وخلال النهار نخرج فقط في نزهةٍ قصيرة، وهو أمر مملٌّ، لكني لم أقل كلمة واحدة، وربما حتى لم أمانع في ذلك. كانت كل النوافذ مضاءة ونحن نسير متشابكي الأيدي، على الرغم من أننا لا نفعل ذلك عادةً، ولكن يمكن أن يحدث هذا في ذلك اليوم.

في صباح هذا اليوم، ذهبت إلى أمي، لكنها تقريبًا لم تستيقظ، وطلبت مني أن أذهب إلى جدتي، وأنها ستأتي بعد قليل، لكنها جاءت بعدما انتهيتُ من مشاهدة فيلم كامل من حكايات عيد الميلاد الخرافية، ثم ذهبتْ على الفور للجري.

وهكذا ذهبتُ إلى جدتي، التي كانت قد أعدَّت كل شيء، وتمنت لي يومًا سعيدًا في عشية عيد الميلاد، وبدت مبتهجة بالعيد، وبعد ذلك كان باستطاعتي مشاهدة التليفزيون وتناول الإفطار في الوقت نفسه، وهو شيء استثنائي، نادرًا ما تسمح به جدتي، وأخذتْ هي تطبخ شيئًا ما.

عندما عادت أمي من الجري وتحمَّمت، زيَّنَّا شجرة عيد الميلاد، ومن ثم يتعين علينا تناول حساء السمك على الغداء، وأحسن ما في هذا الحساء هو قطع الخبز المقرمش التي تُوضَع به، لكن جدتي منعتني من تناولها وحدها.

أخذت أمي حفنة منها، كأنها تأخذها لنفسها، وأعطتني إياها.

ثم كان عليَّ أن أرتدي ملابسي، وكأني ذاهب إلى المدرسة، وذهبنا إلى الكنيسة لمشاهدة مجسم لمغارة الميلاد. كنتُ أتطلع إلى الذهاب بسيارة أمي الجديدة، لكننا ذهبنا كالعادة بسيارة جدتي.

كان الجو باردًا ومملًّا داخل الكنيسة، ولكن لحسن الحظ لم نبقَ هناك لفترة طويلة. ثم توقفنا في الطريق عند أحد الأماكن المخصصة لإطعام الحيوانات البرية، وقدمنا له الكستناء والتفاح والجزر.

هناك الكثير من آثار الحيوانات في الثلج حول مكان الإطعام، لذا صوَّرتُها حتى أتمكَّن من تحديد نوع هذه الحيوانات.

ثم أخيرًا يمكننا العودة إلى المنزل وأنا أتطلع إلى ذلك حقًّا، لأنه الآن يمكننا فقط مشاهدة التلفزيون، ثم تناول العشاء، وبعدها تُوزَّع الهدايا، ورغم أن أمي لا تزال غريبة الأطوار ولا تتحدث كثيرًا، فإني آمل أن تُسعدها هذه الهدايا. هديتي لها صورة رائعة، عبارة عن رسم كرتوني يصورها وهي تُمثل في أحد أفلام الأبطال الخارقين، وأيضًا قطعة صابون بجزيئات الذهب. أما بالنسبة لجدتي فقد اشتريتُ لها لوحة فنية وكتابًا عن الخبز، ما دامت هذه هي هوايتها المفضلة.

عندما وصلنا إلى المنزل، كان هناك العديد من الأشخاص يسيرون على طول الطريق، وقبل أن نفتح بوابة حديقتنا، كان الناس قريبين جدًّا منا، وأخذوا يُلوِّحون لنا. جيران مختلفون، ولكني لا أهتم بذلك، لكن جدتي قالت إن علينا أن نلقي عليهم التحية، ونتمنى لهم عيد ميلاد سعيدًا، لكن أمي قالت إنها ستعود إلى المنزل، ودخلت إلى الحديقة، فقالت لها جدتي: "دعي عنك ذلك، وتعالي لتلقي عليهم التحية"، لكن أمي حتى لم تلتفت، وذهبت إلى المنزل.

- هل يمكنني العودة إلى المنزل أيضًا؟

- لا.

قالت جدتي هذا بطريقة سيئة، ولا أعرف ما السبب.

ثم ذهبتْ إلى الطريق لتلقي التحية على الجميع، وكان عليَّ أن أذهب معها، على الرغم من أن هناك أيضًا "فرانتا" و"كايا" و"مارتينا"، وقد تظاهَرَ كلٌّ منا بأنه لا يرى الآخر، وكذلك عائلة "سيدل". ألقت على السيدة "سيدلوفا" التحية، ودعتني إلى زيارتهم مرة أخرى، كما ألقى زوجها عليَّ التحية أيضًا، وتبادلت جدتي والسيدة "سيدلوفا" والجيران الآخرون التهنئة بالعيد، واستمروا في الحديث عن أشياء غير مثيرة للاهتمام. لاحظت أن السيد "سيدل" ينظر إلى أمي، التي كانت تبحث في جيوبها عن المفاتيح، لكنها لا تستطيع العثور عليها، وبعد فترة ركلت الباب بغضب عدة مرات أخرى، ثم استدارت، ولم تنظر إليَّ، وذهبت لتختبئ خلف المنزل.

رأيتُ أن السيد "سيدل" يريد الذهاب خلفها، لكن جدتي بدأت تتحدث إليه، وسألته: هل بإمكانها أن تزورهم، لتحضر لهم الحلوى وهدية لـ"إيمي"؟ وهل سيكونون بالمنزل؟

فقالت السيدة "سيدلوفا" لزوجها:

– نعم، سنبدأ بالعشاء، حتى لا تذهب "إيمي" للنوم متأخرًا.

فقال هو:

– نعم، فلنذهب.

وأخذ الطفلة بين ذراعيه:

– إلى اللقاء.

سمعتُ جارتنا وهي تقول:

– هل تؤلمك ساقك أم ماذا؟

فأجابها السيد "سيدل" بغضب:

– إن ساقي لا تؤلمني، هذه هي المرة العاشرة التي تسألينني فيها.

أمسكت جدتي بي، وعُدنا إلى المنزل، فتحنا الباب، وسِرنا عبر المنزل، ثم فتحنا الباب الخلفي أيضًا، كانت أمي جالسة على الدرج متكورة الجسد، ودون أن تقول كلمة واحدة مرت أمامنا، وصعدت إلى الطابق العلوي.

قالت جدتي:

- دعنا نُشغِّل التليفزيون ونتناول الشطائر.

لكنها فقط فتحت لي التليفزيون، وأحضرت لي شطيرتين، لا أكثر، حتى أستطيع تناول العشاء، ثم قالت إنها ستذهب إلى الجيران بالحلوى، لكنها صعدت إلى الطابق العلوي، إلى أمي، ثم سمعتهما وهما تتشاجران مرة أخرى، حتى في عشية عيد الميلاد، لكني أعلم أنهما لا تتشاجران بسببي. كنتُ أتطلع حقًّا إلى الهاتف المحمول وجهاز الإكس بوكس.



إن "هانا" تحتاج فقط إلى البقاء بمفردها لبعض الوقت، ما الشيء غير المفهوم في هذا الموقف؟ اللعنة! لقد قضت اليوم كله مع "فيكي"، وكانت لطيفة أيضًا مع أمها، ألا تُدرك مقدار ما كلفها هذا من طاقة؟ وفي النهاية تتخيل أنها ستذهب لتتمنى لزوجته عيد ميلاد سعيدًا أو شيئًا من هذا القبيل.

قرعت أمها الباب ودخلت، وفي يدها صينية الحلوى مغطاة بمنديل.

- ألا يمكنني أن أبقى مع نفسي هنا لحظات؟ ألا تستطيعين أن تتركيني وشأني لحظات؟

ثم رأت الصينية.

- ما هذا؟

- سآخذها إلى عائلة "سيدل".

- هل أنتِ جادة في ذلك؟

– نعم. إن "ليدا" قد أعطتني بالفعل من الحلوى التي صنعتها، وأيضًا معي هدية صغيرة لـ"إميتشكا".

فقالت "هانا" مرة أخرى: "لقد جُنت أمي، هدية صغيرة لـ"إميتشكا"!". ثم بدأت تدفعها خارج الغرفة.

– ماذا تفعلين؟ اهدئي، ستسقط مني.

– لا يهم.

دفعتها "هانا" حتى بدأت الحلوى تتساقَطُ.

– توقفي عن ذلك. اهدئي!

تمكنت أخيرًا من إخراج أمها من الغرفة، وأغلقت الباب خلفها. كان هناك عدة قطع من الحلوى على الأرض. في البداية كان لدى "هانا" رغبة قوية في أن تطأها بقدميها، لكنها تمالكت نفسها، والتقطتها من فوق الأرض، وألقتها من النافذة. فلتأكلها الطيور. لكنها تركت الفتات هناك، ولم تجمعْها حتى بيدها في كومة واحدة، فلتجعل أمها تُصاب بالجنون.

ثم سمعت أمها من خلف الباب تقول:

– تمالكي نفسك، إننا في عيد الميلاد، اذهبي إلى "فيكتور"، وتصرفي كأمٍّ بحق السماء.

فتحت "هانا" الباب، وأطاحت بصينية الحلوى الغبية هذه من يدها.

ثم مرت بجوارها ونزلت إلى "فيكي" في الطابق السفلي، وجلست بجانبه أمام التليفزيون. عانقته فالتصق بها، بالتأكيد هو يفعل ذلك لأنه يتطلع إلى الهدايا، لكن لا يهم. أخذت تشمُّ شعره وهي تشتاق اشتياقًا رهيبًا أن يعود إلى سن ثلاث سنوات، حتى يُمكنها أن تشمَّه كما يحلو لها.

فقال "فيكتور":

– أمي، توقفي عن ذلك، لا تشميني.

توقفت لكنها لم تتركه، وبدأت بـ"زغزغته"، في البداية كان عدوانيًّا، وقاومها، لكنه استجاب بعد ذلك. ورغم صوت ضحكاته، فقد سمعت والدتها، وهي تخرج من المنزل.



عندما فتحت لها "ليدا" الباب، بدا لـ"إيفا" أنها كانت تبكي.

– آسفة، لن أزعجكم، فقط تفضلي.

أعطتها الصينية وهدية ملفوفة لـ"إميتشكا"، اختارت لها كتابًا جميلًا وقميصًا مضحكًا عليه وجه ضفدع مبتسم. أخذت منها "ليدا" الهدية وقالت:

– أنا آسفة يا "إيفا"، هناك بعض التوتر هنا اليوم.

– لا، بالطبع، أنا أيضًا يجب أن أذهب.

أصدرت القطة مواءً في مكان ما، وبعد ذلك مباشرة انفجر "لوبينيك" في النباح. خرج "يرجي" من الغرفة، وألقى القطة في الصالة بطريقة بدت لـ"إيفا" غاية في السوء.

– ما الذي جعل هذه القطة الغبية تعود إلى هنا مرة أخرى؟ وذهبت أيضًا لتأكل طعامه، لماذا لا تزال هنا؟

تنهدت "ليدا"، وقالت لـ"إيفا" بهدوء:

– لقد اعتقدت أن كلًّا منهما سيعتاد الآخر. ولكن لا يبدو الأمر كذلك.

أخذت القطة بين ذراعيها، بينما أخذت "إيفا" تُفكر: هل كانت تقصد القطة والكلب أم القطة و"يرجي"؟

– ورغم ذلك، فهي لطيفة جدًّا، أترين؟

فتح "يرجي" الباب مرة أخرى، وقال كأنه يعتذر:

– إن لديَّ حساسية منها. عيدًا سعيدًا يا "إيفا"، إلى اللقاء".

واختفى مرة أخرى.

أخذت "ليدا" تُداعِب القطة.

- لم أكن أريد أن ينتهي بها الأمر في الملجأ.

ربتت "إيفا" على كتفها، وتمنَّت لو أنها صفعت "هانا"، فـ"ليدا" فتاة طيبة ولطيفة.

وأضافت "ليدا" وهي تضع القطة على الأرض كما لو أنها لم تعد تحبها بعد الآن:

- لكن ما باليد حيلة.



كان علينا أن نستبدل بملابسنا ملابس رسمية قبل العشاء؛ لأن جدتي تريد ذلك، لم نفعل ذلك أنا وأمي قط، وهذا يبدو لي سخيفًا. إنها أجمل ليلة في العام، وعلى المرء أن يجلس مرتديًا بنطالًا وقميصًا غير مريحين؟ قالت جدتي إن جدك كان يرتدي دائمًا بدلة ورابطة عنق، ولا تكن سخيفًا، واذهب لترتدي قميصك الأزرق.

ثم أعددنا الطاولة، ولا تعرف جدتي هل عليها أيضًا أن تضع طبقًا لجدي المتوفَّى، فهي تشعر أنها تريد أن تفعل ذلك، ولكنها تعتقد أن الأمر سيبدو غريبًا. "ما رأيك؟" سألتني كما لو كنت رجلًا كبيرًا.

ربما سألتني لأن أمي لا تزال في الحمام منذ ما يقرب من مائة ساعة، لذلك لا يمكنها استشارتها.

قُلت لها إن رأيي أن تضع الطبق هناك، لأنني أفضل الأرقام الزوجية على الأرقام الفردية.

عندما خرجت أمي أخيرًا من الحمام، بدت جميلة ورائحتها عطرة.

جلسنا لتناول العشاء، لم أهتم بذلك على الإطلاق، لكني شعرتُ أن هذا يستغرق الدهر كله، يجب أن نشرب نخبًا، فلقد اعتاد جدي أن يفعل ذلك أيضًا، لكن أمي أخذت الكؤوس الصغيرة، التي بها نبيذ أدكن لهما، ولي أنا "فانتا"، وقالت: "في صحتنا، فلندعُ أن يكون العام المقبل أفضل من هذا العام، عيد

ميلاد سعيدًا"، ثم شربت الكأس كلها دفعة واحدة، وبعد ذلك بدأنا بتناول الطعام، رغم أن جدتي بدت مستاءة في هذه اللحظة.

بعد العشاء ذهبنا إلى شجرة عيد الميلاد، كانت مضاءة بالفعل، وأطفأنا الأنوار. كان هناك الكثير من الهدايا تحت الشجرة، وأخذتُ أنا أغني أغاني عيد الميلاد، وأمي تساعدني، بينما ظلت جدتي صامتة، فهي لا تُجيد الغناء، وقد كانت تقول دائمًا: "من أين اكتسبتم هذه الموهبة؟ فأنا وجدكم لا نتمتع بأي حاسةٍ موسيقية على الإطلاق!".

كان جدي يقول: "اسمحوا لي، ويغنى ببشاعةٍ".

لا أعرف من أين اكتسبت أمي هذه الموهبة، لكن بوسعي أن أقول إنني أخذتها عن والدي، وربما جزئيًّا منها.

غنينا ثلاث أغنيات فقط، وبعدها صار باستطاعتنا أخيرًا أن نفتح الهدايا، انقضضتُ عليها. كنتُ سعيدًا جدًّا؛ لأنني حصلتُ بالفعل على هاتف محمول وجهاز إكس بوكس عليه ثلاث ألعاب، هذا رائع حقًّا. وأيضًا الكثير من الأشياء التافهة، وبعض الكتب والجوارب، ثم قالت أمي: "إن هناك هدية أخرى هناك في الخلف في الردهة"، كنتُ أعلم أنها دراجة، وذهبتُ لأُلقي نظرة عليها، كانت جميلة. وقالت جدتي: "في الواقع هناك هدية أخرى"، لكني لم أكن أعرف ماذا يمكن أن تكون. نهضت جدتي، وبعد قليل أحضرت من غرفة نومها صندوقًا ورقيًّا، به فتحة في الغطاء، فعلمتُ أنني سأحصل على حيوان، ولحسن الحظ لم يكن الصندوق مغلقًا بأي شكلٍ، فما هي إلا ثانية واحدة حتى عرفت ما به، في البداية تخيلتُ أنه جرو، أو سحلية "الإجوانا"، ثم رفعت الغطاء، فإذا هي القطة ذات الفراء الكثيف، التي كانت عند جيراننا، ورغم أنها قبيحة، لكنها أصبحت ملكي، أصبح لديَّ حيوان حي، قطة حقيقية، نعم، أعتقد أنها ربما أفضل من الهاتف المحمول والإكس بوكس.

أردتُ أولًا أن أداعب القطة، لكنها قفزت وجرت لتختبئ.

فقالت جدتي:

- مسكينة، ربما تكون خائفة، لقد خبأتها فقط حتى نُنهي العشاء، لفترة قليلة فقط.

وبدلًا من مداعبة القطة، قفزتُ على جدتي، لقد أعطتني حيوانًا حقًّا، وأصبح لديَّ قطتي الخاصة.

فقالت أمي لجدتي:

- أنت تمزحين، أليس كذلك؟

أعتقد أنهما ستتشاجران مرة أخرى، لأن حصولي على حيوان لم يكن متفقًا عليه.

فقالت جدتي: "إن تلك القطة كانت في محنة". فقلتُ أنا: "إن إحدى جاراتنا وجدتها، لكنها لم تستطع الاحتفاظ بها لأن لديهم كلبًا، ولأن جارنا لا يحب القطط". نهضت أمي وقالت إنها ستذهب لتدخن سيجارة، وشكرتنا على الهدايا، لقد حصلت من جدتي ملصق المرور على الطريق السريعة وبعض الكتب وعطر، لكن أكثر ما أسعدها هو الرسم الكاريكاتيري، الذي حصلت عليه مني.

- هل لا بد أن تذهبي الآن للتدخين حقًّا؟

- لا بد أن أذهب يا أمي، وإلا فسأقتلك.

قالت أمي ذلك، ولكن الأمر لم يبدُ كثيرًا كنوع من المزاح، وأعتقد أنها عندما غادرت، أغلقت الباب بعنف. ربما تكون غاضبة بسبب القطة، وربما تعتقد أنني لن أعتني بها وأنها ستموت، لكن القطة ليست "هامستر"، وحتى إذا نسيتُ إطعامها، فسوف تصطاد فأرًا. كما أن جدتي هنا أيضًا، وهي لا تنسى أبدًا إطعام أي شخص.

- إذًا هل أنت سعيد؟

كنتُ سعيدًا جدًّا، وذهبتُ لأمسك بالقطة من تحت الأريكة. في البداية لم تسمح لي بذلك، وخدشتني قليلًا، لكن في النهاية تمكنت من التعامل مع الأمر. ولكن ما إن أتركها، تهرب مرة أخرى. لا يهم، لا بد لي من ضبط إعداد الأشياء

على هاتفي. كما أردتُ أيضًا أن ألعب على جهاز الإكس بوكس، لا أعرف هل بإمكاني توصيله بنفسي أم لا، فجدتي وأمي لن تساعداني كثيرًا في ذلك. كبداية شاهدت مقطع فيديو على اليوتيوب حول كيفية فعل ذلك.

يبدو الأمر بسيطًا، لكني لم أنجح في ذلك. وفي هذه الأثناء خرجت القطة من مخبئها، وتريد أن تكون صديقة لي، وأخيرًا عندما استلقيتُ على الأريكة، وأخذت في ضبط هاتفي، قفزت على ظهري، واستلقت عليه على نحو طبيعي. صحتُ في جدتي لتأتي، وطلبت منها أن تلتقط لي صورة. في البداية كافحت جدتي مع هاتفي الجديد، ومن المضحك أنها لا تستطيع استخدام الشاشة التي تعمل باللمس على الإطلاق، في حين أن الجميع يستطيع ذلك، لكنها نجحت في النهاية. ثم طلبت مني أن أذهب إلى السرير، فالساعة الآن الساعة العاشرة بالفعل، لكن لا يهم، فنحن في عطلة، وهذا اليوم هو اليوم الذي يمكن للأطفال فيه أن يبقوا مستيقظين كما يحلو لهم. قلتُ لجدتي إني أريد أن ألعب على جهاز الإكس بوكس، فهل يمكن أن يأتي جارنا غدًا لمساعدتي في ذلك؟

لكن جدتي قالت إننا لن نزعج الغرباء في العيد، وأن خالي "آدم" سيأتي غدًا، وبالتأكيد يمكنه مساعدتي، فذكَّرها هذا بأن لديها الكثير لتفعله غدًا، لذا فهي تريد الذهاب للنوم، فهي متعبة للغاية، أما أنا فأستطيع أن أفعل ما أريده، فكل واحد هنا يفعل ما يُريده على أي حال.

وبعد ذلك انصرفت جدتي لتُبدِّل ملابسها وترتدي ثوب نومها، لذلك أخذتُ نفسي وصعدتُ إلى الطابق العلوي، وأخذت القطة معي بالطبع. في طريقي ألقيتُ نظرة خاطفة على الغرفة الأخرى، كان الخشب يُصدِر صوت طقطقة جميلة في الموقد، وكان الجو أكثر دفئًا هناك، فلا تزال أمي تُجري التدفئة باستمرار، وغالبًا ما تقف أيضًا في السقيفة لتقطيع الخشب، وفي بعض الأحيان يمكننا أن نسمع صوت الضربات، وأنا لم أكن أعرف حتى أن النساء جيدات جدًّا في تقطيع الخشب، لأنه

عندما أكون هنا بمفردي مع جدتي لا تُقطع الخشب. قالت جدتي إن جدك هو من كان يؤدي هذا العمل، فهو عمل يؤدِّيه الرجال، وهناك الكثير من الخشب المقطوع على طول جدران العلية، يكفينا لبضع سنوات، لذلك ليست هناك حاجة إلى التقطيع بعد الآن. ولكن لا تزال أمي تقطع المزيد والمزيد، وبالفعل توجد حول الجذع الذي تقطع الخشب عليه كومة من الخشب، ذي رائحة طيبة.

أمي الآن مستلقية على السرير، وهو الشيء الآخر الذي تفعله كثيرًا هذه الأيام، كان هذا الكوب الصغير المملوء بالنبيذ الأدكن على الطاولة بجانب السرير بينما هي تتظاهر بقراءة أحد الأدوار، لكني أستطيع أن أرى أنها كانت تبكي. في البداية ابتسمت لي، ثم عبست بعد ذلك.

- لا تحضر لي هذه القطة هنا.

- لماذا؟

- لأنني أكره القطط.

- أعتقد أني أسمع ذلك لأول مرة في حياتي.

- هل سمعتني؟ خُذْها بعيدًا.

قالت لي ذلك بطريقة سيئة للغاية، رغم أننا في ليلة عيد الميلاد.

لذا تركتُ القطة خارج الباب في الردهة، يمكنها أن تذهب إلى غرفتي، أو إلى الطابق السفلي، واستلقيت بجانب أمي، أردتُ أن ألعب لعبة ما، لكن القطة لا تزال تقف باستمرار خارج الباب وتموء، مما يجعلني لا أركز في اللعب. فالقطة جديدة عندنا، وربما تكون حزينة ويجب أن أكون معها.

- أمي، لا بد أن تلك القطة حزينة.

قالت أمي:

- إذًا اذهب إليها.

لقد اعتقدتُ أنها ستطلب مني أن أحضرها إلى هنا. فنهضتُ وذهبتُ للنوم في غرفتي، أخذت القطة تتمسح في ساقي ثم دخلت تحت السرير. ارتديت ملابس النوم على الفور، واستلقيت في فراشي وأخذتُ ألعب، وعندما توقفت، كنا في منتصف الليل بالفعل، وأردت النوم، لكني شعرت فجأة بالحزن لأن جدتي ذهبت للنوم وأمي في حالة غريبة. لحسن الحظ قفزت القطة على السرير بسهولة، وكأنها خفيفة كالريشة، ثم خطت على اللحاف، وصعدت بحذر على ظهري واستلقت عليه.

في البداية كنت سعيدًا بوجودها معي، ولكن بعد ذلك أصبح الأمر مزعجًا، واضطررتُ إلى إنزالها حتى أتمكن من النوم.

سأسميها Stormtrooper "جندي العاصفة" لأنها بيضاء وسوداء.

لكن هذا غباء مطلق، إنه اسم طويل حقًّا، ولا يمكنك حتى نطقه بطريقةٍ صحيحة، بالإضافة إلى أنها قطة، وليست قط. قالت جدتي في الصباح:

- ماذا عن "فلوتشكا" (رقاقة الثلج)؟ القطة "فلوتشكا".

ربما هذا هو أسوأ اسم يمكن أن نطلقه عليها، فهي ليست حتى بيضاء.

قلتُ لجدتي:

- سأطلق عليها "بادمي".

بدت على جدتي علامات الدَّهشة، لكنها بعد ذلك ضمت كتفيها وقالت:

- كما تريد.



أفضل ما في عيد الميلاد

جرت هذه المحادثة في الصباح على الإفطار، بينما كانت "بادمي" تتناول أيضًا إفطارها، كعكة عيد الميلاد والحليب، وجدتي تطبخ وأمي تقطع الخشب، ومرة أخرى نسمع فقط صوت ضربات الفأس.

قالت لي جدتي منبهة:

– لا تأكل كثيرًا، فالساعة الآن العاشرة، وسيكون الغداء في الثانية عشرة. غداء احتفالي، سيأتي "أداميك" والفتاتان. هل يمكنك ارتداء ملابس أفضل قليلًا؟

أشارت نحوي، وأنا أجلس هناك مرتديًا بيجامة وسترة رياضية.

– هل أرتدي القميص مرة أخرى؟

– لا، تي شيرت جميل سيفي بالغرض. لكن مع الجينز.

لا أمانع أيضًا في ارتداء القميص، لأنه أخيرًا سيكون عندي جهاز الإكس بوكس الخاص بي، لذا سيكون اليوم يومًا رائعًا. وهو كذلك. على الرغم من أنه كان لزامًا عليَّ أن أتحمل حتى ينتهي الغداء الذي استمر إلى ما لا نهاية، مع تناول الحساء، ثم الكعك في الختام، ثم شرب الكبار القهوة، وبعدها فقط شغَّل خالي جهاز الإكس بوكس لي، بل لعب معي أيضًا، ولكن بعد ذلك أمكنني اللعب وحدي، حتى لو كانوا يتشاجرون بجواري. أعتقد كانوا يتشاجرون على من يحب الإوز ومن يحب البطة ومتى تناولوا الإوز ومتى تناولوا البط، ربما سنتناول البط اليوم، على ما أعتقد، لكنني لا أهتم بذلك. ثم خدشت "بادمي" "كاميلا" أو "دينيسكا"، فغضبت "كاتكا" غضبًا شديدًا، وأرادت حبس "بادمي" في مكان ما، وهو أمر لا يُمكن أن أسمح به، لأن "بادمي" هنا في منزلها، ولا يمكن حبسها في أي مكان. فلا بد أن "كاميلا" أو "دينيسا" فعلتا لها شيئًا ما، لأنها لطيفة،

ويُمكن أن أقول إنها لطيفة جدًّا مقارنة بالقطط الأخرى. وهكذا تشاجرت "كاتكا" معي ومع أمي، ولم تكن جدتي راضية عن ذلك، وقالت:

– لماذا عليكم أن تتشاجروا حتى في يوم عيد كهذا؟ اللعنة!

وذهبت إلى مخزن المؤن، حيث على الأرجح لتبكي هناك. أخذت أمي وخالي يدفعان بعضهما بعضًا لكي يذهب أحدهما لتهدئة جدتي، بينما "كاتكا" تُهدئ "كاميلا" أو "دينيسا".

في تلك اللحظة قالت لي "كاتكا":

– هل أنت غبي أم ماذا؟ كيف لا يُمكنك التمييز بينهما؟ إن "كاميلا" شعرها أسود، وهي أقصر بمقدار شبر.

فقالت لها أمي:

– هل تقبلين أن أصف طفلتيك بالغبيتين؟

فقالت "كاتكا":

– آسفة، لم يكن عليَّ أن أقول ذلك، لقد استفزني بما قاله. أنا آسفة يا "فيكتور"، لم يكن عليَّ أن أصفك بالغبي.

– من فضلك، ما الذي قاله؟ إنه يرى بنتيك مرة كل ستة أشهر، فماذا تنتظرين؟

ثم أضافت أمي وهي تلتفت إليَّ:

– حسنًا؟

أومأت برأسي:

– نعم، حسنًا.

فأنا أريد أن أعود إلى اللعب مرة أخرى. ذهبتْ إلى خالي وجدتي.

قلتُ لـ"كاتكا" موضحًا:

– أنا لا أجيد التعامل مع الأطفال الصغار.

لأنني لا أريد أن أقول لها إنني حقًّا لا أستطيع التفريق بين بنتيْ خالي، على الرغم من أنهما تبدوان مختلفتين، وذلك ببساطة لأنه لا يهمني من هذه ومن تلك.

فقالت إحداهما، الكبرى، "دينيسا":

- أنا لست طفلة، أنا بالفعل أميرة كبيرة.

فسألتني "كاتكا":

- إذًا هل يمكننا وضع هذه القطة الجميلة في مكان ما؟

اعتقدتْ أنها إذا قالت "قطة جميلة"، فإن هذا شيء جيد، وسيجعلني أحبس "بادمي" في الغرفة.

فقلتُ لها رغم أني لا أعرف ذلك:

- لا. لا يُمكن هذا. وعليهما أن تتركاها وشأنها، فهي ليست معتادة الأطفال الصغار.

نظرت إليَّ "كاتكا" نظرة سيئة للغاية مرة أخرى، ثم قبضت على يد الفتاة الصغرى، أي "كاميلا"، وذهبت بهما إلى المطبخ. وقبل أن أغادر، سمعت أمي وهي تتشاجر مع خالي في مخزن المؤن، لكني لا أريد سماع ذلك بعد الآن وذهبتُ للعب.

حدثت بعض الأشياء المشابهة، ثم تعيَّن علينا أن نخرج في نزهة معًا ونتزلج، وهو ما لا يُمثل إزعاجًا لأحد، ولكن جدتي ما زالت تريد الذهاب إلى المقبرة، لكن "كاتكا" قالت إن الفتيات لا يستطعن الذهاب إلى هناك سيرًا، فلنذهب بالسيارة، لكن جدتي لا تريد ذلك، وبدؤوا بالجدال حول هذا الموضوع. وفي النهاية لم نذهب إلى هناك. كنتُ سعيدًا بذلك، لأنني لا أريد أن يرى أحد هذا الجمال الذي رأيناه هناك في المرة السابقة. ثم أخيرًا غادر خالي وزوجتُه، وأصبحت لديَّ الفرصة للعب في هدوء. وكهدية في عيد الميلاد حصلت من خالي وزوجته على لعبة مكعبات "ميركور" جديدة، تُشبه تمامًا تلك التي اشترتها لي أمي.



في أثناء تقطيع الخشب كانت "هانا" في بعض الأحيان تأخذ قسطًا من الراحة، وتحاول أداء تمارين الضغط على سلم مُعلَّق. لم تكد تؤدِّي تمرينًا واحدًا. لكنها تتحسن، كما أن هذا التقطيع الغبي للخشب هو أيضًا نوع من الرياضة، في صمت وعزلة السقيفة. كما كان البخار يتصاعد من فمها، وعندما تتمكن من العمل بإيقاع صحيح، فإنها تشعر بالسعادة للحظات.

أمس مر اليوم بسلام، كان "فيكي" سعيدًا، لقد تحكمت في أعصابها، حتى نحو موافقة الأم على وجود القطة، إن أمها بالغت في ذلك، لكنها لن تُفسد فرحة العيد، ولكن إذا كانت أمها تعتقد أنه لم يعد لديها ما تقوله عن ذلك، فهي مخطئة. لكن ليس الآن، الآن عليها أن تدَّخر طاقتها لنفسها، وأن تتجاوز هذا اليوم وتتغاضى عما يفعله أخوها، وغدًا ستتمكن أخيرًا من المغادرة، ستغادر على الفور في الصباح، المهم أن ترحل من هنا. إنها تتطلع حقًّا إلى العودة إلى شقتها الفارغة، حتى لا تتظاهر بأي شيء أمام أحد. فبعد أسبوع ونصف ستبدأ تصوير مسلسل "نوكتورن"، بالتأكيد سيكون هناك بعض العمل، لكن بقية الوقت ستقضيه مع نفسها، كيف يمكن لمثل هذه القصة المبتذلة أن تجعلها هكذا؟ إنه ليس أول رجلٍ في حياتها حتى خلال العام الماضي، إنه ليس قدرها، ولا حب حياتها. لقد كان لطيفًا معها، فلم يكن من وسطها حيث الجميع سطحيون وماكرون، ولهذا السبب بدا لها مميزًا للغاية، لكنه فتى قروي عادي يحب زوجته، "وما كنت أُمثِّل له أنا سوى شيء مثير للاهتمام في حياته المملة المليئة بالاجتماعات والسفر من براج لزيارة عائلته".

في ذلك اليوم ظلت تقطع الخشب لفترة طويلة، وحاولت أداء تمرين الضغط، لكنها لم تنجح في أداء ضغطة الثانية على الإطلاق، ثم جاءت إليها أمُّها لتخبرها أن الغداء سيكون جاهزًا بعد قليل، فكان عليها أن تُغير ملابسها، وأيضًا تأخذ دشًّا ساخنًا، وعندما خرجت من الحمام، كان المنزل كله معبَّأً برائحة البط المشوي،

شعرت برغبة مفاجئة في تناول البط، وذلك قبل أن يتقلص بطنها مرة أخرى بسبب الحزن. الساعة الآن الثانية عشرة وبضع دقائق، لكنهم لم يحضروا، ولم يصلوا أيضًا حتى في الثانية عشرة والنصف وخمس دقائق. كانت أمي قد أعدت الطعام كله، وجهزت الطاولة، لقد وصلوا أخيرًا. سعدت أمي بوصولهم، وعانقت "آدم"، وقالت له فقط من باب المجاملة: "أين كنت؟" لكن "آدم" انفجر قائلًا إنه لم يكن يعلم أنه كان من المفترض أن يكونوا هنا في الثانية عشرة بالضبط، فقد قيل بين الثانية عشرة والواحدة، ولم تأتِ بعد الساعةُ الواحدة، أليس كذلك؟

شعرت "هانا" برغبة في القفز عليه وضربه، فلماذا لا يستطيع أن يقول فقط آسف، فنحن دائمًا نأخذ وقتًا طويلًا للاستعداد للخروج، أو أي شيء لا معنى له من هذا القبيل؟

ومع ذلك فقد ابتسمت لهم ورحبت بهم من قلبها. إنها تستحق جائزة أفضل ممثلة على هذا.

بعد ذلك، بالطبع كان كل شيء في غاية السوء، فقد اضطرت إلى تحمُّل وجبة غداء لا تريدها، وحشرت في فمها قِطعًا من معجنات "الكندليك" الغارقة في دهن البط، التي بدا طعمها كقطع من القطن. ثم جاء دور تقديم الهدايا، اشترى "آدم" لأمِّه ساعة ومضرب خفق. قالت أمها: "إنها ساعة جميلة جدًّا، شكرًا جزيلًا لكما"، وبعد ذلك، عندما التقتا في الحمام، حيث كانت أمها تحاول ارتداء الساعة وهي غير سعيدة بها، قالت لـ"هانا": "لا بد أن "كاتكا" هي من اختارت هذه الساعة، فأنا لا أرتدي الأشياء الذهبية، و"أداميك" يعرف ذلك".

لكن "هانا" لم تقل لها بصوتٍ عالٍ: "يا أمي، إن الشخص الوحيد في هذا العالم الذي يعرف أنك لا ترتدين الأشياء الذهبية هو أنا".

ثم أضافت أمها: "لكني كنت بالفعل بحاجة إلى مضرب خفق جديد".

ذهبوا في نزهة إلزامية، عائلة سعيدة وهي، التي لا تفسد كل شيء بحزنها، تزلجوا على التل، ثم رأت "يرجي" مع زوجته وطفلته من بعيد. وفكرت جديًّا أن تقول ذلك هنا أمام الجميع، وتخيلت كيف سيكون رد فعل "آدم" و"كاتكا"، لكن أمها رأتهم وأنقذتها، رغم أنها في الحقيقة أنقذت نفسها، فهي السبب فيما حدث، وقالت لها:

"يا إلهي! يا "هانيتشكا"، لقد نسيت أن أطفئ الموقد بعد أن أعددتُ النبيذ الساخن، أستطيع أن أرى ذلك تماما".

"حسنًا، سأذهب إلى هناك." واستدارت في اللحظة نفسها، فلن تُثير مشكلة أمام "فيكي"، على الرغم من أنه يسعدها أن تثير مشكلة لأمها. ومهما يكن الأمر، فهي سعيدة بأنها ستكون بمفردها لبعض الوقت.

سألها "فيكي":

- هل يُمكنني الذهاب معك؟

- لا، سأعود حالًا، اِذهبْ واستمتِعْ بالتزلج.

بالتأكيد أن الموقد ليس مشتعلًا، لذلك لم تذهب حتى لتلقيَ نظرة عليه، وسكبت لنفسها كأسًا من النبيذ، واستلقت على الأريكة. أخذت تتنقل بين برامج العيد في التليفزيون، هناك حكاية خرافية جديدة، تُمثل فيها "جابينا" دور فتاة ريفية، إنه أمر مضحك للغاية، وهي تؤدي الدور جيدًا، وقد فاجأ ذلك "هانا" حقًّا، لكنها لا تعتقد أنه كان عليها تمثيل هذا الدور على نحو مختلف، بحيث لا تجري المبالغة في إطلاق النكات، فهي ليست من النوع الذي يصلح لذلك، إنها نحيفة جدًّا، وتبدو كأنها ريفية قليلًا، لكنها ربما تعرف كيف تنقص من هذا قليلًا، ونظرًا إلى أنها أول مرة فهي جيدة.

جاؤوا من الخارج.

"إن الموقد لا يزال مشتعلًا، ماذا تفعلين هنا يا "هانا"، اللعنة! ولماذا لم تعودي إلينا؟ إنه عيد الميلاد ولا يمكنك حتى المحاولة، وبدلًا من ذلك تفضلين أن تثملي هنا وتأسفين لحالك". قالت أمها ذلك وهي تشير إليها بإصبعها، فخطر

ببال "هانا" أنه يجب أن تغادر اليوم، لكن لا، "لا أستطيع أن أفعل ذلك بـ"فيكي"، ولا بأمي".

وبعد كل هذا فهي لم تحاول.



لو قالوا إنهم سيبقون هنا حتى الغد، لكانت "إيفا" أسعد شخص في العالم، على الرغم من أنها لم تنتظر ذلك، فـ"هانا" مستلقية في غرفتهم، كما لم تُغيِّر الملاءات بها. شعرت مرة أخرى بالصداع، لكنها اليوم لم تُلقِ لذلك بالًا، لقد انقضى اليوم علي خير، على الرغم من أن "هانا" حاولت إفساده بمزاجها السيئ، وكذلك خدش هذه القطة الغبية "كاميلا" حتى أدمتها. كان لقاء لطيفًا، الأطفال والهدايا، رغم من أن الأطفال الثلاثة انقضوا عليها، وانتهى الأمر في دقيقتين، بدلاً من فك الهدايا واحدة تلو الأخرى، لكن الفتاتين ما زالتا صغيرتين، ومن الصعب أن نطالبهما بالصبر، إذا كنا لا نستطيع أن نطلب الشيء نفسه من "فيكتور". أمس قالت لـ"هانا" إنه يجب أن يُوزِّعوا الهدايا "مثل الناس"، ولا ينقض عليها "فيكتور" كالحيوان المفترس الذي يريد تمزيق فريسته، لكن "هانا" قالت لها: "يا أمي، من فضلك دعيه يَعِش اللحظة، فهذا يسعده، فماذا تريدين غير ذلك؟"

اقترحت عليهم الذهاب إلى المقبرة، لكن لم يُرِدْ أحدٌ ذلك، لذا تركت الأمر، بعد تناول وجبة خفيفة وقهوة بعدها، نهضوا استعدادًا للمغادرة، كما هو الحال دائمًا يحدث هذا بسرعة رهيبة، فمنذ اللحظة التي نهض فيها "أداميك" وقال: "يا أمي، نحن سنذهب"، حتى وقفت على الطريق لتلوح إليهم وهم يغادرون، مرت عشر دقائق فقط، على الرغم من أنه كان يتعين عليهم مساعدة البنتين على ارتداء ملابسهما، ولفِّ الهدايا التي حصلوا عليها هنا، كما أعطتهم "إيفا" بعض الطعام والمزيد من الحلوى، على الرغم من أنهم قالوا إن لديهم الكثير من الحلوى في المنزل، ولا يستطيعون الانتهاء منها أبدًا، إلا أنهم أخذوها،

فـ"أداميك" يحب الحلوى التي تصنعها هي، فـ"كاتكا" لديها وصفاتٌ أخرى. ولا يعني ذلك أن الحلوى التي تصنعها ليست جيدة، بل هي بالتأكيد كذلك، ولكن ربما هي لا تستخدم مكسرات عالية الجودة مثلها وما شابه، كما أنه ليس لديها الكثير من الخبرة، فـ"كاتكا" ليست ماهرة كثيرًا في الخبز، لذا فهي دائمًا تعطيهم علبة حلوى قبل عيد الميلاد، وأخرى الآن، وهذا ما تريده.

لوَّحت إليهم حتى اختفت السيارة عند المنعطف، وشعرت "إيفا" فجأة بالتعب الشديد، وبهذا يكون قد انتهى عيد الميلاد. شعرت بألمٍ يضرب رأسها على هيئة نبضات، ظلت واقفة على الطريق وهي تشعر بأنها لن تستطيع حتى الوصول إلى المنزل، حيث يتعين عليها أيضًا تنظيفه، والعناية بـ"فيكي"، وأن تُعِدَّ له معجنات "الكندليك" بالبيض على العشاء، فما زال يوجد ما يكفي من هذه المعجنات، و"فيكي" يحب هذا الطعام. عندما سألته قال: "إنه لم يعد يريد المزيد من شرائح اللحم ولا من البط، ولكن رغم ذلك، فلا يمكنه أن يتناول عشاءً باردًا في يوم العيد". ما هذا التعب الذي أصابها؟

إنها تحتاج حقًّا إلى الجلوس على الدرج أمام المدخل لفترة من الوقت، فقد شعرت فجأة بأنها ستسقط، إنها بخير. لا، إنها لم تعد تستطيع الوقوف، ولا تريد أن يروها هكذا، لا تريد أن تُفزِعهم، إنها بخير، فقط لم تأخذ قسطًا كافيًا من النوم، وكان هذا كثيرًا عليها. عندما كان "يندرشيخ" على قيد الحياة، لم يكن يبذل قصارى جهده لمساعدتها أيضًا، لكن على سبيل المثال، كان يحب الذهاب للتسوق، وأحيانًا كانت تمازحه قائلة إنه يحب الذهاب كثيرًا للتسوق، وفي كل مرة يبقى هناك لفترة طويلة جدًّا، فربما يفعل ذلك حتى يبقى بعيدًا عنها. لكن "يندرشيخ" لم يعتقد أن كلامها مثير للضحك، بل كان دائمًا يزعجه، وكان يقول: "أنا لا أعرف الأماكن في هذا المركز التجاري، ولا بد أن أبحث عن كل شيء،

كما أنني ذهبت للتزود بالوقود، وكان يتعين عليَّ أيضًا التوقف في متجر العُدد والأدوات، والأهم من ذلك كله، أنني لم أتأخر لفترة طويلة".

بعد انتهائهم من تناول الطعام، كان "يندرشيخ" يغسل الأواني التي لا يستطيعون وضعها في غسالة الأطباق، بينما كانت "هانا" تضع المقالي التيفال والأدوات ذات الأجزاء الخشبية في غسالة الأطباق، حتى لو أدى ذلك إلى إتلافها. وكلما عاتبها أحدُهما، كانت تقول إنها في النهاية أشياء فقط، وهي من المفترض أن تخدمهما، وليس نحن من يخدمها، فتنظر "إيفا" و"يندرشيخ" إلى بعضهما بعضًا، بينما تكون "إيفا" متأكدة أنهما يفكران في الشيء نفسه، وهو أن "هانا" غبية، وأنها لا تفهم الدنيا، لأن على الإنسان أن يهتم بهذه الأشياء، لأنه إذا اهتم بأصغر الأشياء، فستكون حياته كلها على ما يرام.

لقد ظن "يندرشيخ" أن "هانا" ستدرك ذلك مع الوقت؛ فهي لا تزال صغيرة، لقد ظلت بالنسبة له فتاة صغيرة إلى الأبد، لكن "إيفا"، كانت تعرف أنها ليست كذلك. وأن حياتها ستكون فوضى دائمة، بدأت بوضع الأطباق في غسالة الأطباق، وانتهت بعلاقتها برجل متزوج، ما بالك برجل متزوج ولديه طفلة صغيرة؟ لحسن الحظ أن "يندرشيخ" لم يعش ليرى ذلك، وإلا كان سيعاني كثيرًا.

خرجت "هانا" من المنزل:

- أمي؟ أين أنتِ؟ ماذا تفعلين؟ هل تجلسين هنا مرتدية كنزة صوفية فحسب؟

حاولت "إيفا" النهوض، لكن الأمر كان أصعب مما توقعت، كما لو كانت ساقاها متصلبتين.

- أين كنتِ؟

- ماذا؟ كنت أودعهم فقط، أين يُمكنني أن أكون؟

- لكن ذلك كان منذ نصف ساعة. هل تجلسين هنا على الدرج منذ ذلك الحين؟

أمسكتها "هانا" بكلتا يديها.

- أنت متجمدة تمامًا! ادخلي يا أمي، ما هذا الهراء الذي تفعلينه؟
- حقًّا نصف ساعة؟ هذا غير ممكن.

لقد أرادت "إيفا" الجلوس هناك لحظات فقط، إن "هانا" تبالغ كالعادة. بالطبع تغلغل البرد في جسدها، فدرجة الحرارة تحت الصفر.

مرت عبر الغرفة التي يلعب فيها "فيكي" لعبته هذه على التليفزيون، يجب أن تكون هناك بعض القواعد لذلك أيضًا، إنها الشيء نفسه كما يلعب على الكمبيوتر، ربما ساعة أو ساعتان يوميًّا، لكنها لعبة جديدة واليوم هو عيد الميلاد، بعدها سيتعين عليهم وضع بعض القواعد لذلك، ومن الطبيعي أن يحتسب ذلك ضمن الوقت الذي يقضيه على الكمبيوتر. ومن الفصل الدراسي الجديد سيتعين عليه البدء بممارسة رياضة أخرى والذهاب إلى إحدى الحلقات التعليمية.

نظرت إلى الساعة، إنها الخامسة بالفعل، لذا لا بد أنهم غادروا متأخرًا، فهي لم تنظر في ساعتها عندما غادروا، ومن المستحيل أن تكون قد بقيت في الخارج طويلًا هكذا، أين ذهب ذلك الوقت؟

سألتها "هانا":

- أمي، هل تسمعينني؟ هل أنتِ بخير؟

يبدو أنها قلقة عليها حقًّا، ومن المثير للاهتمام أنها لم تفكر فيها عندما بدأت بإقامة علاقة مع "يرجي"، عندما تسببت لها بكل هذا الضغط النفسي.

- تعالي واجلسي، سأعد لك بعض الشاي الدافئ.

قالت "إيفا"، وهي تعني ذلك:

- أنا بخير، فقط متعبة جدًّا.
- حسنًا، ولهذا أقول ذلك، تعالي واجلسي على الأريكة.
- لا بد أن أنظِّف المكان هنا.

فقالت لها "هانا" بعصبية:

- هل يمكنك الجلوس هنا على الأريكة، وبحق الجحيم استريحي قليلًا.
- هل سينظِف المكان نفسه؟

أخذت "هانا" تنظر إليها، والآن ستستمر في الصراخ حتى لا تتعب نفسها، بدلًا من أن تقول: "ماذا تقولين يا أمي، فأنا سأساعدك".

لكن "هانا" قالت:

- اهدئي يا أمي، فأنا سأساعدك. اجلسي وارفعي قدميك، وقولي لي ماذا أفعل.
- حسنًا، اغسلي الأطباق.

رفعت "هانا" كتفيها:

- بالتأكيد.
- لكن لا تضعي ألواح التقطيع أو حتى تلك الشوكة ذات المقبض الخشبي في غسالة الأطباق. ولا صينية الكيك. خصوصًا تلك.

فقالت "هانا" فقط:

- أي نوع من الشاي تريدين؟
- أي شيء.

جلست "إيفا" على الأريكة، وقبل أن تُنهي "هانا" إعداد الشاي، بدأت تشعر بالرغبة في النوم، وشعرت كما لو أنها في إحدى قصص الأطفال الخيالية، التي ينام فيها الإنسان على سحابة. ونامت.



بالطبع وضعتْ كل شيء في غسالة الأطباق، كل ما يُمكن أن تسعه، فماذا سيحدث للمقبض بحق الجحيم؟ وأمها نائمة على أي حال. "أتمنى ألا تمرض بسبب ذلك، فما الذي فعلتْهُ هذا؟ كيف تجلس في الخارج بهذه الملابس الخفيفة؟"، هل كانت تختبرها لترى كم من الوقت سيمر قبل أن تلاحظ أنها ليست في المنزل؟ هذا التصرف يُمكن أن يصدر عنها.

عليها حقًّا أن تغادر غدًا، ففي المساء ستمثل. لكن إذا مرضت أمها، فسيتعين على "فيكتور" أن يذهب معها، وسيقضي إجازة عيد الميلاد كلها في اللعب على جهاز الإكس بوكس، في هواء براج الملوث على نحو بشع. بعد ذلك نظَّفت المطبخ، فهي على أي حال لا تفعل ذلك أبدًا بطريقةٍ جيدة بما يكفي، ولم تمسح الجزء الموجود خلف الحوض، فأمها دائمًا ما تجد شيئًا ما، لذا لا يهم. ذهبت لتلقي نظرة على "فيكي" وهو يلعب، وهل يُريد أن يأكل شيئًا. لا، لا يريد، لقد تناول بعض الحلوى، وهو ليس جائعًا. جلست معه، فقال لها:

- أمي، هل تريدين اللعب معي؟

عندما نظرت إلى ساعتها مرة أخرى، كانت الساعة الحادية عشرة والربع وأمها لا تزال نائمة.

شعرت "هانا" بالخوف لحظات، فجرت إلى الغرفة، كانت أمها ما زالت نصف جالسة، كأنها لم تتحرك طوال هذا الوقت، بالطبع يمكنها أن تعرف أنها على قيد الحياة، لكنها ما زالت خائفة عليها.

هزَّتها قليلًا:

- أمي، أمي؟

فتحت عينيها، وقد بدت كسحلية عجوز:

- ماذا حدث؟

- كيف حالكِ؟ هل أنتِ بخير؟

- نعم. لقد أسندتُ رأسي قليلًا. ماذا عن الصينية، هل وضعتِها في غسالة الأطباق؟

قالت "هانا":

- سأذهب للنوم.

عادت إلى "فيكي" وقالت:

- هيا لِتَنَمْ؛ فنحن في منتصف الليل تقريبًا.

– أمي، لا يهم، فأنا في إجازة، تعالي، دعينا نلعب، من فضلك يا أمي، لعبة واحدة، من فضلك.

قال هذا وهو يعلم أن "هانا" لن تستطيع مقاومة ذلك.

لذا جلست بجانبه على المقعد نفسه، وهو يحاول تجنبها، لكنهما ما زالا ملتصقين ببعضهما بعضًا، و"هانا" سعيدة لأنه لا يمانع أن يجلسا هكذا بالقرب من بعضهما بعضًا، وبدآ باللعب مرة أخرى. بعد قليل جاءت أمها وهي ترتدي ثوب النوم، وقفت فوقهما لحظات، وكل ما قالته إن هذه أوهام رهيبة فحسب، وسألت عن عدد الساعات التي قضاها "فيكي" في اللعب اليوم، ثم ذهبت إلى فراشها، بينما بقيا هما يلعبان حتى الساعة الواحدة والنصف صباحًا، وكان هذا أجمل وقت قضته في عيد الميلاد. اعتقدت "هانا" ذلك حتى جاء يوم التاسع والعشرين، عندما وجدت "يرجي" ينتظرها عند البار بعد العرض المسرحي.

🏠🏠🏠

ما بعد عيد الميلاد

في اليوم الأول بعد الإجازة كان علينا أن نكتب باللغة التشيكية مقالًا بأسلوبنا نذكر فيه ما فعلناه خلال الإجازة، لكن يجب ألا يقلَّ عن صفحة واحدة في الدفتر، الأمر الذي سيكون صعبًا بعض الشيء، لأنني لا أعرف ماذا سأكتب في صفحة كاملة، لأنه بعد أن سافرت أمي إلى براج، قالت جدتي إنها مريضة، وسوف تستلقي في الفراش لبعض الوقت، لكنها بعد ذلك ظلت مستلقية في الفراش طوال الإجازة تقريبًا، وهو ما جعلني أستطيع اللعب على جهاز الإكس بوكس طوال تلك الأيام، وقد كان هذا رائعًا، لكني لم أفعل الكثير بعد ذلك.

سألتني جدتي هل بإمكاننا أن نتحمل هذه الفترة معًا؟ أم عليها الاتصال بأمي لتأتي لتأخذني؟ فكرتُ في الأمر لبعض الوقت، فهذا سيضطرني إلى أن

آخذ جهاز الإكس بوكس معي، وهل هناك من يُوصِّله لي في براج. وكذلك فإن جهاز الكمبيوتر لن يكون معي هناك، كما أني لم أرَ "أوندرا" و"نيكو" منذ فترة طويلة، ولديَّ كل أشيائي هنا. كما أن الجلوس مع أمي لم يعد مسليًا كثيرًا على أي حال، باستثناء تلك الأمسية التي لعبت فيها معي، وفي اليوم التالي لم ترغب في ذلك، والآن هي مشغولة في براج. وكذلك ماذا سأفعل مع "بادمي"؟ فيجب أن تبقى هنا، وأنا لا أريد ذلك. لذا قلت إنني لا أمانع في البقاء هنا، وأني مُتقبِّل لذلك، وأني سأكتفي بدهن شريحة من الخبز بالزبد على الغداء.

رغم مرض جدتي، فإنها في اليوم الأول من مرضها نهضت، وأعدَّت لي الطعام، لكنها توقفت عن الطهو، وكنتُ في الغالب آكل الخبز والحلوى ثم صرتُ آكل كل ما كان لدى جدتي في الفريزر، كانت فقط تخرجه ثم تذهب إلى الفراش مرة أخرى.

أحيانًا كنت أنظر إليها وهي نائمة، وأراها تبدو أكبر سنًّا مما تبدو عليه عادة، كما أُعِدُّ لها الشاي، وأترك لها أيضًا بعض الطعام الذي أُخرِج من الفريزر، لكنها لا تأكله، أو ربما تأكل القليل منه. قضمات فقط، فأتناوله أنا على العشاء.

كنتُ أسمعها وهي تقول لأمي على الهاتف إن كل شيء على ما يرام، وعندما كنتُ أحدثها أنا على الهاتف، كنتُ أقول لها أيضًا إن كل شيء على ما يرام، لأنه كان بالفعل كذلك، على الرغم من أن جدتي لا تزال طريحة الفراش، والمنزل هادئ هدوءًا غريبًا، أنا و"بادمي" فقط، كما بدا لي أيضًا أن الجو أكثر برودة هنا، لذلك ارتديت سترتين من النوع الثقيل، ثم أخبرتني جدتي أن الجو ربما يكون أكثر برودة في الخارج، لذا كان علينا أن نرفع درجة حرارة المرجل، وبعد ذلك لم يعد المنزل باردًا.

وفي إحدى المرات اضطررت إلى الذهاب للتسوق لأن طعام القطط قد نفد من "بادمي" ونفد الخبز مني، فأخذت نقودي، وركبتُ الحافلة وتركتُ رسالة إلى جدتي التي كانت نائمة، لكنها لم تستيقظ على الإطلاق حتى عدتُ. غضبت مني

بعض الشيء؛ لأنني ذهبتُ بمفردي، لكنها قالت بعد ذلك إنني ماهر جدًّا، ولم أعرف ما السبب، فهو طريق الذهاب نفسه إلى المدرسة والعودة منها.

أعددتُ شايًا لجدتي. تعافت ليلة رأس السنة، ثم ذهبنا للتسوق، واضطررنا إلى غسل الكثير من الأطباق التي كانت متراكمة؛ لأني لم أشغِّل غسالة الأطباق. ثم جاء بعض الجيران ليهنئونا بالعام الجديد، اعتقدت أن "فرانتا" ربما سيأتي أيضًا ليلعب معي على جهاز الإكس بوكس ، لكنه لم يأتِ. ثم في وقت ما من بعد الظهر جاءت أمي، وسألت جدتي لماذا هي نحيفة هكذا؟ وسألتني أنا عما فعلته هنا، لكني أعتقد أنها لم تستمع إلى ما قلته لها على أي حال، ثم ذهبت للركض مرة أخرى، وانتظرنا نحن الثلاثة حتى منتصف الليل، لكن أمي كانت لا تزال تُراسِل شخصًا ما على هاتفها المحمول باستمرار، وكنت أنا ألعب على هاتفي؛ لأن جدتي تريد مشاهدة التليفزيون، لكنها كانت تغفو باستمرار. ثم ذهبنا إلى الخارج، وأخذنا نشاهد الألعاب النارية، التي أطلقها الآخرون، فلم يكن لدينا أي ألعاب نارية، فقالت أمي:

– أنا مندهشة أنكم لم تشتروا شيئًا.

– لقد شعرتُ أيضًا بالأسف؛ لأنه ليس لدينا هنا أي ألعاب نارية، كان عليَّ أن أشتريها عندما ذهبتُ للتسوق.

– في العام الماضي أطلقتم الألعاب النارية هنا لنصف ساعة تقريبًا.

قالت جدتي:

– نعم. أبوكِ.

– عذرًا. ولكن كان بإمكانك شراؤها، وكنا سنفعل ذلك بأنفسنا.

قالت جدتي:

– إنها تُفزع الحيوانات.

ودخلت إلى المنزل، بينما أمي تنظر إليَّ، كأنه ما كان ينبغي لها أن تقول ذلك. أشاهد هذه الألعاب النارية وهي تضيء السماء، يا له من منظر رائع! سمحتُ لأمي أن تُمسك يدي وتُقبِّلني، وقالت لي:

- العام الجديد سيكون رائعًا، أليس كذلك؟

فقلتُ لها:

- بالتأكيد.

وواصلنا الوقوف والمشاهدة، ولكن ظل حجم الألعاب النارية يصغر ويصغر حتى صار لا يستحق الوقوف والمشاهدة. لذلك عدتُ إلى المنزل وقالت أمي إنها ستذهب للتمشية.

في أول يوم في السنة الجديدة كان علينا أن نأكل العدس على الغداء، وغادرت أمي لأن عملها الكبير سيبدأ بعد أسبوع أو يزيد، ولهذا السبب كانت متوترة بالفعل، فعليها أن تقرأ الكثير من النصوص. بعد الظهر قالت لي جدتي إنني لا أستطيع اللعب فقط طوال الوقت، وهكذا عرفت أن الإجازة قد انتهت.

أخيرًا، قررت أن أكتب عن لعبتي المفضلة، وهي لعبة "ديابلو". وفقط عندما أوشكت على الانتهاء من ذلك تذكرتُ "بادمي". لكنها السبب في ذلك، لأنها دائمًا مختبئة في مكان ما، ولا يوجد أي نوع من البهجة معها.



عندما ذهبت "إيفا" لتشتري كَمِّيَّةً كبيرة بعد الاحتفال ببداية العام الجديد، كانت ضعيفة للغاية، وتعاني صداعًا مستمرًّا. ولكن هذه مرحلة ما بعد المرض. لم تعاني مثل هذه الإنفلونزا من قبل، منذ فترة طويلة، ولا تتذكر حقًّا أنها قد أصيبت بها قط. كانت وهي مصابة بالحمى تحلم بـ"يندرشيخ"، أحلام كأنها واقع، كما لو كان يجلس بجانبها على لحافها، وهي لم تكن قادرة على الحركة، ولكن من كان مستلقيًا على اللحاف هي القطة فقط.

جلست، فهي تحتاج إلى الراحة للحظات قليلة، فقط للحظات، حتى لا تُصاب بالبرد، فقد عاد البرد الحقيقي مرة أخرى، والبخار يخرج من فمها. كان لزامًا عليها كل صباح أن تجرف الثلج من الممر الذي يصل بين باب المنزل وباب الحديقة حتى يمكنها الخروج بسيارتها إلى الشارع.

سيتعين عليها في الربيع أن تُخلي الورشة حتى تتمكن من استخدامها مرأبًا للسيارة في الشتاء المقبل، لقد كان "يندرشيخ" دائمًا هو من يعتني بهذه الأشياء المتعلقة بالسيارة في فصل الشتاء، كان يستيقظ في الشتاء ليُجهِّز لها السيارة لتنقل الكعك، حيث كان يرتدي سترة فقط فوق البيجامة، وعندما تُغادر يعود للنوم مرة أخرى. كان ذلك يزعجها، فلماذا لا ينهض إذا كان قد استيقظ بالفعل؟

شعرت بالذنب لأنها لم تتصل بـ"هانا" لتأخذ "فيكتور" عندها، ولكن في البداية بدا الأمر كأنها ستأخذ الأسبيرين وستكون بخير. بعدها عرضت عليه ذلك، وفرحت عندما رفض، لقد تغلبوا على ذلك، ونجح هو في الاختبار عندما انتهت الحمى السيئة التي كانت تُعانيها، ولاحظت أن "فيكي" كان يُعد لها الشاي، ويترك لها الطعام بجوارها، كانت فخورًا به حقًّا، إنه ليس طفلًا سيئًا، إنه طيب، وإلا فلم يكن ليفكر في ذلك. اعتذرت إليه في نفسها، فهو طيب القلب.

أرادت أن تجعله سعيدًا، لتعوض ذلك الأسبوع؛ فلقد كانت هذه إجازة عيد الميلاد الخاصة به، ولم يهتم به أحد. سألته عما يريده، فقال لعبة جديدة لجهاز الإكس بوكس الخاص به، وهو ما تعدُّه "إيفا" غباء مطلقًا. لا، فهي حقًّا لن تشتري له لعبة أخرى، فهو على أي حال يقضي الكثير من الوقت في اللعب على هذا الجهاز، ولا بد أن تضع قواعد لذلك، لكنها شعرت مرة أخرى بالإعياء.

أخيرًا نهضت من فوق الأريكة أمام متجر "ليدل"، ووضعت كل الدقيق والسكر في السيارة، فستعود مرة أخرى إلى العمل.

فقط تمنت لو أن الصداع الذي تعانيه يتوقف أخيرًا.

قال "بيتر":

- لقد أصبحتِ نحيفة، لكن انظري كم أنتِ طرية!

قام بوخز ذراعها بإصبعه، بينما كانت "هانا" تلهث، لقد استطاعت أداء تمرين الضغط على العارضة ثلاث مرات، فكيف يمكنه أن يقول إنها طرية بحق الجحيم؟ منذ اللحظة التي التقت فيها "يرجي" مرة أخرى، عندما كان ينتظرها هناك وبدا حزينًا للغاية لأنه لا يستطيع العيش من دونها، إلى درجة أنه لم يشعر تقريبًا بطعم الاحتفال بعيد الميلاد. وقال أيضًا إن كل ما يريده هو أن يعيش معها. وأنه يعرف أن هذا ليس الوقت المناسب، فهناك عمل كبير ينتظرها الآن، ولكن عندما تُنهي مسلسل "نوكتورن" سيفعلان ذلك، سيصارح زوجته، وسيعيشان معًا، هل تريد "هانا" ذلك؟ قالت "هانا" إنه لم يسبق لها أن سمعت من أحد أجمل من هذا الكلام، وهذا ربما لم يكن صحيحًا، وبالإضافة إلى ذلك، فكرت "هانا" في نفسها قائلة: "ما الجميل في رغبة "يرجي" ترك زوجته وطفلته الصغيرة؟" على الرغم من أنه شيء رائع بالطبع أن يفعل كل هذا من أجلها. ولم يتحدثا عن أي شيء بعد ذلك، لماذا؟ لأنها ستسافر الآن لتصوير المسلسل، لكن "هانا" تعرف أنه لن يتخلى عنها، وبدا كأن حبه هذا يُعيد شحن طاقتها، حتى أنها بدأت تتدرب على مرحلتين، وتحفظ السيناريو. ولم تعد تشرب النبيذ، وتصنع لنفسها في الصباح كوكتيل البروتين، وهو ما أوصى به مدربها. عندما تُنهي مسلسل "نوكتورن"، ستعيش هي و"يرجي" معًا، حياتها الجديدة، وشعرت بمدى قوتها، وسخائها. مسكين "بيتر"، فهو متوتر جدًّا، فسيبدؤون التصوير في غضون أيام قليلة، لذا ابتسمت له بلطف، وقالت:

- لا تخف، سننجح في ذلك.

فقال "بيتر":

- حسنًا، سنرى، إن الشخص الوحيد الذي سيموت من جراء ذلك هو أنا.

رن هاتفه، أجاب، لوَّح إلى "هانا" بيده وانصرف. نظرت "هانا" في هاتفها لترى خل كتب "يرجي" إليها رسالةً نصية أم لا، كتب يسأل: هل سيلتقيان في المساء؟ فردت "هانا" برسالة نصية: "بالتأكيد"، وذهبت للجري على جهاز المشي لفترة من الوقت، بينما أدركت أنها يجب أن تذهب لرؤية "فيكي" قبل السفر. لن تستطيع الذهاب غدًا، لأنها ستمثل، عليها أن تذهب اليوم.

كتب إليها "يرجي": "حسنًا، سأذهب أيضًا إلى "ريبني"، يمكننا أن نلتقي في وقت متأخر من الليل في مكاننا". فكتبت إليه "هانا" "ربما"، لأنها تُفضِّل أن تكون اليوم مع "فيكتور" وأمها، فلا يزال لديها ليلتان لتقضيهما مع "يرجي". لكنها رغم ذلك لم تستطع أن تقاوم، فبعد أن ذهب "فيكي" للنوم وأمها أيضًا، ارتدت ملابس الجري، فماذا لو استيقظت أمها؟ لكنها لم تستيقظ. التقت "هانا" "يرجي" في مكانهما على الأريكة عند البحيرة. أعارها "يرجي" سترة، وقال إنه سيأخذ إجازة من العمل بعد غد حتى يتمكنا من قضاء اليوم بأكمله معًا، بدءًا من مساء الغد، مباشرة بعد عرضها المسرحي، وسيكونان معًا طوال الليل وطوال اليوم، والليلة التالية. شعرت "هانا" بأنها أسعد شخصٍ في العالم، فربما يذهبان في رحلة، أو ربما يبقيان طوال اليوم في السرير، ويطلبان الطعام في المنزل. قال لها "يرجي":

- سأذهب للركض معك.

فقالت له هي:

- لكن ليس معك حذاء رياضي.

- سأشتري واحدًا.

هذا ما ستبدو عليه حياتهما معًا.

باستثناء ما حدث في اليوم التالي بعد انتهاء عرضها المسرحي، عندما كانا يجلسان في بار المسرح ويشربان النبيذ، كأسين صغيرتين فقط قبل انصرافهما، فـ"هانا" لم تعد تشرب بسبب التدريب، وبينما كان "يرجي" يُمسك بيدها ويتحدثان فقط، حيث كان يحكي لها كيف كُسرت يده في أثناء التزحلق على الجليد عندما كان طفلًا، فجأة ظهرت زوجته.

وصلت تقريبًا إلى حيث يجلسان، ولم تقل كلمة واحدة.

ترك "يرجي" يد "هانا".

سأل زوجته:

- أين "إيميتشكا"؟

لكنها خرجت مسرعة.

- يجب أن أذهب إليها.

وهو ما تتفهمه "هانا" بالطبع. بعد لحظات عاد متوترًا، وانهار على المقعد. قال لـ"هانا" إن "إيميتشكا" تنام في السيارة، وكأن هذا الأمر يهمها.

- لم يكن من المفترض أن أذهب إلى هناك اليوم.

ربتت "هانا" كتفه، فجفل "يرجي" قليلًا.

- ولكن عليَّ أن أذهب إلى هناك على أي حال، أليس كذلك؟

- لا أعرف، أنت من يعرف.

فقال "يرجي" موضحًا:

- لا، ربما لا. فـ"ليدا" ليست هكذا، عندما تقول شيئًا ما، فهي تعنيه، وهي لا تأتي عادة بهذه الإيماءات.

بقيت "هانا" صامتة، وهي تبتسم وتقول في نفسها: "إن "ليدا" هذه عظيمة".

ثم قالت "هانا" بلطف:

- هل سنذهب إلى المنزل إذًا؟

فنظر "يرجي" إليها وقال:

- ربما سأذهب إلى منزلي اليوم.

لم يتفقا على ذلك. نهض وأخذت "هانا" تنظر إليه وترى كم هو محطم! بالطبع لم يكن من المفترض أن يكون الأمر هكذا، لكن لديهما خططهما، ليس فقط للغد، بل لحياتهما كلها، وهذا الذي حدث، ربما حدث مبكرًا عما كان مفترضًا له.

- حسنا، وماذا عن الغد؟

- لا أعرف يا "هانا". لا أعرف. أنا سأتصل بكِ.

- انتظر، فلن تغادر هكذا.

داعبها "يرجي":

- لا تقلقي، أنا فقط بحاجة إلى التفكير. لا شيء سيتغير بيننا.

وبعد ذلك انصرف، فشربت "هانا" كأسًا ثانية من النبيذ، وربما ستبقى هنا اليوم لفترة أطول قليلًا، فليس لديها ما تفعله غدًا على أي حال.

في اليوم التالي كتب إليها "يرجي" أنه سيذهب إلى عائلته، فلديه يوم إجازة، يوم الإجازة الذي كان من المفترض أن يقضيه معها، لكنهما بالتأكيد سيلتقيان قبل أن تغادر هي إلى "أوسترافا". وانتظرت "هانا" بعد ذلك أن يتصل بها، ولكنها في الخامسة مساءً أخذت حقيبتها المُعدة بالفعل، وقررت أن تذهب إليه، فهي لا تستطيع، ولا يمكنها المغادرة للتصوير وهي لا تعرف ما الذي سيفعله. فلن تكون قادرة على التركيز على الإطلاق، وكل ما ستؤديه من عمل سيكون بلا قيمة، فلا يمكنها ترك الأمر هكذا. وقد أكد لها "يرجي" من قبل أن خطتهما قائمة، وليس هناك ما تخشاه. ربما زوجته تتلاعب به، ربما حدث شيء ما، فـ"هانا" لا تعرف أي شيء. ستذهب لرؤيته وسيتحدثان ثم تعود ليلًا. يمكنها النوم غدًا في طريق السفر. كتبت إليه "أنا قادمة إليك" حتى لا يذهب إلى أي مكان.

عندما انعطفت تجاه "ريبني" شعرت بالذنب؛ لأنها لن تذهب لرؤية "فيكتور"، فعليها -على الأقل- أن تذهب لتحيته، طالما أنها هنا. فهي لن تراه عشرة أيام على الأقل، وربما ستمثل في المسرح يوم الإجازة، وستضطر إلى البقاء في براج. لكنها على أي حال، اتجهت نحو الحانة حتى لا تُضطر إلى المرور بمنزلهم، وانطلقت إلى آخر الطريق، إلى البحيرة. كان "يرجي" موجودًا بالفعل هناك.

كان جالسًا في السيارة ونائمًا. شعرت "هانا" برغبة في مداعبته كأنه طفل صغير. نقرت بحذر على نافذة السيارة، لا شيء. فنقرت بقوة أكبر، استيقظ "يرجي" وقد فزع للغاية. جلسا في خارج السيارة على الأريكة، ولم يلمس أحدهما الآخر.

- يا له من شيء بشع! إنها لم تسمح لي بدخول المنزل على الإطلاق.

- وماذا فعلتَ هنا طوال اليوم؟

- كنتُ أعمل في السيارة.

قالت "هانا" كأنها قد تحلت بالشجاعة التي لا يمتلكها هو.

- وماذا بعد؟

لن يقدر على ذلك، كان هذا واضحًا.

تنهد "يرجي" ثم قال:

- أنتِ غدًا ستغادرين.

قال هذا كأن "هانا" ستنتقل إلى أمريكا، وكأن المشكلة الأساسية في رحيلها.

- نعم، ولكني سأعود، أليس كذلك؟

- ليس من المفترض أن يحدث هذا. فلن أقدر على ذلك من دونك.

أمسك يدها وأكمل:

- لقد أردتُ أن أُعِدَّها لذلك تدريجيًّا. لكنكِ الآن ستغادرين، وأنا... أنا فقط بحاجة إليكِ هنا من أجل ذلك. لقد أفسد هذا كل شيء.

وفي تلك اللحظة خطر ببال "هانا" أنه ربما كان يريد ذلك حقًّا، ربما كان يعتقد حقًّا أنه يستطيع فِعل ذلك، ولكن الآن بعد أن حدث ما حدث، فهو لا يستطيع، لقد أراد فقط مهلة، الأشهر التي ستغيب فيها "هانا". نعم، لقد أفسد هذا كل شيء، لكن هذا ما كان يجب أن تقوله هي، فبدءًا من بعد غد سيكون لديها تصوير صعب، وهو دور كبير لم تلعبه من قبل. وحتى أمس فقط كانت في حالة حب، يملؤها الأمل والتخطيط للمستقبل، واليوم هي تجلس هنا مع الرجل الذي تحبه، وهو لا يستطيع أن يترك زوجته، وأن أكثر ما يزعجه هو أن زوجته اكتشفت ذلك.

فقالت:

– تغييرات سريعة جدًّا، أليس كذلك؟

كانت حريصة على ألا يسمع نبرة السخرية في صوتها. نظر إليها وقال:

– على أي حال، فإنكِ ستغادرين. ولن يكون لديك وقت لي. وعندما تُنهين...

– عندما أُنهي، لن يكون هناك شيء.

بالطبع كانت تأمل أن يقول لها "يرجي": "لا، انتظري، أنا جاد، وسيمكنني التعامل مع الأمر، ورغم أن الأمور لا تسير وفقًا لما خططنا له، لكني أحبكِ أنتِ وليس هي، وسأتركها"، وكل هذا الهراء.

لكن "يرجي" لم يقل شيئًا. هنا أدركت "هانا" أنها لا تزال تُمسك بيده، فسحبتها بعيدًا. ثم نهضت.

قال "يرجي":

– لا أريدك أن تغادري بهذه الحالة. فالقيادة وأنتِ مشتتة الفكر أمر خطير.

صرخت في وجهه:

– لا داعي أن تقلق بشأن ذلك على الإطلاق.

ركبت سيارتها وشغَّلتها. إنها لا تزال تنتظر منه أن يوقفها، لكنه ظل جالسًا على الأريكة. "لا تنظري إليه، يا "هانا"". فقط عندما انطلقت بالسيارة، نظرت

في مرآة الرؤية الخلفية، فرأت أن "يرجي" يشير إلى شيء ما، لكن "هانا" لم تفهم ماذا يريد، فهمت فقط من حركاته أنه لا يوجد شيء يستحق التوقف من أجله.

فقط بعد قليل كان هناك طفل من القرية يمر بجانب الطريق، لم ترَه إلا في اللحظة الأخيرة، وهنا أدركت "هانا" أنها لم تشعل أضواء السيارة.



موت "سنيجيك"

حدث الكثير من الأشياء، التي بدأت بوفاة كلب "مارتينا". فعند ذهابي إلى المدرسة، أصبح بإمكاني أن أركب دراجتي الجديدة بأمان، لأن الجو قد أصبح دافئًا للغاية والطريق مبتل فقط، ولكن عند ذهابي إلى المدرسة يوم الأربعاء، رأيتُ "سنيجيك" ميتًا، و"مارتينا" و"فرانتا" و"كايا" و"بوهوش" واقفين بجواره. وعندما اقتربت منهم، اندفعت "مارتينا" نحوي و"أسقطتني" من فوق الدراجة، وصرخت فيّ أن أمشي. فضلتُ الانصراف، لأنه عندما تكون "مارتينا" غاضبة إلى هذا الحد، فلا يمكن الحديث معها. فذات مرة في المدرسة كانت غاضبة هذا الغضب في أثناء الحصة، واضطرت المعلمة إلى أن ترسلها إلى المرحاض لتهدأ، ثم كتبت إليها ملحوظة في دفترها، وعندما غادرت، ركلت الباب بقدمها، فقد علمت أنها ستواجه مشكلة كبيرة.

أما أنا، فلم يكن هناك أي حديث بيني وبين "مارتينا" على الإطلاق.

أخبرت جدتي في فترة ما بعد الظهر أن "سنيج" قد مات، فهزَّت كتفيها، "حسنًا، لقد كان يتسكع هنا باستمرار، لذا كان واضحًا أن نهايته ستكون سيئة"، ولم تتحدث عن الأمر بعد ذلك، لكنها تحدثت عن واجباتي المدرسية، وسألتني عن أخبار المدرسة، وعمَّا ستطبخه وتخبزه، وهي الأشياء التي تناقشها معي باستمرار، لكني لا أعرف لماذا، فأنا حقًّا لا أهتم بذلك.

ثم جلست جدتي إلى الطاولة، وبدأت بكتابة قائمة التسوق الخاصة بها، وعادة ما تنام في أثناء فعل ذلك، فذهبتُ للعب على جهاز الإكس بوكس.

في اليوم التالي حضرت "مارتينا" إلى المدرسة، لكني لا أتحدث معها، وإلا لقلتُ لها إنه شيء مؤسف حقًّا أن يموت كلبها، لكني لاحظت أنها تُمسك باستمرار بدفتر ملاحظات في يدها. وعندما ذهب الجميع بعد ذلك لتناول الغداء، ما زلتُ لا أذهب لتناول الغذاء في مطعم المدرسة، فجدتي تصنع لي وجبة خفيفة مضاعفة الكمية، وأحيانًا تكون بالتأكيد أفضل مما يقدمونه في مطعم المدرسة، لذا فتحتُ حقيبة "مارتينا"، نظرت في دفتر ملاحظاتها، فرأيتُ أنها تعتقد أن هناك شخصًا ما قد قتل كلبها، وكتبت قائمة بأسماء أشخاص من القرية، تعتقد أنهم ربما فعلوا ذلك. لم أتمكن من قراءة ما بالدفتر بدقة، لأنه دائمًا هناك شخص يتجول بالقرب من غرف خلع الملابس، ولا أريد أن يراني أحد، فأعدتُ الدفتر إلى حقيبتها، وذهبت لأنتظر جدتي أمام المدرسة، بينما أشعر بالأسف لأني لا أستطيع البحث أيضًا، فجدتي لن تسمح لي بالخروج بمفردي، على الرغم من أنني لم أفعل ما يُغضبها منذ فترة طويلة.

وعندما سألتُها قالت:

- لا أريدك أن تتسكع بمفردك دون مراقبة.

- لكن عندما كنتِ مريضة...

- حسنًا، أنا لم أكن سعيدة بذلك أيضًا. لقد كان ذلك خطأً، وقد كان من المحتمل أن تذهب إلى براج.

- لكني فعلتُ ذلك ولم أفعل أيَّ شيء آخر.

- نعم، لقد فعلتَ ذلك على نحو رائع.

- إذًا فلماذا لا تثقين بي باستمرار؟

فقالت جدتي:

- إن الأمر يستغرق وقتًا طويلًا حتى يبدأ المرء بالوثوق بشخص سبق وأن فعل أشياء شائنة عدة مرات.

ولكني شعرتُ بأنها قالت ذلك بلطُف للغاية، لذلك من المحتمل أنها ستبدأ بالوثوق بي قريبًا. الشيء المؤسف أنني كنتُ أنظر من النافذة في المساء، لأن "بادمي" خرجت مرة أخرى من المنزل، وبقيت هناك لوقت طويل جدًّا، وأنا لا أحب أن تغيب هكذا لفترة طويلة، ولا أعرف شيئًا عنها، فعلى الأقل أتمكن من متابعتها وهي تتسلل عبر الحديقة عائدة إلى المنزل، عندها رأيت "مارتينا" وهي تسير على الطريق، وتضع وشاحًا أسود على وجهها، وتُسرع مثل الهنود الحمر، أي بهدوء ودون أن يلاحظها أحد.

حسنًا، عليَّ أن أتتبعها، لكننا في المساء، ومن المؤكد أن جدتي لن تسمح لي بذلك، لذا يجب أن أكذب مرة أخرى.

صحتُ في جدتي: "سأذهب لإحضار "بادمي"، وأخذتُ سترتي وركضت وراء "مارتينا". لحسن الحظ أنها ترتدي سترة حمراء، لذا تمكنتُ من رؤيتها، وهي تتسلق سياج حديقة عائلة "كرال". ورأيتُها أيضًا وهي تتسلل إلى حظيرتهم، بعدها جاء السيد "كرال" إلى تلك الحظيرة ومعه كلبه، قلتُ في نفسي إن عليَّ أن أذهب إليه، فماذا لو ترك كلبه طليقًا وحدث شيء ما لـ"مارتينا"، لكن هذا سيكون خيانة لها. وهكذا وقفتُ مختبئًا وقلبي يدق، لكنه خرج مع الكلب، وأغلق باب الحظيرة، ولحسن الحظ أغلقه فقط بالمزلاج، وليس بالقفل.

وعندما انصرف، تسللتُ إلى هناك بحذر، وفتحتُ الباب لـ"مارتينا" وأنقذتها، فأخبرتني بكل شيء، بأن هناك شخصًا ما قتل كلبها، ومن المحتمل أنه "كرال"، ولكن ليس لديها دليل على ذلك بعد، وأنه يُمكنني من الغد أن أبحث معهم، وهذا أفضل شيء في العالم.

ولكي تزداد روعة ما حدث، أمسكتُ بـ"بادمي" أمام المنزل، لذا سأتمكن من إخبار جدتي أنني كنت أبحث عن القطة طوال الوقت، ورغم مرور ساعة تقريبًا، ورغم أن الأمر يبدو غريبًا، لكن القطة معي، وهذا يكفي. كانت جدتي تجلس إلى الطاولة، وعندما رأتني قادمًا من الخارج ومعي "بادمي"، قالت فقط:

- أين كنتَ؟

فقلتُ:

- كنتُ أبحث عن "بادمي".

أومأت جدتي برأسها، وكأنها تقول حسنًا، ثم نظرت إلى ساعتها، فتجمدت تمامًا في مكاني، لكنها قالت فقط: "عليكَ أن تذهب لتستحم". لم تقل ذلك بغضب على الإطلاق، بل على الأرجح بحزن.



لكن بالطبع لم ينتهِ الأمر بسفرها، فهي لم تتوقف عن حبه حتى في لحظة إدراكها لذلك، ثم قالت في نفسها: "وماذا لو لم أتوقف عن حبه قط؟" كانت ممددة في فراشها في الليلة الأولى في غرفة الفندق، التي تفوح منها رائحة دخان خفيفة، رغم أنها هي نفسها تدخن، لكن رائحة الدخان في غرف الفنادق تُثير اشمئزازها، كانت النافذة مفتوحة، وهناك ضباب دخاني بارد في الخارج، يجب أن تنام، وضعت الهاتف جانبًا: "إنه لن يكتب إليكِ، فماذا عساه أن يكتب؟ عليك أن تركزي، وترتاحي، وتستعدي، ولا تظلي هكذا مستلقية هنا في الثانية صباحًا، وتستمعي إلى أنفاس "يوهانا" على السرير الآخر".

لكنها في النهاية نامت، وفي الصباح اختلف كل شيء عندما بدؤوا التصوير، كما لو أن كل الأشياء الأخرى لم يعد لها وجود. تذكرت "يرجي" فقط في المساء عندما ذهبوا إلى بار الفندق للشرب في اليوم الأول، لكنها لم تُفكر فيه طويلًا، فلقد كانت مشحونة بطاقة هؤلاء الناس، وطاقة طاقم العمل بأكمله وكل من

كان هنا، وبقضيتهم المشتركة، فقد انقطعوا جميعًا عن حياتهم الطبيعية. عندما انتهوا من تصوير المشهد الأخير في هذا اليوم، اتصلت بـ"فيكتور"، ولكن لم يكن لديه وقت للتحدث معها، لذلك تحدثت لبعض الوقت مع أمها، التي بدت أيضًا لا ترغب في التحدث معها، فكل شيء معهما على ما يرام، وقد شعرت "هانا" بأنها سعيدة بالفعل؛ لأن هذا الأمر قد انتهى، لذلك فهي ستعوضهما عن كل شيء، "فيكي" وأمها. ستنتظرهما إجازة صيفية جميلة، فعندما تُنهي التصوير في نهاية مايو، قد تأخذ أمها أيضًا إلى البحر، وتخيلت لحظات الأشياء الرائعة التي ستفعلها لهما، لطفلها الصغير ولأمها. لكن هناك من قدم لها النبيذ بالفعل، ربما هو من مهندسي الصوت، فذهبت إلى طاقم العمل، وجلست "هانا" إلى طاولة الممثلين، حيث كان "مارتين هروبي" يروي قصة عن كيف كسر إحدى أسنانه ذات مرة. لقد أعجبت "هانا" به، فهو يروي لهم هنا هذه القصة من باب التسلية، ولكنه يرويها ببراعة، إنه لا يزال محترفًا حتى الآن. حتى إنها في هذه اللحظة لم تجده بشعًا كما كان ينظر إليها شزرًا اليوم في أثناء التصوير، فعندما فتحت له الباب في منتصف الليل بقميص نومها، قال لها لدينا جثة أخرى هنا. بالطبع كان يحدق إليها؛ لأن هذا هو دوره، فهو رئيسها المثير للاشمئزاز، الذي يريدها. وحقيقة أنه كان ينظر إليها شزرًا بهذه الطريقة، عندما كانوا في البروفة، وعندما خرجت من غرفة الملابس، ربما قد أخذته "هانا" على محمل شخصي، يا إلهي! إن الأمر لا يتعلق بها، فهو لا يريد أن يقيم علاقة معها، فقد اقترب من الستين وهو أسطورة في التمثيل. كان يضحك مع الآخرين. قصة رائعة حقًّا. غمز لها "مارتين هروبي" بعينه، إنها غمزة لطيفة، كأنها صديقته، وهي بالفعل كذلك.

هنا أشار مساعد المخرج بإصبعه إليها وإلى النبيذ الموجود أمامها وقال:

- "هانا"، انتبهي إلى حالتك البدنية، فأنا مسؤول عنك هنا. عليك أن تكوني في حالة بدنية جيدة طوال الوقت. هل تعلمين أن بهذا الفندق صالة للألعاب الرياضية؟



بحثنا في القرية عن الشخص الذي يمكن أن يكون قد تسبب بموت "سنيجيك"، لأنه يبدو أن "كرال" لم يفعل ذلك. كانت هذه مغامرة، والأهم من ذلك، أنها كانت رائعة؛ لأن "مارتينا" و"فرانتا" عادا صديقين مرة أخرى. وأيضًا "كايا" و"بوهوش"، لكن هذا لا يهم على الإطلاق. كما أن جدتي أصبحت تسمح لي بالخروج معهم، لذا أعتقد أنها بدأت تثق بي مرة أخرى.

وعلى الرغم من أنها فرضت علينا التوقف في منزلنا لتناول وجبة خفيفة، فإن هذه كانت فرصة لأريهم جهاز الإكس بوكس و"بادمي".

ولكن بعد ذلك اتضح أن هناك شخصًا ما هو من قتل "سنيج" بالفعل، ولكن عن طريق الخطأ. لقد صدمته السيدة "ليدا"، جارتنا التي أعطتنا "بادمي"، بالسيارة، وقد حدث ذلك لأنها كانت تحت ضغط نفسي شديد وتبكي، لأن زوجها هذا الشخص اللطيف الذي وصل جهاز الكمبيوتر لي، بدأ بمرافقة سيدة أخرى.

هذا ما سمعناه جميعًا عندما كنا نتنصت سرًّا تحت نافذتهم، ولكنهم بعد ذلك أمسكوا بنا، فصرخت هذه السيدة في وجهي، وطلبت مني الخروج من حديقتها فورًا، لقد كانت طريقتها في غاية السوء معي، ولم أفهم السبب، فلماذا معي أنا خاصةً؟ ولكن بعد ذلك قال لي "فرانتا" إن هذه السيدة المقصودة ربما تكون أمي، في تلك اللحظة عرفت أنه بالتأكيد على حق، فيمكن أن تكون أمي لأنها جميلة وممثلة، وقد كانت تتصرف بغرابة في الفترة الأخيرة. وقد قالت لها جدتي بالفعل منذ وقت طويل: "لماذا لا تستطيعين العثور على رجل طبيعي؟ لماذا يجب أن تكون هناك مشكلة دائمًا؟"، وهذه مشكلة بالفعل.

غضبت "مارتينا" مني، وهو ما جعلني أغضب أيضًا، إنها المرة الثالثة التي تتعامل فيها معي بهذه الطريقة المقززة، رغم أنني كنتُ الملوم مرة واحدة فقط. أشعر أنني لا أودُّ التحدث معها مرة أخرى أبدًا، ما دامت تصرخ في وجهي بهذه الطريقة، وتقول إنه لم يكن ينبغي لنا أن ننتقل إلى هنا، فهذا ما اعتقده أنا أيضًا، لكن "فرانتا" وقف في صفي، وذهبنا للعب على جهاز الإكس بوكس في منزلنا، وتركنا "مارتينا" وحدها، ما دامت هي هكذا.

في المساء وأنا في السرير، أخذتُ أفكر فيما يجب أن أفعله حيال ذلك، ولماذا تستمر أمي في إفساد كل شيء بالنسبة لي، ما دام يجب أن أكون هنا؟ فلماذا يموت الكلب بسببها، وإن كان ذلك غير مباشرة، لكني في الواقع أتفق مع "مارتينا". فلماذا بدأت بمرافقة رجل متزوج بالفعل؟ فلديها الكثير من الأصدقاء الممثلين وغيرهم. أنا سعيد لأن أمي ليست هنا وهي موجودة بالفعل في موقع التصوير، ومن المحتمل أن تأتي بعد أسبوعين أو ربما أكثر، لأنني الآن غاضب منها مرة أخرى، وربما لا أريد التحدث معها، وخاصة عمَّن تُرافِقه، فمن المثير للاشمئزاز لي عندما أراها تُقبِّل شخصًا ما، عندها أُفضِّل دائمًا أن أغمض عيني أو أُدير ظهري.

في اليوم الثاني ما زالت "مارتينا" لا تتحدث معنا.

قال "فرانتا": اتركها وشأنها وستهدأ." ثم ذهبنا معًا للتزلج، وقد أصبحت جدتي تسمح لي بالخروج على نحوٍ طبيعي، فهي سعيدة لأنني صار لديَّ أصدقاء، وذلك بالطبع بعد أن أُنهي واجباتي المدرسية. وكان "فرانتا" على حق، فقد بدأت "مارتينا" تتحدث معنا، وعندما أصبحنا جميعًا أصدقاء الآن، صار الوضع جيدًا جدًّا هنا، حتى لو كانت قرية فحسب، وإذا كان عليَّ أن أبدأ بممارسة الجودو أو الهوكي، فربما قد يذهب "فرانتا" معي أيضًا.



بعد خمسة أيام من التصوير، تخلَّلها عرض مسرحي واحد، تولوا هم أمر انتقالاتها، فنامت "هانا" طوال الطريق ذهابًا وإيابًا، وعادت إلى الفندق ليلًا، وقد اعتادت بالفعل رائحة السجائر الكريهة في الغرفة، بل أحيانًا كانت هي و"يوهانا" تدخنان سيجارة من النافذة في الليل. إنه أمر مرهق، لكنه رائع، وسينتج عنه شيء عظيم، والجميع يعرف ذلك، ربما لا يكون الأمر مميزًا لـ"مارتين هروبي"، ولهذا السبب فهو يكون في بعض الأحيان عدوانيًّا، فربما هو معتاد ظروفًا معيشيةً أفضل، فالطعام في الفندق في غاية البشاعة، ولا تستطيع "هانا" في الصباح حتى النظر إلى البيض المعد هناك.

كان لديها يوم واحد إجازة، فأوصلوها إلى براج، وعندما دخلت إلى شقتها، كانت التدفئة مطفأة، فشعرت فجأة بوحدة فظيعة، كان بوسعها أن تذهب لرؤية "فيكي" وأمها، ولكن لديها بعض الترتيبات، وسيتعين عليها العودة في المساء على أي حال. الأمر لا يستحق، ستلتزم الخطة، وستذهب إلى هناك بعد أسبوع، فسيكون لديها ثلاثة أيام إجازة، وعلى الأقل يمكنها قضاء بعض الوقت معهم. لا تزال مكالماتهما الهاتفية معها مختصرة، لكن هذا جيد، فهذا يعني أن كل شيء على ما يرام. قالت أمها إن "فيكي" أقام أخيرًا صداقة مع بعض الأطفال، ووفقًا لما قالته أمها، فإنهم أطفال جيدون، وأنه في شهادة منتصف العام لن يحصل إلا على أربع تقديرات جيد جدًّا فقط.

إذًا فهي لن تذهب إلى أي مكان، وبدلاً من ذلك شغَّلت التدفئة، وذهبت إلى الفراش، لكن كان هذا خطأً، فلا تزال رائحة "يرجي" في الفراش. لقد كتب إليها عدة مرات، ولم ترد، ولكن الآن تتمنى لو كان هنا. كان عليها أن تبقى في موقع التصوير، فبعضهم بقي هناك، كان عليها البقاء هناك أيضًا، ولا تأتي لتعاني هنا. نهضت مرة أخرى، وذهبت لمطالعة بعض المكاتبات البريدية، فلديها خطاب من الشؤون الاجتماعية، كما عليها أيضًا أن تؤدي بعض الأشياء المتعلقة

بالضرائب. ذهبت إلى الخزانة ذات الأدراج، التي تحتفظ فيها بكل فواتيرها ومستنداتها المهمة، وأخذت تبحث فيها عن عقود العمل وكل ما يتعلق بها.

وجدت بين الأوراق صورة لـ"فيكي" مع فصله من العام الماضي. كان "فيكي" يضحك لها، كيف تغيَّر هكذا في أقل من عام، الصورة من شهر مايو الماضي، كان لا يزال صغيرًا جدًّا، كيف تحوَّل خلال هذه الفترة إلى فتى كبير؟ شعرت برغبة في الذهاب إليه على الفور، ولمَ لا؟ فالضرائب يُمكن أن تنتظر، فستتمكن من اصطحابه من المدرسة، وتقضي معه فترة ما بعد الظهر. أعادت المستندات إلى مكانها، ووضعت الصورة في حقيبتها، فستري "فيكي" إياها، وخرجت من المنزل. أزالت الثلج عن نافذة السيارة بغطاء قرص مدمج، ولكن محرك السيارة لم يعمل.

يا له من يوم بشع عديم الفائدة! أغلقت السيارة وصعدت إلى شقتها مرة أخرى. لم تعد لديها رغبة في الاستمرار في فرز المستندات، جلست إلى الطاولة وبسرعة كبيرة حتى لا تفكر في الأمر، كتبت إلى "يرجي": "إذا كنتَ في براج، يمكن أن نلتقي".

أجاب في غضون ثوانٍ.

يمكنه. سيُنهى عمله مبكرًا، ويأتي إليها.

لكن كل شيء مختلف الآن. التعبير نفسه رُسم على وجه كل منهما، شعرت "هانا" أنه غريب عنها. على الرغم من أنها تستطيع أن ترى في عينيه كيف أنه سعيد برؤيتها. لكنها ليست كذلك، لم يكن عليها أن تكتب إليه، لا يزال بإمكانها أن ترسله بعيدًا الآن، لكنها بدلًا من ذلك دعته إلى الدخول. سألها "يرجي" عن أخبار التصوير، لكنها لا تريد حقًّا أن تخبره بأي شيء، بأي شيء عايشته حقًّا، لذلك فقد قالت له فقط بعض الأشياء العامة. أما الجنس الذي كانت تفضل "هانا" نسيانه، وهو ليس بالأمر السيئ في حد ذاته، وخلاله كانت هناك لحظة شعرت فيها "هانا" أن الأمر سينتهي جيدًا، ولكن بعد لحظة شعرت أنه لم يكن لهذا أن يحدث، لكنها رأت أن "يرجي" كان سعيدًا بذلك، بينما هي تعرف أنها

لن تكتب إليه مرة أخرى أبدًا، فممارسة الجنس معه لم تجلب لها الراحة، فهي لم تشعر خلاله بأن جسدها حر، بل شعرت كأنها عجوز شمطاء. كيف يمكنها حتى أن تعتقد أن ما حدث بينهما هو شيء حقيقي، أو أن لديه حتى فرصة ليصبح حقيقيًّا؟ إنه فتى لطيف فقط، عرفته في المدرسة الثانوية، فما الشيء المشترك بينهما؟ إنه لا يفهم عالمها. وبعد ممارسة الجنس قال لها: "كنت أعلم أن ما بيننا لا يمكن أن ينتهي بهذه الطريقة"، بقيت "هانا" صامتة، لا، فهذا بالضبط ما كان ينبغي أن ينتهي عليه. والأهم من ذلك هو أن ينصرف. أخبرته أنها ستعود إلى موقع التصوير في المساء، لكنها كانت تكذب.

عندما غادر "يرجي" غيَّرت الملاءات ووضعتها في الغسالة. وفي المساء استلقت على سرير معطر ونظيف. حسنًا، انتهى الأمر.



ذنب أمي

في صباح أحد الأيام أزلتُ أنا وجدتي الثلج حتى نتمكن من الخروج بالسيارة، وهو ما يتعين علينا فِعله كل يوم تقريبًا الآن، لأن الثلج يتساقط باستمرار، وهو أمر مرهق للغاية. وقد أخذت جدتي تشكو أن ظهرها يؤلمها، لذلك لم أستطع الذهاب لركوب الحافلة مع أصدقائي، فيجب مساعدة جدتي على إزالة الثلج؛ فعليها أن تنقل الكعك إلى المدينة، لذلك ذهبتُ معها. ولكن وجود الكثير من الثلج هو شيء رائع للعب، حتى إننا صنعنا نفقًا وكهفًا كبيرًا في كومة الثلج، التي جمعها المحراث في نهاية الطريق بجوار منزل "فرانتا".

ويتعين علينا أن نستيقظ في الصباح الباكر، إذ تُجرف جدتي الثلج من الطريق المؤدي إلى البوابة لنتمكن من فتحها، وأُجرِّف أنا الثلج الموجود خلف السيارة وحول البوابة.

وبينما نحن نلتقط أنفاسنا، سمعنا صوت تجريف الثلج من ناحية جيراننا، فقد خرجت هذا الصباح أمام المنزل جارتنا، التي أهدتنا القطة، وهي تحمل طفلتها التي تبكي، إذ شغَّلت محرك السيارة، ووضعت الطفلة بداخلها، وأخذت تهدئها، وبدأت بتنظيف سيارتها أيضًا. ذهبت جدتي لتحييها، وقالت لها شيئًا عن وصفة عمل السمبوسك، وأنها نسيت هذا الأمر تمامًا، وهذا أمر غير مثير للاهتمام لي. ثم سألتها: إلى أين تذهبين بـ"إيميتشكا" في هذا الوقت المبكر؟ فقالت إن "إيمتشكا" تعاني السعال، ويجب أن تذهب بها إلى الصيدلية وتذهب لشراء العسل. وضعت جدتي المجرفة التي تُزيل بها الثلج جانبًا، وقالت:

– انتظري، فلديَّ ثلاثة برطمانات هنا، لذلك لا يتعين عليك الذهاب إلى أي مكان، وإذا كنت بحاجة إلى شيء ما من الصيدلية، فسأشتريه لكِ.

فقالت السيدة "سيدلوفا" بسرعة كبيرة:

– لا، لا داعي إلى ذلك.

– انتظري، فلديَّ عسل منزلي أفضل من الذي ستشترينه.

وهمَّت بالدخول إلى المنزل. كادت جارتنا تصرخ قائلة:

– لا، لا أريد.

وقفت جدتي وهي لا تفهم ما يجري على الإطلاق، لكنني فهمت.

فسألتها جدتي:

– هل حدث شيء؟

ضحكت جارتنا ضحكة ذات مغزى، فقالت جدتي كأنها تعتذر:

– ولكن هذا العسل... إنه مجرد عسل.

وضعتُ المجرفة ببطء، ودخلت إلى المنزل، كما لو أنني لم أكن هناك على الإطلاق، لم ينتبه أحد إلى ذلك على أي حال. استطعتُ فقط أن أسمع جارتنا وهي تقول، أو ربما تصرخ:

- لا أريد منك شيئًا، لا عسل ولا وصفة سمبوسك غبية. لا شيء.

بقيتُ واقفًا في الردهة، مرتديًا حذائي الملطخ بالثلج، إن جدتي تكره كثيرًا أنا أدخل إلى المنزل مرتديًا حذائي. ركضت "بادمي" نحوي، وأخذت تتمسح في قدمي، لكنها كانت تخطو بطريقةٍ مضحكة؛ فهي لا تحب الأرض المبتلة. فضلتُ أن آخذها بين ذراعيَّ.



قالت "ليدا" لـ"إيفا" وهي تجزُّ على أسنانها من الغضب:

- لا أفهم كيف يمكنك أن تبتسمي لي هنا وتقدمي لي العسل، لكن على ما يبدو أنكم عائلة تُجيد الخداع والكذب، وهو أمر يثير اندهاشي.

قالت "إيفا" فقط:

- لكن يا "ليدا"...

- ماذا عن القطة؟ تظاهرت بأنكِ تريدين مساعدتي، بينما كانت ابنتك تُضاجِع زوجي؟

نظرت "إيفا" ناحية "فيكتور"، لكن لحسن الحظ لم يكن هناك، فعلى الأقل يمكنها الآن أن تكون سعيدة؛ لأنه في كل مرة يتهرب من العمل.

ثم صرخت قائلة:

- اتركونا وشأننا، أنتم الثلاثة.

بكت "إيميتشكا" مرة أخرى في السيارة، خرج "يرجي" من المنزل، فألقت عليه "ليدا" مكشطة الزجاج، وأسرعت إلى المنزل. هدَّأ "يرجي" أولًا الطفلة، ثم التقط المكشطة، واستمر في كشط النوافذ كما لو أن "إيفا" ليست موجودة هناك.

قالت "إيفا" لـ"يرجي" بصوت حزين:

- "يرجي" لقد اعتقدت أننا اتفقنا.

في البداية بدا كأنه لم يسمعها، ولكن بعد لحظات التفت نحوها وقال:

- "إيفا"، من فضلك، دعي عنكِ ذلك، دعوني جميعًا وشأني، هل يمكن هذا؟

وبدأ بكشط السيارة كالمجنون، وبعد قليل ألقى المكشطة في الثلج. وقال على نحو قاطع:

- لماذا تقفين هنا؟

هل تستحق هي كل ذلك؟ وكيف لم تلحظ أن علاقتهما مستمرة؟ تمنت لو أنها تستطيع قتل "هانا". أرادت أن تنصرف على الفور، فلن تبقى هنا لتستمع إلى هذا، فهي لم ترتكب أي خطأ ليصرخ الجميع فيها هكذا، بل على العكس من ذلك؛ فهي الوحيدة التي حاولت معالجة الأمر.

فقال "يرجي" بهدوء أكبر، كأنه قد قرأ أفكارها:

- آسف، لم أقصد أن أصرخ فيكِ.

هزت "إيفا" رأسها قائلة:

- اصرخ كما شئت، ولكن تصرف بأدب.

ثم دخلت إلى المنزل. لقد شعرت بالصداع مرة أخرى، فاليوم فقط ولأول مرة منذ أيام تستيقظ ولا تعاني الصداع، كان صباحًا جميلًا، ولكنه لم يعد كذلك، سيتعين عليها تناول بعض أقراص الدواء، التي لا فائدة منها على أي حال. عليها أن تذهب إلى الطبيب ليكتب لها شيئًا أقوى. رن الهاتف، إنها "ماريا"، فـ"إيفا" تكون دائمًا في المقهى مع الكعك في هذا الوقت، لكن "ماريا" لا تفتح إلا في الساعة التاسعة، إذًا فلماذا تتصل بها الآن؟ هل سبق أنها لم تذهب إليهم دون اعتذار؟



نظرت جدتي إلى الداخل.

– ماذا تفعل هنا؟ يجب أن نذهب.

تركتُ القطة وذهبت، كان زوج جارتنا، الذي أعتقد أنه يرافق أمي، هو من يكشط الثلج من فوق سيارتها. ذهبت جدتي مباشرة إلى سيارتنا، وبدأت بتشغيلها حتى قبل أن أغلق الباب. حاولتِ الخروج من الحديقة، لكنها لم تستطع، لأننا لم نجرف قدرًا كافيًا من الثلج وعلقت السيارة. أطفأت جدتي المحرك، وظلت جالسة هناك لبعض الوقت.

ثم خرجت وعادت إلى المنزل، فخرجتُ أنا أيضًا.

فقال جارنا:

– هل هناك مشكلة في السيارة؟

فقلتُ:

– لا أعرف.

"المشكلة في جدتي"، لكني لم أقل ذلك. ذهبتُ أيضًا إلى الداخل، فوجدت جدتي وقد خلعت معطفها وحذاءها، وجلست على الكرسي. ووضعت رأسها بين راحتيها. ثم نظرت إليَّ وقالت بطريقةٍ سيئة:

– لماذا لم تجرف الثلج كما ينبغي؟ هل يجب أن أفعل كل شيء بنفسي؟

لم أتكلم.

– هل ما أفعله قليل؟ هل ما أفعله من أجلكم قليل؟ أنا لا أفعل شيئًا سوى رعايتكم، أبذل كل ما في وسعي، فهل هذا جزائي؟

لكني لم أتحمل أكثر من ذلك وقلت:

– لماذا تصرخين في وجهي هكذا، فهذا ليس ذنبي، ولم أرتكب أي خطأ. لقد انصرفت عندما رأيتكما تتشاجران بسبب أمي، وليس لأني لم أرغب في إزالة الثلج

أخذت جدتي تنظر إليَّ، وأنا أنظر إليها، وكلانا يعلم أن أمي هي المسؤولة عمَّا يحدث. بعد قليل قالت لي جدتي كأني رجل كبير:

– هل تعرف ذلك الأمر أيضًا؟

نعم.

ثم غادرت، ربما لتهدأ.

جلستُ على الدرج في الطابق العلوي حتى لا أضطر إلى خلع حذائي وخلع ملابسي، وأخذت ألعب Subway Surf على هاتفي لفترة، ربما لخمس عشرة دقيقة.

عندما خرجنا من المنزل للمرة الثانية، كانت سيارة جارتنا وسيارة جارنا قد اختفتا بالفعل، وبدأت الشمس تشرق. أزلنا الثلج من خلف السيارة، وأنجزنا ذلك في فترة وجيزة، وتحدثنا فقط عن كيف يكون المنظر جميلًا عندما يتلألأ الثلج تحت أشعة الشمس، وتابعنا السير. قبل المدرسة كتبت إليَّ جدتي ورقة اعتذار عن التأخير لـ"أسباب عائلية"، وهو ما بدا لي لأول مرة في حياتي صحيحًا، فهذا بالفعل سبب عائلي، وليس عندما لا يستيقظ الشخص في الوقت المحدد.

ثم لم يحدث شيء كهذا بعد ذلك، الشيء الوحيد الذي حدث هو أنه في العلية، عندما كنتُ أبحث عن زلاجة لأن جدتي قالت إنها هناك، وجدتُ ماكينة كسح الثلج. فلماذا كنا نجرف كل هذا الثلج بالجاروف، إذا كان لدينا كاسحة ثلج في العلية؟ فقالت لي إنها لا تعرف طريقة تشغيلها، فجدي فقط هو من كان يستخدمها. وعندما قُلت لها إنني يُمكن أن أجد طريقة استخدامها على اليوتيوب، قالت على أي حال هي ثقيلة جدًّا علينا، كما أنه سيكون من الصعب جدًّا إخراجها من العلية؛ فهي موجودة في آخرها بجوار الحائط مباشرةً. كانت مُحقَّة في ذلك، فهناك الكثير من الأشياء الكبيرة التي لا أستطيع حملها، كما أن الثلج لم يعد يتساقط.

ثم بعد ذلك جاءت فاتورة الكهرباء، فقالت لي جدتي إن الأمر فظيع، وأنه ما دام الجو سيظل باردًا جدًّا، فسيتعين تشغيل المدفأة الكهربائية في غرفتي الصغيرة باستمرار، لذا سأُضطر إلى الانتقال إلى الطابق السفلي حيث غرفة التليفزيون.

الآن وبعد أن أصبحت علاقتي بجدتي على ما يرام، وأيضًا لأنها تذهب للنوم مبكرًا جدًّا، تقريبًا كل يوم بعد العشاء، إذ تقول إنها تعاني صداعًا شديدًا وتذهب للنوم، بينما يمكنني اللعب على جهاز الإكس بوكس أو الكمبيوتر أو كذلك مشاهدة التليفزيون، ولكن فقط حتى العاشرة. لذلك فقد بدت لي هذه فكرة رائعة، لأنه هنا في الأسفل يوجد إنترنت، على الرغم من أنني لم أعد بحاجة إلى الإنترنت في غرفتي، خاصة عندما يكون معي أصدقائي. وكذلك فإن لديَّ باقة إنترنت كبيرة على جهاز الإكس بوكس والهاتف المحمول.

لذا وافقتُ، وأخذت ملابسي وكتبي إلى الطابق السفلي. المشكلة الوحيدة كانت في كيفية نقل جهاز الكمبيوتر، ولكن بعد ذلك قال لي "فرانتا" و"كايا": "أننا سنتدبر الأمر، وأننا سننقله قطعة قطعة، إذ نفصل شيئًا ما، ونأخذه إلى الطابق السفلي ونُعيد تركيبه على الفور، وأننا لن ننسى خلال تلك اللحظات القليلة". كدنا ننجح، ولكننا فشلنا.

أما "مارتينا"، التي لم تساعدنا على الإطلاق، وبدلًا من ذلك جلست في الطابق السفلي تتناول وجبتها الخفيفة، لأن جدتي كانت دائمًا تُعد لنا وجبة خفيفة عندما نكون في منزلنا، قالت لنا: "أنتم مجموعة من الأغبياء"، لكنها قالت ذلك على سبيل المزاح، وبعد ذلك فضلنا الذهاب إلى الخارج.

فكَّرنا فيمن يمكن أن يساعدنا غير جارنا الذي يرافق أمي، وفي النهاية توصلنا إلى أنه يُمكن أن نستعين بخالي، فاتصلتُ به. فجاء في عطلة نهاية الأسبوع ووصَّله، كما لعب معي أيضًا على جهاز الإكس بوكس، وتناول معنا الغداء. كانت جدتي سعيدة برؤيته، لكنها أَسِفَتْ لأن ابنتيه لم تأتيا معه، لم

آسَفْ أنا لذلك. قال "آدم": "إنهما مريضتان". أعطته جدتي برطمانين من العسل، فسألها "آدم" إنْ كانت بحاجة إلى أي مساعدة؟ مثلًا هل لدينا ما يكفي من الخشب؟ كان لدينا الكثير منه. ولكن بعد ذلك اعتقدت أنه يمكن أن يساعدنا على إخراج كاسحة الثلج من العلية، لأن الثلج بدأ يتساقط مرة أخرى.

لكن جدتي قالت إن كاسحة الثلج عبارة عن خردة لا قيمة لها، فيمكننا التغلب على مشكلة الثلج باستخدام المجارف العادية، فسألها خالي: هل يمكن أن يأخذها إذا كانت هي لا تريدها؟ فقالت جدتي: "نعم"، وأنها ستكون سعيدة بذلك. فأخرج خالي كاسحة الثلج، دفعها أمام السقيفة وذهب لإحضار العربة التي تُجر خلف السيارة. كان علينا مساعدته على تحميلها، بالفعل كانت ثقيلة جدًّا، ثم أخذها بعيدًا. شعرت بالأسف نوعًا ما فقد كنتُ أرغب في نفخ الثلج في الهواء. فيما عدا ذلك لم يحدث شيء حقًّا.

لم تأتِ أمي لزيارتنا إلا في نهاية شهر يناير. مرة أخرى جاءت بسيارة مختلفة. عندما وصلت، رأيت كيف أن جدتي ضمَّت شفتيها، مما يعني أنها لا تزال غاضبة من أمي.



إنها تشتاق إلى "فيكي" كثيرًا، كثيرًا جدًّا، فدائمًا عندما لا تراه لعدة أيام، تشعر بالشعور نفسه. فمنذ اليوم الذي انفصلت فيه عن "يرجي"، شعرت كأن شيئًا قد صار أفضل، فهي تركز فقط على التصوير، ولا تشرب، ولم تسكر مع الآخرين ولو مرة واحدة. وما زالت تسود أجواء جيدة بين طاقم التصوير، رغم أنه قد صار من الصعب الحفاظ عليها، لكن "هانا" كانت من بين أولئك الذين يخلقون هذه الأجواء الجيدة، وليست مثل "مارتين هروبي" الذي ينعزل عن الآخرين، بينما مساعدو الإنتاج يخشون الذهاب إليه، ويتجادلون فيما بينهم عمن ذهب إليه في المرة السابقة، ومن الذي عليه الدور الآن.

حتى إن "هانا" كانت أحيانًا تذهب للجري في المساء بعد التصوير، وعندما تنتهي تشعر كأنها أكثر شخص ذي لياقة في العالم، وقد بدأت هي و"يوهانا" بممارسة اليوجا في الصباح، مما أثار تنذُّر شباب الطاقم، الذين يدخنون خارج الفندق والقهوة في أيديهم، بينما كلتاهما تستقبلان الشمس والبخار يتصاعد من أفواههما، فالبرودة شديدة. ثم تدخنان سيجارة معهم، فتشعر "هانا" أنها في حالة جيدة إلى درجة أنها حتى لا تتذكر متى شهدت مثلها من قبل، فكل شيء يسير كما ينبغي. كانت هي و"فيكي" يتبادلان الرسائل النصية والاتصالات، لكنه ليس من النوع الذي يجيد ذلك، كتبت له: "كيف حالك يا "فيكي"؟ لقد تساقطت الثلوج هنا اليوم، وكنا ُصوِّر في الخارج طوال اليوم، أشعر أن جسدي متجمِّد تمامًا."

فرد "فيكي": "حسنًا، إن الثلوج لم تتساقط هنا".

عندما كانوا يصورون المشهد الذي يجري فيه العثور على جثة طفلة صغيرة، جاءت إليها الفتاة الصغيرة المقنعة التي فقدت سنتيها الأماميتين، وصافحتها وقالت لها: "مرحبًا يا "هانا"". فجاء ببال "هانا" أنه شيء رائع أن يكون لديك ابنة. لقد أجادت "هانا" في تخطي الموقف، لكنها بالطبع انفجرت في البكاء بعد ذلك، وخاصة في ذلك اليوم، حيث كانت تشعر بالأسف؛ لأن "فيكي" لم يكن لديه وقت للتحدث معها، وأمها عددت لها فقط ما يأكلانه، وكيف هي حالة الطقس، لكنها أجادت التمثيل، أجادته إجادة عظيمة ورائعة، ربما كانت تلك الليلة هي الليلة الوحيدة التي شربت فيها حتى الثمالة، والآن هي في طريقها إلى رؤية طفلها الصغير.

عندما دخلت إلى المنزل، ركضت القطة على الفور نحوها.

أخذت لحظات تتمسح في ساقيها، فانحنت "هانا" وداعبتها، طالما يضايق هذا الحيوان هؤلاء الناس بالفعل.

– أمي، هل تداعبين "بادمي"؟

نهضت "هانا" مبتعدة عن القطة، لقد كبر "فيكي" مرة أخرى، هذا غير معقول! عانقته، وضمَّته إليها فهو طفلها، وكادت تبكي.

فقال متألمًا:

- أمي، أنت تضغطين عليَّ كثيرًا.

تركته. خرجت أمها من المطبخ.

- مرحبًا. أنا أحضّر الغداء الآن. هل تتناولين لحم "الفوفيليه"[18] معنا؟

- بالتأكيد.

لقد جاءت قاصدة تناول الغداء معهما، فهي تتطلع إلى طعام أمها، وتتطلع إلى الراحة قليلًا هنا، فهي متعبة وتفتقد النوم. تُفضل لو أنها ذهبت للاستلقاء بعد الغداء مباشرةً، لكنها -على الأرجح- ستكرس هذا الوقت من اليوم لـ"فيكي"، نعم، بالتأكيد. تقدمت وقالت:

- إذًا كيف حالك؟

قال "فيكي":

- بخير. ولا جديد في المدرسة أيضًا.

كانت "هانا" جائعة بالفعل، بينما أمها تعدُّ معجنات "الكندليك".

- كيف تسير الأمور، ألم يتسبب بأي مشكلات هنا؟

- نعم، كل شيء على ما يرام، لقد اتصلنا بكِ أمس.

قالت أمها ذلك، وهي مستمرة في تشكيل عجينة "الكندليك" في شكلها الأسطواني المثالي. عبثت "هانا"، فأمها تبدو مستاءة؟ لماذا؟

- هل حدث شيء ما يا أمي؟

- لا، أنا فقط بحاجة إلى التركيز الآن، ولا أستطيع التحدث معك.

---

(18) **الفوفيليه:** قطعة لحم تُقطع من خاصرة البقر، ويُفضل طهوها مشوية.

آه، إذًا حدث شيء، لكن أمها لا تريد أن تقول ما هو، هل أغضبها أنها لم تأتِ في الصباح مباشرة؟ أو ربما في الليلة الماضية؟ لكنها عادت إلى منزلها في الساعة العاشرة مساءً، وفي الصباح كان عليها أن تجد سيارة، فسيارتها لا تزال معطلة أمام المنزل، وعليها أن تحل هذه المشكلة بطريقة ما، لكن "هانا" لا تعرف بالضبط كيف، هل عليها الاتصال بونش السحب؟ أم محاولة تشغيلها باستخدام كابلات التوصيل؟ كان أبوها يعرف ذلك، إذًا فربما هو عطل شائع. للحظات فكرت في السفر بالقطار، لكنها بالتأكيد لم تكن ستلحق بالغداء معهما، لكنها فكرت أخيرًا في الاتصال بـ"أولينا"، ووجهت إليها دعوة لحضور العرض المسرحي، على الرغم من أنهما لم تريا بعضهما بعضًا منذ فترة طويلة. ثم كان عليها الاستماع إلى قصصها حول كيف أن الجميع يريدونها أن تمثل معهم، لكن مطالبها كثيرة، "فكما تعلمين يا "هانا"، فأنا لا أستطيع أن أقبل أي شيء"، لكنها في النهاية أعارتها سيارتها على الفور وبكل رضا، وهذا هو الصديق الحق.

- هل تريدين المساعدة في شيء ما؟

- لا، لقد أوشكت على الانتهاء.

ربتت "هانا" بخفة على كتفها، وتركتها وذهبت إلى "فيكي" الجالس على الأريكة، ويلعب على هاتفه المحمول. سألته بصوت منخفض:

- ما بال جدتك؟

رفع كتفيه قائلًا:

- لا شيء، لا أعرف.

- وماذا عنك؟ كيف تسير الأمور معك هنا؟ مع أصدقائك؟

- إنها جيدة.

- وما الذي تفعلونه هنا؟ هل أنتم فقط تتسكعون في الخارج؟

- يا إلهي! أمي...

عندما أرى أمي، يكون الأمر غريبًا جدًّا، ولا أقصد أنها داعبت القطة، التي قالت من قبل إنها لا تستطيع البقاء معها في الغرفة نفسها، ولكن لأنني أشعر فجأة بأني أريد البكاء. لكني في الوقت نفسه لا أزال غاضبًا منها، لأني أراها اليوم للمرة الأولى منذ موت "سنيج"، وبعد كل هذا الذي تسببت به، كما أنه بسببها أصبحت جدتي هكذا غريبة جدًّا باستمرار. ولكن عندما أعانقها، أشم فيها رائحة أمي، فأسعد بوجودها هنا.

لكنني أعتقد أن جدتي ليست سعيدة بوجودها، لأنها ظلت صامتة وتأكل طوال الغداء، وأمي فقط هي من كانت تتحدث عن العمل. وحتى عندما أخبرتنا عن فكرتها أن نسافر نحن الثلاثة في إجازة، أو بالأحرى نطير إلى البحر، قالت جدتي فقط:

– لن أترك منزلي، كما أني لا أتحمل الجو الحار.

قالت أمي لجدتي:

– أمي، هل يُمكن أن تخبريني إذًا ماذا حدث؟

لكنها تظاهَرت مرة أخرى بأن لا شيء يزعجها، وهو ما بدا غريبًا لي، لأنني أرى أيضًا كيف تتصرف بغرابة، لذلك عندما تقول الآن، إنه لم يحدث شيء، وماذا عساه أن يحدث؟ فهذا يبدو كما يجب أن يكون، بأنه كلام غير صحيح.

ثم أضافت جدتي:

– لا يمكنك أن تشتريني برحلة إلى البحر. سأذهب لأطعم الطيور.

وأمسكت بالأطباق وأخذتها إلى الغسالة، ثم خرجت.

سألتني أمي:

– "فيكي"، ماذا حدث؟

كدتُ أخبرها، لكني لا أعرف كيف، لأنني لا أريد التحدث مع أمي عن مثل هذه الأشياء، عمَّن تُرافِقه مثلا، لذلك قلتُ إنني حقًّا لا أعرف.

فقالت أمي:

– فليكن ما يكون، ألا تريد أن تذهب للتنزه؟

لا أريد ذلك، أُفضِّل الذهاب للتزلج على التل، لكنني لا أريد الذهاب إلى هناك مع أمي، لأنني لست طفلًا صغيرًا كي أخرج مع أمي، وبالإضافة إلى ذلك، أعتقد أن "مارتينا" لا تزال غاضبة بعض الشيء من أمي؛ لأنها السبب في موت "سنيج". لكن ربما لا، وربما أعتقد ذلك فقط لأن هذا يغضبني. لذلك ذهبنا للتنزه، ولكن بعد ذلك قالت أمي إنها متعبة جدًّا، وتريد أن تذهب لتستلقي، لذا سأذهب للتزلج وحدي. فوجئت أمي بأني أخرج بمفردي، لأنها ظنت أنني تحت رقابة جدتي بطريقة ما، لكني أخبرتُها أن جدتي عادة ما تسمح لي بذلك، وأنها تثق بي، وأنني لم أفعل أي شيء منذ فترة طويلة.

فقالت أمي:

- لا أعرف هل الشهران فترة طويلة.

أعتقد أنا أنها ارتكبت خطأً في فترة أقل من ذلك بكثير.

- لماذا تنظر إليَّ هكذا مثل العفريت؟ أنا لم أقل إنك لا تستطيع الذهاب للتزلج. لكن فقط... أنت تعرف ماذا، أليس كذلك؟

- بلى، أعرف.

حاولت أن أقول ذلك بطريقة تجعلها تفهم أني أعرف ذلك، ولكن هل تعرف هي؟



يوم حلو

بالطبع "إيفا" لم تفعل ذلك عن قصد، بأنها لا تتحدث مع "هانكا" لسبب ما. يا الله! إنها -ببساطة- لا تريد التحدث معها، لأنها لا تريد أن تتشاجر معها بلا فائدة، ولكن هذا جعل "هانا" تأتي إلى هنا وتتظاهر بأن شيئًا لم يحدث. وفي الوقت نفسه تكذب عليها، فعلى الأرجح، لا تزال تلتقي "يرجي"، والآن جاءت إلى هنا مرة أخرى بسيارة شخص غريب، ومن يعرف سيارة من هذه،

إن أصدقاء "هانا" من الرجال هم من يعيرونها سياراتهم، لذا ربما هي تُرافِق رجلين، وهي تتوقع من "إيفا" -على الأرجح- أن تلتزم الصمت حيال ذلك، وتربي لها طفلها، لكي تفعل "هانا" ما تريد، بينما تتحمل "إيفا" هنا نيابة عنها عواقب ما تفعله. فعندما يعرف الآخرون بهذا الأمر، سينظرون جميعًا إلى "إيفا" بازدراء، فهي تعيش هنا بينهم، ويتهمونها بالفشل في تربية ابنتها.

لذا لا، لا تريد رؤية "هانا" أو التحدث معها، وهكذا رتبت أنها في يوم الأحد ستذهب هي و"ماريا" إلى معرض لمنتجات الحلوى، فربما تتمكن "إيفا" هناك من شراء بعض المنتجات الخاصة عالية الجودة بسعر أرخص، مثل المرزبان (عجينة اللوز)، وسوف تغادر "هانا" صباح الإثنين.

صاحت "هانا" في "فيكي" بعد أن أخبرتها "إيفا" بذلك وهي ترتدي ملابس مبهجة:

- مرحى يا "فيكي"، فلدينا عطلة اليوم.

- هل يعني هذا أنه لم يكن لديك عطلة أمس؟

- حسنًا. نعم، كان لديَّ. لكننا سنكون هنا بمفردنا اليوم، وهذا أمر خاص نوعًا ما، ولا يحدث كثيرًا، أليس كذلك؟

- إذًا أعتذر إليكِ أني أعيش في منزلي، ولا أمنحك إلا القليل من وقت الفراغ. لقد كنتُ أعتقد أنك ما دمت قد نمتِ هنا لثلاث ساعات بعد ظهر أمس، فهذا قد يكون وقت فراغ كافيًا لكِ.

- يا إلهي! أمي، هيا أخبريني بما حدث.

- لا شيء.

- أرى أنه لا شيء. لا تتحدثين معي، والآن توبخينني على شيء تافه، ولا شيء.

- بالفعل، كل شيء تافه بالنسبة لكِ، بوسعكِ أنتِ أن تقولي وتفعلي ما يحلو لكِ، ولكن مشاعر الآخرين ليس لها قيمة عندك، أليس كذلك؟

– بالله عليكِ يا أمي، أنا لا أفهمك على الإطلاق. ما الأمر؟ أني قلتُ يوم عطلة؟ لكنني لم أقصد بذلك شيئًا سيئًا! فقط أنكِ لن تكوني هنا، وهذا شيء غريب جدًّا.

– كأنك لا تكونين في عطلة وأنتِ معي.

– أنا لم أقصد شيئًا من هذا القبيل.

– ليس هذا هو مربط الفرس على أي حال. استمتعي بوقتكِ هنا، أما أنا، فسأخرج، فـ"ماريا" ستأتي لتأخذني بالسيارة.

– لقد قلتِ في التاسعة، إنكِ بذلك ستقفين لعشر دقائق على الطريق.

– لا يهم.

خطت "هانا" في طريقها، ووقفت أمام الباب الأمامي.

– لن تذهبي.

أخذتا تنظران إلى بعضهما بعضًا في صمت لحظات. ثم ألقت "إيفا" بمفاتيحها على خزانة الأحذية وذهبت إلى المطبخ، إذا كانت "هانا" تعتقد أنها ستتشاجر معها، فهذا لن يحدث.

جلست "هانا" في مواجهتها وقالت:

– هيا، أخبريني: ما الذي فعلته؟

– لا أريد التحدث معكِ على الإطلاق.

– أرى أنك لا تتحدثين معي أيضًا، ولكن ربما إذا تحدثنا مع بعضنا بعضًا، فستصبح الأمور أفضل، أليس كذلك؟

– من الصعب أن يحدث هذا، فقولك بعض الأكاذيب لن يحل شيئًا، ما دمتِ تتصرفين باستمرار بالطريقة نفسها.

– مهلًا، هل تفهمين أنني لا أعرف حقًّا ما الذي تتحدثين عنه؟

بقيت "إيفا" صامتة. لا، لن تقول ذلك، وبالتأكيد ليس الآن، إذ يتعين عليها المغادرة خلال دقائق قليلة، يمكنها أن تشعر برأسها ينبض، في الواقع هي تحتاج حقًّا إلى بعض الهواء النقي. خففت من ربطة وشاحها وفكت أزرار سُترتها.

- هل أنتِ بخير يا أمي؟

لوَّحت بيدها.

فقالت "هانا" بتسامح:

- حسنًا، أنا مستعدة لأساعدك في أي شيء هنا، ما دمتِ تشعرين أني آتي إلى هنا للاستجمام. ماذا عن جرف الثلج، ألا تريدين ذلك؟

- حسنًا، يمكنك ذلك.

إن "إيفا" لا تريد الشجار بعد الآن.

- لقد كان لدى أبي كاسحة ثلج رائعة، أليس كذلك؟ هل تستخدمينها؟

- لا.

- سأحاول أنا. إنها في مكان ما في العُليَّة، أليس كذلك؟

- أعطيت "آدم" إياها.

- هل أعطيته كاسحة الثلج؟ لماذا؟

- لأنني لا أستخدمها وهو يريدها. أم أنكِ تريدين أخذها إلى براج؟ لماذا يزعجكِ هذا؟

- حسنًا، لا يزعجني.

- يزعجكِ. أنتِ دائمًا تهتمين بالتفاهات، ككاسحة الثلج الغبية هذه، وتنشغلين بـ"آدم"، بدلًا من أن تفكري في نفسك، وفي كيفية تعاملكِ مع الآخرين، وفي عواقب أفعالك.

- أمي، أنتِ تتحدثين باستمرار عن "يرجي"، أليس كذلك؟

بقيت "إيفا" صامتة.

- إذًا لا بد أنك نسيت كيف تصرفتِ، وكيف ذهبتِ إليه، وكيف أحرجتني بطريقةٍ لا تُصدق، أنا من يجب أن تصرخ فيكِ، ولست أنتِ، هل تفهمين؟

- عذرًا.

- أي عذر؟ أنا إنسانة بالغة، أعيش حياتي بأفضل ما أستطيع، وتزعجني بعض الأشياء، ومن المدهش أنني لم أُقِمْ علاقةً معه لأُفسِد عليكِ علاقة حُسن الجوار المثالية هنا، وهو ما تفكرين فيه على الأرجح. بالإضافة إلى أننا افترقنا، فماذا لديك أيضًا؟

- افترقتما! نعم بالتأكيد، واضح أنكما افترقتما! ومرة أخرى لديك سيارة مختلفة. لكن هذا لا يغير في الأمر شيئًا، لقد أفسدتِ بالفعل كل شيء هنا، لذا فعليك أن تمضي قدمًا.

- ماذا؟ أي سيارة؟

- مرة أخرى، لديك سيارة مستعارة من رجل آخر.

- هل تعتقدين أنني أستعير السيارات من الرجال، الذين في المقابل أنام معهم، أم ما الذي تتحدثين عنه؟ هل هذا ظنكِ فيَّ حقًّا؟

في تلك اللحظة ظهر "فيكتور" عند باب غرفة المعيشة مرتديًا بيجامته، وقد جرت القطة.

وقال لـ"هانا":

- لماذا تصرخين في جدتي هكذا؟ لقد أيقظتني.

صاحت "هانا" فيه:

- اذهب إلى غرفتك.

فقالت "إيفا":

- أنا ذاهبة.

الآن لم تعد هناك فائدة من الحديث، فـ"هانا" قد فقدت أعصابها تمامًا، فقصصها هذه مرهقة كثيرًا، حتى عندما كانت فتاة صغيرة، لم تكن قادرة قط

على فهم مشاعر الآخرين، وهي تتصرف فقط وفقًا لما تريده، بالإضافة إلى وقاحتها، فلا يجب أن يستمع "فيكتور" إلى هذا على الإطلاق.

- "فيكي"، أنا سأغادر الآن، لذا تناول إفطارك، لديك هناك بعض الفطائر المحشوة.

قالت "هانا" لـ"فيكتور" وهي تشير بإصبعها إلى "إيفا":

- عدُ إلى الغرفة، وأنتِ تعالي إلى المطبخ.

- أنا سأغادر، وعليكِ أن تهدئي يا "هانكا".

- لا، لن أهدأ.

- لا تصرخي هكذا يا أمي.

- انصرِفْ من هنا، فالآن يتحدث الكبار، ولا ينبغي أن يسمع الأطفال ذلك.

- "هانا،" لا تصرخي فيه بهذه الطريقة!

- لا تنصحيني بشيء.

- أنا لست طفلًا، ولا تصرخي هكذا في جدتي.

- أقول لك اُتْركْنا وحدنا، فليس لديك أي فكرة عما نتحدث عنه، لذا من فضلك اذهب إلى غرفتك، وشغِّل جهاز الإكس بوكس الغبي هذا، أو أي شيء آخر واتركنا، حسنًا؟



إن أمي تكلمني بطريقة في غاية السوء، وتعاملني كطفل صغير وأنا أكره ذلك.

- أنا أعرف الأمر كله، أنا لست غبيًّا. وبالإضافة إلى ذلك، فقد مات "سنيجيك" بسببك، وأنا غاضب منك أيضًا بسبب ذلك.

- ماذا؟ ما هذا الهراء الذي تقوله؟

- لقد دهستِ السيدة "سيدلوفا" "سنيجيك" بسببك.

قالت جدتي:

- يا "فيكي"، إنها حادثة مؤسفة فحسب.

فأخبرتُهما أنا كيف حدث ذلك، وكيف أن السيدة "سيدلوفا" كانت حزينة لأن زوجها يرافق أمي، ولهذا السبب لم ترَ الكلب ودهسته. ولكن بالطبع هناك مسؤولية جزئية تقع عليها قليلًا، وقليلًا على أمي، وقليلًا على زوجها أيضًا، لكن السيدة "سيدلوفا" -على الأقل- اعتذرت لـ"مارتينا" وأرادت أن تدفع إليها بعض المال، في حين أنه لا يبدو أن أمي تريد الاعتذار.

- هل تفهمين يا أمي؟

قالت جدتي:

- آها. مسكينة "ليدا".

قالت أمي:

- ماذا؟

لكن جدتي ظلت صامتة.

فقلت أنا:

- مسكين "سنيج".

قالت أمي وهي تنظر بالتناوب إليَّ وإلى جدتي:

- إنكما تمزحان معي، أليس كذلك؟

- أنا لا أمزح على الإطلاق.

قالت جدتي:

- تعالَ لتتناول الإفطار، فأمُّك ستهدأ، وأنا سأذهب إلى معرض الكعك، وسنلتقي بعد الظهر.

أخذت جدتي المفاتيح من فوق خزانة الأحذية، فبدأت أمي بالصراخ فينا مرة أخرى، وقالت:

– إذا كان هذا يعني أنني المسؤولة عن كل شيء سيئ يحدث لأي شخص هنا، حتى هذا الكلب الغبي، فأنا لا أجد سببًا لوجودي هنا، ما دام الجميع يعرف كيف يتصرف من دوني. وإذا كنتُ أفعل أشياء خاطئة، فبدلًا من أن تدعميني، يا أمي، بطريقة ما، فإن الشيء الوحيد الذي يهمك هو أن تكون زوجة "يرجي" المسكينة على ما يرام. إن لديَّ فرصة عمل رائعة، أخيرًا جاء الدور الذي أنتظره منذ سنوات، الدور الذي يتمناه أي شخص، لكنك لا تهتمين فقط إلَّا بالكعك وطعامك وجيرانك، وأنت...

أشارت إليَّ بإصبعها وقالت:

– الذي كنتُ أخرجك دائمًا من كل مصيبة، لماذا لا يمكنكما أن تكونا طبيعيين؟ أمَّا طبيعية تحبني، وربما تفتخر بي، وحتى لو لم تكن كذلك، فهي على الأقل لا تعتقد أنني عاهرة (في هذه اللحظة حاولت جدتي إيقافها، وكأنني لا أعرف هذه الكلمة ولا أعرف معناها، لكن أمي على أي حال لم تتوقف واستمرت)، وأنت، لماذا لا تكون طفلًا طبيعيًّا؟ لماذا يجب أن أخاف عند كل مكالمة منكَ أو منكِ (تقصد جدتي)، وأقول: ما الذي ارتكبه مرة أخرى؟ فلماذا لا تحاول أن تصلح من شأنك قليلًا؟ وأنتِ (تقصد جدتي) لقد أردتُ مساعدتك حتى لا تكوني وحيدة هنا بعد أن توفى أبي، لقد أردت مساعدة كليكما، وهذا هو الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن أتوقعه منكما، أنتِ (تقصد جدتي)، وظنكِ هذا بي، وأنتَ، أتقصد حقًّا أنني المسؤولة عن أن شخصًا ما دهس كلبًا، كان الكل يكرهه على أي حال؟ لقد فاض بي الكيل منكما وسأغادر.

قالت جدتي:

– أنت تتصرفين بهستيرية، اهدئي.

لكن هذا لم يعد مجديًا، فأمي ستغادر الآن، وستهدأ من تلقاء نفسها.

– أنتِ تعاملينني كالغريبة، برفضك الأبدي لأسلوب حياتي، وعدم فهمك المطلق لكل ما أفعله وما أنا عليه، على الأقل كان أبي يحبني، حتى لو لم يكن يفهم ذلك، لكن أنتِ تظنين دائمًا أن الطريقة التي تعيشين بها، هي فقط الطريقة الصحيحة، وأنني أفعل كل شيء خطأً، دائمًا أنا المدانة من وجهة نظرك، أنت أم بشعة. أنتِ لا تعترفين أبدًا أن هناك آخرين يُمكنهم أن يفعلوا الأشياء جيدًا، أو على الأقل بنية حسنة، وخاصة أنا.

– أمي، ألا تريدين تناول فطيرة معي؟

حاولتُ، أحيانًا ينجح الأمر، لكن ليس اليوم.

– لا أريد. أريدكما أن تعاملاني على نحو مختلف، كليكما. لقد فاض بي الكيل منكما، وأنا لست مضطرة إلى المجيء إلى هنا، ما دام لا أحد يريدني، فهذا يكلفني وقتًا لا أملكه.

ثم وجهت كلامها إلى جدتي:

– تعتقدين أن عملي هذا نوع من الترفيه، الذي لا يكلفني شيئًا، أليس كذلك؟ لأنكِ لا تعرفين شيئًا عنه. فبوسع أي شخص أن يخبز كعكة، لكن لا يستطيع أن يفعل ما أفعله أنا، هل تفهمين؟ كان بوسعك أن تقصِّي كل المقالات التي كُتبت عني في الصحف، لكن هذا لم يخطر ببالك قط.

– "هانا"، أنتِ موهبة، لكنك لست "آنا جيزليروفا"!

لم أكن أعرف من هي "آنا" تلك، لكن هذه الجملة جعلت أمي تستشيط غضبًا أكثر مما هي غاضبة، إنْ كان هذا ممكنًا.

– هل ترين؟ هل حتى تسمعين نفسك؟ لماذا أنتِ أمٌّ بشعة هكذا؟ أنت حقًّا أم فظيعة، ولا أعرف كيف أصبحتُ أنا شخصًا طبيعيًّا، رغم أني نشأت معكِ!

– إذا كنت ستتصرفين بهذه الطريقة، فلا داعي لأن تأتي إلى هنا حقًّا. ربما لم يكن عليكِ حتى أن تأتي.

قالت لها جدتي هذا، وهي تنظر إليَّ مرة أخرى.

- أنا أيضًا لن أريد أن آتي إلى هنا مرة أخرى.

ثم ركضتْ إلى الطابق العلوي.

قالت جدتي:

- أعاني الصداع من جديد، يجب أن أشرب.

ذهبتُ لتناول وجبة الإفطار. كانت الفطائر رائعة، كما أعطتني جدتي "النوتيلا"، التي كانت تخبئها مني، كان من الواضح أنها تريد إرضائي.

لكني لست حزينًا، فأمي ستكون بخير عندما تهدأ.

أعتقد أنه من الظلم بعض الشيء أن تقول إن كل مكالمة هاتفية تعني مشكلة أخرى من ناحيتي، في حين أنني لم أفعل أي شيء لفترة طويلة، قطعًا لا شيء قد تكون تعرفه أمي، لأنها بالتأكيد لن تكون سعيدة إذا اكتشفت أننا اقتحمنا منزل العجوز "زيلينك"، وأننا أطلقنا حيوانات "كرال" من حظيرتها، وهو ما فعلناه في رحلة بحثنا عن قاتل "سنيجيك". وفي الأسبوع الماضي، تشاجرتُ في المدرسة، لكن الأمور لم تتطوَّر، ولم يَرَنا أحدٌ. لذا فأنا في الواقع مؤدب جدًّا، ومع ذلك، فقد تعرضت لتوبيخ كبير، بطريقةٍ غير عادلة من وجهة نظري. وإذا كانت أمي لا تريد المجيء إلى هنا، فلا تأتي، فالأمور تسير هنا من دونها سيرًا طبيعيًّا على أي حال، وأنا لا أشعر أني أفتقدها أو أفتقد براج. ربما أفتقدها هي في بعض الأحيان عندما أستيقظ في الليل، ولكن عندما يكون لديها الكثير من العمل، فإنها تكون دائمًا متوترة وعدوانية، ثم تتحسن حالتها بعد العرض الأول، لكني الآن لا أعرف متى يكون العرض الأول لهذا التصوير، أو كيف تسير الأمور بالضبط.

جرت أمي على الدرج، وهي تحمل أغراضها نصف المعبأة، وترتدي حذاءها، وتمسك بسترتها، وتصيح فينا بأنها ستغادر، وأشارت بإصبعها نحوي مرة أخرى وقالت:

- في الأسبوع المقبل سيكون لديَّ يومان إجازةً، وستأتي أنت إليّ في براج، وسيستمر الأمر حتى انتهاء التصوير، فأنا أحمل هم كل شيء، وأنتما تجلسان هنا ولا تفعلان شيئًا سوى انتقادي.

قالت جدتي:

- المهم أن تقودي السيارة بحرص.

- بالتأكيد، فجأة أصبحتِ تهتمين بالطريقة التي أقود بها السيارة، ويفترض بي أن أصدقك.

- هل يمكنكِ على الأقل ألا تفعلي هذا أمام "فيكتور"، إذا كان عليكِ أن تتصرفي بهذه الطريقة مع أمك؟ ألا يمكنك -على الأقل- أن تتصرفي كونك إنسانة بالغة؟

- لهذا السبب بالضبط سأغادر، وأنا حقًّا لا أريد رؤيتك لفترة طويلة، هل يمكنك أن تفهمي ذلك؟

وقبل أن تتمكن جدتي من قول أي شيء، غادرت أمي. بعد لحظات سمعناها وهي تقوم بكشط الثلج عن السيارة.

- سأتصل بـ"ماريا" لتتأخر قليلًا، حسنًا؟ اذهبْ وارتدِ ملابسك.

أخذت مني جدتي "النوتيلا" وأكملت:

- فسوف نأكل الكعك هناك. سيكون يومك جميلًا.



عادت "هانا" إلى براج، وأخذت القطار مباشرة إلى مكان التصوير، أخذوها من المحطة، فهي لا تريد أن تكون اليوم بمفردها، ولا تريد حتى أن تبقى في براج. ألقت حقيبتها في الغرفة، وذهبت إلى البار. كان يجلس إلى إحدى الطاولات بعضُ طاقم المسلسل. سعدوا برؤيتها. جلست "هانا" إلى الطاولة، وأحضر لها النادل البيرة، فالنبيذ هنا مثير للاشمئزاز حقًّا. شعرت "هانا" كما لو أنها عادت إلى منزلها أخيرًا. إلى المكان الذي يجب أن تكون به.

لقد قضيتُ يومًا حلوًا جدًّا، حلوًا وجميلًا إلى درجة أني مرضتُ في المساء، واضطررت إلى عدم الذهاب إلى المدرسة في اليوم التالي.



لا داعي إلى الخوف

وهكذا بقيتُ أنا وجدتي وحدنا مرة أخرى، وعاد كل شيء كما كان من قبل، فأمي تتحدث معنا عبر الهاتف على نحو طبيعي، وتتصرف كأن شيئًا لم يكن، وبعد بضعة أيام أخبرت جدتي بأن لديها يومين إجازة، وأنها ليست مرتبطة بعرض مسرحي، كما أننا في عطلة نهاية الأسبوع، وأن عليَّ أن أذهب إليها في براج.

قالت جدتي:

– تعالي لتأخذيه، فأنا ليس لديَّ وقت لتوصيله إلى براج والعودة مرة أخرى.

فقالت أمي:

– لا يهم، "فيكي" سيستقل القطار، فهو كبير بما يكفي.

فقالت جدتي:

– أنتِ لست جادة في ذلك، فلا يُمكن أن يسافر وحده.

كأني لم أسافر وحدي من قبل.

– نعم هو كذلك، إنه في الحادية عشرة من عمره تقريبًا، وسأنتظره في المحطة.

قالت جدتي:

– حسنًا، سأُوصِّله.

– لا أريدكِ أن تُوصِّليه، دعيه يذهب بالقطار.

قالت أمي إنها قد اشترت لي تذكرةً بالفعل، وبدأتا تتشاجران بشأن ذلك، لكني لا أمانع بالذهاب بالقطار. فقط لا أعرف إذا كنت أرغب في الذهاب إلى براج في عطلة نهاية الأسبوع، لكن أمي ستأخذني إلى السينما، وكذلك إلى

الملاهي المائية، التي تكرهها لأنها تشعر دائمًا بالبرد هناك، وهو ما قالته لي مائة مرة، لكنها تذهب معي، ويكون الأمر ممتعًا للغاية، ولكن لو ذهبتُ مع "مارتينا" و"فرانتا" فستكون المتعة أكبر. عندما يحين عيد ميلادي، الذي سيكون في الربيع، سنذهب جميعًا إلى هناك، وإذا لم يكن معهما نقود، فستدفع أمي إليهما، فهذه ستكون أمنيتي.

وفي اليوم التالي ذهبنا إلى مركز "الترامبولين"، وتناولنا الغداء في مطعم بيتزا، وعندما حان وقت العودة، أعادتني أمي بسيارتها، لذلك قلتُ في نفسي: "ربما يكون الأمر بهذه الطريقة أفضل مما لو كانت أمي هي التي تأتي إلينا، وتتشاجر مع جدتي، وإذا كنا في كل عطلة نهاية أسبوع سنذهب إلى السينما ونأكل البيتزا ومثل هذه الأشياء، فهذا أمر جيد".

توقفت أمي على مسافة قصيرة من منزلنا، على الطريق المؤدي إلى منزل "فرانتا" و"كايا"، وقالت:

- إذًا نحن هنا.

- هنا؟

- لا بد أن أعود.

أدركتُ أن عليَّ أن أنزل من السيارة، لأنها لا تريد رؤية جدتي، لذلك ودَّعتُها، فلوَّحتْ إليَّ بيدها ولوَّحتُ إليها، وانطلقتْ في طريقها، وعدتُ إلى المنزل.

خارج المنزل في الثلج يوجد وعاء به طعام غريب محترق، وهناك رائحة كريهة داخل المنزل. فقالت جدتي:

- لقد أحرقت العشاء، آسفة. أردت أن أصنع لك حساء الشبت، الذي تحبه، لكني أحرقتُه. سأصنع لك شرائح الخبز بالبيض، هل تريد ذلك؟

بدت حزينة جدًّا، لكنها باستمرار تبدو هكذا في الفترة الأخيرة، تبدو أكثر حزنًا، وربما أكبر سنًّا مما كانت عليه من قبل. بالطبع اخترتُ شرائح الخبز بالبيض، فهي بالتأكيد أفضل من حساء الشبت، الذي لا أطيقه أبدًا.

أخذت "بادمي" تتمسح في ساقي وتموء، لذا وضعتُ لها عشاءها، وأكلت أنا شرائح الخبز. ثم قالت جدتي إنها تعاني صداعًا شديدًا اليوم، وستذهب للنوم، ولم تسألني حتى: هل أديتُ واجباتي المدرسية مع أمي؟ (لم أفعل) أو هل سنذهب غدًا لتدريب الجودو؟ لأنني يجب أن أبدأ بالذهاب إلى هناك، أو ماذا فعلت في عطلة نهاية الأسبوع؟ فقط ذهبت للنوم، ولعبت أنا على جهاز الإكس بوكس، ثم شاهدت اليوتيوب لبعض الوقت، وبعدها ذهبتُ للنوم أيضًا.

وفي اليوم التالي، في المدرسة لم أكن قد أديتُ واجباتي المدرسية، كنت أعرف أنه يجب أن أُؤديها في المساء، لكني نسيت. كما أننا لم نذهب أيضًا إلى تمرين الجودو، لأن جدتي ربما قد نسيت، ولم أنا أيضًا لم أُذكِّرها. مرت بضعة أيام مرورًا طبيعيًّا. ثم ذهبتُ إلى براج مرة أخرى لزيارة أمي. بدوتُ في القطار وكأني معتاد ذلك، وأحببت حقًّا أن مُفتِّش التذاكر يعاملني كأني أسافر بالقطار كل يوم، ولا يسألني: أين أمي؟ وهل أنا مسافر بمفردي؟ فهو يقول فقط: "التذاكر من فضلك"، ويقرصها، لا يقرصها، بل يضع علامة عليها، ويمضي قدمًا. أما الوضع مع أمي، فهو جيد، لكنها لا تستطيع إعادتي إلى القرية، لذا كان عليَّ أن أستقل القطار وحدي بعد حلول الظلام. لا شيء يمكن رؤيته من النافذة، فقط انعكاس وجهي. لكن جدتي لا تزال تعاني الصداع المستمر، وذات صباح عندما استيقظت، داعبتُ "بادمي"، التي تنام معي في السرير، كانت جدتي معترضة على ذلك في البداية، لكن "بادمي" انتصرت عليها، فأنا أنام في الليل، ولا أشعر بها، لذلك لا أستطيع أن أطردها في كل مرة، ولا أستطيع أن أتركها تموء خارج الغرفة. في ذلك الصباح، أنزلت "بادمي" من

السرير، فمشت معي، وهي تتطلع بالفعل إلى الطعام. ذهبت أنا و"بادمي" إلى المطبخ، حيث كانت جدتي تجلس إلى الطاولة، وأمامها وعاء به عجينة الكعك، ولا توجد رائحة هناك، وهذا يعني أن جدتي لم تخبز أي شيء بعد، وهذا يعني إما أن المنبه رن مبكرًا، وإما أن جدتي لم تتمكن من ذلك بعد، لكني نظرت إلى الساعة، فوجدت أنها السابعة، إذًا المنبه رن في موعده تمامًا.

- جدتي؟

- ماذا؟

قالت هذه الكلمة بنبرة محايدة كأنها تقول خبرًا مثلًا.

- لماذا لم تخبزي؟ الساعة الآن السابعة.

نظرت إلى العجين، وقالت:

- نعم، حسنًا. لا بد أن أخبز.

سألتها:

- هل أنتِ مريضة؟

سألتها لأني أعتقد أنها ربما كذلك.

- لا.

نهضت وبدأت بتقليب العجين، لكنها توقفت على الفور، وأمسكت الزبد، وأخذت تنظر إليه، فيبدو أنها لا تزال لا تعرف ماذا تفعل، ثم قالت:

- هل وضعتُ الزبد بها؟

ربما تقول ذلك لنفسها، لأنني لا أستطيع أن أعرف هل وضعت الزبد هناك أم لا. ثم نظرت إلى الساعة وقالت:

- يا إلهي! إنها السابعة بالفعل. لا بد أني نمتُ كثيرًا. ماذا سنفعل؟

ومنذ تلك اللحظة بدت لي أنها عادت إلى طبيعتها، وسرعان ما أعطتني الزبادي، وطلبت مني الذهاب إلى الحافلة، وبدأتْ بصنع الكعك. ثم قالت

لنفسها بصوت عالٍ: "إنها ستصنع شيئًا سريعًا، كعك الزنجبيل وكيك بالفاكهة"، وبدأت على الفور بالتعامل مع الأمر، ولكن قبل أن أذهب إلى المدرسة، وأتركها تخبز، فضلتُ أن أسألها هل تشعر أنها ليست على ما يرام؟ فقالت إنها بخير، بل العكس، إنها في حالة ممتازة، كل ما في الأمر أنها تأخرَت. قالت: "لقد تأخرتُ للمرة الثانية خلال وقت قصير، وهذا سيجعلني أبدو كشخص لا يُمكن الوثوق به". اقترحتُ على جدتي أن أتوقف عند "ماريا" قبل المدرسة، وأخبرها أن هذا ليس خطأها.

– هذا لطيف منك، لكن لا، فهذا سيجعلك تتأخر عن المدرسة.

إذًا لا، وذهبتُ إلى المدرسة. ثم لم أعد أفكر في الأمر، وكل شيء يسير على ما يرام. أحيانًا أذهب إلى براج، وتحاول أمي أن تُعِدَّ ليَّ برنامجًا رائعًا، حتى إنها اشترت لي بطاقة للسفر بالقطار، وكنا نتحدث معًا كما هو الحال دائمًا، لكنها لا تريد حقًّا أن تأتي إلى هنا أبدًا، وتقول إنه ليس لديها وقت، ودائمًا ما تطلب مني أن أُبْلِغَ سلامها لجدتي، لأنني أسافر وأعود بالقطار وحدي، وأتطلع دائمًا إلى العودة إلى المنزل. لكني لا أخبر أمي بذلك، كما أني لم أعد أقول لها إني أريد العودة إلى براج، لأني بالفعل لا أريد، لأن الحياة مع جدتي جيدة، رغم أني أُنظِّف الأطباق بعد تناول الطعام، ولا أنسى أداء واجباتي المدرسية، وآكل ما تطبخه لي، الذي عادة ما يكون طعامًا جيدًا، وهي طيبة إلى حد كبير. كما يمكنني اللعب على الكمبيوتر وقتما أريد، لكني أميل إلى الخروج مع "مارتينا" و"فرانتا"، وأحيانًا ألعب في المساء، ولا أحد يراقبني ليرى هل أذهب للنوم في الساعة العاشرة أم لا، ولكني عادةً ما أذهب لأن جدتي دائمًا تنام مبكرًا، وأحيانًا تقول إنها تعاني صداعًا، ولكنها بخلاف ذلك طبيعية.

وكنوع من التشجيع حصلت على بعض المال من جدتي، فأضفتُ لعبة جديدة إلى الإكس بوكس. كنتُ ألعب أنا و"فرانتا"، وحتى "مارتينا" أصبحت تلعب معنا، وتسير الأمور معها جيدًا، رغم كونها فتاة.

مَرَّ شهر فبراير الضبابي بأكمله، وجزء من شهر مارس، وأنا لا أفكر في الأمر، لكن إذا فعلتُ فسأقول: "إن كل شيء على ما يرام".

حتى حدث ذات مرة أن جدتي كانت تحمل طبقًا به طعام الغداء، وفجأة ترنَّحت وسقط الطبق من يدها، وكان به حساء الطماطم، فتناثرت هذه الصلصة الحمراء على الأرض.



الصداع لا يزداد سوءًا، نعم، لكن رأسها يؤلمها طوال الوقت تقريبًا، ولكن ليس بدرجة كبيرة، عليها أن تذهب إلى الطبيب، نعم، لكن لا شيء يدعو إلى القلق، لن يحدث شيء، على العكس من ذلك فإن "إيفا" تشعر بأن الأمور ستتحسن مع قدوم الربيع. في بعض الأحيان تشعر بأنها تفقد توازنها، ولكن هذا بالتأكيد بسبب الإرهاق، فهي لا تنام جيدًا في الليل، فدائمًا هناك ما يُقلقها. فبعد وقت قصير سيكون عليها أن تعتني مرة أخرى بالحديقة، وربما سيتعين عليها إصلاح السقف من ناحية العلية. كما أنه خلال الشتاء سقط جزء من السياج في الحديقة الخلفية، وأيضًا الكعك، والطبخ لـ"فيكي"، ومساعدته في عمل واجباته المدرسية، أحيانًا يبدو الأمر كأنه مستحيل حقًّا إلى أن تفهم المهمة الموكلة إليها. وهي تعاني أيضًا آلامًا بالظهر بسبب إزاحة الثلج الذي لا ينتهي. كما أن "هانا" لم تعد تأتي إلى هنا حقًّا، فهي أنانية كما كانت دائمًا. إنها تُرسل إليها التحية، لكنها لا تسأل عن حالها، وهل هي بخير بخير؟ لأنها لا تهتم بذلك. فهي تتصرف كأن "فيكي" موجود هنا تلقائيًّا، لكن بالتأكيد "إيفا" ستستطيع التعامل مع كل شيء، فهي لا تحتاج إلى أي مساعدة. إنها تُلقي

طفلها هنا، وبعد ذلك لا تأتي للمساعدة في أي شيء. "دعها لا تأتي"، فهي و"فيكي" سيتعاملان مع الأمر.



حتى "هانا" شعرت أن كل شيء أصبح أخيرًا على ما يرام بين "فيكتور" وأمها. لقد أحسنت صُنعًا عندما أخذت هي ووالدتها فترة للراحة، فهي لم تعد غاضبة، لكنها ما زالت تشعر بالأسف، ولا تريد رؤيتها، وكذلك أحسنت صنعًا عندما جعلت "فيكتور" يأتي إليها عندما تكون في إجازة، إذ يُمكنها أن تُكرس وقتها له جيدًا، وهذا يُشعِرُها بالارتياح. كان عليها أن تفعل ذلك منذ البداية. إنها تبتكر له أنشطة مختلفة، فـ"فيكتور" إيجابي، وربما كل شيء يسير على ما يرام في المدرسة أيضًا، إذا كانت أمها لا تخفي شيئًا عنها. حتى لو كانت تُخفي شيئًا عنها، فـ"هانا" حقًّا لا تريد أن تعرف، فلديها ما يكفي. ورغم أنه مشروع رائع، لكن تبدو كأنها الوحيدة التي سئمت منه، التي تدخل أحيانًا في نوبةٍ من البكاء عندما تشعر أنها لم تعد تستطيع. ففي المرة السابقة، وبعد يوم رهيب، اضطرت فيه إلى الركض عبر الغابة طوال اليوم، كان "بيتر" ومساعده "توماش" غير راضيين عن أدائها، حتى أنها لم تتمالك نفسها وصرخت فيهما:

– لماذا هذا الأمر مهم؟ لماذا هي بطلة رياضية سابقة من طراز رفيع؟ لماذا هو أمر في غاية الأهمية بالنسبة لهذه الشخصية؟

فقال لها "بيتر":

– حسنًا، من الواضح أنكِ لم تفهمي الشخصية على الإطلاق، إن هذا يرعبني عندما تقولين لي ذلك بعد شهرين من التصوير.

بينما كانت "هانا" تتصبب عرقًا، والريح تهبُّ وتتغلغل في كل ملابسها المبللة، هَزَّ رأسه بخيبة أمل. ذهبت لتبديل ملابسها، وأخذت تبكي في غرفة الملابس أمام مصممة الأزياء، وبكت أيضًا عندما جاء أحد كتاب السيناريو المغرورين إلى غرفة

الملابس، ربما ليشرح لها جوهر المرأة التي تعيش "هانا" شخصيتها منذ عدة أشهر، فطلبت منه أن يغرب عن وجهها، فهي ليست مستعدة لذلك الآن، بالطبع سيقول الجميع إنها ممثلة هستيرية، لكن اللعنة! إنها أيضًا بشر.

عندما كانت تصرخ في ذلك الأحمق، قرع "توماش" الباب وقال لها:

– بعد خمس دقائق سنبدأ بالمشهد الخامس عشر، هل بدلتِ ملابسك؟ قدمت لها مصممة الأزياء الشاي بـ"الروم" وساعدتها في خلع ملابسها المُبلَّلة.

لكن في اليوم التالي تحسنت، رغم أنها أُصيبت بنزلة برد وارتفاع في درجة الحرارة، إلا أنها ما زالت قادرة على التمثيل، رغم أنها تُضطر إلى التمخط من أنفها كل دقيقة، وتبدو بشعة حتى مع المكياج، لكنها محترفة وتستطيع فِعل ذلك. على الرغم من أن التمثيل مع "مارتين هروبي" أصبح أكثر صعوبة، على ما يبدو منذ ذلك الحين الذي صفعها فيه على مؤخرتها، كان مخمورًا قليلًا. لكنها لم تصفعه على وجهه، وهو ما ندمت عليه، لكن، هل قالت له ماذا يظن نفسه؟ وإلى أي مستوى سيصل؟ وأنه خنزير ماكر؟ نعم، قالت له ذلك. بدأ "مارتين هروبي" يتصرف معها بتحفظ، وعلى نحو بغض، حتى في المشاهد التي من المفترض أن يبدأ فيها بالتقرب منها، ورغم ذلك، فهو ما زال يلمسها على أي حال، ويقول: "اهدئي يا "هانا"، فهذا في الدور"، إنه شيء مزعج جدًّا، بعد فترة قصيرة، سيجري تصوير مشهد القبلة، وهذا يضع "هانا" تحت ضغط كبير، كبير جدًّا.



شعرتُ حقًّا بالخوف عندما سقط الطبق من جدتي، لكنها قالت على الفور:

– لا مشكلة، لقد شعرتُ فقط بالدُّوار.

وبدأت بتنظيف بقايا الطبق، وأنا أساعدها، لكني جرحتُ نفسي. من المضحك أنه عندما قطر دمي في الصلصة، كان لونه مختلفًا تمامًا.

اضطررنا إلى الذهاب إلى الطبيب من أجلي، وخيَّط إصبعي، وهو شيء مثير للاهتمام، هذه الخياطة. طلبوا مني ألا أنظر حتى لا أشعر بالدُّوار، ولكني لم أشعر بشيء. لكن بما أننا في المستشفى، تساءلت: هل على جدتي الذهاب إلى الطبيب أيضًا؟

سألتها عن ذلك، فقالت إنها ستذهب، فهذا شيء بسيط، ولا يزال يتعين علينا الذهاب للتسوق. فسألها الطبيب في أثناء الخياطة: "ماذا بها؟"،

فقالت: "لا شيء"، ولكني قلتُ:

– حقًّا؟ إنها تعاني صداعًا باستمرار، وكادت تسقط.

نظر الطبيب إليها.

– لم أسقط، فقط الطبق سقطت مني. وأنا سأذهب إلى الطبيب. "فيكي"، نحن الآن في قسم الجراحة، ويجب أن أذهب إلى طبيبي، أتعرف؟

فقال الطبيب الذي يخيط إصبعي:

– ربما ينبغي لكِ الذهاب إلى أحد ما.

– صدقني سأذهب.

وبعد ذلك ضمد يدي، وودع كل منا الآخر، وعندما خرجنا من العيادة، قالت لي جدتي:

– إني كبيرة بما يكفي، وأستطيع أن أخبر الطبيب بنفسي بما حدث لي، فلا يُمكنك التحدث نيابة عني.

– فلماذا لم تخبريه؟

– لأنه لا يوجد شيء، وليس لديَّ وقت للتنقل بين الأطباء.

كانت جدتي غاضبة، وأخذت تمشي بسرعة في عبر الممر، الذي تفوح منه رائحة المستشفى. بدأت إصبعي تؤلمني، وكان صوت خطواتنا عاليًا جدًّا وسط هذا الصمت.

قالت لي جدتي:

- اجعل يدك مرفوعة إلى أعلى.

فقلتُ لها:

- ولكن، ماذا لو سقطتِ وحدث لكِ شيء؟

توقفت جدتي وعانقتني، لحسن الحظ لم يَرَنا أحد.

- أنت رجلي الصغير يا "فيكي"، لن يحدث، ولن أسقط، ولن يحدث لي شيء، أنا بخير. ليس عليك أن تقلق. انظر، أنا بخير، أستطيع أن أحافظ على توازني.

ووقفت على رجل واحدة.

- أي، ركبتي، إنها طقطقت. حسنًا، ركبتي تؤلمني، لكنك تعلم أنه لا شيء. هيا، سأشتري لك شيئًا تعويضًا عن الألم، وأنا سأشتري شطيرة.

ذهبنا إلى البوفيه، فأخذت هي شطيرة، وأخذت أنا قطعة حلوى، ثم عُدنا إلى المنزل، لكن جدتي في الحقيقة ليست على ما يرام، وعليَّ أن أقلق عليها.

🏠🏠🏠
طعام جدتي

لم تعد جدتي تقول أمامي إنها تعاني صداعًا، أو أنها تشتكي من شيء ما، لكنها ترى أنني أنظر إليها أحيانًا، وتسألني: "هل أراقبها؟ ولماذا؟"، فأقول لها: "لا، لقد كنتُ أفكر في شيء ما"، لكن الحقيقة أنني كنتُ أراقبها قليلًا، لأنني تحدثت عن ذلك مع "مارتينا" و"فرانتا"، وربما تكون جدتي مريضة بالفعل. لقد أخبرني "فرانتا" أن جده مصاب بمرض الزهايمر، وغالبًا ما ينسى الأشياء أو الأشخاص الذين يعرفهم. إن جدتي أيضًا تنسى أحيانًا، لكن جد "فرانتا" و"كايا"، كانت تختلط عليه الكلمات، فعلى سبيل المثال، يقول: "سد" بدلًا من "شرفة"، كما أنه يؤلف كلمات خاصة به، على سبيل المثال، "زاكابالت"، التي تعني يلتف في سترته، ثم بدأ يتصرف بغرابة، حيث كان يأكل الفحم، أو أنه فجأة

أخرج جميع الأغطية من الغرفة إلى الفناء، على الرغم من أن السماء تمطر، وقبل أن يكتشف أحد ذلك، كانت قد ابتلت تمامًا، واضطروا إلى التخلص منها.

لكن جدتي لا تفعل ذلك، ولا تتصرف بغرابة، ما كان غريبًا هو أنها في هذه المرة كانت تجلس، ولا تعرف شيئًا عن نفسها، لكنها لم تفعل أشياء غريبة.

لكنهم لا يفهمون ماذا أقصد بأنها كانت تجلس بغرابةٍ، لا أعرف كيف أشرح لهم ذلك، ببساطة كانت كأنها مُغيَّبة، كأنها شخص استيقظ لتوه في منتصف الليل، أو كشخصٍ يمشي في أثناء النوم، أعتقد، لقد رأيتُ هذا في الأفلام.

قالت "مارتينا":

- إذًا عليكَ أن تراقبها أكثرَ.

بدأتُ أراقبها، لكن بالطبع ليس طوال الوقت، فلديَّ أيضًا حياتي الخاصة، أحيانًا أراها فقط في الصباح، ثم لحظات بعد الظهر عندما أترك أغراضي في المنزل بعد المدرسة، ثم في المساء. لأنه منذ بدأ الربيع ونحن باستمرار في الخارج، وفي عطلة نهاية الأسبوع أراها أقل من ذلك، لأن "فرانتا" و"كايا" لديهما في الحديقة كوخ صغير رائع مشيد فوق شجرة، كما نذهب بدراجاتنا عبر الغابة إلى القرية المجاورة، حيث يوجد هناك ملعب للتزلج، ونلعب باستخدام ألواح التزلج، في البداية كان "فرانتا" و"كايا" هما فقط من يملكان ألواح التزلج، ولكن بعد ذلك طلبتُ من أمي أن تشتري لي واحدًا، فاشترته لي حتى نكون أربعة على ثلاثة ألواح تزلج، وهذا جيد؛ لأنه يمكن لأحدنا أن يستريح لبعض الوقت، كما كنا نصور أيضًا فيديوهات مختلفة مضحكة. ثم ذات مرة عدنا إلى المنزل في المساء، كنا بالفعل في شهر أبريل، وضوء النهار يظل لفترة طويلة، أردنا اللعب على جهاز الإكس بوكس، ولكن لم يكن أحد في المنزل، ولا وجبات خفيفة ولا أي شيء، لذلك بدأنا بالبحث عن جدتي، ووجدناها تجلس في الحديقة بجوار حوض الزهور، حيث تقوم ببعض أعمال الزراعة، لكنها الآن لا تفعل شيئًا، تجلس هناك فقط،

فاعتقدت أنها ربما تعاني مرة أخرى حالةَ الشرود هذه، فعلي الأقل، يُمكن للآخرين أن يروا ذلك، لكن هذا لم يحدث، وقالت:

– أيها الأطفال، لقد بقيت منحنية لفترة طويلة حتى لم أستطع النهوض، هل تساعدونني؟ لقد تخشبت ساقاي تمامًا.

فسألتُها أنا ونحن نساعدها على العودة إلى المنزل:

– ولماذا انحنيتِ لفترة طويلة هكذا؟

– حسنًا، كنت أغرس الشتلات، ثم فجأة وجدتُ أنني لا أستطيع النهوض.

ربما عانت في أثناء ذلك من حالة الشرود هذه.

عندما ذهبتُ لتنظيف أسناني في ذلك المساء، كانت تجلس إلى الطاولة ومعها الشاي، فاعتقدت أنها تعيش لحظتها الغريبة هذه مرة أخرى، لكنها نظرت إليَّ وقالت:

– توقَّف عن مراقبتي، أنا بخير.

قلتُ لها:

– لا، لستِ كذلك.

– سأذهب إلى الطبيب، حسنًا؟ أعدك. لا تقلق، لن أموت.

ربما لا أخاف أن تموت جدتي، فهي ليست عجوزًا إلى هذا الحد. لكني أخشى أن أعود من المدرسة إلى المدرسة، فتبدأ بالصراخ في وجهي، بأنها ستطلب لي الشرطة، لقد فعل جد "فرانتا" ذلك من قبل، فهو لم يعد يعرفهم على الإطلاق، وأراد الاتصال بالشرطة، وأخذ يُلقي عليهم الأشياء، أو شيء من هذا القبيل، وقال أيضًا إنه كان يتبوَّل في زاوية الغرفة؛ لأنه لم يكن يعرف أين المرحاض.

وفي النهاية، أخذوا جده إلى المستشفى، حيث رقد بها هناك، ولم يكن يأكل، وقال "فرانتا" إنهم كانوا يحضرون له المشروبات، مثل الحليب ذي النكهات المثير للاشمئزاز. لكنه استمر في فقدان وزنه على أي حال، حتى بدا مثل أولئك الناس الذين نراهم في الصور من معسكرات الاعتقال النازية، ثم مات.

حسنًا، ربما أخشى أن تموت جدتي، على الرغم من أنها لا تبدو كذلك.

في تلك اللحظة، أدركتُ لأول مرة أنني أحبها، وهذا ما جعلني أرغب في البكاء، لأن جدتي ربما تموت لأنها مريضة، ولا تريد الذهاب إلى الطبيب، فكيف يمكن أن تُشفى؟

بصقت المعجون، وذهبت للنوم، وأخذت "بادمي" معي مباشرة، فعلى الأقل أستطيع أن أداعبها قبل أن أنام.

فكرتُ أنه ربما عليَّ أن أخبر أمي، وسيتعين عليها أن تأتي وتتحدث مع جدتي. ربما تتشاجران، لكن في بعض الأحيان لا يكون لديك خيار آخر.

سأذهب إلى براج مرة أخرى في غضون أيام قليلة، لذلك أريد أن أخبرها أنه ربما يتعين عليها أن تأتي إلى هنا، وترى جدتي، رغم أنه لا يمكن رؤية أي شيء عليها، عندما لا تكون في حالة الشرود هذه. لقد حدث لها ذلك مرة أخرى، إذا لم يكن قد حدث لها في الحديقة، نعم، كانت تطبخ، وهي تجلس على مقعد بجانب الموقد، وتبدو صغيرة جدًّا. كان هناك بصل في حلة على الموقد، وقد تحول إلى اللون البني، واحترق تمامًا، لذلك دفعت الحلة بعيدًا. وناديتها:

- جدتي!

لكن لا شيء. فهززتُها، فقالت:

- لماذا تهزُّني هكذا؟

- لقد كنتِ شاردة مرة أخرى.

- لقد سرحتُ لا أكثر.

لم أقل لها أي شيء، فمن الواضح أن هذا لم يعد يُجدي نفعًا. سأخبر أمي. فكرتُ لبعض الوقت أن هذا يحدث لجدتي خاصةً عندما تطبخ، وهل هذا يعني شيئًا ما، ولكني بعد ذلك توصلتُ إلى استنتاج مفاده أن السبب هو أنها تطبخ طوال الوقت.

سأذهب إلى أمي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، لكني لم أعد أقضي عطلة نهاية الأسبوع كلها في براج، ولكن هذا الأسبوع نعم. أخبرت "مارتينا"

و"فرانتا" أنه يجب عليَّ أن أخبر أمي بأن جدتي ربما مصابة أيضًا بالزهايمر، لذا ربما سنعود مبكرًا، ولذلك سيكون لديَّ وقت للذهاب معهم في رحلة مدرسية خاصة، التي ستكون يوم الأحد.

رائع.

قالت "مارتينا":

– انظر يا "فيكي"، ماذا لو ذهبت جدتك إلى المستشفى؟

فعرفت على الفور ماذا تقصد بذلك.

فإذا ذهبت جدتي إلى المستشفى، فمن سيعتني بي؟ سيتعين على أمي أن تقطع تصويرها المهم حتى أتمكن من الاستمرار في الذهاب إلى المدرسة هنا. لكنها على الأرجح لن تستطيع أن تفعل ذلك، لأنها تتحدث معي باستمرار عن كيف كان عليها أن تُمثل وهي تعاني إنفلونزا رهيبة، وكيف أنها لم تستطيع الراحة ولو ليوم واحد عندما كانت تعاني الحمى، وكيف أنها كادت تفقد وعيها. حكت لي هذا في المرة الأخيرة. لذلك من الصعب أن تأتي لتعتني بي. لكني لن أتمكن أيضًا من العودة إلى براج؛ لأني أذهب إلى المدرسة هنا. شعرتُ بالارتياح لحظات، ففي كل الحالات يجب أن أبقى هنا. ولكن بعد ذلك أدركت أنني ربما سأضطر إلى العيش مع خالي، وهذا هو الخيار الأسوأ على الإطلاق؛ لأن ابنتيه متذمرتان دائمًا، وزوجته صارمة معي، وتكره "بادمي".

قالت "مارتينا":

– حسنًا، يمكنك العيش عندنا أو عند "فرانتا".

لقد أخذتِ الحديث في اتجاه آخر، لكني أعلم أن أمي لن تسمح بذلك، وسأضطر إلى العيش مع خالي. لذا أُفضِّل ألا أخبر أمي بأي شيء.

وحقيقةً لم أقل شيئًا، رغم أن أمي أخذت تحكي لي أنها تفضل أن تترك هذا الأمر، فهو أمر فظيع، وأنه قد فاض بها الكيل. كما قالت:

– أنا أمثل مع ممثلين رائعين، لكن بعضهم بشعون للغاية، من فضلك لا تخبر أحدًا بذلك. أنا متعبة جدًّا يا "فيكي"، وأتطلع كثيرًا إلى العطلة الصيفية، فخلالها سنظل طوال شهري الإجازة مستلقيين في الحديقة، أتعرف ماذا، سأشتري حمام سباحة كبيرًا، حسنًا؟

قلتُ لأمي:

– إذًا أعطيهم استقالتك.

ضحكت أمي وقالت:

– لا يقولون "أعطِ استقالتك"، بل قدِّم استقالتك، لكن هذا غير ممكن، ففي مهنة مثل مهنتنا لا يمكنك الاستقالة في منتصف الطريق، فسيعرضني هذا لغرامة مالية هائلة. وعندها لن يتبقى لك سوى أن تملأ حوض الاستحمام الصغير بالماء، لأنني لن يكون لديَّ المال حتى لشراء حمام السباحة البلاستيكي الخاص بالأطفال الذي يعمل بالنفخ.

لم أقل شيئًا أكثر من ذلك، لكني أتطلع إلى حمام السباحة، وبعد ذلك فضلتُ ترك الأمر عند هذا الحد، رغم أن جدتي ذات مرة أعدت لي طاجن مكرونة بالبشاميل بقِطع اللانشون حلوة المذاق، وقد كانت مثيرة للاشمئزاز جدًّا، لكني حاولت أن آكلها لأنني لا أريد أن أجادل جدتي في هذه الأمور بعد الآن، ولكن في الواقع لم أستطِع.

فقالت جدتي:

– لماذا لا تأكل؟

– لأنها غريبة.

– غريبة كيف؟

– حسنًا، حلوة.

تذوقتْها، وعلى الفور بصقتِ القضمة في كفها.

- يا إلهي! أنا آسفة. لا أعرف كيف يمكن أن يحدث هذا معي.

لكني أعرف أن السبب هو أنها تعرضت لهذه النوبة الغريبة مرة أخرى، لكن لن أقول لها هذا، لأنها ربما تعرف ذلك أيضًا. ألقت جدتي ببقايا هذه المكرونة بعيدًا، ألقتها في الآنية التي تضع بها بقايا الطعام لتستخدمه سمادًا، وهي كلها مواد طبيعية، ولكن لا يزال هناك قطعة كبيرة من المكرونة.

هنا جاء ببالي أنها يُمكن أن تُعطي "بادمي" شيئًا سامًّا عن طريق الخطأ، إذا حدث لها ذلك مرة أخرى. ثم في الليل عندما ذهبت جدتي إلى الفراش، ذهبتُ إلى المطبخ، وأخذتُ أبحث عن أي شيء يمكن أن يكون خطرًا. لم أجد أي شيء سوى منظف الأطباق، لذا سكبتُه واستبدلته بالماء، فقط زيادة في الحرص، ثم وجدت بعض أقراص مسحوق غسالة الأطباق، لكني أعتقد أن "بادمي" لن تأكلها، كما سكبت أيضًا الصلصة الحارة، وسكبتُ الفلفل، ثم تخلصتُ أيضًا من الكسكسي، فقط لأني أكرهه.

وفي الصباح فضلتُ أن أطعم "بادمي" بنفسي، ثم تذوقت بلساني بحرص الخبز بالعسل الذي أعدته لي جدتي على الإفطار قبل أن آكله. كان على ما يرام.



عيد القيامة

عندما أرادت "إيفا" بعد بضعة أيام من حادثة المكرونة المؤسفة، أن تطهو كباب الحلة، اكتشفت أن برطمان التوابل الخاص بالفلفل فارغ، على الرغم من أنها تتذكر جيدًا أنها اشترت الفلفل الأسبوع الماضي وأفرغته في البرطمان، وقد كان ممتلئًا تقريبًا. وعلى الرغم من أن هذه الأشياء الصغيرة قد زادت أخيرًا، فإنها عندما اكتشفت ذلك، بدأت بالبكاء بحُرقة. كان عليها أن تجلس، لحسن الحظ أننا في فترة الضحى و"فيكتور" في المدرسة. أسعدها أنها لم تُضطر إلى السيطرة على نفسها، وأخذت تنوح بصوت عالٍ لبعض الوقت في المنزل الفارغ، فعلى الأرجح

أنه سيبدأ بهذه الطريقة، فبعد فترة قصيرة لن تتعرف حتى إلى "هانا" و"أداميك" وأحفادها، وستعيش في مكان ما في مصحة لأصحاب الأمراض المزمنة، ستدرك حالة البؤس هذه في لحظات معينة ثم يختفي كل شيء، وتنسى كل الأشياء وكل الأشخاص، ومن سيأتون لزيارتها لن يكونوا سوى وجوه غريبة لا تعرفها. وفجأة توقفت "إيفا" عن البكاء، وشعرت بالغضب الشديد، فلن ينتهي الأمر على هذا النحو، فهي ليست مصابة بالزهايمر. فليذهب كل هذا إلى الجحيم، لقد أضافت عن طريق الخطأ السكر إلى الطعام المالح، وربما وضعت الفلفل عن طريق الخطأ أيضًا في برطمان توابل آخر، ماذا في ذلك؟ فهذا يحدث على نحو عادي، فهي لا تنسى الكلمات، ولا تعاني شيئًا أسوأ على الإطلاق. بالطبع بحثت على الإنترنت عن أعراض هذا المرض، ولم تجد أي شيء عن الصداع، لكن الصداع هو أكثر ما يزعجها، ولأنها تعاني صداعًا، فهي لا تستطيع التركيز بطريقةٍ صحيحة، و"البروفين" لا يسبب لها سوى ألمٍ في المعدة، وعليها أن تذهب إلى الطبيب ليكتب لها دواءً أفضل. كما قرأت أيضًا على الإنترنت أن ذلك قد يكون بسبب العيون، فربما تحتاج إلى تغيير النظارة، وقد تكون مشكلات التوازن أيضًا بسبب ذلك. نهضت من فوق الطاولة، هي الآن في حالة جيدة تمامًا، حتى أنها شعرت بالخجل من نفسها قليلًا لأنها بكت بسبب الفلفل، ثم ذهبت لتنظر متى سيكون الطبيب في عيادته، صباح اليوم وصباح الغد، حسنًا، ستأخذ "فيكي" إلى المدرسة، ثم تذهب إليه.

عندما أخبرت الطبيب عما تعانيه من صداع، وأنها في بعض الأحيان لا تستطيع النوم ليلًا (لكنها لم تقل إن ذلك بسبب الصداع، فبالتأكيد إذا أعطاها بعض الأدوية الفعالة، فلن تشعر بالصداع ولا حتى في الليل، ومن ثم، ستنام نومًا طبيعيًّا مرة أخرى)، كما أنها أيضًا لم تخبره بحقيقة أنها تعرضت عدة مرات للدُّوار، وأنها أحيانًا لا ترى جيدًا، فسألها الطبيب:

- هل هناك شيء آخر؟

لم تخبره بأمر الفلفل، لكنها أخبرته بما حدث للمكرونة.

فقال لها الطبيب:

- لقد كسرتُ ذات مرة البيضة في كوب الشاي بدلًا من المقلاة عندما كنت أعدُّ وجبة الإفطار.

فضحكتْ، وشعرت بالارتياح حقًّا، ولكن عندما كانت على وشك المغادرة، استجمعت شجاعتها وسألته:

- هل تعتقد أنني مصابة بالزهايمر؟

بدا سؤالها هجوميًّا.

- لا، لا أعتقد ذلك، هل تعتقدين أنتِ ذلك؟ يمكنني إحالتك إلى قسم الأعصاب.

هزت "إيفا" رأسها:

- لا.

إنها لا تعتقد ذلك أيضًا، يا إلهي! إن كل إنسان يُمكن أن ينسى شيئًا ما في بعض الأحيان.

- جيد، إذا لم يتحسن الأمر، فسنتعامل معه بدرجةٍ أكبر. لكن لا بد من الراحة.

حسنًا، بالطبع إن "إيفا" تحتاج إلى الحصول على المزيد من الراحة، إذ تكون في المساء منهكة تمامًا، لكن الحديقة لن تعتني بنفسها، والكعك لن يخبز نفسه بنفسه، والطعام لن يطهو نفسه بنفسه، والأهم هو رعايتها لـ"فيكي"، فهي تريده أن يبقى هنا، خاصة الآن بعد أن هدأت الأمور أخيرًا. فإذا كانت "هانا" قد رفعت يدها، وأرسلت هذه الإشارة، فلتفعل. فإن "إيفا" ستستطيع الاستغناء عنها، لقد تحسَّن "فيكي" كثيرًا، وهدأ، وأخيرًا صار له أصدقاء،

أطفالًا محترمين، على ما يبدو، حتى لو كانوا جامحين قليلًا. وفي الواقع، فإن "إيفا" تحبُّهم، وعندما يأتون للعب بألعاب "فيكي" السخيفة، فإنها تحب أن تعد لهم وجبات خفيفة، وتحب أن تراهم يقضون وقتًا ممتعًا، فمن الجميل أن يكون لديها أطفال في المنزل مرة أخرى.

كتب لها الطبيب مسكنات للألم، من تلك التي لا تُسبِّب ألمًا في معدتها، وأرسلها أيضًا إلى قسم العيون. خرجت "إيفا" من عيادة الطبيب وهي تشعر بالانتصار، لذا عليها الجلوس على المقعد لحظات، وغلق عينيها. ما زالت تعاني صداعًا، لكنها الآن ستأخذ الدواء الجديد وستكون بخير.

لم تخبره أنها أحيانًا تنسى شيئًا ما، شيئًا صغيرًا. راودتها ذكرى قديمة، إذ تذكَّرت عندما ذهبت هي و"يندرشيخ" في شبابهما إلى مسبح في محجر قديم مغمور بالمياه، إذ كان يقفز قفزات عمودية جميلة، وتذكرت عندما اكتشفت أنها حامل في سن الأربعين تقريبًا، فقد قال "يندرشيخ": "ما الذي بوسعنا أن نفعله؟"، بينما انفجرت هي في البكاء، وقال "أداميك": "أريد أخًا ولا أريد أختًا أبدًا"، لكن جاءت "هانكا"، التي كانت منذ ميلادها طفلة لا تُطاق، عدوانية، لا تتوقف عن الصراخ، وهستيرية، والشخص الوحيد الذي كان يُجيد التعامل معها هو أبوها "يندرشيخ". ثم أدركت "إيفا" أنها فقط تجلس هناك، وتستعيد ذكرياتها، وأن الماء يتدفق عبر سطح المطبخ، لأنها فتحت الماء في الحوض لتقشير البطاطس، وهناك ماء على الأرض، وأنها جلست هكذا لمدة نصف ساعة تقريبًا.

🏠🏠🏠

أنا خائف قليلًا من عيد القيامة، فماذا سيحدث لو جاءت أمي إلى هنا، وتعرضت جدتي لهذه النوبة الغريبة، أو فعلت شيئًا غريبًا، كأن تصنع مثلًا كعكة مالحة، أو شيئًا من هذا القبيل، ففكرت أنا وأصدقائي أنه يتعين عليَّ مساعدتها في الطهو حتى أُراقِب ذلك، وهو ما يبدو لي جنونيًّا، لأنني لا أعرف شيئًا عن الطبخ.

لكن "مارتينا" و"فرانتا" قالا إنهما يمكن أن يساعداني، حتى إننا بحثنا عن طريقة صُنع كعكة عيد القيامة، وكذلك كيك عيد القيامة الذي يُصنع على شكل كبش. لكني لا أعرف ما هي بيكربونات الصوديوم التي توضع في العجين، فكل ما يتعلق بتخمر العجينة هو في الحقيقة لغز بالنسبة لي. ولكن بعد ذلك اتصلت أمي لتخبرني أن لديها فقط يومين إجازة في عيد القيامة، وسيكون لديها تصوير يوم الإثنين في العيد، فقلتُ لها بسرعة: "لا بأس، وأنني سآتي إلى براج ثم أعود إلى هنا لقضاء يوم الضرب بالعصا"[19]، فقالت أمي: "نعم"، على الرغم من أنها اعتقدت أنها يجب أن تأتي إلى "ريبني". فقلتُ لها: "بل على العكس، فمن الأفضل أن نترك جدتي تتمتع بالهدوء هنا، لكي تخبز الغنم، التي وعدت بها بعض الناس".

بعد قليل قالت أمي:

– هل تقصد كيك عيد القيامة الذي يُصنع على شكل كبش؟

– نعم.

وقد حدث ذلك، ثم سألتني جدتي عن حال أمي، وهل تريد المجيء إلى هنا أم لا؟ لكني قلت: "إنها لا تريد ذلك". فهزَّت جدتي رأسها، وقالت: "إذًا هي ما زالت مستاءة؟"، ربما لا تقصد أن تطرح ذلك كسؤال، فهي تبدو غاضبة من أمي، لكن ماذا يمكنني أن أفعل، فأمي لا تستطيع المجيء إلى هنا.

بالإضافة إلى ذلك، فإن جدتي قد ذهبت إلى الطبيب، وأعطاها بعض الحبوب لوقف الصداع، كما أخبرتني، كما أخبرها الطبيب أيضًا أن الأمر ليس خطيرًا، ربما ستحتاج إلى نظارة جديدة، وأنا أيضًا أحتاج إلى نظارة لأنني لا أستطيع الرؤية بمن بعيد، فعندما أرى "مارتينا" أو "فرانتا" من بعيد، لا يمكنني التعرف إليهما إلا من خلال ملابسهما، أو أن أنتظر حتى يقتربا. لكني لا أريد أن

(19) هي عصي تُصنع من أغصان الأشجار الرقيقة، وتكون لها أطراف من أشرطة من القماش، في ذلك اليوم يضرب الشبان الفتيات بها على مؤخراتهن كنوع من جلب الحظ.

أضع نظارة، لذا لن أخبر جدتي بذلك. لكني سعيد أن جدتي ستكون بخير، والآن بعد أن أصبحت بخير، يمكنني أن أخبرها أنني سأتلقى توبيخًا من المدرسة، وأن معلمتي صادرت هاتفي، وهو ما لم أخبرها به بعد، لأني لم أكن أريد أن أزعجها.

لا أعتقد أن هذا التوبيخ عادل تمامًا؛ لأنه يتعلق بالنظارة، لأنني اضطررت - ذات مرة- إلى الجلوس في الخلف، ولم أتمكن من رؤية السبورة على الإطلاق، لذلك أردتُ أن أُسجِّل على هاتفي ما تقوله المعلمة، والتقطتُ صورة لما كان على السبورة، لكنها أمسكت بي. فقلت لها: "إنني لن أعطيها الهاتف، فأنا لم أرتكب أي خطأ"، ولكن كان عليَّ أن أعطيها إياه، على الرغم من أني ظللتُ أتجاذبه معها لحظات، وهذا ببساطة لأني لا أريد أن أكون دون هاتف، فنحن سنصوِّر اليوم فيديو لرحلة سرية إلى كوخ مهجور، مما تسبَّب بحدوث مشكلة لي، وبقيت أيضًا بلا هاتف. لكن "فرانتا" أخبر المعلمة أنني لا أرى، وأنا بحاجةٍ إلى نظارة، ولهذا السبب سجَّلت بالهاتف، فقلت: "إنه يكذب، وأني أرى جيدًا"؛ لأني لا أريد نظارة. غضبتُ من "فرانتا"، ولكن فقط حتى فترة ما بعد الظهر، قبل أن نذهب معًا لنستكشف هذا الكوخ في الغابة، الذي يعيش فيه المتشردون هناك، ولا أعرف بالضبط ماذا تعنيه هذه الكلمة، بل أعرف، لكني لا أعرف لماذا يفعلون ذلك، ولماذا يرتدون تلك الأشياء الخضراء، وتلك القبعات المضحكة، لم نُصوِّر فيديو.

وعندما أخبرتُ جدتي بذلك، أومأت برأسها فقط. ولم تسألني على الإطلاق عما حدث، وطلبت مني ألا آخذ الهاتف إلى المدرسة، فهو باهظ الثمن، وسوف أُدمِّره. لكني بالطبع سآخذه معي باستمرار، لأنه ما فائدة الهاتف المحمول إذا تركتُه في المنزل، لكن أولًا على جدتي أن تذهب إلى هناك، وتحضره لي.

حسنًا، أما عيد القيامة، فقد نسيتُ تمامًا أن خالي وزوجته سيأتيان إلى هنا بالتأكيد، وقد أكدت جدتي ذلك، وهي تأخذني من المحطة في المساء، وتتحدث بحماسة أن كلهم سيحضرون، وعما سنتناوله من طعام، كلها أشياء غير مثيرة

للاهتمام. فقلتُ في نفسي: "هل ينبغي لي أن أتذوق كل الطعام، لأنني لم أكن هنا لا أراقب جدتي في أثناء فِعلها ذلك".

وفي النهاية تناولتُ على العشاء كعكةً وكعك عيد القيامة، وكذلك العجينة المحشوة بنبات القراص واللحم المدخن، كانت مقززة جدًّا، ولكن غالبًا هذا ما ينبغي أن تكون عليه، وشريحة لحم مع سلطة البطاطس، التي لا آكلها، لكن عليَّ الآن أن أجرِّبها. نظرت جدتي إليَّ، وعندما طلبت الحساء أيضًا قالت:

– ماذا تفعل؟

– لا شيء.

– هل تتذوق كل ما لدينا هنا؟

– نعم.

– بالطبع أنا سعيدة لأنك تذوقت أخيرًا العجينة المحشوة بنبات القراص واللحم المدخن التي فزتُ بها ذات مرة في مسابقة الحشو هنا في القرية المجاورة، لكني لا أفهم لماذا تفعل ذلك.

"فقط هكذا". لا أريد أن أوضح لها أن وضعها لمكونات غريبة في الطعام قد يكون علامة على إصابتها بمرض حقيقي، على الرغم من أنها منذ أن ذهبت إلى الطبيب، وأعطاها دواءً جديدًا، لم تقل قط إنها تعاني صداعًا أو أي شيء آخر، لذلك ربما لا تكون مريضة بالزهايمر. لكن إذا كان كذلك، فسوف يأخذونها إلى المستشفى ويأخذونني بعيدًا، ولا أريد ذلك بأي حال، من أجل ذلك، تذوقتُ الطعام لأتأكد أن كل شيء على ما يُرام، وحتى لا يكتشف خالي أن هناك شيئًا ما يحدث.

– بسبب المكرونة، أليس كذلك؟ هل تخشى أن يكون هناك طعام سيئ في غداء العيد غدًا؟

أومأت برأسي.

هزت جدتي رأسها وعانقني.

– أنت ولد لطيف. ولكن هذا ليس له علاقة بأي شيء. كل ما حدث أنني أخذتُ برطمان التوابل الذي يليه. لا تقلق، كل الطعام جيد. أم لا؟

– نعم.

– أترى! لقد نجحت في صنع العجينة المحشوة بنبات القراص واللحم المدخن، أليس كذلك؟

– نعم.

– إذًا لا تصفق لي، وتعالَ معي لنُلوِّن بعض البيض. أم هل لوَّنتَ البيض مع أمك؟

بالطبع لم نُلوِّن أنا وأمي البيض، بل ذهبنا إلى السينما، ثم اشترينا أحذية جديدة وبعدها ذهبنا إلى ساحة التزلج. إن أمي لا تجيد أبدًا تلوين البيض حتى عندما كانت أصغر سنًّا؛ لذلك أتذكر أنها كانت في كل مرة تغضب بشدة، وترمي وعاء من البيض الملطخ بالألوان بقبح في سلة المهملات. لذا ذهبنا لتلوين البيض، وقبل أن أذهب للنوم كان لدينا سبع وعشرون بيضة ملونة، ثلاث منها لونتُها أنا، ورسمتُ عليها سوبر ماريو، وهذه لن أعطي أحدًا إياها، أو ربما أصدقائي فقط.

وفي اليوم التالي جاء خالي وزوجته وبنتي خالي، وعندما كانت جدتي تحمل شيئًا ما إلى الطاولة، فقدت توازنها مرة أخرى، لكن هذه المرة لم يسقط الوعاء من يدها، بل كاد يسقط، فرآها خالي، وأسرع إليها قائلًا:

– يا إلهي! أمي ماذا حدث؟ هل بكِ شيء؟

وقبل أن تتمكن جدتي من قول أي شيء، قلتُ كأني أمزح:

– جدتي، لم يكن عليك شرب هذا الخمر.

فسألها خالي:

– هل شربتِ شيئًا يا أمي؟

نظرتُ إلى جدتي، فنظرت إليَّ ثم إلى خالي وقالت:

– من فضلك، لقد تناولت قليلًا من نبيذ الكريز، عندما كنت أُضيفه إلى عجينة الكعك.

فقال خالي مازحًا:

– نعم، بالتأكيد شربتِ "قليلًا"، بينما تترنحين هنا بهذه الطريقة، أشك أنك تشربين هذا القليل بالشفاطة منذ الصباح.

هزت جدتي رأسها، وقالت:

– دع عنك ذلك.

ولكنها لم تعد حتى تنظر إليَّ.

بينما بقيتُ أنا أتابعها كحيوانٍ مفترس يراقب فريسته. وعندما غادروا أخيرًا، قال لها خالي مازحًا:

– لا تشربي كثيرًا إذا كنت لا تتحملين ذلك.

ضحكت جدتي. بعدها ذهبت للتنظيف، وجلستُ أنا ألعب شيئًا على هاتفي، ثم اتصلت أمي لتسألني: كيف استمتعت بيومي؟ فأخبرتها كيف استمتعتُ به، وأني جمعت سلة مليئة بالحلوى والكثير من البيض الذي صنعت منه جدتي كريمة مثيرة للاشمئزاز، وأصبح لدينا الكثير منها الآن، وقد قالت لي جدتي: "إذا لم تأكلها، فماذا سنصنع بها؟"، فقالت أمي:

– كريمة جدتك، أنا أعشقها.

سمعت جدتي ذلك، لأن الهاتف كان على وضع مكبر الصوت، ولكن جدتي لم تقل لها: "تعالي؛ فلدينا الكثير منها"، ولم تقل أمي: "سآتي، اتركوها لي". وهذا أمر جيد أنهما لم تقولا شيئًا، ثم تناولت العشاء مع جدتي، تناولتْ هي كريمة البيض. جلسنا إلى الطاولة، ولم نتحدث على الإطلاق، وعندما نظرتُ إلى جدتي مصادفة، قالت لي:

– توقف عن هذا، أنا بخير.

فقلتُ لها:

– أعرف ذلك.

لكني لا أعرف.



والحقيقة أن الدواء الجديد لم يكن فعالًا كما كانت "إيفا" تتخيل. لكنها – على الأقل– لم تعد تعاني آلامًا في المعدة. لكنها تعاني ازدواجية الرؤية بصورة أكبر، وهذا بسبب التعب. إنها ليست مصابة بالزهايمر، ولا شيء يحدث، وعلى أي حال، فإن لديها الكثير من العمل في الحديقة الآن في الربيع، فالحديقة مهملة. كان "يندرشيخ" يعتني بها أكثر منها، فقد كانت هي تهتم فقط بالثمار، لكن هو كان يهتم بالشتلات والعشب والأشجار. لقد جاءها "سلافيك" هنا عدة مرات في الخريف، لكن ليس لديه الكثير من الوقت الآن، فكل سكان البيوت الريفية من براج يريدون أن تكون حدائقهم جميلة، ويمكنهم أن يدفعوا إليه أكثر. لقد جاء إليها هنا لتقليم أشجار السياج، ورفض أن يأخذ المال، ربما لا يريد أن يأخذ المال من سيدة بالمعاش، لكن لا يُمكنه أن يفعل ذلك مجانًا، و"إيفا" لم تفهم لماذا لم يأخذ الثلاثمائة كرونة.

أرادت "إيفا" تعليم "فيكي" كيفية قص العشب، لكنه لم يستطع تحريك الجزازة، ولم يصمد طويلًا في حفر الأرض، ولم يفعل ذلك على نحو جيد أيضًا، باختصار الحديقة تحتاج إلى الكثير من العمل الآن، كما أن "إيفا" تريد زراعة المزيد الخضراوات، خاصة الآن مع وجود "فيكي" هنا، حتى يحصل على فواكه وخضراوات جيدة، كما أنها أرخص. فلم يعد بوسعها إهدار المال، خاصة بعد أن أصبحت تُورِّد الكعك إلى المقهى ثلاث مرات فقط في الأسبوع، فقد اتفقت مع "ماريا" على ذلك. في الواقع إن "ماريا" هي من اقترحت عليها ذلك، وقالت لها: "لا تغضبي يا "إيفا"، من فضلك"، لكن "إيفا" شعرت بالاستياء فقط قليلًا، لكن على كل حال، فإن "ماريا" على حق، فقد كبرت في السن، وليس هناك فائدة من محاولة إقناعها بشيء آخر. إنها لم تعد قادرة على توريد الكعك طوال الأسبوع، وأدى هذا إلى أنها خسرت نصف ما كانت تربحه من مال. فبوسعها

الآن أن تستغل هذا الوقت الذي اكتسبته، في العمل بالحديقة أو النوم. لكنها لا تزال تستيقظ في الخامسة صباحًا، سواء كانت ستخبز أم لا، وعندما لا يكون لديها خبيز فإنها تظل مستلقية على السرير وتحدق إلى السقف، ورأسها ينبض من الألم. أحيانًا تغفو من جديد تقريبًا، وعندما تكون في حالة نصف النعاس هذه، فإنها تسمع "يندرشيخ" وهو يشخر، وأحيانًا تشعر به بجوارها.

لكن ربما شعرت بالارتياح قليلًا عندما اقترحت عليها "ماريا" ذلك، لأنه ربما لا ينبغي لها أن تقود السيارة، أو على الأقل لا تقودها كثيرًا.

إن "إيفا" تعلم أنها ستضطر إلى الذهاب إلى الطبيب مرة أخرى، لكن ليس لديها الوقت لذلك، فالأمر ليس مُلحًّا، فهي لا تزال تعاني الصداع بالدرجة نفسها، لكنه لا يزيد. بالإضافة إلى ذلك، فإن القطة تعاني شيئًا بعينيها، وعليها أن تذهب بها إلى الطبيب البيطري، همٌّ آخر. إن "فيكي" لا يهتم بهذا الحيوان على الإطلاق، أحيانًا يضع لها بعض طعام القطط، وهذا كل شيء. لقد ظلت هذه المسكينة في الخارج طوال الليل، ولم ينتبه أحد إلى ذلك. تتمنى ألا تصاب بنزلة برد.



اتصلت بـ"فيكي"، وسألته: هل استمتع بيوم الضرب بالعصا؟ لكنها ما زالت تشعر بالأسف، فلقد كانت لا تزال تنتظر أن تدعوها أمها إليها في عيد القيامة، بالطبع، لم تكن تستطيع ذلك يوم الإثنين، لكن كان بوسعها أن تذهب إلى هناك يوم الأحد، لكن أمها لم تحاول حتى الاتصال بها. ففي كل عام في عيد القيامة كانوا يذهبون إلى والديهم لتناول الغداء مرة واحدة على الأقل. لكن بالطبع الأمر كله أن أمي مستاءة، وتنتظر من "هانا" أن تعتذر إليها، وكأن ما فعلته هي صحيح تمامًا، وهي لن تعترف بذلك أبدًا. ولا حتى يخطر ببالها أنها ارتكبت خطأ، وأنه لم يكن ينبغي لها أن تتدخل في ذلك، وكان أفضل لها أن تجلس في المنزل، وتخبز كبش عيد القيامة للقرية كلها، ولا تخبزه لها.

بالإضافة إلى ذلك، هناك الكثير من الأشياء الصعبة التي تنتظرها في "نوكتورن" في الأسبوعين المقبلين، أولاً المشهد الذي كاد أحد أفراد شلتها أن يغتصبها فيه، وهذا يكفي من الرعب والتوتر في حد ذاته، حتى لو أراد "بيتر" تصويره باحتشام، كما يؤكد لها منذ البداية، بالإضافة إلى وجود "مارتين هروبي". ثم في الأسبوع نفسه سينتظرها مشهد مشاجرة مع القاتل في النهر، الأمر الذي سيكون مجهدًا بدنيًّا، وكلاهما مشهد حاسم. إن "هانا" متوترة، ولا تريد حقًّا التعامل مع مشكلتها مع والدتها التي تشعر بالإهانة، أو التعامل مع مسألة التوبيخ الذي حصل عليه "فيكتور" في المدرسة، خاصة أنه موضوع غبي، فقد كان يلعب على هاتفه في أثناء الحصة، ولكن حسنًا، هذا غير مسموح به، لذلك تلقى توبيخًا. إن "هانا" سعيدة أن الأمر قد اقتصر فقط على التوبيخ، ربما استطاعت أمها التعامل مع الأمر حقًّا، لأنه في ربيع العام الماضي في براج حصل بالفعل على تقدير ضعيف في السلوك، ولكيلا يحصل على ضعيف جدًّا، اضطرت "هانا" أن تخبر المسؤولين في المدرسة متوسلةً لأن لهذا عواقب وخيمة.

شعرت "هانا" لحظات بالفخر والفرح، فإن أمها لم تنجح فقط في ذلك بل، ربما ابتكرت طريقة جديدة، فإن "فيكي" قد تحسن بوجهٍ عام، وأصبح أكثر لطفًا في الفترة الأخيرة، وأن أمها أيضًا بخير، فهي لا تزال تخبز فطائرها، وتشعر بالاستياء كما هو الحال دائمًا، لذا يمكنها -في الواقع- أن تكون سعيدة بأن الأمور تسير بهذه الطريقة. ثم برضاء وضعت هاتفها في جيبها، وذهبت إلى الفندق.

قال لها "أوندرا":

- "هانكا"، تعالي لتشربي البيرة.

قالت "هانا" في نفسها: "بالتأكيد غدًا سيكون يومًا سهلًا، و"فيكي" بخير، فلتفعل أمي ما تريد". ثم شعرت "هانا" بالكثير من الحب في الوقت نفسه. هناك لحظات تتطلع فيها إلى الانتهاء من تصوير "نوكتورن"، وهذه إحداها،

ثم ستذهب إليهما، وعندها سيكون الصيف قد حل تقريبًا، وسوف تستلقي على بطانية خلف المنزل وتقرأ، وستركب هي و"فيكي" الدراجات، وكل شيء. سيكون لديها فقط عدد قليل من العروض في براج، وبعدها ستبدأ العطلة الصيفية، وستأخذ "هانا" إجازة، إجازة من كل شيء بعد كل هذه السنوات، الآن يمكنها تحمل تكلفة ذلك، وسيستمتع الجميع بهذه الإجازة. "كما أن الأمور ستسير جيدًا مع أمي أيضًا"، فالإنسان، أي "هانا"، لا يمكن أن تتوقع من أمها أن تفهمها، لكن لا يهم، فهي رغم ذلك أمها. ستحاول أن تكون جيدة وتعيش حياتها بطريقةٍ صحيحة، كلنا نحاول وننجح، وعلى الرغم من أن أمها امرأة عدوانية وقاسية، لكنها تحبها، وتعشقها. شعرت "هانا" فجأة كأنها تهفو إلى السعادة، وهنا أعطاها "أوندرا" البيرة، وذهبا ليجلسا مع الآخرين.

– حسنًا، غدًا لدينا يوم حافل.

قال لها ذلك "مارتين هروبي" بطريقته، التي جعلت "هانا" تتمنى لو أنها تركله بقدمها بين فخذيه، فكيف يمكن لشخص كهذا أن يُمثل بهذه الطريقة، التي تجعلها أحيانًا ترغب في البكاء، وفي الوقت نفسه يكون إنسانًا بهذه الحماقة هكذا؟ كيف يتمتع إنسان كهذا بهذه الموهبة؟ لماذا؟

حادث سيارة

لكنها فعلت ذلك، لم يكن مشهد الاغتصاب الوشيك سيئًا للغاية على كل حال، كل ما في الأمر أن بقية اليوم لم يكن يستحق العناء، لأنها قبل التصوير شربت كأسين من النبيذ، فشعرت بعد ذلك بصداع رهيب.

كان الوضع أسوأ في أثناء التصوير في النهر، حيث كان الجو شديد البرودة، واستغرق الأمر وقتًا طويلا جدًّا، وعلى الرغم من أنها كانت ترتدي بدلة غطس تحت ملابسها، فقد استيقظت في الصباح وهي مصابة بنزلة برد رهيبة. ولكن

بعد ذلك كان لديها ثلاثة أيام إجازة. وعندما أوصلوها إلى براج، ذهبت -على الفور- إلى الفراش، وفي صباح اليوم التالي اتصلت بـ"فيكتور"، وأخبرته أنها في إجازة، لكنها مريضة، لذلك لن تتمكن من رؤيته، على الرغم من أنها كانت تريد الذهاب إلى هناك لرؤيتهما أخيرًا. فربما يساعدها على ذلك تصالحها الداخلي مع والدتها، فبعد كل شيء لن تبقيا غاضبتين من بعضهما بعضًا لسنوات. على الرغم من أنها عندما حملت في الماضي ولم تقل مِمَّنْ، خاصمتها أمها طوال فترة الحمل، بل في الحقيقة أكثر قليلًا، حتى جاءت بعدها لتُريهم "فيكتور"، الذي كان عمره شهرين، وبقيت معهم في عطلة نهاية الأسبوع. وربما هو أيضًا السبب الذي جعلها تتمكن من تجاوز هذا الأسبوع، وهو الأمر الذي كانت تخاف منه كثيرًا، وربما لأنه لم يعد يتبقى سوى عشرين يومًا على انتهاء التصوير، أو ما يزيد قليلًا على الشهر، وربما أيضًا لأن الجو جميل بالفعل في الخارج، وخلال الأيام الثلاثة التي قضتها في الفراش، وهي تتصبب عرقًا، إذ تزيد درجة الحرارة في الخارج عن عشرين درجة، كانت تسمع صوت الأطفال في الشارع وهم يلعبون في الملعب، كانت تشتاق أن تكون مع طفلها، ثم نامت مرة أخرى. "حسنًا، نلتقي في المرة القادمة".

بعد مرضها وهي تشعر بالوهن حزمت حقيبتها، واتصلت بـ"فيكي"، فهي تتمنى لو تراه الآن تراه على الفور.

- سآتي لرؤيتكما، سيكون ذلك بعد أسبوع من الآن في يوم الخميس، إذا كانت جدتك لا تمانع في ذلك. ولكن سأتصل بها.

فقال "فيكي":

- أُفضِّل أن آتي أنا إليكِ.

إذًا لا تزال أمها مستاءة ما دام "فيكي" يشعر بذلك، وأنه يفضل أن يأتي هو إلى براج، وهذا أمر لا يُصدق، ألا تسمح لها بزيارتهما. عادت "هانا" إلى

موقع التصوير، فهي ستذهب إلى هناك ولن تسألها: هل بإمكانها زيارتهما أم لا؟ اللعنة! لماذا لا يُمكنها أن تذهب لرؤية ابنها. فيمَ تُفكر هذه الأم؟ لكن بالطبع "هانا" تعرف فيما تفكر أمها، إنها تعتقد أن "هانا" يجب أن تعتذر إليها وبوضوح، لكن أبدًا. الشيء الوحيد الذي يُمكن أن تتقبله هو أن لديها أمًّا بشعة، ولكن أن تعتذر إليها؟ إن أمها هي من يجب أن تعتذر إليها، ولكن بالطبع هذه فكرة عبثية، فلا يجب أن تتوقع أن يحدث هذا أبدًا في حياتها، والشيء الوحيد الذي يمكن أن تتوقعه هو أن تتصرف أمها كأن شيئًا لم يكن.



حتى الآن لم أخبر جدتي بأن أمي تريد المجيء إلى هنا، لأنني أعتقد أنني سأقنعها بالذهاب إليها في براج، ففي نهاية المطاف سيكون الأمر أسوأ لو بقيت هنا ليومين، بخلاف خالي الذي كان هنا لتناول الغداء فقط، أو عندما يأتي أحيانًا إلى هنا لزيارة جدتي ليتناول معها القهوة، لكني لا أحب ذلك أيضًا. لأن جدتي ربما تكون في حالة جيدة لبضعة أيام متتالية، ولكن بعد ذلك يأتي يومٌ تفقد فيه توازنها ربما مرتين في اليوم نفسه، وباستمرار تضمُّ عينيها، مما يعني أنها لا ترى جيدًا. وهي تحاول جاهدة ألا أراها. وأنا أتظاهر بأني لا أراها.

ولكن في صباح يوم الثلاثاء ذهبنا معًا إلى المدرسة، الأمر الذي لم يعد يحدث كثيرًا، فأنا أفضل ركوب الحافلة مع "مارتينا" والأولاد، لكن في بعض الأحيان، لا أتمكن من اللحاق بالحافلة في الصباح، واليوم لم أستطع الاستيقاظ على الإطلاق، ولا أريد أن أسرع. فقلت لنفسي: "إن جدتي توصل الكعك كل يوم، لذا سنذهب بالسيارة معًا".

قالت جدتي:

- اليوم؟ لقد اعتقدت أني سأذهب في وقت متأخر.

- حسنًا، لكني لن ألحق بالحافلة.

- ولماذا لم تنهض عندما أيقظتُك؟

- لا أعلم. كانت لا تزال لديَّ رغبة في النوم.

نظرت إليَّ جدتي بغضب.

- كان عليك أن تذهب للنوم في وقت مبكر، لقد كنت تلعب ألعابك هذه مرة أخرى، أليس كذلك؟

- هل تمانعين أن أذهب معك؟ ولماذا؟

قالت:

- لا. لا أمانع، اذهب وتناولْ إفطارك.

ربما لم أركب السيارة معها منذ فترة طويلة، لأنها لم تعد تأخذني من المدرسة، أو أني ربما لم ألحظ ذلك، لكن اليوم أعتقد أنها تقود السيارة بغرابة تمامًا. أولًا كنا نسير ببطء شديد، والساعة الآن الثامنة إلا ربعًا تقريبًا، وجدتي دائمًا تنعطف بسرعة في اللحظة الأخيرة، حسنًا، ولكن ليس اليوم، لذلك قلتُ لها: "إننا بهذه الطريقة لن نلحق بموعد المدرسة"، فزادت جدتي سرعة السيارة، ولكن فقط قليلًا. فقلتُ لها: "أنتِ باستمرار تقودين السيارة بسرعة ثلاثين كيلومترًا"، ولذا زادت السرعة، ولفترة من الوقت بدا أننا نسير سيرًا طبيعيًّا. ولكن بعد ذلك كنا على التل بالقرب من الحانة، وكان هناك منحنى، ولم تُبطِئ جدتي من سرعتها على الإطلاق، كما لو أنه لا يوجد منحنى، لذلك لم تنحرف بالسيارة، فخرجت سيارتنا عن الطريق، وسقطت في القناة الموازية للطريق، وانقلبت على جانبها. حدث ذلك بسرعة كبيرة، وفجأة صِرنا كذلك.

انسكب الكعك كله على المقعد وعليَّ أيضًا، لأنني جالس على اليمين وقد انقلبت السيارة على جانبها الأيمن. سقطت إحدى صواني الكعك على يدي، وهذا هو الشيء الوحيد الذي حدث لي.

بخلاف ذلك، فما حدث ليس بالأمر الخطير، فأنا بخير وكذلك جدتي، لأنها بدأت تصيح في وجهي: "هل أنت بخير؟ هل أنت بخير؟ هل حدث لك شيء؟"

فقلتُ لها: "لا، لا شيء، كل شيء على ما يرام". ثم فككتُ الحزام، لكن لم أتمكن من الخروج من الباب الموجود ناحيتي، فاضطرت إلى التسلق للخروج من الباب الآخر، كما أني كنتُ متسخًا من الكعك أيضًا. خرجتْ هي وساعدتني على الخروج، ثم فزعت مرة أخرى، وقالت:

– ماذا حدث لك يا "فيكي"، أنت تنزف!

لم تكن سوى الفراولة، وأخذتُ أنفض عن ملابسي بعض فتات الكعك، وأكلت واحدة من الفراولة.

– هل أنت بخير؟ ألم تُصب؟

– نعم، لم أصب، ولا أشعر بأي ألم.

في الواقع كان الأمر مملًّا إلى درجة أنه لا يُمكن أن نطلق على ما حدث اسم حادثة حقيقية، أو حادثة سيارة، لأن السيارة لم تصطدم بأي شيء.

اتكأت جدتي على السيارة، ووضعت رأسها بين كفيها، ربما تبكي، لكني أتمنى ألا يحدث ذلك.

فقلتُ لها:

– لم يحدث شيء يا جدتي. فقط كنتِ تقودين بسرعة كبيرة، أليس كذلك؟

ربما لم يكن عليَّ أن أطلب منها أن تسير بسرعة أكبر.

فنظرت إليَّ وقالت:

– "فيكي"، لديَّ مشكلة في عيني.

هل لن تعود ترى؟ هل ستصاب بالعمى؟ أم أنها لم تعد ترى؟ لوحت بيدي أمام وجهها.

– أنا لست عمياء. لكني أرى على نحو غريب، ولا بد أن أقود السيارة ببطء.

ربما لم يكن ينبغي لي أن أقود السيارة على الإطلاق. ولكن ماذا سأفعل الآن؟ ماذا عن الكعك، وماذا عنك أنت؟ فرغم كل شيء لا يمكننا البقاء هنا دون سيارة.

– يمكننا ذلك، فوالدا "مارتينا" أيضًا ليس لديهما سيارة، وعندما يحدث شيء، فإنهما يستعيران سيارة، ويمكننا أن نستعيرها من شخص ما أيضًا، على سبيل المثال من والدي "فرانتا". وأما الكعك، فإننا سنجد حلًّا له. إن لديَّ دراجة وكذلك الآخرون، لذا ربما يمكننا أن ننقله نحن.

فهزت رأسها قائلة:

– ننقل الكعك على دراجة؟

– نعم، لو كان لديَّ سلة على دراجتي مثلًا.

ثم قالت جدتي:

– علينا أن نتصل بأمك، فيجب أن تعرف ذلك.

– لا.

لن نتصل بأمي، فقد تريد أن تأخذني من هنا، وأنا لن أعود إلى براج.

– لم يحدث شيء. ستذهبين إلى الطبيب، وسيعطيكِ نظارة جديدة، وسيكون كل شيء على ما يرام مرة أخرى. لقد قلتِ بنفسك إنكِ بخير، وأنكِ تعانين فقط صداعًا. لكن من الأفضل ألا تقودي السيارة تلك الفترة.

تبدو جدتي باستمرار كأنها تُريد أن تنفجر في البكاء.

– كان يُمكن أن أقتلك.

– من الصعب وأنتِ تقودين بهذه السرعة. اهدئي.

ابتسمت واحتضنتني.

– إنه يقول اهدئي. حبيبي يا "فيكي".

ثم احتضنتني بقوة أكثر، كنتُ سعيدًا بذلك، لأنها عندما ضمتني إليها شعرتُ بسخونة بعض قطع الفاكهة التي كانت تُلطخ قميصي.

– ربما أنتَ محق، لن نخيف أمك. فهي مشغولة، ولن تتمكن من المجيء إلى هنا، وماذا ستفعل لو أتت؟

- بالضبط.
- لم يكن عليك أن تطلبي مني أن أقود السيارة بسرعة أكبر. لقد وترتني.
- آسف.
- هل أنت بخير، ألم تفزع؟
- لا. لقد كان الأمر مضحكًا.

كنتُ أعني هذا، فالسيارة مستلقية على جانبها كأنها خنفساء عملاقة.

- لا لم يكن كذلك.

نظرت في ساعتها.

- علينا أن نتصل بشخص ما ليخرج السيارة. وأنت عُدْ إلى المنزل، وبدِّل ملابسك، سأعتذر إليهم في المدرسة عن عدم حضورك الحصة الأولى، لكن ليس أكثر. هل يمكنك السير طبيعيًّا؟ ألا تشعر بأي ألم؟ وسأتصل بـ"ماريا"، فلن يكون لديها كعك اليوم. ولن أجعلك تركب معي بعد الآن. فعندما أقود ببطء، ولا يزعجني أحد، يمكنني فعل ذلك، لن أوصلك بعد الآن. لذا أسرِعْ واركب حافلة الساعة 8:50.

عادت جدتي إلى طبيعتها، ولأول مرة أشعر بأني سعيد وهي تكلمني هكذا بشدة. سأعود إلى المنزل لأغير ملابسي، لأنها اتصلت بالسيد "كرال" ليأتي بجراره، ولا أريد أن أكون هنا. فمنذ أن أطلقنا -في ذلك الوقت- حيواناته من الحظيرة، ونحن نحاول تجنُّب مقابلته.

لكن "إيفا" تعرف بالفعل أن الأمر لا يقتصر على عينيها فقط، وأن طبيب العيون لن ينصحها بنظارة جديدة، وأن هناك شيئًا ما يحدث، ربما يكون "الزهايمر" بالفعل، وربما لا، وربما ستصاب بالعمى حقًّا، لكنها لا تزال غير قادرة على أن تجبر نفسها عن البحث عن أعراض هذا المرض في محرك البحث، بغض النظر عن عدد المرات التي جلست فيها أمام الكمبيوتر، وأخذت تنظر إلى المؤشر وهو يومض أمامها، لكنها تعود وتنقر مرة أخرى للوصول إلى وصفات الطعام. وعلى الرغم من أنها

تساءلت بالطبع عما سيكون عليه الحال بالنسبة لـ"فيكتور" لو وجدها ميتة ذات صباح، تحدثت معه عن ذلك ذات مرة، قبل عيد الميلاد، عندها لم يكن قد حدث شيء بعد، ولم تكن تعاني صداعًا، أو هذا ما كانت تعتقده "إيفا"، على الرغم من أنها تشعر أحيانًا كأنها تعاني هذا الصداع طوال حياتها. إنها لم تعدد تتذكر كيف يبدو المرء عندما يستيقظ في الصباح ولا يُعاني صداعًا.

- إذا حدث لي شيء، يا "فيكي"، فهل تعرف ماذا ستفعل؟

- حدث ماذا؟ أن تكوني مريضة؟

- مثلًا.

ثم نظر إليها، فعرفت "إيفا" أنه في تلك اللحظة قد أدرك ذلك، فأومأ إليها وقال:

- نعم أعرف، سأتصل بأمي ثم ببعض الجيران وخالي.

ثم صعد إلى الطابق العلوي، فشعرت "إيفا" بالذنب لأنها أخافته بلا داعٍ، لذلك لم تذكره بهذا مرة أخرى، فهي لا تريد إخافته، لكنها تفكر في الأمر كثيرًا، على الرغم من أنها تعرف بالطبع أنها لن تموت. فقبل أن يموت المرء تُصبح حالته في غاية السوء، لكنها تعاني فقط صداعًا، وأحيانًا تشعر بفقدان التوازن قليلًا، لكنها حتى على هذا الوضع ستكمل الرحلة إلى آخرها، ولنفس السبب لن تتصل بـ"هانا"، فلن تفسد عليها حياتها. لقد انتظرت "هانا" هذه الفرصة طويلًا، وستكون مشهورة أخيرًا، كما تتمنى، وليست عروضها البشعة هذه في المسرح البديل، التي لا تُدر عليها المال. ولكنها هكذا ستبدأ مسيرتها المهنية أخيرًا، لقد عملت بكد على ذلك لفترة طويلة، حتى مع وجود طفلها، إنها ممثلة جيدة، وما تفعله ليس بالأمر السهل، فلا يمكنها أن تُفسد عليها ذلك قبل النهاية، ستتحمل، فقد بقي لـ"هانا" نحو ثلاثة أسابيع. بعدها ستكون "هانا" حرة، وستكون قادرة على الوجود هنا ومساعدتها. وستبدأ هي بزيارة الأطباء، لكن لن تتصل بها الآن. لماذا؟ فقد حدث ما حدث للسيارة، لقد كان الأمر بسيطًا حقًّا، فلماذا تفزعها بشيء

قد انتهى بالفعل؟ نعم، لم يكن عليها أن تأخذ "فيكي" معها في السيارة، ولن تأخذه بعد الآن، ولكن عليها أن تنقل الكعك بنفسها، فعندما تقود السيارة ببطء، فلا توجد مشكلة حقًّا. كما يُمكنها القيام على شؤون المنزل، علاوة على ذلك، فإنه عليها اليوم أن تُغلِّف الفراولة، كما أنها تريد زيارة قبر زوجها أيضًا.

وقفت وأخذت تشاهد السيد "كرال" وهو يسحب سيارتها من القناة، كان جسم السيارة مجعدًا قليلًا، لكنها اشتغلت على الفور. عادت "إيفا" إلى المنزل. كان كل شيء على ما يرام، وشعرت بالارتياح، فلن تقلق بشأن أي شيء بعد الآن، فلماذا تقلق؟ نظَّفت السيارة من الكعك، ثم أكلت، دهنت فقط شريحة من الخبز بشيء ما، وأكلتها وهي واقفة. ثم قطفت بعض الزهور من الحديقة، وكتبت رسالة إلى "فيكي". وضعت له مفتاح قفل الأمان تحت إبريق الري، فليس مع "فيكي" سوى مفتاح القفل العادي، وذهبت إلى المقبرة. لأول مرة تذهب مشيًا، فالمسافة فقط كيلومتر ونصف، ولا داعي إلى الذهاب بالسيارة، لكن الحقيقة هي أنها لا تريد القيادة اليوم. "عليكِ أن تعتادي ذلك يا "إيفا"، ففي غضون شهر قد لا تبصرين على الإطلاق". ذهبت والشمس ساطعة، مقارنة بأننا في بداية شهر مايو، والجو شديد الحرارة. وصلت إلى المقبرة متعرقة تمامًا. ألقت الورود الذابلة، ووضعت ورودًا جديدة. إن الحرارة الشديدة تصيبها بالتعب حقًّا، عليها الجلوس، لا يوجد أحد في المقبرة. ربما يجب أن يكون لديها هنا كرسي صيد مثل العجوز "بيندا"، لكن ليس لديها، عليها أن تجلس. نظرت حولها مرة أخرى، فلا يجب أن يرى أحد أنها تجلس على القبر، فقط على حافة القبر. ثم قالت بصوت عال: "هل تمانع في ذلك يا "يندرشيخ؟"، "إنها البداية، امرأة عجوز مجنونة تتحدث بصوت عالٍ مع زوجها الميت". أغمضت عينيها ومدت ساقيها، "لماذا أنت لست هنا يا "يندرشيخ" لتأخذني بالسيارة؟"، كانت فقط تفكر في ذلك. عندما أخذت قسطًا من الراحة، نهضت، كانت ركبتاها متيبستين، لكنها مشت بسرعة، وعادت إلى المنزل.

لا تعرف شيئًا

"هانا" ستفاجئهما. إنها تتطلع كثيرًا إلى الوجود هناك. ربما تقود سيارتها بسرعة أكبر مما ينبغي. لديها ثلاثة أيام إجازة، والطقس لا يزال جميلًا، كأن الشتاء قد انتهى، وبدأ الصيف على الفور. وما إن انعطفت من الطريق السريع، فتحت نافذة السيارة، فأخيرًا سترى "فيكي"، كما أنها تشتاق فعلًا إلى أمها، لقد مر وقت طويل، وقد عزمت على ألَّا تُناقش معها ما فات.

في البداية، أرادت الذهاب بعد الغداء، بعد عودة "فيكي" إلى المنزل، لكنها بعد ذلك قررت الذهاب للتسوق، وأن تُعِدَّ الغداء مع أمها، هكذا كانتا تفعلان في الماضي، كانت تساعد أمها. حسنًا، لم تساعدها كثيرًا، وقد مر على ذلك وقت طويل، لكن لا يهم. إن "هانا" في حالة مزاجية رائعة، وربما قد تعتذر إلى أمها. لذلك اشترت اللحم ومعجنات "الكندليك"، ستعدان معًا أيضًا صوص الشبت، ربما يكون لدى أمها شبت، فـ"هانا" لا تعرف حقًّا في أي شكل يُباع، أو ربما تصنعان شيئًا آخر.

أوقفت السيارة أمام المنزل، وأمسكت بحقيبة المشتريات من سوبر ماركت "ليدل" وذهبت. لاحظت أن رفرف سيارة أمها مُنحنٍ، لا بد أن تسألها عن ذلك. لم تطرق الباب الأمامي، لكن تساءلت: هل عليها أن تفعل ذلك؟

صاحت وهي تدخل إلى المنزل:

- أمي، مرحبًا.

نهضت أمها:

- مرحبًا يا "هانكا".

وابتسمت لها، وذهبت إليها. انقبض قلب "هانا" تمامًا، يا إلهي! إن أمها تبدو في حالة بشعة، فقد فقدت وزنها. فتنهدت قائلة:

- أمي، لقد نحفت على نحو رهيب.
- أتظنين هذا؟ إنكِ تبالغين.
- لا، حقًّا...
أمسكت بيديها وقالت:
- أمي، ماذا بكِ؟
هزت أمها رأسها قائلة:
- لا شيء، لديَّ الكثير من العمل، وربما لا يكون هناك وقت لتناول الطعام.
لم تعبِّر "هانا" ولا برمشة عين عن مدى انزعاجها من هذه الإجابة، فهل بسبب "فيكتور" ليس لدى أمها الوقت الكافي لتناول الطعام؟ فماذا تفعل هنا طوال اليوم خلاف خبزها لكعكها هذا؟ لماذا لا تتوقف عن العمل في الحديقة؟ أم أن عليها أن تكدَّ هكذا لأنها لا تملك المال؟ يجب أن تتحدث مع هذه المرأة في المقهى، إذا كانت أمها تقدر على خبز بعض الكعك كل يوم.
- كان عليكِ أن تتصلي بي، وتخبريني بأن لديكِ الكثير من العمل، وليس لديك وقت لتناول الطعام، وأنا سأزيدك بعض المال.
لكنها قالت هذه بلطف، فأجابتها أمها بلطف أيضًا:
- يا "هانيتشكا". دعي عنكِ ذلك. أنا بخير، ولكني لا أشعر كثيرًا بالجوع. كبار السن لا يأكلون كثيرًا، وأبوك أيضًا لم يكن يأكل كثيرًا.
- ولهذا أسأل.
- تعالي وأخبريني: كيف حالك؟ يمكننا أن نصنع القهوة.
أرتها "هانا" الحقيبة:
- لقد اشتريتُ بعض اللحم، اعتقدت أنه في إمكاني طهو صوص الشبت مع اللحم.
- يمكننا غدًا. لقد طهوت اليوم بالفعل.
- ماذا طهوتِ؟

- معجنات "الكندليك" مع اللحم المدخن.
- وهل يأكل "فيكي" هذا؟
- نعم، إنه يحبه. وأنا أصنع ذلك من أجله، أما أنا فيكفيني الخبز والحساء.
- لهذا السبب أيضًا تفقدين وزنك.
- كم قطعة تريدين؟
- ثلاثًا، حسنًا.

كانت تنظر إلى أمها وهي تضع لها معجنات "الكندليك"، وفجأة شعرت بموجة من الحب، كما لو أن شخصًا ما لكمها في بطنها. فأمها قد صارت صغيرة الجسم للغاية، وكبيرة في السن، فنهضت واحتضنتها.

- أحقًّا لا تُعانين شيئًا؟ هل لديكِ شيء في معدتك؟
- لا.
- عديني أنكِ إذا شعرتِ بأي مرض أن تخبريني.
- بالتأكيد سأفعل.

وأعطتها طبقها.

- سآتي إلى هنا على نحو أكثر في هذه الفترة، فبعد قليل سنُنهي التصوير. وخلال الصيف سأكون هنا باستمرار تقريبًا، وسأساعدك في كل شيء.

فقالت أمها:

- يمكنك أن تأتي إلى هنا الآن، ولا يجب أن تشعري بالاستياء.

قالت "هانا" في نفسها: "إذًا كل شيء على ما يرام". والتهمت معجنات "الكندليك" اللذيذة.



عندما تحدثت مع أمي عبر الهاتف، لم تتحدث قط عن أنها ستأتي إلى هنا، وأنا أيضًا لم أسألها، تحدثنا فقط عن حالي، وعن المدرسة، وأيضًا عن عملها. تحدثت بفرح عن أن التصوير أوشك على الانتهاء، وفي شهر يونيو ستكون هناك بضعة أيام فقط، وقد بدأت بالفعل تلقي نظرة على حمامات السباحة، وستناقش معي الحجم والعمق. لكني لا أهتم بذلك، فأي حمام سباحة سيكون جيدًا. وكالعادة في يوم الخميس، نتفق أنا "مارتينا" و"فرانتا" على الخروج، فأردتُ أن أترك حقيبتي في المنزل وأذهب على الفور، ولكني وجدت سيارة أمي متوقفة أمام المنزل.

على ما يبدو أنني نسيت أن أمي لديها إجازة، وأنه كان من المفترض أن أسافر إليها، لأنها لم تقل شيئًا. ولكن بعد ذلك خرجت أمي وانقضت عليَّ، وكانت "مارتينا" تنتظرني، لذا كان الأمر محرجًا بعض الشيء، لكنها أيضًا لطيفة بعض الشيء، فرائحة أمي الجميلة هي رائحة أمي، وأنا سعيد بوجودها هنا، أي بوجودنا معًا مرة أخرى، وفي تلك اللحظة، لم يخطر ببالي أنني لم أكن أرغب حقًّا في أن تأتي إلى هنا، وترى جدتي وتعرف أنها مريضة.

عانقتني ونظرت إليَّ، وقالت لقد تغيرت مرة أخرى. إنها تقول ذلك دائمًا، وأنا أكره ذلك، فأنا لا أظن أنني يمكن أن أتغير خلال بضعة أيام قليلة.

– حسنًا، لا تغضب.

لاحظت وجود "مارتينا"، فقالت لها:

– مرحبًا، هل ستدخلين؟

– لا، أنا منتظرة "فيكتور"، فسنخرج معًا.

فسألتني أمي:

– أها... هل ستخرج مع أصدقائك؟

كنتُ أريد حقًّا أن أذهب، لأننا قلنا إننا سنذهب بالدراجات إلى المحجر، ونرى هل من الممكن السباحة هناك، لأنه في الأيام الأخيرة كان الجو شديد الحرارة، كما لو كنا في الصيف بالفعل. كنتُ أرتدي سروالًا قصيرًا، ولا أحتاج حتى إلى ارتداء سترة في الصباح، ولكن بعد ذلك خرجت جدتي من المنزل، فجعلني هذا أفكر هل عليَّ البقاء هنا، ومراقبة جدتي.

- لا، لن أذهب ما دمتِ هنا.

قلتُ لـ"مارتينا":

- اذهبوا من دوني.

فأومأت برأسها. عانقتني أمي مرة أخرى وقالت:

- عظيم، إذًا دعنا نفعل شيئًا معًا، حسنًا؟

ووجهت كلامها إلى جدتي:

- كلنا.

قالت جدتي:

- لا بد لي من جز الحديقة وجرف الحشائش وأوراق الشجر.

فقلتُ بسرعة:

- ممتاز، سنفعل ذلك نحن، أليس كذلك يا أمي؟ ويمكنك أنتِ أن تستريحي.

نظرت أمي إليَّ، كأني قدمتُ لها هدية وقالت:

- أنت ولد طيب.

وهكذا بقيت أنا وأمي طوال فترة ما بعد الظهر نعمل في الحديقة، بينما جدتي تجلس على المقعد، وتحكي لها أمي عن التصوير، كما تحدثتا عني أيضًا، وسألت أمي جدتي: هل كنتُ سأحصل على تقدير C في الرياضيات؟ وهو ما سيكون شيئًا سيئًا. وعندما أرادت جدتي أن تدخل إلى المنزل لإعداد الشاي، وأرادت أن تنهض، تصلبت في مكانها قليلًا، فقالت:

- أنتِ تعرفين آلام الرُّكبة.

سألتُها: هل تشعر بالدوار؟ لكنها دخلت إلى المنزل على نحو طبيعي. فسألتني أمي: هل أعتقد أن جدتي بخير؟ وهل تشتكي من شيء ما؟ فقلتُ لها: "لا، لم تخبرني بشيء". حتى هذه اللحظة كنا قد قضينا فترة ما بعد الظهر على نحو جيد حقًّا، على الرغم من أنه تعين علينا جرف كل ما هو بالحديقة. في المساء كانت يداي تؤلمانني حقًّا.

وفي المساء لعبتُ أنا وأمي على جهاز الإكس بوكس، وتحدثنا نحن الثلاثة عن المكان المناسب لحمام السباحة في الحديقة قبل أن تقول جدتي إنها متعبة، وستذهب للنوم. ثم ذهبتُ أنا وأمي للنوم معًا، وحتى "بادمي" يمكن أن تكون معنا في الفراش، على الرغم من أن أمي قالت إن بها بُقعًا ورائحتها كريهة - كلاهما ليس صحيحًا- وأعطتني إياها، ولم تُلقِها على الأرض. في تلك اللحظة كنتُ أفكر أنه عندما تُنهي أمي هذا المسلسل، وتكون قادرة على المجيء إلى هنا، فسيكون بوسعي إخبارها بما تعانيه جدتي، وهذا سيكون جيدًا، وستكون إجازة رائعة، وبالتأكيد ستُعالَجُ جدتي خلال الصيف، ويصبح كل شيء على ما يرام. لكن بما أنه لا ينبغي لأمي أن تعرف ذلك بعد، فسأختلق لها شيئًا، وسأطلب منها أن نذهب غدًا بعد المدرسة في رحلة قصيرة معًا.

فقالت أمي:

- يُمكن لجدتك أن تذهب معنا، أليس كذلك؟

فقلتُ لأمي لتعرف أني أريد أن أكون معها هي فقط:

- أنا مع جدتي باستمرار.

فربتت عليَّ قائلة:

- رجلي الصغير.

أمسكتُ بيدها، فيدها ناعمة كقطعة القماش، التي تُستخدم لمسح شاشة الكمبيوتر.



لا تعتقد "إيفا" أنها فقدت الكثير من وزنها. حسنًا، ربما يكون سروالها قد صار فضفاضًا بعض الشيء، ولكن لا يوجد ما هو مأساوي في ذلك على أي حال، وليس إلى درجة أن خسارة بضعة كيلوجرامات لن تكون أمرًا جيدًا. فقد اعتادت أن يكون مقاسها 38، ولكن في السنوات الأخيرة كان مقاسها يصل أحيانًا إلى 42. لذا فإنه سيكون من الأفضل لو أنها فقدت ثلاثة كيلوجرامات الآن أو أربعة. بالإضافة إلى ذلك، ففي يوم الخميس هذا شعرت بأنها في صحة جيدة، ولا تعاني سوى صداع طفيف، ولا شيء آخر، ولم تشعر بأنها في هذه الحالة الرائعة منذ وقت طويل. لكن يبدو أن الأمر في يوم الجمعة سيكون أسوأ، ولحسن الحظ أن "هانا" نامت لفترة طويلة، لذلك فهي لم تراقبها لتتأكد هل تناولت إفطارها أم لا (أحيانًا لا تتناول الإفطار لأنها تفقد شهيتها للطعام بسبب الصداع)، وأيضًا لم ترها وهي تنقل الكعك، وكيف تقود السيارة (إنها تقودها بطريقة بائسة، فـ"إيفا" منذ هذه الحادثة تقود السيارة ببطء شديد، كأنها شخص مبتدئ، لكنها لن تجازف).

وفي فترة ما بعد الظهر، أخذت "هانكا" "فيكي" في نزهة، وقالت لها:

– استريحي أنتِ يا أمي.

ذهبت "إيفا" إلى الفراش، رغم أنها تريد العمل في الحديقة، فالجو لا يزال رائعًا، لكنها نامت ساعتين. استيقظت وهي تعاني الصداع نفسه، وذهبت لتُنهي إعداد صوص الشبت مع اللحم. كان عليها اليوم أن تكون حذرة عندما ذهبت إلى مخزن المؤن لإحضار برطمان الشبت، فقد كادت تسقط.

أمس مساءً كانت قد فقدت كل قوتها، ولم ترد أن تُثير الشك بذهابها إلى الفراش قبل الساعة الثامنة، فتحاملت على نفسها حتى التاسعة إلا ربعًا، ولا

يمكنها تناول قرص دواء آخر اليوم، فعلى الرغم من أنه يُخفف الألم، فإنه يجعلها تتقيَّأُ. وجعل هذا "هانكا" تطرح الأسئلة عليها، إلا أنها قالت لها:

- أنا متعبة فحسب، وسأستيقظ مبكرًا في الصباح.

- أمي، ألا تريدين أن تتركي صنع الكعك هذا؟ فبوسعي أن أعطيك المزيد من المال، وسأعطيك إياه بكل سرور.

هزَّت رأسها قليلًا، وقالت:

- أنا أحب أن أفعل ذلك يا "هانكا". تصبحين على خير.

- تصبحين على خير.

أغلقت عليهما الباب خلفهما، وفتحت باب غرفة نومها، وشعرت أنها بالفعل لا تقوى على شيء، فأرادت الإمساك بشيء ما، ولكن في تلك اللحظة جاء ببالها أنها لا يجب أن تصدر أي ضجيج، لذا فهي لم تُمسك بشيء، وسقطت على الأرض. لم تعرف أكان هذا السقوط قد سبَّب لها أي ألم أم لا، لأنها لم تشعر بشيء، فقد فقدت وعيها.

استفاقت بعد قليل، كانت قدماها باردتين، لكن الظلام لم يحل بعد في الخارج، إنها لا تعرف بالضبط الوقت الذي ذهبت فيه إلى النوم، تقريبًا قبل التاسعة، ربما فقدت وعيها لحظاتٍ قليلة، ولم يسمع أحد شيئًا، فلا يوجد أحد هنا. سمعت "إيفا" بهدوء أصوات اللعبة التي تلعبها "هانكا" و"فيكي" معًا على الجهاز الخاص به. بقيت جاثيةً على ركبتيها، ولا تستطيع النهوض في تلك اللحظة، لكن هذا فقط بسبب تيبُّس عضلاتها. وصلت إلى السرير، لم تُغيِّر ملابسها، شدَّت عليها اللحاف، لكنها حتى لم تفرده، أغمضت عينيها، شعرت بأن هناك طعمًا حلوًا في فمها، مسحت فمها بيدها، فوجدت أنها قد عضَّت شفتها. نامت.



لحسن الحظ، فإن أمي لم تلحظ شيئًا حقًّا، فقد كانت جدتي تنام كثيرًا، أكثر بكثير مما كانت عليه عندما كنا هنا بمفردنا، وعندما كانت أمي تستعد للمغادرة يوم السبت بعد الغداء، طلبت مني أهتمَّ بجدتي، وأن أساعدها كثيرًا، وإذا كان حدث شيء، فعليَّ الاتصال بها فورًا.

- واضح؟

أومأت برأسي:

- واضح تمامًا.

قالت جدتي لأمي وهي تُعطيها وردة نضرة:

- توقفي عند قبر أبيكِ، فأنت لم تذهبي إلى هناك منذ الشتاء.

- أنا أفكر في أبي دائمًا، ولست بحاجة إلى الذهاب إلى القبر.

- فقط اذهبي إلى هناك.

تعانقتا. وقالت "هانا":

- عليكِ أن تأكلي، عديني يا أمي، وتناولي الشوكولاتة ليلًا، حسنًا؟

- حسنًا.

أنا سعيد لأن أمي وجدتي قد تصالحتا، وأنه سيكون لديَّ هنا مسبح كبير حقًّا. ففي الأسبوع القادم سيأتون بحفارة، ويبدؤون في حفر الحفرة. قالت جدتي:

- من فضلك، أي نوع من الهراء هذا؟ لماذا هذا المسبح الكبير؟ فيمكنه الذهاب إلى مجمع المسابح العام، فهذا ما كان عليه الحال دائمًا. لا أحد هنا لديه مثل هذا المسبح الكبير.

- لا تقلقي، لقد تحققت من الأمر، فلن يحتاج الأمر إلى أي رعاية. وسيكون له غطاء. سوف أُرتِّبُ كل شيء.

هزت جدتي رأسها.

- لم يكن أبوك يريد مسبحًا هنا قط.
- أمي، إن أبي لم يكن مهتمًّا قط بهذا الأمر.
- ربما سيدمرون لي المكان هنا، هذه الحديقة...
- لا تقلقي، سُيركَّبُ على الطرف هناك، وسيمرون بالقرب من السياج، وليس من خلال الحديقة.
- همم. إهدار للمال.
طبعت أمي قبلة على خدها.
ثم أشارت إلى شفة جدتي:
- هل عضضتِ شفتك؟
لوحتُ أنا وجدتي إلى أمي وهي تغادر، ثم ذهب كل منا ليفعل ما يريد. سأذهب لرؤية "مارتينا" و"فرانتا". لم يتبق لأمي سوى عشرة أيام على انتهاء التصوير، ثم خمسة أيام في نهاية شهر يونيو، وبعد تلك الأيام العشرة ستأتي إلى هنا، وتبقى معنا، وستخبرها جدتي بكل شيء، وسترعى أمي جدتي، أنا متوتر من ذلك، فأنا طفل فحسب.
قالت جدتي من خلفي وأنا أغادر:
- عُدْ إلى المنزل في موعد العشاء. وإذا أردتم مساعدتي في الحديقة، فسأدفع لكم مائة كرونة في الساعة.
- لكل واحد؟
- نعم. ربما جُننت، ولكن ليس إلى هذا الحد بعد.
فقلت لها:
- إذًا سأسأل.
ربما تكون "مارتينا" و"فرانتا" في حاجة إلى المال، أما أنا فلا، فقد أعطتني أمي خمسمائة كرونة، ولكن ينبغي لي مساعدتهما على أي حال.

كانت "إيفا" تُعِدُّ العشاء، وتقطع اللحم والخضراوات على الطاولة، وترى الأطفال في الحديقة من خلال النافذة. كان يجب أن تراقبهم في الخارج، وإلا فلن يفعلوا الكثير، لكن لا يهم، فهي سعيدة أنها جالسة. ستذهب غدًا إلى الطبيب، فما حدث لها من إغماء قد أفزعها، حتى لو كان ذلك بسبب الصداع الشديد، أو أنها لم تذهب إلى النوم مبكرًا، لكنها لا تريد أن يراها "فيكتور" على هذا الحال، ويرفعها من الأرض. لا، اللعنة! إنهم سيأتون غدًا بهذا الحفار. حسنًا، ستذهب إلى الطبيب الثلاثاء. أو بعد أن يُنهوا حفر حفرة هذا المسبح الغبي.



إسفنجة البحر

جلست في غرفة الانتظار بالمستشفى، الجو هادئ، صوت خطوات تبتعد، لقد كان الأمر أسرع مما توقعت، ظنت أنها ستضطر إلى الانتظار لأسابيع حتى يحددوا لها موعدًا، لكنهم حددوا لها الخميس، ذلك يعني أن الأمر خطير مادام هناك عَجَلَةٌ إلى هذا الحد. إنها الآن لم تعد مضطرة إلى البحث عن الأعراض على جوجل، فهي تعلم الآن أن الطبيب سيعتقد أنها مصابة بورم في المخ، وأنها مصابة بالسرطان، كأن المسألة قد تحولت فجأة إلى مسألة أيام أو ساعات. أطلت الممرضة من الباب، وقالت:

– السيدة "بتاتشكوفا"، تفضلي بالدخول.

ذهبت واستلقت على سرير الأشعة، وأغلقت عينيها، دخلت إلى النفق، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ كم من الوقت ستبقى هناك؟ أخذت تُفكر في "يندرشيخ"، وتفكر في القبر، فمن سيضع على قبرهما الورود النضرة؟

ورم سحائي. إنه ورم حميد، ابتسمت "إيفا"، لكن الطبيب لم يبتسم، قال:

– إن تمركزه سيئ؛ فهو يضغط على مراكز الرؤية والتوازن. إجراء عملية جراحية سيكون محفوفًا بالمخاطر، ولكنها ليست مستحيلة. الأمر متروك لكِ.

الكورتيزون سيُخفِّف التورم. ستشعرين بتحسن. لكن الكورتيزون له آثار جانبية كثيرة. ناقشي الأمر مع عائلتك. لا بد أن تقرري، وكلما كان ذلك أسرع، كان أفضل.

توقفت "إيفا" لحظات عن الاستماع إليه. إنه ليس سرطانًا، إنه لا شيء، تخيلته كقطعة من الإسفنج البحري، الذي يُستخدم لغسيل الأواني، يُشبه تلك التي أحضرتها لها "ماريا" من اليونان في العام الماضي. لقد عرض عليها الطبيب صور الأشعة، لكنها لم تستطع رؤية الكثير منها، ستأخذ الدواء، ويمكن أن تبقى هكذا لسنوات طويلة، هذا ما قاله الطبيب. لكنه قال أيضًا، يمكن ألا يحدث ذلك، لا تأخذي الأمر على أنك ستتناولين الدواء، وبذلك ستنتهي المشكلة. عليكِ أن تفكري في الأمر.

أومأت إليه بالموافقة على كل شيء، على الرغم من أنها لا تنوي التفكير في أي شيء. لا، ولن تخبر حتى ابنيها بذلك. فإذا كان بإمكانها العلاج بالأدوية، فلماذا تخيفهما؟ فكلاهما لديه ما يكفي من المسؤوليات، ولن يتمكنا من مساعدتها على أي حال، لا، فستتعامل مع الأمر بنفسها.

عادت إلى المنزل بالحافلة، فهي لن تغامر بالذهاب إلى المدينة بالسيارة. عادت في حالة مزاجية احتفالية تقريبًا. وفي الطريق توقفت للتسوق.

تسلَّمت أدويتها وأخذت قرصًا واحدًا، تمامًا كما هو مقرر. لم تقرأ النشرة الداخلية التي تتضمن الآثار الجانبية. أخبرها الطبيب أنه عندما يبدأ مفعول هذه الأدوية، فإنها ستُصاب بالسمنة أو أن جسدها سيحتفظ بالماء، ويحدث ذلك على نحو رئيس في الوجه، ويسمى هذا وجه القمر، وعلى الأرجح أنها ستعاني أشياء مختلفة، مثل هشاشة العظام وربما الاكتئاب. لكن هذه كلها احتمالات فقط، وليس من الضروري أن تحدث. لقد كانت دائمًا بصحة جيدة، والحالة النفسية مهمة، وهي في حالة نفسية جيدة، لذا سيكون الأمر على ما يرام.

ذهبت كالعادة إلى زيارة القبر بالسيارة. لا يوجد أحد في أي مكان، لذا قالت لـ"يندرشيخ" بهدوء: "كما ترى، ربما نلتقي قريبًا". لكنها لا تعتقد ذلك. من المثير للاهتمام أنها منذ اللحظة التي تحدثت فيها بصوت عال لأول مرة في المقبرة، بدا لها أن التحدث إلى "يندرشيخ" هو أمر طبيعي تمامًا. "ربما استقر في رأسي أنني يجب أن ألحق بك".



أعدَّتْ لي جدتي طعامي المفضل، وهي تتصرف بغرابة كأنه عيد ميلادي، ثم أخبرتني أنها ذهبت إلى الطبيب وأنها ستأخذ دواءً جديدًا، وأنهم أخيرًا اكتشفوا الشيء الذي كانت تعانيه، ولا داعي إلى القلق، فليس هناك شيء خطير، ومع الدواء الجديد ستتحسن حالتها، وستعود كما كانت في السابق.

فقلت:

- رائع.

ثم سألتها:

- ماذا بكِ إذًا؟

قالت جدتي:

- إن الأمر معقد، والاسم معقد، لديَّ فقط شيء في رأسي، لكن لا تقلق، أنا لست مجنونة، ولن أموت.

ثم أكلنا، بل أنا من أكلت، أما جدتي فلم تأكل. ثم خرجنا من المنزل، كانت هناك حفرة للمسبح في الحديقة وفوضى رهيبة حولها، لأن السماء قد أمطرت أمس. قالت جدتي:

- لم يكن ينبغي لي أن أسمح لكما بذلك، انظر إلى تلك الفوضى، انظر إلى هذا الغباء.

ثم ذهبتْ لاقتلاع بعض الأعشاب الضارة أو شيء من هذا القبيل، وذهبتُ أنا لرؤية "مارتينا" و"فرانتا"، بينما أفكر أن وجود هذا المسبح الكبير سيكون أمرًا رائعًا للغاية. لأنه سيكون لنا فقط، وأنا سعيد أيضًا لأن صحة جدتي ستتحسن.

خلال الأيام القليلة التالية كانت جدتي تتصرف بغرابة شديدة، فقد حيث كانت دائمة الابتسام، وتخبرني دائمًا بأنها أفضل كثيرًا، وهي تشعر بذلك الآن، وأنها تتناول الدواء، وأن الصداع قد انتهى تقريبًا، حتى إنها تغني قليلًا. وأرادت أن تأخذني مرة أخرى إلى المدرسة بالسيارة، لكننا كنا قد اتفقنا على الذهاب على الدراجتين، لذلك لم أذهب معها، وليس لأني كنتُ خائفًا. أحضروا المسبح، أي أجزاءه، وسيبدؤون بتجميعه. كما بدأت أيضًا جدتي بتناول الطعام بصورة أكبر، وعندما كنا نتناول الغذاء معًا، سمعنا صوت سيارة تتوقف أمام المنزل. نظرتُ لأتحقق أهي أمي، وهذا غباء لأنه ليس لديها إجازة، وعندما تحدثنا عبر الهاتف أمس قالت أراكما الثلاثاء المقبل. لم تكن أمي، بل خالي، دخل إلى المنزل وهو يبدو غاضبًا.

سعدتْ جدتي برؤيته وعانقته وقبلته وسألته: هل يرغب في أن يتناول معنا معجنات "الكندليك" بالبيض؟ وفجأة رأيت خالي وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وهو الأمر الذي ربما بدا أسوأ من بكاء أمي، لكنه مسح عينيه، وقال:

- أمي، متى كنتِ ستخبريننا؟

قالت جدتي:

- ماذا؟

فنظر إليَّ خالي وقال:

- "فيكتور"، اذهب للعب على الكمبيوتر، حسنًا؟

- لكني لم أُنْهِ طعامي بعد.

- يُمكنك إنهاؤه لاحقًا.

لا أعرف لماذا يعاملني خالي بهذه الطريقة السيئة، لكن جدتي قالت "خُذْهُ واذهب إلى الغرفة المجاورة" فأخذت الطبق وذهبت إلى الغرفة المجاورة.

سمعته أيضًا وهو يقول لها: "لماذا لم تقولي أي شيء؟"، ولكن بعد ذلك خرج خالي إلى الردهة، وانتظر حتى دخلتُ إلى الغرفة، وأغلق البابين خلفي، وبعد ذلك لم أعد أسمع شيئًا.



سألته "إيفا":

- كيف عرفتَ بذلك؟

كما لو كان هذا مهمًّا، فهي لم تكن تريده أن يعرف بهذه الطريقة. وعلى الرغم من أن هذه الأدوية قد بدأت تأتي بنتيجة حقًا، فقد شعرت مرة أخرى بالصداع يضرب رأسها.

- في سوبر ماركت "ليدل" التقيت "يرجينا"، زميلة دراستي، وهي تعمل ممرضة في قسم الأعصاب. لكن هذا ليس مهمًّا. لماذا لم تخبرينا؟ أم أنكِ أخبرتِ "هانا" بذلك؟

- لا، وعليك ألا تُخبرها أيضًا.

- ماذا تنتظرين؟ لا بد أن تُجري العملية.

- لديها عمل لا بد أن تُنهيه، وأمامها بضعة أيام فقط.

- أمي، إن الأمر يتعلق بحياتك، ما هذا العبث الذي تقولينه؟ ما الذي يُهمك في مسلسلها هذا؟ يُمكنها أن تغادر مبكرًا، أعتقد أن هذا سبب كافٍ.

- "أداميك"...

- دعي عنكِ هذا يا أمي.

- اهدأ، إنها مسألة أيام، سأخبر "هانا" ما إن تصل في الأسبوع المقبل.

- هذا ليس في مصلحتك. يا إلهي! إنها لا تنقذ أرواح الناس، إنها ممثلة فحسب.

- دعها وشأنها، لقد عمِلتْ بكدٍّ في هذا لفترة طويلة، وأنا لن أفسد عليها ذلك. وعليك أيضًا ألا تتصل بها، هل هذا واضح؟

ظل "آدم" صامتًا.

- هل هذا واضح لك يا "آدم"؟

قالت ذلك بصرامة أكثر مما تشعر. فهي ترى طفلها الصغير وهو يشعر بالخوف عليها، إنها سعيدة بذلك وآسفة في الوقت نفسه.

هز رأسه قائلًا:

- لقد تحدثت بالفعل مع "كاريل"، وهو مدير المستشفى في "هراديتس"، ويجب التدخل فورًا.

- يا قطي، إن هذه الأيام القليلة لن تغير شيئًا، فأنا آخذ الدواء، ولن يحدث شيء.

انفجر "آدم" في البكاء؛ محاولًا ألا تراه، فاحتضنته "إيفا" مرة أخرى:

- لا تقلق، إنه ليس خبيثًا، إن كل شيء على ما يرام، وسيكون على ما يرام.

- أمي، عديني أن تُجري هذه العملية في أقرب وقت. وألا تتركيه هناك.

لو كان الأمر بيدها لتركت إسفنجة البحر هذه هناك.

دخل "فيكي" إلى المطبخ وقال:

- آسف، لا بد أن أشرب.

ذهب لملء الكوب من الصنبور. مسح "آدم" دموعه بطريقةٍ غير ملحوظة كأنه لم يبكِ.

- أريني كل التقارير يا أمي، وأريني ما تأخذينه.

ثم قال لـ"فيكي" مهاجمًا إياه:

- أما أنت، فاختفِ من هنا الآن.

قالت "إيفا":

- "آدم"، توقَّفْ عن ذلك.

أومأت برأسها إلى "فيكتور"، فابتسم لها بمعنى لم يحدث شيء، ثم انصرف. شعرت "إيفا" بالفخر، فعندما أتى "فيكتور" إلى هنا في الخريف، كان ولدًا تعيسًا، لا يُحتمل، والآن هو صديقها. وفي الوقت نفسه، شعرت بالغضب من "يرجينا" و"أداميك"، فلماذا لا يتركانها وشأنها؟ لقد كانت طوال الربيع في حالة بائسة، ولم يهتم أحد بذلك، والآن عندما بدأت تتحسن، أصبح الجميع فجأة قلقين بشأنها. عندما جاء "آدم" إلى هنا لتناول القهوة، لم يلحظ أنها مريضة، والآن يريد أن يدفعها دفعًا إلى إجراء العملية بأسرع ما يُمكن، والأفضل غدًا. ألا يفهم أن العملية ستفسد كل شيء؟ فبعدها لن تكون قادرة على البقاء هنا بمفردها، فضلًا عن وجود "فيكي" هنا، وأنها على الأرجح ستصاب بالعمى في أثناء العملية، أو سيلحق ضررٌ بمُخِّها، وبعدها ستظل بقية حياتها طريحة الفراش ويسيل لعابها. "لا، لن أتحرك من هنا، ولن أُجري أي عملية، ولن أُري "آدم" التقارير".

– كما ترى، ربما تركتها عند الطبيب، فهي ليست هنا.

قالت ذلك وهي تنظر في حقيبتها، وتُخفي الأوراق المطوية الموجودة في قاع حقيبتها أسفل مجلة "الحديقة"، التي كانت قد أخذتها معها إلى غرفة الانتظار بالمستشفى، ولكنها حتى لم تفتحها.

ثم قالت له:

– "آدم"، تعال لتشرب القهوة، وسأخبرك بكل شيء.

هي بالتأكيد لن تخبره بأي شيء، كانت تودُّ أن تقول له: "لماذا؟ هل تريد أن ترعاني، وتأخذني إلى منزلك؟" بالطبع هو لن يفعل ذلك، فـ"كاتكا" ستُصاب بالجنون لو أخذ أمَّه إلى منزله. لا، أخبرته بما قاله لها الطبيب، إن الأمر خطير حقًّا. ربما يكون الأمر أقل غموضًا مما تخبره به الآن، ربما ستنجح الجراحة وتعود كما كانت من قبل، لكن "إيفا" أخبرت "آدم" أنها ربما لن تنجح، ربما

ستموت على الفور في أثناء العملية، لكن الطبيب لم يقل ذلك. لكن هذا يُمكن أن يحدث بمنتهى السهولة، وقالت "إيفا" بمبالغة: "إن هذا العلاج له آفاق جيدة، والورم لا يزال حميدًا، ومحدودًا، وسيراقبونه إذا زاد. "آدم"، دعنا أولًا نُجرِّبِ الأمر بهذه الطريقة، فإذا لم ينجح العلاج بالكورتيزون، أو إذا ظلت حالتي سيئة باستمرار، أو إذا كبر الورم، فسأُجري الجراحة على الفور، لكن دعني – على الأقل– نُجرِّبْ ذلك".

في النهاية قال "آدم":

– لا أعرف يا أمي، لا بد أن نناقش هذا الأمر مع "هانا".

– نعم. ستكون هنا، باستمرار في هذه الفترة. وسوف ترعاني. ألا تريد حقًّا أن تأكل شيئًا؟

– لا، يجب أن أذهب. فلديَّ مشتريات في السيارة، فقد جئتُ من "ليدل" مباشرة إلى هنا. اللعنة، إن لديَّ بيتزا مجمَّدة في السيارة.

نهض.

– هل تقسمين أنكِ أفضل؟

– نعم.

أقسمت "إيفا" على ذلك وقالت:

– لا تقلق. لا تقلق، ولا تبحث عن أي شيء بشأن هذا على الإنترنت، فلا فائدة من ذلك.

لقد فعلت "إيفا" ذلك بالفعل، ولن تخضع لأي عملية جراحية، فعندما قرأت عن هذا الأمر، كان ذلك في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ "فيكي"، جعلها هذا تشعر بالغثيان. فالجميع يموتون، فبعد العملية يظلون طريحي الفراش، ويصابون بالشلل ويموتون. لن تبحث عن ذلك بعد الآن، تخطت

الصفحة، وستحتفظ بإسفنجتها هذه، فلقد بدأت تشعر بالفعل أنها ليست عدوًّا، لقد كبرت هناك، لكنها لن تقتلها.



بالطبع لم أسمع كل كلمة، لكني سمعت ما يكفي، عرفت أن جدتي تعاني ورمًا في المخ، ولن تذهب لإجراء عملية جراحية، فهل هذا يعني أنها ستتركه هناك هكذا؟ شيء غريب. تساءلت: هل ينبغي لي الاتصال بأمي؟ فأنا أودُّ حقًّا الاتصال بها، لكني سمعت أيضًا أن جدتي لا ترغب في ذلك.

سألتني جدتي ما إن دخلتُ إلى المطبخ:

- هل سمعتَ؟

رفعتُ كتفي وقلت:

- قليلًا.

- لا تخف. أنت لست خائفةً، أليس كذلك؟

قلتُ لها صدقًا:

- أنا خائف.

خائف أن تموت جدتي، لكني لم أقل ذلك بصوت عالٍ، لأنني أعتقد أن الكثير من الأشياء التي أقولها بصوت عالٍ، تحدث بالفعل، أو على الأقل هذا ما حدث لي ذات مرة عندما قلت إنني لم أتعرض قط لكسر في الذراع أو الساق، وبعد أسبوع فقط كُسرت ساقي في أثناء لعب الهوكي، ولم أستطع التزلج طوال الشتاء.

قالت جدتي كأنها قرأت أفكاري:

- لن يحدث شيء. إن كل شيء على ما يرام، لا تقلق. فمعي الدواء، يُمكنك أن تراقب ذلك. وسوف يتابعني الأطباء باستمرار. لن تكون حالتي سيئة كما كانت من قبل. سنتغلب معًا على ذلك.

- وهل يمكنني البقاء هنا معك بطريقةٍ طبيعية؟

قالت جدتي وهي تضحك تقريبًا:

– ما دمنا قد اجتزنا معًا ما مر بنا حتى الآن، فسنجتاز معًا ما هو آتٍ، سَجِّلْ هذا.

قلتُ لها، وأنا لا أعرف حتى لماذا قلتُ ذلك:

– وهل ستستطيعين السباحة في المسبح؟

– "فيكي، أنا ليس لديَّ وقت للسباحة في المسبح، وبالإضافة إلى ذلك فأنا لا أحب السباحة. ولكن إذا كنتَ تريد ذلك، فنعم، أستطيع السباحة في المسبح. هل تريدني أن أسبح معك؟

رفعت كتفي، مرة أخرى، لا أريد أن أقول لها إنه لا فرق عندي. لكن ربما سأقول لها نعم.



كعكة المشمش

انتهى التصوير، شعور غريب بالحزن، وفي الوقت نفسه بالسعادة، بالارتياح، لقد انتهينا أخيرًا منه، شعور بالحزن، هكذا تعايشوا هنا، يتطلعون إلى العودة إلى الحياة الطبيعية، الجميع يتطلعون إلى عائلاتهم، لكن رغم ذلك يشعرون بالحزن. و"هانا" ليست الوحيدة التي تبكي، بالإضافة إلى أن الأيام الثلاثة الأخيرة كانت دون "مارتين هروبي". كانت تشرب كل ليلة حتى الثمالة، بطريقةٍ غير احترافية وكثيرًا، إن "هانا" لم تشهد ذلك من قبل. بالطبع هي تتطلع إلى وجودها مع "فيكي"، لكنها لم تتوقع أنها ستكون حزينة إلى هذا الحد بعد تركها كُلَّ هؤلاء الأشخاص، حتى عندما يجتمعون عند مراجعة المشاهد، كان الجميع يرددون ذلك، ويقولون سنرى بعضنا بعضًا مرة أخرى خلال شهر، لكن الأمر لن يكون هو نفسه، وقد بدا لـ"هانا" كأنهم كانوا في معسكر تعليمي في الطبيعة، بالطبع

سيرى الجميع بعضهم بعضًا مرة أخرى، لكن الأمر لن يكون كما هو الآن. في اليوم قبل الأخير كتب لها "آدم" رسالة نصية:

"هل تحدثت مع أمكِ؟".

"سأراها بعد غد. هل حدث شيء؟".

أجاب على الفور:

"لا".

أخذت "هانا" تنظر إلى هاتفها لترى هل سيكتب شيئًا آخر، لكن "آدم" لم يكتب أي شيء.

فقالت "هانا" في نفسها: "لماذا تكتب إليَّ"، ثم كتبت إليه: "إذًا ماذا حدث؟".

"لا شيء، حسنًا، أراكِ في عطلة نهاية الأسبوع".

في عطلة نهاية الأسبوع؟ هل نسيت "هانا" شيئًا؟ هل هو عيد ميلاد "كاتكا"؟ أو أحد من الطفلتين؟ لا، إن الطفلتين وُلدتا في وقت ما من الخريف، كلتاهما، لكنها لا تعرف متى يكون عيد ميلاد "كاتكا"، لكن لو كان بالفعل عيد ميلادها، لذكَّرتها أمها بذلك. إذًا فهناك شيء ما يحدث. أرادت الاتصال به على الفور، لكنها فضلت الاتصال بأمها.

لكن أمها لم ترد. اتصلت بـ"فيكتور":

- أين جدَّتُك؟ هل هي على ما يرام؟ هل حدث لكم شيء؟

ظل "فيكتور" صامتًا.

- إذًا ما الأمر؟

- لا شيء، كنتُ أفكر فقط أين جدتي. ربما في الحديقة.

- حسنًا، هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم.

كما سألته أيضًا عن أخبار المدرسة، "لا شيء يا أمي، لا شيء حقًّا"، وما يفعله الآن "ذاهب إلى الخارج"، وما تفعله أمي في الحديقة "لا أعرف، إنها تقطف بعض الزهور"، ثم كان على "فيكتور" أن يذهب، "وداعًا يا أمي". ألقت "جابينا" نظرة خاطفة على غرفة تبديل الملابس، انتهت فترة الاستراحة، وأضاءت الأضواء، لدينا بروفة. وضعت "هانا" هاتفها جانبًا، لقد هدأت، ثم نسيت الأمر على الفور، وتذكرته بعد يومين. لقد حلَّ المساء بالفعل عندما وصلت إلى هناك، وإذا لم تقل إنها ستأتي اليوم، لما ذهبت إلى أي مكان، ولظلت مستلقية في الفراش حتى المساء، لكنها قالت ذلك عدة مرات، لكليهما. إنها تعاني صداعًا رهيبًا بسبب الخمر، لقد كانت حفلة كبيرة، ذهبت للنوم في السابعة صباحًا، إنها في شقة "ميخال"، من طاقم التصوير، غادرت شقته في نحو الحادية عشرة صباحًا، كان لا يزال نائمًا، وهذا جيد، فهي لا تريد التحدث معه، فليس هناك الكثير ليقولوه عن ذلك. في الطريق اشترت بعض الأشياء التافهة، من الأفضل أن تنام في المنزل مرة أخرى، وتستيقظ في الرابعة، لذلك انطلقت بسيارتها، والآن هي بالقرب من الطريق الفرعي المتجه إلى "هوليتسه"، حيث يعيش أخوها، لم تُفكر في الأمر، وأبطأت من سرعتها، وانعطفت. هي فقط تريد أن تسأل أخاها: ما الأمر؟

إنها لا تُخطِّط أن تمثل عليه بطريقة ما، فكل شيء سيأتي من تلقاء نفسه، نزلت من السيارة. خرج شقيقها أمام منزله، وبدا جادًّا، توقفت "هانا" عن التفكير، ربما لأنه لم يكن يريد أن يخبرها، والآن يمكنها أن ترى في ملامح وجهه أن شيئًا ما قد حدث. قال بفزع:

- سأخبركِ.

- إنه أمر فظيع، ماذا سنفعل؟

- لا أعرف. حقًّا لا أعرف.

الآن "هانا" بدأت تُمثل عليه:

- لكن لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا النحو.

قالت:

- لحظة، ما الأمر؟

إنها لا تعرف سبب استمرارها في فعل ذلك، ربما لا تريد أن تعترف بأنها لا تعرف شيئًا. إنها لحظات سريعة فقط، يغمرها فيها شعور جيد من مدى جودة تمثيلها عليه.

- حسنًا، إنها لا تريد أن تخضع للجراحة. ستكون هناك خطورة على حياتها.

الآن فقط بقيت "هانا" تحدق إليه، وقلبها يرتجف بقوة، وشعرت بأنها ليست على ما يرام.

- هل "كاتكا" مريضة؟

سمعت صوتها وهو لا يكاد يخرج منها، هي قالت ذلك فقط لأنها تعلم أن المريضة ليست "كاتكا". أرادت أن تنفجر في البكاء على الفور، لكنها لا تريد البكاء أمام أخيها.

- ماذا؟

أخذ كل منهما ينظر إلى الآخر، وأخيرًا أدرك ما قالته:

- أنتِ حقًّا غبية.

- اللعنة! إذًا أخبرني.

هز رأسه.

- أمي؟ أمي هي المريضة؟ تكلَّم.

تقدمت نحوه، ولكمته في صدره، فأبعدها "آدم" كأنها ذبابة مزعجة.

- نعم، إنها كذلك. لكن ربما كان ينبغي لها أن تخبركِ بنفسها.

صرخت "هانا":

- أخبرني الآن وإلا فسأقتلك.

- لديها ورم. انتظري، إنه حميد.

"إن "هانا" لا تزال تبكي، إن أمي تعاني ورمًا في رأسها، والآن سوف تموت مثل أبي، لا، لا، وهو يقول ذلك بكل هدوء". عانقها "آدم" بعشوائية.

- اهدئي من فضلك. إنه يمكنها أن تعيش بهذا المرض لسنوات عديدة أخرى. عليها فقط أن تأخذ بعض الأدوية. إن أمي بخير.

- لا، ربما لا، طالما أن لديها ورمًا. يجب أن تخضع للجراحة، فلن تترك هذا الورم هناك. سأذهب إليها، وأنت، تعالَ معي. هيا، تحرَّك.

- انظري، تحدثي أنت معها بنفسك أولًا. لقد تحدثتُ أنا معها بالفعل، وربما ينبغي لنا أن نتركها وشأنها. و"كاتكا" تعتقد ذلك أيضًا.

- حسنًا، هل تعتقد أنك بذلك جعلتني أهدأ؟!

- ماذا؟

- لا شيء، ربما أنك جُننت، كيف سنتركها وحيدة في المنزل بورم في رأسها؟

- إن ابنكِ هناك، لذا ابقي معها هناك.

- أنت شخص مقرف.

- مهلًا، اهدئي، حسنًا؟

انقضت "هانا" عليه حقًّا، فكيف تكون أمي مريضة هكذا، وهو يريد أن يتركها وشأنها، ويقول لها اهدئي.

سمح لها بأن تضربه لحظات قبل أن يمسك بيديها.

- اهدئي أيتها الهستيرية. تحدثي مع أمك، وسآتي خلال عطلة نهاية الأسبوع. وسنتدبر الأمر بطريقة ما. لكن الآن توقَّفي عن هذا.

أمسكها بقوة حتى تألمت. جفلت، لكن عليها أن تتوقف، وعندما هدأت، تركها. انقضَّت عليه مرة أخرى وصرخت في وجهه:

- لماذا لم تخبرني على الفور؟ كيف يمكنك أن تكون هادئًا هكذا؟ أي نوع من الأشخاص أنت.

دفعها "آدم" بعيدًا، بقوة حقيقية، فكادت "هانا" تسقط.

- توقفي عن الصراخ في وجهي، واهدئي وإلا فسأصفعك.

- أيها المعتوه، لا تستعرض قوتك عليَّ.

خطا نحوها فتراجعت "هانا" خطوة إلى الوراء. فأشار إليها بإصبعه فقط. هذا الأحمق، يعتقد أنه سوف يربيني، إنه يعتقد ذلك دائمًا، يعتقد أن كونه أكبر سنًّا، فهذا يعطيه الحق في ذلك. في حين أن كل ما يهمه هو عمله ومنزله وإجازاته التي يقضيها في فندق يشمل كل الخدمات في "مايوركا".

- وتوقَّف عن سبي.

استدارت وابتعدت عنه دون وداع، يداها ترتجفان، فأمها مريضة، بدأت "هانا" -على الفور- بالبكاء مرة أخرى بأقصى ما تستطيع، لا تستطيع الرؤية جيدًا من دموعها، وتقود السيارة قيادة سيئة. مرت برأسها آلاف المواقف، التي عاملت فيها أمها بطريقة مقرفة، لماذا تشاجرت معها في الشتاء من أجل "يرجي" الذي لم يكن يستحق ذلك على الإطلاق؟ لقد تركتها وحدها طوال الربيع، ورغم ذلك تُعامِلها بلطف. لماذا "هانا" ابنة بشعة هكذا؟ "لن أصرخ فيها مرة أخرى أبدًا، المهم أن تكون بخير، فلا يمكن أن يحدث هذا، إن أمي لن تموت، فأنا أحتاج إلى أمي أكثر من أي وقت مضى، إن أمي هي كل عائلتي، فماذا سيحدث لنا الآن؟".

وقبل أن تصل إلى المنزل كان عليها أن تتوقف وتهدأ، "الأمر لا يتعلق بي، الأمر يتعلق بأمي، فأنا بذلك لن أساعدها، بل العكس، عليَّ أن أهدأ، أدعمها. يا "هانا"، لقد رُشِّحتِ لجائزة "ثاليا"، ويمكنك التعامل مع هذا". نظرت في المرآة الخلفية وابتسمت لنفسها. هكذا.

انفجرت "هانا" في البكاء فور رؤيتها. كانت "إيفا" مستعدة لذلك، فقد اتصل بها "أداميك" قائلًا:

- أمي، آسف، لم أكن أريد أن أخبرها، لكنها كانت في حالة هستيرية. كيف حالك؟

قالت "إيفا":

- بخير، كيف حال ابنتيك؟ هل ستأتون لرؤيتي في عطلة نهاية الأسبوع؟

- بالتأكيد يا أمي، لكننا لم نحدد بعد في أي يوم.

قالت في نفسها بسعادة: "الآن سوف أراهم كثيرًا، وأن الجميع الآن سيحققون رغباتها".

حاولت أن تُهدئ من روع "هانا" قائلة:

- إن كل شيء على ما يرام يا صغيرتي، أنا بخير.

فهدأت "هانا" حقًّا، أو على الأقل حاولت أن تتظاهر بذلك، ومسحت دموعها:

- أمي عليك أن تخبريني بكل شيء، فعلينا أن نبدأ باتخاذ الخطوات المطلوبة.

- هيا، دعينا نصنع القهوة.

- أين "فيكي"؟ يجب أن أُسلِّم عليه أيضًا.

- إنه على دراجته في مكان ما. وبالتأكيد سيأتي بعد قليل.

ذهبت "هانا" لإعداد القهوة:

- اجلسي يا أمي، أترين؟ إن لهذا الأمر فوائد أيضًا.

أعادت عليها ما قالته لـ"أداميك". فسألتها "هانا": "كيف عرفتِ؟"، فوصفت لها "إيفا" الأمر، محاولة التخفيف مما حدث. كنتُ أعاني صداعًا، وأحيانًا الدُّوار، وأحيانًا ضعف الرؤية.

- لكن يا أمي، لماذا لم تخبريني بأي شيء؟

- لم أكن أريد أن أزيد همومك.

- ولكن "فيكي" هنا، اللعنة!

دخل "فيكي" إلى المطبخ، وكان سعيدًا برؤية أمه، فاستقبلته "هانا" بالأحضان.

- الآن سأكون هنا معكما دائمًا، لا تَخَفْ.

قال "فيكتور":

- أنا لست خائفًا.

فقالت "إيفا":

- لقد نجحنا.

- ولكن كان من الممكن أن يحدث لكِ شيء ما، أن تفقدي وعيك، أو أي شيء من هذا القبيل. وهل كنتِ تقودين السيارة هكذا بطريقةٍ طبيعية؟ يا إلهي يا أمي! كان من الممكن أن تتعرضي لحادثة.

نظرت "إيفا" إلى "فيكي"، لكن "هانا" التقطت هذا النظرة.

- لماذا تنظران إلى بعضكما بعضًا هكذا؟

ثم تذكرت ما رأته سابقًا.

- رفرف السيارة. لا يا أمي، قولي إنكما لم تتعرضا لحادثة تصادم.

قال "فيكي":

- لم يحدث شيء يا أمي، حقًّا. لم تكن هذه حادثة على الإطلاق.

وجهت "هانا" كلامها إليه:

- "فيكي"، من فضلك اخرج. أنا بحاجة إلى مناقشة هذا الأمر مع جدتك.

نظر "فيكتور" إلى "إيفا" مرة أخرى إذا كانت توافق على ذلك، فرأت "إيفا" أن هذا لا يُعجب "هانا"، لكن قبل أن تتمكن من فعل أي شيء، صرخت "هانا" في "فيكي":

- انصرف حالًا.

قال "فيكي" وهو يُغادر:

- لقد كنتِ في عملك، ولم يكن بإمكانك فعل أي شيء لتكوني هنا، لذا لا ترفعي صوتك على جدتي.

هناك لحظات من السعادة تمر على الإنسان، وهذه إحداها، لكن "إيفا" لم تُظهر سعادتها هذه بأي شكل.

أخذت هي و"هانا" تنظران إلى بعضهما بعضًا.

- أمي، كان عليك أن تخبريني ما إن بدأت تشعرين بأنك مريضة. أنت تتحدثين دائمًا عن كونك الشخص الوحيد الذي يعرف قدر المسؤولية، ثم تفعلين هذا؟ إن هذا تصرف كان غير ناضج تمامًا. وحادثة سيارة؟

- ولكن ماذا كان بوسعكِ أن تفعلي؟

- أي شيء!

- يجب أن تكوني سعيدة أنكِ استطعت أن تُنهي تصويرك بسلام.

- أمي، هل تسمعينني جيدًا؟ مستحيل أنك لا تفهمين ذلك.

- لم أكن أريدك أن تأخذي "فيكي" مني.

- أنت مريضة، ولا يمكنك أن تكوني هنا بمفردك مع طفل.

- أنا ليس لديَّ أحد غيره.

بكت "هانا" مرة أخرى:

- آسفة يا أمي لأني رفعت صوتي عليك.

- حسنًا. إن كل شيء سيكون أفضل الآن، وسوف نستمتع بصيف جميل معًا.

مسحت "هانا" دموعها.

- لا يا أمي، أنت ستُجرين العملية. وبعد ذلك سوف نستمتع معًا بالعديد من فصول الصيف.

ظلت "إيفا" صامتة، فهي لا تُريد مزيدًا من الأشياء المزعجة اليوم، فما حدث كان كافيًا.



لقد اكتفيت من كل هذه الأحاديث حول مرض جدتي، إنها تتلقى العلاج وهي تتحسن وأنا أعلم ذلك، لم تعد تفقد توازنها ولم تعد تنام مبكرًا، وعندما خرجتُ من غرفتي لأشرب في الليل، كانت تجلس إلى المائدة، وتأكل الخبز والجبن، وقالت إنها كانت جائعة جدًّا. فعندما يكون الشخص مريضًا فهو لا يشعر برغبةٍ في تناول الطعام.

في عطلة نهاية الأسبوع حضر خالي، وأخذوا يتناقشون الأمر مرة أخرى، لأنهم أرسلوني بعيدًا كما لو أن الأمر لا يعنيني، لكن هذا الأمر يعنيني أكثر من أي واحد منهم، لأني أعيش هنا مع جدتي. كما أنه كان هناك من يبكي دائمًا، أمي أو زوجة خالي، وعندما تبكي زوجة خالي، وترى ابنتا خالي ذلك، فإنهما تبكيان أيضًا. لذلك فأنا من ناحية أخرى أكون سعيدًا بخروجي خارج المنزل، ولكن لا أستطيع أن أذهب بعيدًا، لأن هذا تجمُّع عائلي، مما يعني أنه ستكون هناك كعكة.

لذلك ذهبتُ إلى المسبح الخاص بنا، الذي لا يزال حفرة مبطنة ببعض المواد فحسب، ولكن يمكن المشي فيه طبيعيًّا، لذلك لعبتُ به لبعض الوقت، متخيلًا أني أسبح، لكن الأمر كان مملًّا جدًّا. أردتُ الخروج، لكني رأيتُ أن أمي قد خرجت من المنزل، وأشعلت سيجارًا وتمسح دموعها، فبدلًا من ذلك اختبأت، ثم خرج خالي خلفها، وقال لها:

- لا يمكنك إجبارها على ذلك، فهذا الأمر خاص بها.

- إن كل ما يُهمك فقط هو ألَّا تُضطر إلى رعايتها.

- ما هذا الهراء، يا "هانا"؟ توقفي عن ذلك.

- لكني سأرعاها، فسأكون هنا طوال الصيف، وإذا ذهبت لإجراء الجراحة الآن، فستكون بخير بحلول سبتمبر.

- إنها عملية خطرة. لكن على هذا الوضع لديها فرصة جيدة.

– حقًّا، وماذا تعرف أنت عن ذلك؟ هل أطلعتك على التقارير الطبية؟ أم أنك تحدثت مع الأطباء؟

– يا إلهي! إنها لا تكذب، أليس كذلك؟

– بلى، لكنها كذبت علينا للتو هنا، ولا أعرف إلى متى. بالتأكيد أريد التحدث إلى الطبيب، ولا أفهم كيف أنك غير مبال إلى هذه الدرجة.

– اللعنة! إن أمي بالغة، لذا تخيلي أنه يُمكن أن يكون لها رأيها الخاص، وأنه بوسعها ألا تستمع إليكِ، ولا إليَّ، ولا إلى أحد.

– أنت إنسان تبحث عن الذرائع.

– وأنت منافقة، لقد بصقتِ عليها لسنوات، ولم تُحضري الولد إلى هنا عن قصد، هل تعرفين كم كانت أمي حزينة لذلك؟ وأبي؟ ثم تأتين وتلقينه هنا، فقط لأنك لا ترغبين في وجوده معك، حتى وهي مريضة، وفجأة تتصرفين كأنك تهتمين بأمرها.

– لم أكن أعلم أنها مريضة.

– حسنًا، واضح، ولكن إذا كنتِ تعلمين، هل كنتِ ستتصرفين على نحو مختلف؟ "هانا" أنتِ أنانية، لا تمثلين عليَّ هنا، واذهبي إلى الجحيم، فأنا لن أجبرها على شيء.

ثم رأيت كيف أن أمي بدأت بالعراك معه، لكن خالي أقوى بكثير لأنه أكبر منها حجمًا بدرجة كبيرة، ويُمكنه أن يتغلب عليها بسهولة. دفعها بعيدًا:

– توقفي عن ذلك، هل أنتِ مجنونة حقًّا؟ هل هكذا تتصرفين تصرفًا طبيعيًّا؟ إذًا ليس غريبًا أن ابنك مقرف مثلك.

وهو ما أزعجني قليلًا، لأني لم أتشاجر أبدًا تقريبًا، وكنتُ لطيفًا جدًّا في الفترة الأخيرة.

– أيها النذل الحقير، لقد أهملتَها أنت أكثر مما أهملتُها أنا، ورغم ذلك فأنت الوحيد القادر على إقناعها، لأنها تحبك. لكنك لن تفعل ذلك، فأهم شيء لك هو الهدوء، فبالطبع إن "كاتكا" بدلًا من رعاية أمك المريضة، تُفضِّل الذهاب إلى

البحر، أو أن تعملوا سقفًا للشرفة، أو أي شيء آخر من هذه الأشياء الحقيرة. إنكَ تعيش على بعد بضعة كيلومترات من هنا، وحتى لم تلاحظ أنها مريضة.

– وأنتِ فضلتِ ألَّا تأتي إلى هنا أبدًا، إذًا أغلقي فمك، رغم أن لديك طفلًا هنا، أيتها الغبية. إن كل ما يهمك على أي حال هو أن يبقى هنا لتعملي مُهرِّجةً في بعض المسلسلات.

وهذا أسعدني، لأنه يعني أني سأظل هنا، لكني رأيت أن أمي تريد أن تنقض على خالي مرة أخرى، لأنه يسخر من عملها. لكن عملها صعب ومرهق، لقد قالت لي أمي هذا مائة مرة. هنا خرجت جدتي وقالت:

– هيا ولديَّ، دعكما من هذا، وتعاليا لتأكلا كعكة المشمش، وتحدَّثا على نحو طبيعي.

صرخت أمي قائلة:

– أنا لا أريد كعكتك هذه.

وركضت إلى الخلف، فانحنيتُ أنا حتى لا تراني، وسمعتُ خالي وهو يقول:

– أمي، أنا أعشق كعكة المشمش.

ثم دخلوا إلى المنزل، وخرجتُ أنا من المسبح وذهبت لتناول الكعكة، لأن كعكة المشمش رائعة حقًّا.

في الطريق أخذتُ أتساءل: هل يجب على جدتي أن تخضع لهذه العملية أم لا؟ لكني أعتقد أنه لا، لأن العملية الجراحية في المخ ليست بهذه البساطة، فعلى سبيل المثال، ذات مرة استأصلوا بقعة نمش مني، وحدث ذلك في الحال، ولكن كيف يمكنهم أن يخترقوا الجمجمة؟ يعني هذا أنهم ربما يحتاجون إلى منشار. لا بد لي من البحث عن ذلك على جوجل. لكني بالطبع أعلم أن المخ هشٌّ، وإذا قطعوا بغباء، فقد تموت جدتي. ولهذا فإذا كانت لا تمانع في وجود هذا الورم هناك، فلتتركه هناك.



عندما كنا نأكل كلنا، جاءت أمي وأشارت بإصبعها نحوي.

– سوف تذهب معي إلى "أوسترافا" في الأسبوع الذي سنكمل فيه التصوير.

– وأنتِ.

أشارت إلى جدتي وقالت:

– ستقيمين في بيت "آدم". أليس كذلك؟

وجهت سؤالها إلى خالي.

أنا لا أريد ذلك حقًّا، لكني أيضًا لا أريد البقاء عند خالي، لذلك على الأقل لن أضطر إلى الذهاب إلى المدرسة، بالإضافة إلى ذلك، فأنا لم أحضر تصويرًا منذ فترة طويلة، ويا حبذا لو كانت قصة بوليسية، فلن تكون مملة مثلما كان يحدث عندما كانت تُسجِّل أمي برنامجًا ما للإذاعة، وأضطر أنا إلى الانتظار في الردهة.

جلست أمي وأخذت قطعة من الكعكة، وبدأت بتناولها، وقالت: "إننا لن نتحدث عن ذلك بعد الآن ما دمتم تعتقدون -تقصد جدتي والكبار الآخرين- أن الأمر على ما يرام. سأحترم ذلك، وأنا آسفة لك -تقصد خالي- ولكِ أيضًا يا أمي، لأني لم أكن مهذبة معك".

ربتت جدتي على يدها.

فسألت واحدة من ابنتي خالي:

– ما الشيء الذي لن تتحدثوا عنه؟

لكن زوجة خالي طلبت منها أن تمسح فمها.

قالت أمي:

– تلك الكعكة رائعة يا أمي، شكرًا لك.

وهو أمر مثير للاهتمام، لأني أعرف أن أمي تكره المشمش. فقد أخبرتني ذات مرة أنها عندما كانت طفلة صغيرة، أجبرها شخص ما، لا أعرف من، على أكل المشمش فتقيَّأت، ومن ذلك الحين لا تستطيع حتى رؤيته.

فقالت جدتي:

– أنا سعيدة بوجهٍ خاص من أجلك، لأني أعرف أنك لا تحبين المشمش. لديَّ هنا حلوى أخرى بالفراولة، لقد اعتقدت أنك ستفضلينها.



شعرت "هانا" على الفور بالذنب الشديد عندما صرخت في أمها بأنها لا تريد كعكتها. "إن أمك مصابة بورم، وأنت تعاملينها بهذه الطريقة"، وسرعان ما هدأت هناك خلف المنزل، فهي لن تساعد أحدًا بأسلوبها هذا، وعليها أن تتعامل مع أمها بلطف وبهدوء، عليها أن تكون ابنة جيدة، حتى لو لم يدعمها "آدم" في ذلك. فـ"هانا" على أي حال ستذهب إلى هؤلاء الأطباء، وستحاول أن تقنع أمها بالتدريج، والآن ستذهب إلى الداخل، وستتناول كعكة المشمش تلك، على الرغم من أن التفكير فقط في ذلك أصابها بالقشعريرة.

في أثناء مرورها بالمسبح، فكرت في إمكان أن تشتري واحدًا أرخص سعرًا، فربما ينبغي لها توفير المال، لأنها ستضطر الآن في هذا الصيف إلى إلغاء كل ما يُمكن إلغاؤه حتى تقضي الصيف هنا مع أمها. ولكن مرة أخرى من الأفضل أن يكون لديهم مسبح هنا، ما دامت ستعاني هنا طوال الصيف. لا، لن تأخذ الأمر على هذا النحو، فسيكون صيفًا لطيفًا، وهي بحاجة إلى الراحة على أي حال. إن "فيكي" سعيد هنا، وهي ستساعد أمها في الحديقة وفي صُنع كعكها الغبي هذا، رغم أن الأمر لا يستحق مقابل هذا المال الزهيد. فإن "هانا" تفضل أن تعطيها هذا المال، لكنهم قد تحدثوا بالفعل في هذا الأمر عدة مرات. إذًا سيخبزون الكعك ويشوون ويحفظون الفاكهة ويذهبون لجمع الفطر، ومن يدري ما الذي تفعله

أمها أيضًا هنا طوال تلك الأيام. ستكون طيبة مع أمها، وسيصبح كل شيء على ما يرام. ومع ذلك، شعر بالدموع تنهمر من عينيها مرة أخرى، لأنه ربما يكون هذا هو آخر صيف لهما معًا. أسرعت "هانا" الخطى؛ لا، لن يكون. عندما دخلت إلى المنزل، حيث كان الجميع يأكلون الكعكة بسعادة، شعرت بأنها تريد أن تلقي نفسها في أحضان أمها، كأنها طفلة صغيرة، فقط لتشم رائحتها وتشعر بقربها. لكنها بدلًا من ذلك شغَّلت ماكينة القهوة، واعتذرت لهم جميعًا بصدقٍ قدر استطاعتها، بمن فيهم هذا الأحمق "آدم".

عندما أحست بطعم المشمش في فمها، تقريبًا انقلبت معدتها.

كلنا نعرف ماذا نريد

رأت "إيفا" كيف أن "هانا" تحاول مساعدتها. بالطبع إنه شعور جميل، ومن المؤسف أن "هانا" ليست هكذا حقًّا، وأنها تتعامَلُ معها بهذه الطريقة الآن فقط. لكن "إيفا" تحاول ألَّا تأخذ الأمر بهذه الطريقة وتستمتع به فقط. في الصباح عندما رنَّ المنبه، كان يتعين عليها البدء بالخبز، بعد قليل نزلت "هانكا" أيضًا إلى الطابق السفلي. عندما حدث ذلك في المرة الأولى، فزعت "إيفا"، وسألتها: "ماذا تفعلين هنا؟"، فقالت "هانا": "سأساعدك حتى لا تكوني وحدك، وسأنقل الكعك أيضًا إلى المدينة حتى لا تضطري إلى قيادة السيارة". تأثرت "إيفا" وقالت لنفسها: "إنها لن تتحمل على أي حال، فهي ستستيقظ مرة أو مرتين لا أكثر"، ولكن "هانا" كانت تستيقظ في كل مرة، على الرغم من أنها في بعض الأحيان تنام قليلًا قبل الغداء، "آسفة يا أمي، لقد ذهبتُ للنوم أمس في وقت متأخر"، لكن "إيفا" لا تمانع، ولا توجد مشكلة لديها، على الأقل يمكنها أن تستمتع بلحظات من الهدوء عندما تذهب "هانا" للنوم، أو عندما تذهب للجري.

- سأذهب للجري ما دمتُ هنا حتى لا أفقد لياقتي تمامًا، بالإضافة إلى أني آكل كثيرًا هنا، هل تمانعين أن أذهب يا أمي؟

- "هانكا"، أنا بخير، ويمكنني أن أبقى هنا وحدي لبعض الوقت.

لكن هذا ليست ما تعنيه "هانا"، فهي تعتقد أن عليها أن تراقبها باستمرار، وهذا الأمر ليس سهلًا على "إيفا"، فهي تحتاج أيضًا إلى التقاط أنفاسها في بعض الأحيان. إنها لا تزال متأكدة أنها في حالة أفضل، ولكن في بعض الأحيان، يُلقي المرض بثقله عليها فتشعر أن حالتها في غاية السوء، على الرغم من أنه لا شيء يحدث سوى أن وزنها قد زاد وانتفخ وجهها، وهي على علم مسبق بذلك. كما يبدو أيضًا أنها تعاني ضيقًا في التنفس في أثناء العمل، ومن المحتمل أنها قد أُصيبت بمرض السكري، وسيتعين عليها التعامل معه. إذًا لديها كل هذا، إلى جانب وجود هذا الورم في رأسها، وهذا في حد ذاته يكفي ويزيد لتفسير سبب شعورها أحيانًا بأنها تُفضِّل ألَّا تفعل أي شيء. في المرة السابقة بكت عند قبر "يندرشيخ"، على الرغم من أنه لم يكن هناك ما يحدث في ذلك الوقت، وبالإضافة إلى ذلك فقد رآها أحد الأشخاص مما أصابها بالحزن الشديد. لكنها لا تزال تتظاهَرُ أمام "هانا" بأن كل شيء على ما يرام، لأنها ترى بما لا يدع مجالًا للشك كيف أن "هانا" تنتظر أول فرصة لتبدأ بإقناعها بالخضوع للجراحة مرة أخرى، لكن "إيفا" ليست ساذجة، فهي تعلم أن "هانا" مثل الحيوان المفترس، وأنها لن تستسلم.

الشيء الوحيد الذي يسعدها حقًّا هذه الأيام هو "فيكتور"، وكيف أصبح يعتمد على نفسه، وكيف أصبح لطيفًا، فهو يُنجِزُ كلَّ الأمور الروتينية دون أي مشكلاتٍ، ربما حتى يؤدي واجباته المدرسية بنفسه. هل كانت حالتها في الربيع سيئة إلى الدرجة التي جعلته يؤدي واجباته المدرسية بنفسه؟ إن "إيفا" لا تعرف، لكنها تستمتع بدهشة "هانا" وهي تقول لها بصوت منخفض: "انظري يا أمي، إنه يُعِدُّ وجبته الخفيفة بنفسه"، بينما كان "فيكي" يحزم حقيبته المدرسية، وقد أخذ

تفاحة وقطعة من الكعك، ولفهما بنفسه في منديل ووضعهما في العلبة. ثم همست في أذنها: "كما أدَّى واجباته المدرسية أمس حتى قبل أن أسأله عنها".

شعرت "إيفا" بمزيج من الفخر بأن هذا يحدث بفضلها، وبعض الخجل لأنه ربما اضطر إلى التعامل مع الأمر بنفسه، عندما كانت هي منشغلة بنفسها فقط:

- إنه ماهر، أليس كذلك؟

- أمي، إنه رائع.

- لقد فعلتِ خيرًا أنكِ أحضرته إلى هنا.

- أعتقد ذلك، أترين؟

تستطيع "إيفا" أن ترى كيف تتطلع "هانا" إلى أن تؤكد لها ذلك، وبالإضافة إلى أن هذا صحيح، فما فعلته "هانا" هو الصواب، وإذا كانت هذه هي السنة الأخيرة في حياتها، فإنها قد قضتها مع الشخص المناسب، مع أحب أحفادها إلى قلبها، "فإذا كانت هذه حقًّا هي السنة الأخيرة في حياتي، فلا ينبغي لـ"هانكا" أن تأخذه مني".

- لماذا أنتِ عابسة هكذا يا أمي؟ هل تشعرين بشيء؟ هيا، اجلسي.

- أنا بخير. سأذهب لري الحديقة.

سألتها "هانا":

- لماذا؟ لقد أمطرت السماء في الليل، وسوف تمطر مرة أخرى بعد قليل.

لكن "إيفا" ذهبت على أي حال، فهي تريد أن تقضي بعض الوقت في هدوء، وفجأة شعرت بأنها غاضبة من "هانا"، "إنها تريد أن تجبرني على إجراء هذه العملية، وإلا فستأخذ "فيكتور" مني، هذا شيء واضح.



شعرت "هانا" بمشاعر غريبة. فما تقضي فيه وقتها هنا هو مضيعة فظيعة للوقت، لكنها في الوقت نفسه تشعر بنوع من السعادة؛ لأنها هنا لمساعدة أمها،

ويبدو لها أحيانًا أن أمها تخترع لها أعمالًا وأنشطة مختلفة لتبقيها مشغولة، لكن "هانا" تحتاج -في الواقع- أن تبقى مشغولة، فلقد ألغت كل ما يُمكن إلغاؤه حتى نهاية يونيو، ولن تذهب إلى براج إلا للمشاركة في عرضين مسرحيين فقط، وبعد ذلك ستذهب لاستكمال التصوير لمدة أسبوع. لذا ليس لديها الآن الكثير لتفعله، وليس عليها أن تقرأ أي شيء، فقط لقد تخيلت أنها ستقضي وقتًا أطول مع "فيكي". لكن "فيكي" يخرج كل يوم بعد المدرسة مع أطفال من القرية، ولا تعرف "هانا" حقًّا ماذا تظن فيهم، لكنها بعد ذلك قالت لنفسها: "إنهم ربما لن يكونوا أسوأ من أصدقائه في براج، وبعد كل شيء لقد أصبح "فيكي" الآن مثل الملاك، بلا مشكلة واحدة، وقد حصل على درجات جيدة في المدرسة، ولأول مرة منذ نحو ثلاث سنوات لم يُوجَّه إليه توبيخ مباشر من مدير المدرسة، سيُوجَّه إليه فقط توبيخ من مدرس الفصل؛ لأنه استخدم الهاتف في أثناء الحصة، فلماذا لا تسمح له بالخروج معهما؟ فماذا سيفعل هنا معنا، "يجب أن تكوني سعيدة لأن لديه أصدقاء، وأنه يعتمد على نفسه." بل فجأة أصبح يعتمده على نفسه بدرجة كبيرة، وربما لم تلاحظ "هانا" ذلك كثيرًا عندما كان لديها الكثير من العمل، ولكن فجأة بدا لها أن "فيكي" أصبح بعيدًا جدًّا عنها.

لذلك عندما أخذته من المستشفى إلى المنزل ونام في السيارة، "ابني الصغير". تطلعت "هانا" بشدة إلى اليوم الذي سيرجع فيه إلى منزلها، ليعودا كما كانا معًا من قبل.



بالطبع سمعتُهما وهما مندهشتان من أني كنت آخذ وجبة خفيفة، لكني كنت آخذها لـ"بوهوش" الذي يحب الحلوى، فقد اتفقنا أننا بعد المدرسة سنذهب إلى عليتهم في الطابق الأخير من المنزل، ونجعل هذه العلية شيئًا مثل النادي، أو مكانًا يمكننا أن نبقى فيه عندما تمطر السماء، لأن منزل "بوهوش"

غالبًا ما يكون فارغًا، وعندما تكون أمه في المنزل، فإنها على أي حال تجلس في الطابق السفلي وتشرب البيرة. في حين أنه في كل المنازل الأخرى نجد الأمهات – وفي حالتي جدتي– يقمن دائمًا بفعل شيء ما. بالإضافة إلى ذلك فإن "بوهوش" متحمس؛ لأنه يكون لدينا مخبأ سري، لنا نحن فقط، لأننا نعلم أن "بوهوش" لا يحب البقاء في المنزل لفترة طويلة، فهذه طبيعته، فعندما يعود من المدرسة، فإنه لا يريد البقاء في المنزل على الإطلاق، حتى لو كانت السماء تمطر كالسيل، فإنه يغادر على الفور إلى مكان ما في الغابة. في أحد الأيام، من فصل الربيع كان الأمر سيئًا للغاية، وذهبنا جميعًا إلى منزلهم، لكن أمه قالت: "إنه لن يذهب إلى أي مكان، فهو مصاب بنزلة برد"، أخذ يبكي ويسب كثيرًا، وعندما بدأ يضرب رأسه بالحائط، تركته يذهب؛ فخرج تحت المطر.

لذلك نحن نعلم أنه لن يكون معنا كثيرًا في نادينا هذا.

لقد سمحت لنا أمُّه بذلك، لكنها سألت: "في عُليتنا؟ إنها غير نظيفة أيها الأطفال"، ولوَّحت بيدها، لكننا تحدثنا عن الأمر واتفقنا على أنها ربما لن تمانع في ذلك؛ لذا أخذنا معنا اليوم الكثير من الحلوى، أخذت أنا الشوكولاتة بالإضافة إلى الكعكة، حتى نتمكن من إعطاء "بوهوش" كل ذلك، لكي يأخذ المفتاح من أمه إذا كانت في العمل، أو يساعدنا على إقناعها إذا كانت في المنزل.

كانت أمه تجلس خارج المنزل، بينما لا تزال السماء اليوم تمطر، وهي ترتدي سترة شتوية، وتدخن وتشرب البيرة. هزت رأسها، وقالت: "أيها الأطفال، لا أعرف، ربما ينبغي لكم تنظيفها، لكننا لا نمانع. كنا نتطلع إلى العثور على بعض الكنوز هناك، لذلك ذهب كل منا ليلقي حقيبته في المنزل، وسنلتقي هنا بعد قليل". سألتني أمي: "إلى أين أنا ذاهب؟ فقلتُ لها: خارج كالعادة".

لكن لم تكن توجد أي كنوز في العُلية، لا يوجد سوى عدد هائل من قطع الأثاث المترب، الذي ربما يمكننا الاستفادة منه، وسرير قديم، لكن المرتبة

ممزقة، وهناك كذلك الكثير من الأواني والأكواب والألواح الخشبية وغيرها من الأشياء المملة، وأيضًا عدد قليل من الفئران الميتة المتيبسة تمامًا، وطائر ميت، وعدد هائل من الحشرات الميتة، وثلاثة أعشاش للدبابير في أعلى في قمة السقف.

لم نكن نعرف بالضبط ماذا سنفعل معها، ولا نريد أن نخبر آباءنا؛ لأننا لا نريد أن يأتي آباؤنا إلى هنا. ثم قلنا: "إننا سنحضر إسبراي ضد الحشرات، ويرتدي أحدُنا ملابس خاصة، ويصعد على السلم، ويرش الأعشاش، فتموت الدبابير".

لفترة طويلة بدا الأمر أن "فرانتا" هو من سيفعل ذلك، لأن جدَّه مُربٍّ للنحل، ولكن في النهاية اخترتُ لِفعل ذلك، لأني أنا من أحضر الإسبراي، وأنا الوحيد الذي رأى من قبل جدته ذات مرة وهي تقتل الدبابير بهذه الطريقة. لذلك انتهى بي الأمر بصعود السلم، ورش الدبابير، فتعرضت لثماني لسعات، وسقطتُ من فوق السلم.

كُسرت ساقي.

وقد تبادَر إلى ذهني على الفور أنه بالتأكيد حدث لي هذا نتيجة لتفكيري في الساق المكسورة.



استلقيت على الأرض وأنا أصرخ، حتى صعدت والدة "بوهوش" إلى أعلى، وساعدت "فرانتا" و"مارتينا" على إنزالي إلى أسفل، لأن الدرج لديهم شديد الانحدار، ولم أكن لأتمكن من النزول بمفردي. ثم انتظرتُ أمام المنزل على أحد المقاعد، بينما ركض "فرانتا" لإحضار أمي. كنتُ أريد أن أبكي من الألم، ومن تلك اللدغات التي تحرقني، لكني لن أبكي أمام "مارتينا". سكبت لي والدة "بوهوش" كأسًا صغيرة من نوع ما من الكحول وقالت: "اشربه"، شربتُهُ، يا إلهي! كدتُ أتقيأ، لكني بعد قليل شعرت بتحسن، وقد وصلت أمي. ولكن قبل أن تخرج من السيارة، انحنت "مارتينا" عليَّ، وقالت لي: "حظًّا سعيدًا"،

وأعطتني قبلة، وهو ما لم تفعله من قبل، لكن هذا شيء لطيف، فشعرت فجأة أني على ما يرام. حسنًا، لستُ على ما يرام، ولكني أفضل.

ثم ساعدني "فرانتا" وأمي على ركوب السيارة، وذهبنا إلى المستشفى.

في الطريق إلى المستشفى كانت أمي لطيفة جدًّا، ولكن في طريق العودة كانت غاضبة بالفعل، "هل أنت مجنون؟ كيف لكم أن تثيروا غضب الدبابير؟ وماذا كنتم تفعلون هناك؟ ولماذا لم تُقيموا هذا النادي في منزلنا؟ فلدينا هناك الكثير من الغرف الفارغة؟".

إن ساقي في الجبس حتى الركبة تقريبًا، وأعطوني حقنة ما، وأريد أن أنام، وليس لديَّ رغبة في شرح أي شيء. لكن أمي وجدتي لم تدعاني وشأني، واستمرتا في القدوم إليَّ وسؤالي عما أريده، وهل أحتاج إلى شيء ما. لم أكن أريد أي شيء، أريد فقط النوم أو مشاهدة التلفزيون. جاءت "مارتينا" و"فرانتا" وقالا: "إني أديتُ عملًا رائعًا"، فلقد ماتت الدبابير بالفعل ثم أسقطوا أعشاشها بالمجرفة المسننة، وأنهم سينشئون النادي.

وأننا سنتوصل إلى طريقة ما لكي أتمكن من الصعود إلى هناك.

فقالت أمي وهي تهزُّ رأسها: "بالطبع لا توجد مشكلة." ربما هي تعتقد أنني سأضطر الآن إلى البقاء في المنزل طوال الوقت. لكن هذا كلام فارغ، فأنا سأستلقي فقط ليوم آخر، ثم سأنهض، فإنه يمكنني المشي باستخدام العكاز أو حتى القفز على ساق واحدة. ستبدآن بتوصيلي إلى المدرسة مرة أخرى، أي أمي، فهي لن تسمح لجدتي بتوصيلي مرة أخرى أبدًا، لكن أن تأخذني من المدرسة، فهذا أمر يُثير غضبي، تحملت هذا أسبوعًا، لكن بعد ذلك لم تعد ساقي تؤلمني، كما أن "فرانتا" قد حاول أن يأخذني معه على الدراجة قليلًا، ولم يحدث شيء. لذلك لا أعرف لماذا عليَّ العودة إلى المنزل مع والدتي، فهي تأخذني إلى المنزل، ثم لا تسمح لي بعد ذلك بالذهاب إلى أي مكان. بعد أيام قليلة من الحادثة لم يعد الأمر يُضايقني كثيرًا، لأن الجو أصبح شديد

الحرارة مرة أخرى، وبدأت أشعر بالحكة تحت الجبس، بالإضافة إلى أن "مارتينا" و"فرانتا" و"كايا" كانوا يذهبون على دراجاتهم للسباحة في مجمع المسابح، وهو ما لا أستطيع فِعله. لكن بعد ذلك بدأت السماء تُمطر؛ ولذا أردنا الاستمرار في النادي، فطلبتُ من أمي ألَّا تأتي لتأخذني من المدرسة:

– هل تريد المشي كيلومترًا على عكازين أم ماذا؟

فقلت لها:

– نعم.

– هذا غباء.

– لا أريدك أن تأتي لتأخذيني، فأنا لست صغيرًا.

– اللعنة! إن ساقك مكسورة.

– لكني سأستطيع ذلك، لا توجد مشكلة.

هزت أمي رأسها:

– دع عنك هذا، فسآتي لأخذك على أي حال.

إن هذا يثير غضبي، لأن أمي أصبحت أخيرًا لا تُطاق، فما إن أنهت هذا العمل، وألغت كل ارتباطاتها الأخرى، وهو ما قالته لنا نحو خمس مرات، حتى تتمكن من أن تكون هنا معنا، فلم يعد لديها ما تفعله سوى مساعدة جدتي، ومراقبتي، لكني لا أحتاج إلى من يراقبني، وهو الأمر الذي تغيَّر قليلًا للأسف بعد ما حدث لساقي.

لذا لم أجادلها، لكني انصرفتُ من المدرسة مبكرًا بساعة واحدة. وكان عليَّ أن أنتظر الآخرين، ثم أخذني "فرانتا" على دراجته من محطة الحافلات. اتصلت بي أمي، لكني لم أرد. ذهبنا مباشرة إلى منزل "بوهوش"، فقد صار واضحًا أني لو توقفت في المنزل، فلن تسمح لي بالخروج.

كان الجو في العلية شديد الحرارة، وهناك الكثير من التراب، كما سقطت إحدى النوافذ، لكنه لا يزال رائعًا، وسنبقى هناك حتى المساء، إلى أن نذهب لتناول العشاء. في وقت ما خلال فترة ما بعد الظهر جاءت أمي ووقفت أسفل المنزل، وأخذت تنادي: ""فيكي"، أُخرجْ، أنا أعلم أنك هنا". لكننا بقينا جميعًا صامتين، بينما لم يكن "بوهوش" أو أمه بالمنزل لكي يشوا بنا، وعندما غادرت أمي، ضحكنا جميعًا.

ثم أخذني "فرانتا" إلى المنزل على دراجته، ولكن ما إن وصلنا أمام البوابة، ركضت أمي وصرخت فينا:

- هل جننت أم ماذا، أتريد أن تسقط؟

فقال "فرانتا":

- كنتُ أسير ببطء، إلى اللقاء.

وفضَّل أن يذهب.

- وماذا يعني ذلك؟ لقد انتظرتك أمام المدرسة لمدة ساعة تقريبًا. لقد كنت في هذه العلية إلى الآن، أليس كذلك؟

- بلى.

- إذًا لماذا لم تتصل بي؟

- لأني لم أرغب في العودة إلى المنزل.

- لقد كنتُ قلقةً عليك.

قالت جدتي التي خرجت أيضًا من المنزل:

- "هانكا"، اتركيه وشأنه، لقد كنا نعلم أنه مع الأطفال.

لكن أمي تجاهلتها، ولا أفهم لماذا هي غاضبة إلى هذا الحد، إذا كانتا تعرفان مكاني.

- من الغد أنت ممنوع من الخروج، حسنًا؟

- لماذا تمنعينني من الخروج إذا كنتُ لم أفعل شيئًا؟

- هل تريد أن يحدث لك شيء؟

- مثل ماذا؟ هل ستكسر ساقي الأخرى؟

- ظريف جدًّا أيها الولد. إنك ببساطة لن تذهب إلى هناك.

كنتُ غاضبًا بالفعل، فما الذي تعتقده أمي؟ أتظن أنه إذا كان لديها وقت لتقضيه معنا هنا، فإن كل شيء يجب أن يكون وفقًا لإرادتها؟ بالإضافة إلى أني لم أرتكب أي خطأ، باستثناء هذه الساعة التي تركت فيها المدرسة مبكرًا دون عذر، لكنها لا تعرف ذلك.

- إنه نادينا ونُنظِّمه.

- عندما تخلع الجبس.

لا أفهم ما هي مشكلتها مع هذا الجبس، فهو لا يزعجني في شيء، ولكنها استدارت واتجهت إلى المنزل، كأن الأمر قد حُسم، كأننا اتفقنا.

- لماذا لا تتركينني وشأني؟ لماذا لا تعودين إلى براج، وتتركيننا هنا كما كنا من قبل؟ التفتت أمي ناحيتنا.

- لقد اعتقدت أنك ستكون سعيدًا عندما أكون معك هنا.

- هذا ما اعتقدتِه أيضًا.

وأردتُ أن أضيف أن عليها أن تتركني وشأني، وأن كل شيء سيكون على ما يرام، لكني لا أعرف كيف أقول ذلك بطريقة لا تُثير غضبها أكثر، ولكن قبل أن أقول أي شيء، قالت هي:

- حسنًا، للأسف حظك سيئ على أي حال، فالأمر لا يتعلق بك فقط، فأنا لا أستطيع أن أترك جدتك وحدها، هل تفهم؟ لذا أنا هنا سواء أردتَ أم لم ترد، كما أني أمُّك وما أقوله سيُنفذ.

انصرفت. وبقيت أنا واقفًا أمام المنزل، من الغضب كان لديَّ رغبة في ركل شيءٍ ما، لكني لا أستطيع. كانت جدتي تجلس على الأريكة، وتُقطع بعض الفاكهة وتنظر إليَّ.

- سأتحدث مع أمك. ستكون الأمور على ما يرام، اهدأ.

- لن تكون كذلك.

- هذا ليس صحيحًا.

جلسنا لبعض الوقت دون أن يحدث شيء، فقد كانت جدتي تُقطع الفاكهة، ويداها حمراوان من الفراولة كأنها ملطخة بالدم.

- هل يمكن أن تكتبي اعتذارًا للمدرسة يا جدتي؟

نظرت إليَّ تلك النظرة التي لا أحبها، كأن كل شيء واضح بالنسبة لها. ثم أومأت برأسها. لم أكن أريد أن أبتسم، لكن يجب أن أفعل ذلك.

- هل يمكنك التقطيع؟

ودفعت إليَّ جدتي بالوعاء. كان لديَّ شعور بأنها تعتقد بأن عليَّ أن أفعل ذلك. خرجت أمي من المنزل مرتدية ملابسها الرياضية، ونظرت إلينا نظرة سيئة، وهزت رأسها ثم ركضت بعيدًا دون أن تنطق بكلمة واحدة.

🏠🏠🏠

كانت "هانا" تجري بأقصى سرعتها، "لا تفكري في ذلك، ركزي على الجري"، حاولت قدر استطاعتها، ولكن على الرغم من أنها تجري بأسرع ما يمكن، فإن الغضب تغلب عليها، فلا تستطيع التوقف عن التفكير في الأمر. إنها تبذل قصارى جهدها، ورغم ذلك فهذا يزعج أمي و"فيكي"، لقد ظلَّا طوال حياتهما يأخذان عليها قلة اهتمامها، والآن عندما أرادت أن تهتم بهما، فهما يَعُدَّان هذا شيئًا سيئًا. إن أمي لديها ورم و"فيكي" ساقه مكسورة، لكن كليهما يُظهِر لي بأني أنا من تعكر صفو الحياة هنا. ركضت حتى وصلت إلى اللافتة الموجودة في نهاية القرية وتوقفت ببطء، ثم تنفست بعمق، فهنا بدأ الأمر مع "يرجي"، كأن هذا كان في عالم آخر، وكأن "نوكتورن" كان أيضًا في عالم آخر. إنه مساء صيفي، ولم تُظلم السماء بعد. قالت "هانا" في نفسها: "ماذا

أفعل هنا؟ إن هذه مضيعة للوقت، فكُلنا نعرف ما الذي يجب أن يحدث، ماذا أنتظر، لا بد من التعامل مع هذا، وليس التظاهر بأنه غير موجود. أنا لا أستطيع أعيش هنا لأصنع المربى وأجزُّ العشب، فلديَّ عملي وحياتي، التي يجب أن أُرتِّبها". استدارت وركضت عائدة إلى المنزل.

لا تزال أمي و"فيكي" جالسين أمام المنزل، و"فيكي" يساعد أمي على تقطيع الفاكهة، لقد فكرت في هذا أخيرًا، وتساءلت: لماذا لم تستطع أمي إجباره على أداء أي عملٍ من أعمال المطبخ؟ لكنها الآن جالسة معه.

سألتني أمي:

- لقد ركضتِ اليوم لمسافة قصيرة، أليس كذلك؟

- أمي، عليك أن تخضعي لهذه الجراحة، أنا جادة فيما أقوله. فأنا لن أستطيع البقاء هنا بعد انتهاء الصيف. ويجب أن تكوني بخير بنهاية هذه الفترة، أتفهمين؟ بعدها يجب أن أعود إلى عملي مرة أخرى.

"ظلت أمي صامتة ومستمرة في تقطيع الفاكهة".

- أمي، قولي شيئًا.

- أمي.

"إنها تفعل هذا بي عمدًا"، لم تتمالك "هانا" نفسها، وأخذت السكين من يد أمها، وألقتها في الوعاء:

- أمي، أنا أتحدث إليك.

- لن أُجري أيَّ جراحة. هل تعرفين كيف يمكن أن ينتهي بي الحال بعدها؟ لن أذهب، ولا أريد التحدث في هذا الأمر بعد الآن.

وفجأة عرفت "هانا" ما يجب أن تقوله، حتى لو كان ما ستقوله شيئًا مقرفًا، لكنه ضروري، وهي تعلم أن أمها لن تسمح به، لكنها لم تفكر في الأمر أكثر من ذلك.

- إذا لم تخضعي لهذه الجراحة، فسيتعين عليك الرحيل من هنا. فلا يمكنك البقاء هنا بمفردك.

- أنا لن أترك هنا إلى أي مكان.

- ستنتقلين للعيش معي أو مع "آدم".

ثم نهضت "هانا" وغادرت. لقد كانت هذه وقاحة منها حقًّا، لم يكن عليها أن تقول ذلك، لكن هذا صحيح، فأمي لا تستطيع البقاء هنا بمفردها؛ فهي مريضة، إذا لم تذهب لإجراء هذه الجراحة. يُمكنها أن تقيم مع "آدم". فأمي لن تذهب إلى براج أبدًا.

وبينما تغير "هانا" ملابسها، سمعت "فيكتور" وهو يأتي قفزًا إليها.

- أمي، لقد قلتِ إن جدتي ستكون هنا وحدها.

- بل لن تكون.

- وماذا عني أنا؟

- ماذا عنك؟ أنت لا يمكنك رعاية جدتك. بالإضافة إلى أنك ستعود معي إلى براج.

- لا يُمكن هذا.

- بل العكس، لا يُمكن سوى هذا.

نظر إليها "فيكي"، وبدا كأنه على وشك البكاء. حاولت أن تعانقه، لكنها لم يدعها تفعل ذلك.

- حبيبي، لا يمكنك البقاء هنا. حتى لو كانت جدتك بصحة جيدة. لقد كان هذا حلًّا مؤقتًا فحسب.

- لا أريد العودة إلى براج.

- ولكن ماذا يمكننا أن نفعل؟

- يمكننا العيش هنا.

- أنا ليس لديَّ عمل هنا، فمن أين سنحصل على المال؟

- اخبزي الكعك مثل جدتي.
- أنا ممثلة، وهذه وظيفتي، ولا أجيد خبز الكعك.
- تعلمي.
- لن أتعلم. وعلى أي حال، فإن خبز الكعك لا يدرُّ دخلًا يكفينا، إن جدتك تحصل على معاش، ولديها بعض المال الذي ورثته عن جدك. وأنا أيضًا أعطيها بعض النقود لأنك هنا.

لماذا تقول له ذلك، كأنها تدافع عن نفسها؟

- لكني لا أريد العودة إلى براج.

فقالت:

- "فيكي"، لقد كان هذا الأمر مقصودًا دائمًا.

على الرغم من أن هذا قد لا يكون صحيحًا، فإنها لم تكن تعرف كيف كان مقصودًا. "أنا أمٌّ سيئة، لم أفكر قط فيما هو أبعد من "نوكتورن"، ربما فكرتُ في كيفية قضاء هذه الإجازة الصيفية هنا. ربما تخيلت أن "فيكي" ستنضبط أموره، ثم يعود مرة أخري بطريقةٍ طبيعية إلى براج، وستكون أموره على ما يرام. أو ربما فكرت لحظات أني سأبقى هنا مع أمي لعام آخر إذا سارت الأمور بسلاسة، ربما، لكنها لم تكن خطة، وحتى لو كانت كذلك، فستكون قد انتهت الآن على أي حال. كان عليّ أن أفكر في الأمر، وأخبره بذلك بوضوح، وأقول له: كيف أتصرف هكذا بغباء؟ وما خطبي؟" والآن ينظر إليها "فيكي" باشمئزاز مرة أخرى، وهو يعتقد أنها السبب في كل ما يحدث من أشياء سيئة. هل هي السبب؟ هل ما حدث لأمها كان بسبب الضغط الذي تعرضت له بسببها؟

- لا أريد أن أرحل من هنا، لا أريد العودة إلى مدرستي القديمة، فلديَّ أصدقاء هنا، أريد أن أعيش هنا، لا يمكنك أن تأخذيني من هنا إلى مكان آخر، أنا لم أفعل أي شيء، عليكِ أن تستمعي أيضًا إلى رغبتي أنا.

أخذ ينظر إليها، إنها على حق، فلا يمكنها فِعْلُ أي شيء حيال ذلك على أي حال، ففي نهاية الإجازة سنعود إلى براج.

"في عطلات نهاية الأسبوع سنأتي إلى هنا، ونُحضر جدتك دائمًا معنا. ليس بوسعنا فِعل أي شيء آخر، فلديَّ عملي في براج، وجدتك مريضة، فهذا ليس ضدك، وأنا أيضًا لم أكن أريد أن ينتهي الأمر بهذه الطريقة، أعلم أنك لا تريد الاستماع إليَّ الآن. ولكن هذا ما يجب أن يحدث، ولا يمكن إلقاء اللوم على أحد يا "فيكي"".

أليس كبيرًا إلى الدرجة التي تجعله يفهم ما تحاول "هانا" فِعله؟

- هل تعتقد أنني كنتُ أرغب في أن يحدث ذلك؟ يا "فيكي"، لا تنصرف.



لكني قفزتُ بعيدًا، على الرغم من أنني أعلم أنه ربما أمي ليست ملومة في ذلك، ربما لا أحد يُلام على ذلك، لكن هذا سيحدث بالطريقة التي يريدها الكبار، فسأعود إلى براج وسيعود كل شيء إلى ما كان عليه من قبل، وأننا لن نأتي إلى هنا في عطلات نهاية الأسبوع، لأن أمي ستكون مشغولة في عملها باستمرار، وأني لن أرى "مارتينا" و"فرانتا" بعد الآن. وربما أراهما لحظاتٍ قليلة فقط ذلك، عندما نأتي إلى هنا مصادفة، ولكن لن يكون هذا جيدًا كما كان من قبل، ولن أكون عضوًا بنادينا بعد الآن. في تلك اللحظة شعرتُ بأني أكره أمي. في المطبخ قابلت جدتي، التي أرادت أن توقفني، لكني لم أمكنها من ذلك، فأنا أريد أن أكون وحدي، كما كنتُ دائمًا على أي حال.



قالت "إيفا" لـ"هانا":

- لم يكن عليكِ أن تخبريه بذلك بهذه الطريقة.

قالت "هانا":

- أتعتقدين أنني لا أعرف؟

قالت لها "إيفا":

- لا تبكي، أنا من يجب أن يبكي، أليس كذلك؟ فأنت تريدينني أن أترك منزلي.

- أمي، أنا لا أريد أن تتركي منزلك، أنا لا أريد أن يكون "فيكي" حزينًا، لا أريد أن أضطر إلى التعامل مع هذا الموقف، لكني مضطرة إلى اذلك، وقد فاض بي الكيل.

ثم اعتذرت إليها على الفور:

- آسفة.

قالت "إيفا":

- هيا، دعينا نصنع مربى الفراولة.

- يا إلهي! أمي، دعي عنكِ هذه المربى الغبية. هذا أمر جلل.

- يا عزيزتي، فلتنسي هذا الأمر قليلًا. واستريحي، ولا تقلقي.

- كيف يمكنك أن تقولي ذلك؟ كيف أستطيع أن أستريح عندما...؟

- لا تشغلي نفسك بي، أليس لديكِ أيُّ عمل خاص بك؟

- نعم، لقد ألغيتُ كل شيء حتى أتمكن من مساعدتك هنا. حتى أكون هنا معكما، وأنتما لا تهتمان.

- لكنك تعلمين أني سعيدة لأنك هنا. ابقي معنا هنا. واستمتعي بوقتك.

- كيف أستمتع به؟

- حسنًا، استرخي، فلقد كان لديكِ الكثير من العمل في الفترة الأخيرة.

- اللعنة يا أمي! عمَّ تتحدثين؟ هل تفهمين أنني لا أريدك أن تموتي؟

قالت "إيفا" وقد رفعت صوتها:

- لذا لا تتحدثي عن هذا باستمرار. إن ما حدث قد حدث. تقبَّلي ذلك، فلا يوجد شيء يمكنك فِعله. تمامًا كما يتعين على "فيكي" أن يتقبَّل فكرة أنه لن يستطيع العيش هنا بعد الآن. تمامًا مثلما يجب أن أتقبَّل أنا أنه لن يكون معي

هنا بعد الآن. إن صُراخك المستمر لن يُغيِّر من الأمر شيئًا. أنتِ لم تعودي طفلة يا "هانكا". فأنا سأموت ذات يوم على أي حال.

– أمي، توقفي عن ذلك.

بدأت بالبكاء مرة أخرى، لكنها حاولت ألَّا تدع "إيفا" تراها، فغادرت بسرعة. شعرت "إيفا" بالأسف، "ابنتي الصغيرة، هذا كثير عليها". لكن لم يخطر ببالها لثانية واحدة أنها يمكن أن توافق على هذه العملية، فهذا قرارها، وليس قرار ابنيها، ربما هو ليس بالقرار الصحيح، لكنه رغم ذلك شأنها الخاص.

سنرى ماذا سيحدث في نهاية الإجازة الصيفية، فإذا ساءت حالتها، فربما تنتقل إلى العيش مع "أداميك"، فلديه منزل كبير، وستكون مع بنتيه، ويمكنها مساعدتهما، وبالتأكيد سترغب "كاتكا" في العودة إلى عملها. وفي الوقت نفسه ستكون قريبة من "يندرشيخ". بالطبع لن تذهب إلى براج، فماذا ستفعل هناك؟ وإذا سارت الأمور جيدًا قليلًا، وهي الآن كذلك، فستبقى في المنزل. وإذا ماتت هنا وحدها، فإنها تأمل أن يعثروا عليها مبكرًا، حتى لا يكون منظرها بشعًا.

وضعت الفراولة في الثلاجة، فهي متعبة بالفعل، فسوف تصنع المربى غدًا، والآن سوف تستلقي لبعض الوقت. لقد سئمت من حبوب الدواء، فهي تجعلها جائعة دائمًا، ويزداد وزنها باستمرار، بالإضافة إلى مرض السكري. قطعت قطعة من السلامي في مخزن المؤن. "اتركوني جميعًا وشأني".

في وقت لاحق من ذلك المساء، عندما كانت ذاهبة إلى فراشها، رأت "هانكا" جالسة في الحديقة، متكورة على مقعد بها، وسيجارتها متوهجة في الظلام، إنها لا تزال باستمرار ابنتها الصغيرة. ثم رأت يرقة سراج الليل تحلق في الحديقة. ثم رأت واحدة أخرى. كلما نظرت لفترة أطول، زاد عددها، لم يسبق لها أن شاهدت مثل هذا العدد من يرقات سراج الليل في وقت واحد في حياتها، إنه يبدو كنوع من السحر. معجزة الطبيعة. شعرت "إيفا" فجأة أنها يمكن أن تموت الآن، فلقد رأت الجمال كله بالفعل.

هذا ليس بأيدينا

شغَّلت الكمبيوتر في غرفتي، لأني لا أريد التفكير في الأمر بعد الآن، لكني أخذتُ أفكر في الأمر على أي حال قبل أن أنام. جاءت أمي إليَّ وأرادت التحدث عن ذلك، لكني لا أعرف لماذا، وما الذي تريد التحدث عنه، فكلانا يعلم أن ما سيحدث سيكون مرة أخرى بالطريقة التي تريدها هي.

لكني لا أريد ذلك على الإطلاق. وبعد قليل قالت:

– هل تعتقد أنني أريد أن تحتفظ جدتك بهذا الورم؟

ليس لهذا علاقة بالأمر، لكني أعتقد أني فهمت ما تعنيه. لأنه ربما تريد أمي أن تُجري جدتي العملية الجراحية، ولكن لا يمكنها فِعل أي شيء حيال ذلك. وربما رغم أني فهمتُ ما تعنيه، فقد شعرت بالغضب الشديد، فطلبت من أمي أن تنصرف، فأنا أريد أن أنام الآن، رغم أني لا أريد.

على أي حال، من الواضح أنني لن أهتمَّ بتقديم هذا العذر إلى المدرسة، وقلتُ في الصباح على الإفطار إنني أريد العودة من المدرسة إلى المنزل وحدي، ثم أخرج مع أصدقائي. انتظرتُ أن ترفض أمي ذلك، لكن جدتي كانت موجودة وستسمح لي، وإذا لم يحدث هذا، فسأفعل مثلما فعلتُ أمس. قالت أمي:

– حسنًا، افعلا ما تريدان.

أعرف حالتها المزاجية هذه؛ لذا أضفت سريعًا أنني أرغبُ في البقاء هنا عندما تذهب لاستكمال التصوير، وأنه يمكنني البقاء عند "فرانتا"، ولن يمانع والداه في ذلك. لقد اختلقتُ هذا، لكنهما بالتأكيد لن يمانعا في ذلك.

– لا يمكنكَ الإقامةُ عند شخصٍ غريب لمدة أسبوع.

قالت جدتي:

- ستبقى معي هنا، وسيزورنا "أداميك" عدة مرات، وأنتِ ستكونين دائمة الاتصال بنا، يا "هانيتشكا"، لا تقلقي.

هزت أمي رأسها، وقالت:

- كما تريدان.

نظرنا أنا وجدتي إلى بعضنا بعضًا، بأن هذا شيء جيد، على الرغم من أنني أعرف -بالطبع- أنه عندما تكون أمي في هذه الحالة المزاجية، فهي إما حزينة وإما غاضبة. لكني لا أهتم، يكفي حقيقة أننا سنعود إلى براج بعد الإجازة الصيفية.

قلت "مارتينا":

- إذًا ستكون هنا خلال الإجازة الصيفية، أليس كذلك؟

وعندما قلت لهم:

- بلى.

- هذا رائع.

- وبعد ذلك ستأتي إلى هنا في عطلات نهاية الأسبوع، أليس كذلك؟

- بلى.

- أترى. إذًا سنرى بعضنا بعضًا كثيرًا.

ضمت "مارتينا" كتفيها وابتسمت لي، وفي تلك اللحظة شعرت أن الأمور ستكون جيدة، وبعدها توقفنا عن الحديث في هذا الأمر، ثم نقلنا بسرعة الواجب المدرسي من "فرانتا". إن "فرانتا" هكذا تمامًا، فهو يؤدي دائمًا واجبه المدرسي، ورغم أنه يقول إن هذا غير عادل، وأن علينا أن نتبادل الأدوار، فإنه دائمًا ما يسمح لنا بنقله.

عندما عدتُ إلى المنزل في المساء، كانوا قد انتهوا من تجهيز المسبح الخاص بنا.

- وبعد ذلك لم يحدث أي شيء حقًّا.

لقد انتهوا من تجهيز المسبح، لكني لا أستطيع السباحة فيه، ولكن أصدقائي يستطيعون ذلك، وهم متحمسون، بينما أتطلع أنا حقًّا إلى إزالة الجبس. انتهى

الأمر بإزالة الجبس قبل موعده بأسبوع على الأقل؛ لأني سقطتُ في ذلك المسبح، لأنه في إحدى المرات كانت "بادمي" تخطو بحذر على حافة ذلك المسبح، وعندما رأيتُها، تسللت بالقرب منها وأفزعتها، وقد حدث هذا على نحو رائع. لقد فزعت "بادمي"، وقفز بطريقةٍ فظيعة مثيرة للضحك، وسقطت في المسبح، وهو ما أردتُ فقط رؤيته. بالتأكيد كنتُ سأسحبها على الفور من المسبح، أو هكذا كنتُ أعتقد، ولكن اتضح أن إخراج قطة من المسبح ليس بهذه السهولة، لأنها أخذت تتصرف بجنون، وانتهى بي الأمر إلى الاستلقاء على حافة المسبح، ومددتُ إليها كلتا يديَّ، فخربشتني بطريقة فظيعة، ولكن أعتقد أني أستحق ذلك ما دمتُ قد فعلت ذلك عن قصد. حسنًا، وعندما كنتُ مستلقيًا على بطني، وهي لا تريدني أن أحملها على الإطلاق، وتخربشني فقط، سقطتُ هناك أيضًا، ولحسن الحظ أنها في تلك اللحظة كانت قد خرجت بالفعل، لكن الجبس أصبح مبتلًّا تمامًا، فغضبت أمي كثيرًا، وقالت: "ما هذه الأفكار التي تجعلك تخوف القطة حتى تُسقِطَها في المسبح؟" وقالت أيضًا: "تستحق ذلك"، ووضعت لي مُطهِّرًا على هذه الخدوش، ولم أشعر بأي حرقان. ثم ذهبنا إلى الطبيب، الذي نزع الجبس بالكماشة، على الرغم من أنني كنتُ أخشى أن يقرص ساقي، لكنه لم يفعل ذلك. كانت ساقي بيضاء وغريبة، ورائحتها كريهة أيضًا، لكنني سأكون قادرًا على السباحة الآن.

لذا عندما يكون الجو حارًّا، فإننا نكون في حمام السباحة في منزلنا، وتحضِّر جدتي وجبة خفيفة لنا، وأحيانًا تكون أمي معنا، لكنها تتمدد على كرسي الاستلقاء للتشمس بجوار حمام السباحة، فأقول لها: "ما دامت لا تسبح، فيمكنها أن تستلقي في أي مكان آخر، في الشرفة مثلًا". وعندما يكون الطقس سيئًا، فإننا نبقى في النادي، الذي رتَّبناه ترتيبًا جميلًا، فقد أحضرت "مارتينا" ورقة كبيرة من المنزل، وثبَّتْناها على العوارض باستخدام مسامير الورق كخلفية لنا، وكأنها ورق حائط، ورسمنا عليها. كان "بوهوش" هو أفضلنا في الرسم، لكن لم يعد هذا

يروقه. كما حصلنا أيضًا على طاولةٍ قديمة ومقعدين ومصباح وأشياء أخرى لنتمكن من تأثيث المكان. وعندما تُمطر السماء، تنفذ إلى هناك قطرات قليلة من المطر، وترسم خطوطًا على الورقة التي نستخدمها كخلفية، ولكن ليس كثيرًا.

ثم غادرت أمي لاستكمال التصوير، وقد انتهت الدراسة تقريبًا، وكان كل شيء معي ومع جدتي على ما يرام، صحيح أنني اعتدتُ وجود أمي هنا معنا، خاصة أنها توقفت عن التذمر، وأصبحت فقط تسترخي وتقرأ وتذهب للركض وتساعد جدتي على أداء مختلف الأشياء. وما دامت لن تكون هنا لمدة أسبوع، فأنا من عليه مساعدة جدتي. أحيانًا تكون جدتي حزينة جدًّا أو غاضبة، لكنها تعتذر إليَّ بعد ذلك، فإن هذا يحدث معها بسبب الدواء، وأحيانًا تبدو مختلفة قليلًا، ولكن هذا أيضًا بسبب الدواء. ورغم تأكيدها أنها أفضل من ذي قبل، لكنني في الواقع أتطلع إلى عودة أمي من هذا التصوير.

ثم عادت، وبعد ذلك مباشرة تسلَّمت الشهادة الدراسية، فسعدت جدتي وأمي بذلك سعادة كبيرة في ذلك اليوم، وقال أمي على سبيل المزاح: "إنني أخيرًا لم أحصل على جيد جدًّا في السلوك، ويبدو أنني سأصبح في النهاية شيئًا ما"، وكنوع من المكافأة على هذه الدرجات اشترتا لي لعبتين جديدتين على جهاز الإكس بوكس، وأيضًا لوح تزلج، ولكنه لوح تزلج حقيقي، وليس هذا الذي يستخدمه الأطفال. وفي ذلك اليوم ذهبنا لتناول غداء احتفالي، لكنني أعتقد أن الجميع ذهبوا أيضًا مع والديهم، حتى "توندا" و"يانا"، اللذان حصلا على مقبول في إحدى المواد الدراسية.

وما دمنا نتحدث عن الوالدين، فقد أرسل إليَّ والدي بعض النقود، ومعها رسالة نصية يسألني: هل أريد أن ألتقيه في الصيف؟ فكتبت إليه رسالة مفادها أنه لا فرق عندي. فلم يرد على رسالتي.

ثم بدأت العطلة الصيفية أخيرًا، وعلى الرغم من أن الجو كان رائعًا حتى الآن -إنه الآن رائع حقًّا- فقد أَخَذَنَا والد "مارتينا" إلى عمله، وسمح لنا بقيادة الحفار. كما ذهبنا للنوم في الكهف أيضًا، وقبل أن ننام مدَّت إليَّ "مارتينا" يدها لأمسك بها، وعلى الرغم من أنها لم تعطني قبلةً أخرى حتى الآن، لذلك لست متأكدًا تمامًا هل أصبحنا حبيبين أم لا، لكن هذا ممكن. كما كنا أيضًا نذهب في بعض الرحلات، أحيانًا مع أمي، وأحيانًا مع والدة "فرانتا" و"كايا". كما تعلمتُ القفز عموديًّا في الماء، وشَيِّ النقانق بطريقة الشيش كباب على نار المخيم، والسباحة في المسبح حتى لو كان المطر يتساقط بغزارة، وفي أحد الأيام سِرنا بالدراجات لمسافة ثلاثة وستين كيلومترًا، كما أن "بادمي" ولدت قططًا صغيرة. كادت أمي تُجن من ذلك، لكنها كانت ثلاث قطط فقط، فطُفنا بكل من هم في القرية، وعرضنا عليهم أن يأخذوا هذه القطط، فأخذ "بوهوش" واحدة، والسيد "زيلينكا" واحدة، واحتفظت "مارتينا" بواحدة، ولكن قبل أن يأخذوهم كانت هذه القطط في رعايتنا. ما أعنيه بذلك هو أن هناك أشياء كثيرة تحدث إلى درجة أنه ليس لديَّ الكثير من الوقت لملاحظة ما يحدث مع أمي وجدتي، ولكن لديَّ انطباع بأنه لا شيء يحدث، حتى جاء خالي مرة أخرى. في الآونة الأخيرة أصبح خالي يأتي إلى هنا كثيرًا، حتى مع بنتيه؛ فقد أصبح لدينا مسبح، ولكن عادة ما أختفي من المنزل عندما تأتيان إلى هنا. في هذه المرة جاء خالي فقط، بينما كنت أنا على الأرجوحة الشبكية التي حصلت عليها بمناسبة عيد ميلادي، وألعب على هاتفي المحمول. فجميع أصدقائي ذهبوا لتناول الغداء، ولدينا لقاء بعد الغداء، يستغرق الغذاء دائمًا بعض الوقت خاصة من "فرانتا" و"كايا"، وهذا يسعدني إلى حدٍّ ما لأن هذا يتيح لنا الفرصة لك نبقى أنا و"مارتينا" وحدنا لفترة من الوقت، فقد كنا أحيانًا نستلقي معًا على الأرجوحة الشبكية، وتشاهدني وأنا ألعب، وأحيانًا تحاول أيضًا، لكنها عسراء تمامًا. حسنًا، إنها

اليوم ليست هنا، أنا هنا وحدي. جاء خالي ودخل إلى المنزل، وبعد فترة سمعتهم يتشاجرون، لم أعرف ماذا يقولون ولا يهُمني أن أعرف. ولكن بعد ذلك خرجت جدتي أمام المنزل، وجلست على أحد المقاعد، ووضعت رأسها بين راحتيها.

وبعد ذلك خرج خالي من المنزل أيضًا وقال:

- أمي، أنتِ تعلمين أنني أودُّ أن أفعل ذلك.

فقالت جدتي:

- أعلم.

لكن أمي قالت:

- كذب، كذب مفضوح، تُجدِّد العلية، ولهذا السبب لا يمكنك أن تأخذ أمك عندك، هذا هو أغبى شيء قلته على الإطلاق.

- انتبهي، تحدثي معي بأدب، فأنا لم أسبك.

- ليس لديك سبب لذلك.

قالت جدتي:

- "هانكا"، لقد كنتُ هناك من قبل.

- في هذه العلية التي يجري تجديدها حديثًا، أليس كذلك؟

- "هانكا". أنا بخير. وليس علينا التعامل مع هذا الأمر الآن.

- لكن علينا أن نفعل ذلك. لا يمكنكِ البقاء في المنزل وحدكِ في فصل الشتاء، هذا ما قلتُه مائة مرة من قبل.

ثم التفتت إلى خالي قائلةً:

- وماذا بعد؟

بقي خالي صامتًا لحظاتٍ. ثم قال:

- إن "كاتكا" تنتظر مولودًا.

نهضت جدتي وعانقه:

- يا له من خبر رائع! يا أطفالي الأحباء.

ثم قال خالي:

- إذا كان ولدًا، فسأسميه "يندرشيخ"، على اسم أبي.

قالت أمي:

- مبارك.

وانصرفت.

بينما لا تزال جدتي تناقش معه هل عليها الاتصال بزوجته لتهنئتها، لكن خالي قال لها: "لا"، فلا يزال الوقت مبكرًا على ذلك، فهما لم يريدا أن يخبرا أحدًا، ولكن الآن في هذا الموقف كان عليه أن يقول ذلك، وأن الجميع سيأتون إلى هنا قريبًا ويحتفلون بذلك معًا.

خرجت أمي مرة أخرى وقالت:

- حسنًا، إذًا ستنتقلين للعيش معنا يا أمي.

وقبل أن تتمكن جدتي من قول أي شيء، عادت أمي إلى الداخل مرة أخرى.

هزت جدتي رأسها قائلة:

- لا أستطيع الذهاب إلى براج، فماذا سأفعل هناك؟

قال خالي:

- أمي، إن "هانكا" على حق، فلا يمكنك البقاء هنا بمفردك بعد الآن.

ثم توقفتُ عن الاستماع إليهم، لأن "كايا" كان قد جاء بالفعل، ولوَّح إليَّ من خلف السياج قائلًا:

- هيا، أسرِعْ، لقد أعدت لنا أمي كؤوس الآيس كريم، ولك أنت أيضًا.



في المساء قالت أمي إن جدتي ستنتقل للعيش معنا، فهي لا تعلم أني سمعت ذلك، فهزت جدتي رأسها. تساءلتُ: هل من الجيد أم من السيئ أن تعيش جدتي معنا؟ لكن الشيء الوحيد الذي فكرت فيه هو أين ستقيم، فشقتنا تتكون من غرفة المعيشة، وغرفتي وغرفة نوم أمي. فقالت أمي:

- حسنًا، سنعيد ترتيبها بحيث يكون لكل منا غرفته الخاصة، وسيكون المطبخ هو المكان الذي يجمعنا معًا.

نعم، حقًّا، هذا ممكن. لم يخطر ببالي شيء آخر، فقد اعتدتُ بالفعل وجود جدتي. قالت جدتي بحزن:

- لكني لا أستطيع العيش في المدينة. لماذا تفعلين بي هذا؟

ورفضت الطعام الذي وضعته لها أمي على الطاولة.

- حتى الطبيب قال إنه لا ينبغي أن نتركك وحدك. لذلك لا تستائي.

قالت جدتي:

- أنا لست مستاءة، ولست جائعة.

ودفعت الطبق بعيدًا عنها. في وقت لاحق وجدتها لا تزال جالسة في المكان نفسه، ثم بعد بضعة أيام عدتُ إلى المنزل، ورأيتُ جدتي جالسة بجوار حوض الزهور، حيث كان به أيضًا بعض النباتات، وكانت تفعل شيئًا ما، ويبدو أنها تقتلعها تمامًا، بينما أمي تحاول منعها.

فصرخت جدتي قائلة:

- لم يعد الأمر مهمًّا، فما فائدة وجودها هنا بعد الآن؟

- أمي، لا تزال بها فراولة، فماذا تفعلين؟

فضلت أن أذهب إلى الداخل حتى لا تلاحظا وجودي، لكن لا يزال بإمكاني رؤيتهما من خلال النافذة، ولم أعد أستطيع سماعهما، لكنهما استمرتا في

الصراع على الفراولة، حتى استسلمت أمي، وتركت جدتي لتواصل اقتلاع النباتات. انصرفت أمي فذهبت أنا إلى جدتي. كانت هناك نباتات فوق العربة اليدوية لا تزال بها فراولة، وبعضها جميل وناضج، لذا قطفتُها.

وعندما رأتني جدتي توقفت. وقالت:

– أنا امرأة عجوز مجنونة، أليس كذلك؟

– نعم.

– لا أعرف ماذا سأفعل هناك.

– لا تقلقي، لقد اعتقدتُ أيضًا أن الأمر سيكون فظيعًا هنا، ولكنه ليس كذلك.

– لكنك شاب صغير، فماذا ستفعل امرأة عجوز مثلي في المدينة؟ وماذا عن حديقتي؟ وأنا لا أعرف أحدًا هناك.

أعتقد أنني لم أكن أعرف أحدًا هنا أيضًا، لكني لم أقل لها ذلك، لأنني أرى أنه من الصعب التحدث مع جدتي، فهي تتصرف كطفلة صغيرة. لذلك قلتُ لها الشيء الوحيد الذي يمكن قوله في هذا الموقف، وهو أن بعض الأشياء تحدث رغم إرادتنا، فأنا اضطررتُ إلى المجيء إلى هنا على الرغم من أنني لم أرغب في ذلك، والآن عليَّ العودة مرة أخرى على الرغم من أنني لا أرغب في ذلك، كما أن أمي لا تستطيع إجبار أمها على إجراء العملية الجراحية، كذلك لا يُمكن لجدتي أن تفعل شيئًا حيال أنها لا يُمكن أن تظل هنا بمفردها.

ثم أضفتُ:

– لا يمكنك فِعل أي شيء حيال ذلك. لذا استمتعي بوقتك هنا. إننا سنأتي إلى هنا باستمرار في عطلات نهاية الأسبوع، لأن هذا أمر مهم.

– لم يكن عليكِ اقتلاع تلك الفراولة؛ لأننا سنأتي إلى هنا في الصيف، وأيضًا في العام المقبل.

لحظات لم تقل شيئًا، لكنها قالت بعد ذلك:

- حسنًا، سنعيد زراعتها مرة أخرى في الربيع.

وبعد أيام قليلة سألتني، ما دمنا سنقيم في براج، فهل سأذهب معها لإطعام البجع في النهر. لكني أرى أنها تمزح، أو أتمنى ذلك. فقلت لها: "نعم"، لأن جدتي لم تعد بعد الآن تجلس صامتة ولا تفعل شيئًا، ولم تعد تدمر الحديقة، لذا لم أُرِدْ أن أُفسِد مزاجها.

استمر الصيف حتى الخامس والعشرين من أغسطس، حتى قالت أمي إنها أخذت دور طبيبة في مسلسل، وستبدأ التصوير خلال أسبوعين، وهذا لكي نعلم فقط أنها الآن ستعمل عملًا منتظمًا، وستكون في المنزل لفترات أطول، وسيكون لدينا المزيد من المال بانتظام. فقاطعتها جدتي قائلة: "إنها ستحاول أن تجد طريقة للحصول على دخل إضافي". لكن أمي قالت: "لا، ستعتنين بـ"فيكي""، وهو الأمر الذي أزعجني قليلًا، فماذا يعني "تعتنين بي؟"، ولكن المهم ما قالته أمي بعد ذلك بأننا سنغادر يوم السبت، وهذا يعني أنه بعد ثلاثة أيام.

🏘🏘🏘

لن نتمكَّن من فعل الكثير خلال الأيام الثلاثة تلك، فجدتي وأمي تحزمان الأمتعة، وما زالتا لم تقررا ما يجب فِعله بقطع الأثاث، "لا، أنا بحاجةٍ إلى هذا السرير، لقد اعتدتُهُ. لا أريد واحدًا جديدًا، وأريد أيضًا هذه الخزانة الجانبية. ولكن لا يوجد مكان هناك لهذه الخزانة الجانبية، وهذا مقعد بشع، كُسوته ممزقة"، كانتا تتجادلان باستمرار. بينما أريد أنا أن أكون مع أصدقائي لأطول وقت ممكن، وربما أريد أن أكون وحدي مع "مارتينا"، لكن لا يمكنني قول ذلك، "يا "فرانتا" أنت و"كايا"، اذهبا إلى مكان آخر، وسنذهب أنا و"مارتينا" إلى مجمع المسابح"، لكن في النهاية ذهبنا جميعًا إلى هناك، وعندما ذهبت أنا وهي لشراء الآيس كريم، وذهب "فرانتا" و"كايا" لشراء المياه الغازية من الكشك المجاور، همست "مارتينا" في أذني: "انظر، تعالَ لنذهب إلى مكان آخر، ألا تريد ذلك؟"، بالطبع أريد. وعندما بقينا لتناول الآيس كريم، وعاد الولدان إلى الماء، ذهبنا على الفور،

واختفينا بطريقةٍ غير ملحوظة، ركبنا دراجاتنا، وذهبنا إلى الصخور التي اعتدنا الذهاب إليها، وبقينا هناك حتى المساء. كنا نتحدث فقط في أمور مختلفة، وعندما أوشكنا أن نفترق عند منزلهم، طبعت قبلة على شفتيَّ، وهذا شيء رائع، رغم أنه في اليوم التالي سخر منا "فرانتا" و"كايا"، وقالا إن هناك علاقةً بيننا.

وفي الليلة الأخيرة قبل مغادرتنا، أشعلنا نحن الأربعة حلقة نار في حديقة "فرانتا"، وكنت أنا و"مارتينا" نمسك بيد بعضنا بعضًا أحيانًا، ولكن ليس دائمًا بالطبع. وعندما حل الظلام، كان بوسعنا رؤية النجوم الجميلة في السماء، ثم جاءت والدة "فرانتا"، وطلبت منا أن نُنهي ذلك، لذا نهضنا وعُدنا إلى منزلنا. قالي لي "فرانتا" و"كايا" فقط: "سلام"، فنحن سنلتقي في نهاية الأسبوع القادم على أي حال، فقد وعدتني أمي بذلك، كما وعدت جدتي أيضًا حتى تتمكن من زيارة قبر جدي. بعد ذلك رافقتُ "مارتينا" إلى منزلها، واتفقنا على إرسال خطابات حقيقية لبعضنا بعضًا، فرغم أن لديها هاتفًا محمولًا، لكن رصيد مكالماتها قليل، وليس لديهم إنترنت في المنزل، ثم تبادلنا بعض القُبلات مجددًا، وذهبتُ إلى المنزل. وفي صباح اليوم التالي جاء خالي بالشاحنة، فقالت له أمي: "إن هذا هو الشيء الوحيد الذي تكفلت به، لذا شكرًا لك"، وبدؤوا بتحميل السرير والخزانة الجانبية وبعض حقائب جدتي، لكن جدتي ليست هنا. في تلك الأثناء ذهبتُ إلى المسبح؛ لأن الجو كان شديد الحرارة، فرأيت جدتي وهي تجلس على كرسي في الحديقة الخلفية، فذهبت إليها، فأعطتني يدها، وأمسك كل منا بيد الآخر لبعض الوقت، فأنا أعلم أنها لا تريد المغادرة، لكنها تقبَّلت الأمر، وأنا مثلها إلى حد ما. حُمِّل كل شيء في الشاحنة، وغطوا المسبح بغطاء ثقيل، ولكن ما زال علينا الإمساك بـ"بادمي"، التي كانت عصبية؛ لأنها ربما تشعر بأن هناك شيئًا ما يحدث. على أي حال، أعتقد أنها لن تكون سعيدة في براج، وأنه سيتعين علينا أن نُعيدها مرة أخرى إلى هنا لتعيش مع "مارتينا" ومع قطتها الصغيرة. ركبت

جدتي السيارة، ولم تتفوَّه بكلمة واحدة، وأغلقنا نحن الثلاثة المنزل، الذي بدا خاليًا بغرابةٍ، رغم أننا لم نأخذ منه سوى خزانة جانبية وسرير ومقعد.

ركبتُ الشاحنة مع خالي؛ لأنني لم أركب شاحنة من قبل. فتح كلتا النافذتين، فهبَّت علينا رياح ساخنة. توقفنا عند التقاطع المؤدي إلى الطريق السريع، وتوقفت خلفنا السيارة التي تقلُّ جدتي وأمي، فقد كان بوسعي رؤيتهما وهما تتحدثان، ولكن لا يمكنني سماعهما. تساءلت: كيف سيكون الوضع الآن بعد أن انتقلت جدتي للعيش معنا؟ وكيف ستكون عودتي إلى المدرسة، إلى أناس لم أرَهم منذ أمد بعيد؟ وكيف سيكون كل شيء الآن؟

لا أعلم ذلك، لكن جدتي توقفت عن الرغبة في المجيء إلى هنا، وفجأة لم تعد ترغب في الذهاب إلى زيارة قبر جدي، فهي تجلس في المنزل على مقعدها، وتستمع فقط إلى الراديو، ولم تعد تطبخ، وبدا الأمر كأنها لم تكن هناك من قبل، وربما أسوأ، فالوعد الذي قطعناه على أنفسنا بأننا سنذهب إلى هناك في نهاية كل أسبوع، تحقَّق مرة واحدة نهاية في سبتمبر، ثم مرة آخرى في بداية نوفمبر، وجُفِّف المسبح، وامتلأ بالكثير من أوراق الشجر المتساقطة، والوضع أصبح فظيعًا في خارج المنزل. ذكَّرني هذا بما حدث في أكتوبر الماضي عندما بدأ كل شيء. بسبب هذا تملَّكني شعور غريب، ربما شعور بالحزن، ولم تعد لديَّ رغبة في رؤية "مارتينا" على الإطلاق. لم أعد أذهب إليها، ولا إلى أي شخص، وشعرت بالسعادة لأننا عُدنا إلى براج. بعد عدة سنوات علمتُ أن "مارتينا" قد تزوجت بـ"كايا"، وليس بـ"فرانتا".

لم أكن أعلم أيضًا أن جدتي ستموت في الربيع. في الصباح وجدناها ميتة في الفراش. الغريب أنها بدت كتمثال أو كدُمية من الشمع، وليست إنسانًا، لمستُها كأني لمستُ مادة غير حية، لم تكن باردة جدًّا، ولكنها غريبة. ثم أرسلتني أمي إلى المدرسة، ولم أرَ جدتي مرة أخرى، ففي الجنازة لم يكن التابوت مفتوحًا. بكت أمي، ولكن ليس بقدر ما بكت في جنازة جدي، لكني بكيتُ أكثر بكثير.

كما لم أكن أعلم أيضًا أن أمي ستمثل في هذا المسلسل الذي يُعرض كل يوم ثلاثاء وخميس الساعة الثامنة، وهو أمر فظيع، فسيستمر لثلاث سنوات أخرى. تعرفتْ هناك إلى رجلٍ يُدعى "زدينيك"، بقيت معه لفترة طويلة جدًّا، تزوجا وسينجبان طفلة، وسيكون لديَّ أخت غير شقيقة. إن أختي الصغيرة هذه ستكون رائعة.

لم أكن أعلم أيضًا أن بيت جدتي سيُباع قبل فصل الصيف. سأزوره في المرة القادمة، ولكني زُرتُه عندما ذهبتْ معي زوجتي في رحلة بالقرب منه، وكانت تودُّ رؤيته. بدا المنزل مختلفًا تمامًا عمَّا أتذكره، فوقفتُ هناك وأنا أفكر بأن ما حدث هنا كان منذ زمن طويل، أو ربما لم يحدث قط.

لكني الآن لا أعرف شيئًا من كل هذا. فأنا الآن جالس في السيارة، وخالي يقودها، وهو الآن ينعطف إلى الطريق السريع، والرياح تعبث بشعري، والطريق يُطوى أمامنا، وكل شيء ينتظرنا.



صدر من سلسلة #جريمة_العربي

#ثلاثية_ريكيافيك / ليليا سيجورادوتير (آيسلندا)

- الفخ (1)
- المصيدة (2)
- القفص (3)

#سلسلة_المحقق_كونراد_سيير / كارين فوسم **(النرويج)**

- جريمة في الظلام (1)
- جريمة جليسة الأطفال (2)
- الخائف من الذئب (3)
- الشيطان يقود الطريق (4)
- جريمة العروس الهندية (5)
- جريمة على حافة البحيرة (8)

#سلسلة_إيفرت_جرينز / أندرس روزلوند وبيرجي هليستروم **(السويد)**

- ثلاث ثوان
- ثلاث دقائق
- ثلاث ساعات

#سلسلة_ كبير_ المفتشين_كيرت_فالاندر / هينينج مانكل **(السويد)**

- جريمة الذئب الوحيد (3)
- جريمة الرجل الذي ابتسم (4)
- جريمة المرأة الخامسة (5)
- الانحراف عن المسار (6)

#سلسلة_الدليل / يورن لير هورست **(النرويج)**

- لغز السلمندر (1)
- لغز مالطا (2)

404
الكتاب غير موجود..



قائمة الإصدارات كاملة